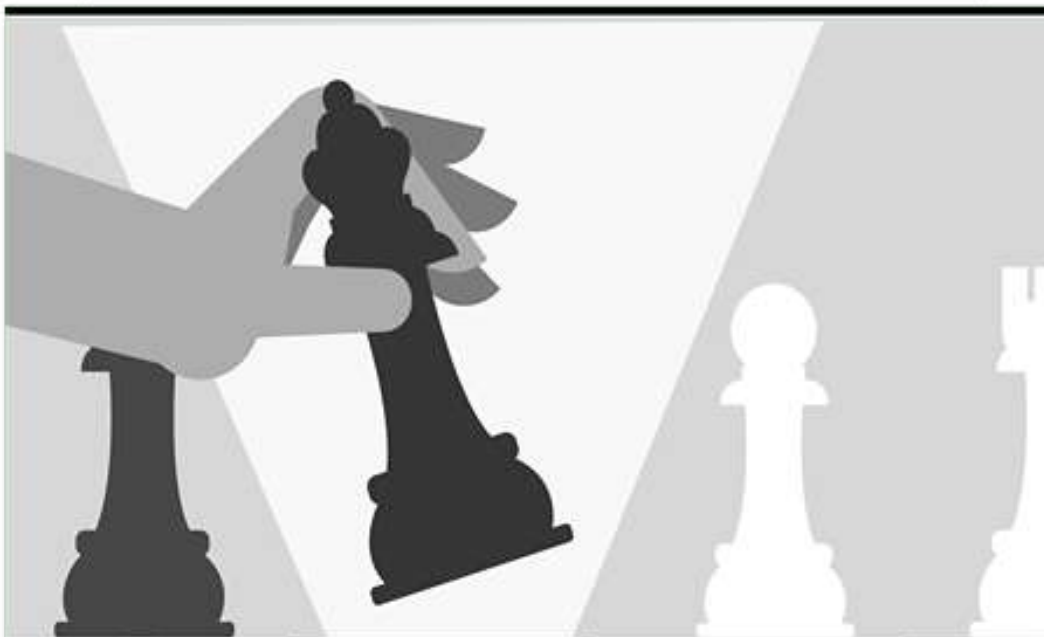


دورية دولية محكمة

مجلة

الدراسات الاستراتيجية والعسكرية



رقم التسجيل: VR.3373.6325.B



مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية

المركز الديمقراطي العربي

**Journal of
Strategic and military studies**
International scientific periodical journal



Germany: Berlin 10315
Gensinger- Str: 112
<http://democraticac.de>

مجلة

الدراسات الإستراتيجية والعسكرية

Journal

Of Strategic and Military Studies

دورية علمية دولية محكمة

الرقم التسلسلي المعياري

Nationales ISSN-Zentrum für Deutschland

ISSN (ONLINE) 2626-093X

مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية مجلة دولية محكمة ثلاثية تصدر عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ألمانيا/برلين.

تعنى المجلة في مجال البحوث المتعلقة بموضوعات الدراسات الإستراتيجية والعسكرية والأمنية والجيوسياسية، وفي مجال العلاقات الدولية، وقضايا التخطيط الاستراتيجي للتنمية، وإعداد وتمهئة المجال والحكمة الترابية، والمواضيع المتعلقة بوضع السياسات والبرامج وتقييمها، إن في المجال الاقتصادي والمالي أو في المجال الاجتماعي، سواء كانت هذه القضايا ذات بعد وطني، إقليمي أو دولي؛ إضافة إلى البحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تصدر المجلة بشكل دوري ولها هيئة علمية دولية فاعلة تشرف على عملها وتشمل مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من عدة دول، حيث تشرف على تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة.

وتستند المجلة إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها، وإلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، كما تعتمد مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكمة.



المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arab Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية Journal of Strategic and Military Studies

رئيس المركز الديمقراطي العربي: أ. عمار شرعان

رئيس التحرير: د. عبد القادر التاييري

نائب رئيس التحرير: د. خالد شيات

مدير التحرير: دة. ليلى الرطيمات

ضبط وتدقيق: د. يوسف بليط ود. محمد الحسني

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. جمال ابراهيم

العدد الخامس عشر

المجلد الخامس

يونيو/ حزيران 2022 م

البريد الإلكتروني للمجلة:

strategy@democraticac.de

International Standard Serial Number

ISSN (ONLINE) 2626-093X

اللجنة العلمية

رئيس اللجنة العلمية:

- أ.د. جمال ابراهيم، عميد القبول والتسجيل والامتحانات، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين

أعضاء اللجنة العلمية:

- د. خالد شيات، أستاذ العلاقات الدولية، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.
- دة. ليلى الرطيمات، أستاذة باحثة في العلاقات الدولية والقانون العام، كلية العلوم القانونية والسياسية، جامعة الحسن الأول، سطات-المغرب
- دة. مليكة الزخيني، أستاذة باحثة في العلاقات الدولية، جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال، المغرب.
- د. يوسف كريم مختبر الأبحاث القانونية والسياسية والاقتصادية، الكلية المتعددة التخصصات تازة- جامعة فاس. المغرب
- د. فؤاد الربيع، باحث في القانون والعلاقات الدولية، مركز الشرق للدراسات والأبحاث، المغرب
- د. مصطفى سدني، مختبر: حسن الأداء في القانون الدولي والمقارن، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية السويسي بالرباط، المغرب
- د. محمد حيتومي، أستاذ باحث في علم الاجتماع، جامعة عبد المالك السعدي- تطوان، المغرب
- د. محمد أحميان، أستاذ باحث في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.
- د. عبد العزيز بن لحسن، أستاذ باحث، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
- د. عبد الواحد بوبرية، أستاذ باحث، الكلية متعددة التخصصات، تازة، جامعة فاس، المغرب.
- د. محمد عسيوي، أستاذ باحث، جامعة عبد المالك السعدي- تطوان، المغرب.
- د. علي بوخلخال، أستاذ باحث، جامعة عمارثليجي، الأغواط، الجزائر.
- د. نسيم بلهول. أستاذ التعليم العالي في العلوم السياسية. جامعة البليدة 2. الجزائر.
- د. إدريس آيت الشيخ، أستاذ باحث في العلوم السياسية، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
- د. علا الحسين، أستاذ باحث في الاقتصاد، المدرسة الوطنية للعلوم التطبيقية، جامعة فاس، المغرب.
- د. باهني عبد الكبير أستاذ باحث في الجغرافية البشرية والتنمية، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
- د. موسى المالك، أستاذ باحث، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.

- د. عبد النور صديق، أستاذ باحث، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
- د. عبد الحق البكوري، أستاذ باحث، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.
- د. عزي هرو، أستاذ باحث، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.
- د. لبيد عماد، أستاذ محاضر قسم أ، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، الجزائر
- د. حازم محفوظ، خبير بوحدة العلاقات الدولية بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، مصر
- د. عبد الحق الصديق، أستاذ باحث، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب
- د. بلباي إكرام، أستاذ محاضر قسم أ، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر
- د. فاطمة الزهراء عزيزي، أستاذة باحثة في الاقتصاد، معهد الدراسات الإفريقية جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب
- د. خديجة بوتخيلي، أستاذة باحثة في العلاقات الدولية، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية سلا، جامعة محمد الخامس الرباط.
- د. إدريس بلعابد، أستاذ باحث في التاريخ، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، وجدة، المغرب.
- د. عبد الهادي أحمد عبد الكريم محاضر، كلية العلوم التربوية، جامعة أنجمينا - تشاد
- د. سليمان حامدون حرمة مندق شعبة التنمية المحلية كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة نواكشوط العصرية، موريتانيا
- د. مصطفى أعفير، أستاذ باحث، الكلية متعددة التخصصات بتازة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.
- د. فيصل فاتح، أستاذ باحث، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.
- دة. شيرين جابر باحث أول بمركز الدراسات الاستراتيجية بمكتبة الإسكندرية، مصر.
- دة. بشرى عبد الكاظم عبيد، باحثة في الجغرافيا السياسية، وزارة التربية العراقية، العراق.
- د. عبد الرحيم فراح، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، فاس، المغرب.
- د. امحمد موساوي، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، فاس، المغرب.
- د. رضوان بريول، أستاذ باحث، الكلية متعددة التخصصات بتازة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.
- د. هشام المكي، أستاذ باحث، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.
- د. عبد السلام الأشهب، أستاذ باحث، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
- د. ديمة عبد الله أحمد، أستاذ مساعد، الجامعة العراقية، كلية التربية للبنات، بغداد، العراق

- د. الرواص بدرالدين: دكتوراه في الجغرافيا البشرية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب
- د. ميثم منفي كاظم العميدي: أستاذ مساعد دكتور، قسم القانون، أقسام بابل، جامعته الكاظم، العراق
- د محمد عصام لعروسي، أستاذ العلاقات الدولية بالأكاديمية الدبلوماسية بأبوظبي، مدير سابق للبحوث والدراسات بمركز تريندز، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة
- دة. بثينة حساني، أستاذة الأدب الفرنسي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب
- د. الهاشمي عقاوي، أستاذ الأدب الإنجليزي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب
- دة. امال بن صويلح – أستاذة محاضرة تخصص حقوق – جامعة 8 ماي 1945 قلمة، الجزائر
- د. منير إبراهيم، باحث في القانون، مركز الشرق للدراسات والأبحاث، المغرب
- د. أحمد المرابطي، دكتور في القانون الدولي والعلاقات الدولية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب.

المحتويات

المقال	الصفحة
ياسين ايت بلال الأرياف المغربية: تشخيص الواقع وبدائل التنمية	9
بدر القاسي الأهمية الاستراتيجية للمضايق البحرية وتأثيرها في السياسات الخارجية للدول	24
ازهار هاشم شيت دراسة تاريخية لأوضاع الاسرى في العراق القديم، مع التركيز على بلاد اشور	41
صريح صالح القاز حلف الناتو بين دواعي البقاء ومؤشرات التفكك	56
يوسف أوقسو الثقافة ودورها في التنمية الاقتصادية والبشرية: من الاقصاء إلى الاعتراف	75
حسن المساوي دراسة ظاهرة التوسع الحضري وإشكالية التنقلات الحضرية باستعمال نظم المعلومات الجغرافية: حالة مدينة خريكة- المغرب	85
فاطمة محمد رضا رؤية مستقبلية لاستراتيجية الأمن القومي العراقي (2022-2026)	102
منتصر عدايلي تغير طابع الحرب: تحليل عسكري لكيفية قتال تنظيم الدولة في العراق وسوريا	114
عبد الحق الخيروني علاقة التربية بالديمقراطية عند جون ديوي	131
أحمد أهل السعيد الإرهاب والحرب بالوكالة في الشرق الأوسط	144
فتحي فتحي جاد الله الحوشي اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا بالمتوسط ومدى تأثيره على الاتفاق الليبي التركي والمصري القبرصي واليوناني	159

181	حسبية باحمان أمازونيّات شمال إفريقيا (بين الميثولوجيا والواقع)
189	محمد الحسني، صليحة رشيد، الزفري طارق البيئة وإشكالية الضغط السكاني بالناظور

Sommaire

Article	Page
Mighri Mounir Le rôle des missions expéditionnaires françaises dans la préparation de la conquête des pays de l'Afrique du nord : l'exemple de la Tunisie.	207
Zerouali Sanae La communication digitale au service du développement du marketing digital	218
Kezzoute Mhammed The rise of regional importance Morocco in the American strategy of the new deployment in Africa	226

الأرياف المغربية: تشخيص الواقع وبدائل التنمية

ياسين ايت بلال: طالب باحث في سلك الدكتوراه، بنية البحث: الجيوبينة وتنمية المناطق الجافة وشبه الجافة، جامعة ابن

زهر أكادير – المغرب

geoyass40@gmail.com

ملخص

حظيت قضايا تنمية المناطق الريفية بالمغرب باهتمام بالغ وبذلك أصبحت الدراسات والبرامج التنموية محور اهتمام الدوائر العلمية والأكاديمية بشكل عام، ففي المجال الوطني المغربي أصبح هذا المفهوم يفرض نفسه بقوة و بالاح لاسيما بعد حركة تصفية الاستعمار خاصة وأن مجالنا الوطني شاسع ومتنوع (مجالات مسقية، مجالات بورية، مجالات واحة ومجالات جبلية...) وإن عددا مهما من المناطق والكيانات الجغرافية فيه تفرض نفسها كمجالات متميزة تكتسي أهمية وطنية بالغة وتشكل أولوية مجالية من أولويات سياسات إعداد التراب الوطني والهيئة الترابية ، و مهما يكن من أمر فإن ما ينبغي الإشارة إليه هو أن سياسات إعداد المجال الوطني إذا كانت تعني تحقيق التوازن والعدالة المجالية بين الجهات والأقاليم البوادي والقرى وكذا بين الإنسان ومكونات البيئة عن طريق احلال توزيع متساو وأفضل للسكان والموارد والأنشطة، فإن ذلك لا يعني أبدا إغفال الخصوصيات المحلية والإمكانات والطاقات المادية لكل منطقة خاصة المجالات الريفية التي تكتسي صبغة خاصة.

الكلمات المفتاحية: المجالات الريفية، أزمة الأرياف التنمية الريفية، سياسة الأرياف

The Moroccan countryside : Diagnosing reality and alternatives for development

Abstract:

The issues of developing rural areas in Morocco have received great attention, and thus development studies and programs have become the focus of attention of scientific and academic circles in general. and that an important number of regions and géographiai entities in it impose themselves as distinct areas of great national importance and constituée an area priority among the priorities of the national soil preparation and territorial preparation policies, whatever the matter is. What should be noted is that the policies of preparing the national sphere, if they mean achieving balance and spatial justice between the regions, regions, valleys and villages, as well as between people and the components of the environment by occupying an equal and better distribution of population, ressources and activities, this does not mean at all neglecting the local specificities and the material capabilities and energies of each A special area Rural areas that have a special character. Key words: rural areas, rural development, rural Policy.

Keywords: Rural Areas, Rural Development, Rural Policy.

تقديم

تعد المجالات الريفية من أبرز الكيانات الجغرافية بنيوية وتعقيدا بمميزات الطبيعة وبخصائصها الطبوغرافية و الفيزيائية فضلا عن مقوماتها المناخية وكذا السوسيو اقتصادية والثقافية...لقد شهد هذا المجال في المغرب عموما منذ الفترة الإستعمارية الى الآن سلسلة من الإشكالات البنيوية العالقة والمستعصية والتي تعزى أساسا إلى الظروف الطبيعية من جهة وإلى الظروف التاريخية كنتاج لطبيعة السياسة الإستعمارية التي كانت تروم أساسا استغلال الموارد الطبيعية و الموارد البشرية من جهة ثانية، الشيء الذي عمق من حجم الاختلالات السوسيو مجالية و خلق هوة في الفوارق بين الجهات و هو الأمر ذاته الذي عمق من ظاهرة التخلف و التهميش و العزلة الدائمة و الموسمية مما جعل من حتمية التدخل المباشر ليجاد حلول ناجعة بتبني سياسات عمومية وطنية لاقرار التنمية بها، غير أن الأمر الذي طبع مختلف تلك التوجهات و السياسات الوطنية المرتبطة بمجال تنمية الأرياف هو كونها ظلت تبرمج و تهيك في ظل غياب رؤية مندمجة شمولية و مقارنة ملائمة لخصوصيات المجالات، مما عمق من حجم الاختلالات بين مكونات المجال الوطني، لكون هذه السياسات كانت و لا تزال تركز أكثر فأكثر على تأهيل و تهينة المجالات السهلية الساحلية و بعض المدن الداخلية الرائدة و طينيا، تأهيدا مكلفا يتطلب قدرات مالية فائقة و معطيات تقنية مهمة جدا و ذلك بغية تنمية تطوير مؤشر النمو الاقتصادي بها في بعده الكمي كالاهتمام بالشبكات الحضرية للقوس الممتد ما بين الدار البيضاء و طنجة، هذا المجال الذي يستأثر بما مجموعه (70%) من إجمالي الوحدات الصناعية و الأنشطة الاقتصادية و السياحة، ناهيك عن الاهتمام المتزايد ببعض المدن السهلية الداخلية نظرا لأهميتها الاقتصادية كمراكش و فاس، و بذلك بقيت التنمية منحصرة في محور المجالات السهلية الواطنة بالمغرب، على حساب المناطق الريفية الهامشية لاسيما الأحزمة الجبلية التي ظل فيها مسلسل التنمية ضعيفا و بطيئا جدا، بفعل سياسة الإهمال و اللامبالاة من قبل المتدخلين في تهينة المجال و بفعل استثنائها من كل التوجهات التي ترمي إلى تحقيق التنمية و بفعل نهج سياسة الأولويات بإقرار التنمية للمناطق الواطنة على حساب الأرياف عموما، مما تمخض عن ذلك العديد من التباينات و المفارقات السومجالية. التي زادت من تعميق هامش التخلف بها.

إن هذا الوضع المقلق، يطرأ اليوم وأكثر من أي وقت مضى ضرورة ملحة و مستعجلة لتنمية هذه الربوع، بضرورة تنزيل سياسات مجالية في فضاء أفسح تأخذ بيد قاطناتها في اتجاه خلق تنمية محلية ذاتية و في جو من الألفة الذي تسوده الثقة اللامشروطة بين الإنسان و المجال في المقام الأول و بينه و بين الدولة في المقام الثاني، كما يطرح في الآن ذاته و بشكل ملح إشكالا جوهريا و بنيويا مهما يتقاطع بين مقارنة الإمكانيات و المقومات المتاحة بهذه المجالات في علاقتها بحصيلة الأداء التنموي بالأرياف المغربية عامة.

أهداف البحث: تتمثل الأهداف الرئيسية لهذا البحث بشكل مجمل في محاولة الإحاطة بمفهوم الريف و تشخيص وضعيته بالمجال المغربي، وذلك بالوقوف عند مكان الخلل بها و مواطن القوة لديها، هذا بالإضافة إلى تبيان مجموع الإجراءات الممكنة لتنميتها و إدماجها في سيرة التنمية الشمولية.

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في كونه يشكل قيمة مضافة تنضاف لسلسلة الدراسات التي تندرج ضمن البحث الجغرافي "الجغرافيا البشرية"، لاسيما بالمناطق الريفية المغربية بوصفها مجالات مهمة تستحق الدراسة

والتنقيب ولكونها تزرخ بالعديد من المقومات الطبيعية والبشرية التي لم تستثمر بعد بالقدر الكافي الذي يكفل تقدمها فصارت عرضة للإهمال ابدي لازال يقوض أسس التنمية المندمجة بها.

منهجية البحث: تقوم هذه الدراسة البحثية بداية على المنهج البيليوغرافي خاصة في جانبها المتعلق بالشروط النظرية للتنمية و الريف، كما تقوم على النهج الجغرافي خصوصا ما يتعلق بوصف و تفسير وضعية المجالات الريفية سواء الجبلية منها أو السهلية وكل ما يهم بدائل التنمية الممكنة بها، هذا بالإضافة إلى العمل الميداني المرتبط بالاستعانة بالمعطيات الرسمية من لدن المؤسسات المعنية وكذا عمليات الاستجواب المتعلقة بالروايات الشفهية المباشرة مع المعنيين والفاعلين في المجال.

المحاور الرئيسية للبحث

* المحور الأول: تشخيص مظاهر أزمة الأرياف المغربي؛

* المحور الثاني: رصد واقع الأرياف المغربية ضمن السياسات الوطنية؛

* المحور الثالث: طرح بدائل التطوير الممكنة لترقية الأرياف المغربية؛

1-تشخيص مظاهر أزمة الأرياف المغربية.

1- مفهوم الريف

يعد الريف مجالا جغرافيا يتكون من القرى و الحقول و الغابات و المراعي يشغل جل سكانه في النشاط الفلاحي و تربية المواشي، حيث يمكن أن نميز في هذا المجال الشاسع بين المناطق الجبلية و الواحية البورية و المناطق الشعبية المسقية. و المجال الريفي هو نمط خاص من استعمال المجال و الحياة الاجتماعية، و يتميز بكثافة سكانية ضعيفة و سكن يعكس المشهد الطبيعي و هيمنة النشاط الاقتصادي الذي يميل إلى الإستغلال الفلاحي و الغطاء الغابوي¹ و الريف عكس الحضر و هو مجموع المناطق الزراعية الحرة و المعروفة بالمجالات المعزولة نسبيا² لها مقومات و خواص تميزها عن غيرها من المجالات³ و تجدر الإشارة هنا إلى أن المشهد الريفي هو الأكثر تعقيدا باعتباره نتيجة لتنظيم الإنسان للمجال الفلاحي و تجهيزه للأرض قصد الاستغلال، وهذا الأخير في حد ذاته هو انعكاس للنشاط الفلاحي على وجه الأرض و المشهد لا يعني الإطار الطبيعي الذي يتم فيه الاستغلال فقط⁴ بل يعكس البنيات الاجتماعية و الاقتصادية أيضا⁵ هذا المنطلق بدأت تتفرع مفاهيم حول الريف فحسب منظمة الأمم المتحدة فقد وضعت معيارا كميا للتمييز بين المناطق الريفية في حين أغفلت معايير أخرى كيفية يمكن أن تكون هي المحدد الرئيسي في إيجاد تعريف عام للريف، و وضعت منظمة التعاون معايير كمية و أخرى كيفية بحثة لتمييز المناطق الريفية عن الحضر باعتماد نسبة مساهمة النشاط الزراعي في القوة العاملة ، بالإضافة إلى الكثافة السكانية و معدل الزوح و كذا مستوى الخدمات، إلى جانب هذا فقد تم وضع تعريف

¹ Kayser.B, « La renaissance rural, A. Colin, 1990, P:13

² Rural, U.S disappearing ?, Population Share his low, By yahoo.news. Associated. Presse, مؤرشف من الأصل من الموقع الإلكتروني www.archive.org و طلع عليه بتاريخ 2021/12/22

³ Defining Thé Rural population, hrsa.org 2021/12/22 اطلع عليه بتاريخ

⁴ محمد بلفقيه، "أوليات في الجغرافيا الزراعية، منشورات الشركة المغربية لتنمية النشر والتوزيع، الرباط، 1988، ص: 85

⁵ Jean Paul DIRY, "Les espaces Ruraux "Armand Colin, Paris, 2ème Édition, 1999 P:26

خاص بكل قارة من القارات حيث تم تحديد هوية الريف أفريقيا في المستوطنات البشرية التي يزيد عدد سكانها على 2000 قاطن و الذين يمارس ثلث عوائلهم مهنة الزراعة. وتتميز طريقة الحياة الريفية بعدة خصائص ومميزات مغيرة إلى حد كبير لخصائص وسمات الحياة الحضرية خاصة تلك التي تشير إلى طبيعة الحياة التقليدية في المجتمعات الريفية المحلية والتي تتمثل في الأهمية الواضحة التفاعلات "التجانس"، والتي تعتبر كذلك الأسرة وحدة إنتاجية وفق النمط الاجتماعي للأسرة الممتدة والكبيرة بالإضافة إلى وضوح الخصائص السيكولوجية التي تعكس الروح الجماعية للجماعة المعنية.

2- مؤشرات أزمة الأرياف المغربية وتجلياتها الكبرى

لقد ظلت البادية المغربية تشكل مجالا للأمية والعزلة، لا تتوفر على شبكة الماء الشروب والكهرباء والمغرب يعيش تناقضا صارخا في هذا الشأن، حيث أنفق أموالا طائلة من أجل تحديث بواديه، فكانت النتيجة نموا متزايدا في الإنتاج وتنوعا في المنتجات الفلاحية، لكن مسلسل التنمية بقي جد بطيء بل متعثرا، ولم تسلم الساكنة هي الأخرى، بل ظلت معاناتها مع نقص الإمكانيات والتجهيزات التحية والظروف السكنية غير الملائمة، وضعف التغطية الصحية والتمدرس فكان تزايد البطالة واستفحال الهجرة نحو المدن من النتائج الحتمية لذلك¹ إذ تؤدي الهجرة القروية إلى الزيادة في تفاقم مشاكل التشغيل والسكن والتجهيز ومن بين انعكاسات هاته المشاكل تضخم المدن وتزايد الأنشطة الهامشية، التي تخفي في واقع الأمر نقصا مزمنيا في الإمكانيات في ظل انتشار أشكال السكن غير الصحي بجميع أنواعه² إن الرفع من مستوى العالم القروي أضى ضرورة اجتماعية واقتصادية ملحة³ ولعل تشخيص الواقع الراهن الأرياف المغربية يتطلب منا التمهيد الجيد والتدقيق في مظاهر الأزمات التي تواجهها هذه المجالات الهشة.

1-2 أزمة الأرياف المغربية على مستوى الأنشطة الاقتصادية

تتمثل أزمة الأرياف المغربية عموما في ضعف مردودية النشاط الفلاحي سواء تعلق الأمر بالنشاط الزراعي منه أو تربية المواشي مما يجعل منها أنشطة معاشية هزيلة عادة ما تكون موجهة لتلبية الاحتياجات الأسرية، وإلى جانب ذلك نجد انعداما على مستوى الأنشطة الاقتصادية التكميلية، غير أن هذا الأمر يسجل تفاوتات بين مناطق السقي العصرية الغنية ومناطق البور الهشة والهامشية ذلك أن المناطق الفلاحة البورية بشكل عام تعاني من الركود والضعف، وهذه الأخيرة تعرف تفاوتات في حد ذاتها إذ توطن في الغالب مجالات قروية تعاني من الإهمال والتقصير والهميش وتنوزع هذه المجالات في ثلاث مناطق (جبال الريف ومقدمتها التي تصل إلى مشارف فاس والأطلس المتوسط والهضبة الوسطى في الشمال الغربي ل خنيفرة ثم المجالات الوسطى الجنوبية الممتدة جنوب واد أم الربيع إلى حدود تارودانت و حواشي الصحراء⁴ ولقد اقترن النشاط الفلاحي بهذه المناطق بزراعة متنقلة تعتمد على الحرق "الضريم"⁵

¹ مديرية إعداد التراب الوطني، "نوافذ على المجال المغربي"، منشورات عكاظ الرباط، 2002، ص: 67.

² محمد الرفاص، الدينامية السكانية، التربية السكانية بالمغرب: الكتاب المرجعي"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1991، ص: 62.

³ مديرية إعداد التراب الوطني، "نوافذ على المجال المغربي"، منشورات عكاظ الرباط، 2002، ص: 68.

⁴ وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، مديرية إعداد التراب الوطني وعلوم العمران والتنمية مجموعة ثمانية، التصميم الوطني لإعداد التراب - خلاصة-، منشورات عكاظ، الرباط، يونيو 2003، ص: 107.

⁵ زراعة الضريم: زراعة متنقلة تقوم على حرق أوراق أشجار الغابات من أجل الحصول على أراضي جديدة وتخصيب تربتها عن طريق الرماد الناتج عن عملية الحرق تلك الضريم: زراعة متنقلة تقوم على حرق الأشجار من أجل الحصول على أراضي جديدة وتخصيب تربتها عن طريق الرماد الناتج عن عملية الحرق تلك

و تنظيم زراعي يتخذ فيه الحقول شكل هالات¹ وفي أحيان أخرى محاطات² تحيط بالقرية «أي مجموع الدواوير»³ التي تتوطن بها مجموعة من الرساتيق⁴ التي يتخللها الحريث⁵ حيث تتوفر كل أسرة على "مشاركة"⁶ بالدائرة المركزية حيث يتجمع السكن، تملك كل أسرة قطعة أرضية صغيرة من الأرض تخصصها لزراعة دائمة، وتولي الأسرة هذه الزراعة عناية كبرى، لأنها توفر لأفرادها منتوجات ضرورية كالبطاطس الحلوة والطماطم والبنويك بعد ذلك تأتي هالة تشغلها الذرة المبكرة، ثم هالة خارجية أكبر اتساعا تطبق فيها دورة زراعية ثلاثية⁷ وبهذه المجالات الهشة تسود أنماط من تربية المواشي التقليدية مستقرة أحيانا حيث يتخذ فيها المراعي شكل "الشيم"⁸ و متنقلة أحيانا أخرى خاصة في المجالات الجبلية زد عن ذلك تراجع الغطاء النباتي الطبيعي بسبب التجاوزات البشرية من اجتثاث وري جائر وما إلى ذلك، وعلى عكس ذلك نجد انتشارا واسعا بالدير⁹ والحصيلة أن الواقع الاقتصادي الريفي بالمغرب ينم عن أزمة حقيقية خاصة في ظل غياب الأنشطة الاقتصادية المكملّة كضعف النشاط السياحي ونشاط الصناعة التقليدية. وفيما يلي صورتان توضحان مظاهر التفاوت بين المناطق الريفية السقوية المستفيدة والمناطق البورية الهشة:

¹الهالة وتعني مجالات فلاحية تتخذ فيها حقول شكل هالات أو دوائر و تتميز بتنوع منتجاتها الزراعية.

²المحاطات، جمع محاط و هي مجموع الأراضي التي تملكها الجماعات السلالية بأراضي الجموع، الأراضي الجماعية، الأراضي العشائرية، الأراضي الإثنية، أراضي الجماعات الأصلية،... وقد عرف المشرع الأراضي الجماعية في ديباجة ظهير 17 أبريل 1991 بأنها تلك الأراضي التي تنصرف فيها الجماعة و سلالها مع حق تصرف المالك في ملكه، وتعرف بأنها "تلك الأراضي التي ترجع ملكيتها إلى جماعات سلالية في شكل قبائل أو دواوير أو عشائر قد تربط بينهم أواصر عائلية أو عرفية و اجتماعية و دينية بحيث حقوق الأفراد غير متميزة عن حقوق الجماعة.

³الدوار: بدأ مفهوم الدواوير يثير نقاشا دلالي يحيل بالرجوع إلى المعاجم اللغوية العربية على معاني بعيدة، فمثلا: الدوار هو جزء قابل للدوران و اللف و عموما لفظة الدوار في المجال المغربي ينعت بها كل أنماط السكن المتمثل المستقر في شكل هالة و تختلف من منطقة لأخرى حيث تصادف: الدار بمنطقة جبال الريف، وإغرم بمجال الأطلس الكبير و القصر بالمناطق الواحية و كذلك تشير لفظة الدوار في مجموع البلدان المغاربية إلى كل تجمع سكاني مستقر أو متنق مؤقت كان أم دائم أفرادهم تجمعهم أواصر وروابط قرابة، و هو كذلك عبارة عن تنظيم مجالي و اجتماعي محكم ذو مستويات و أبعاد مختلفة.

⁴الرساتيق: جمع رستاق Le Terroir وهو مساحة أرضية تنفرد بخصائصها ومقوماتها الطبيعية (المناخ، التربة، الثروة المائية، الغطاء الغابوي و النباتي، ...)، بالإضافة إلى الخصائص و المميزات البشرية (إصلاحات مختلفة، يقوم بها العنصر البشري فوق مساحة معينة) و هي جزء من المحاط

⁵الحريث: يعني الجزء الذي يستغل من المخاط بشكل فعلي ودائم و يتكون من حقول تمارس داخلها زراعة موسمية أو الأشجار المثمرة و بمعنى أدق كل قطعة أرضية تحصى بعناية من قبل الفلاح

⁶المشاركة Parcelle أرضية لشخص واحد أو مجموع أشخاص لهم ما ينبت حيازتها وملكيتها بشكل قانوني أو عرفي أحيانا و تختلف مساحتها من مجال جغرافي لآخر أو داخل نفس المجال حيث تتسع بالمناطق الشعبية ذات أراضي شاسعة و منبسطة و تضيق كلما اتجهنا نحو المناطق الجبلية حيث وعورة التضاريس، كما تختلف أشكالها الهندسية حسب طبيعة المنطقة.

⁷محمد بلقيش، "أولويات في الجغرافية الزراعية"، منشورات اللجنة الوطنية المغربية للجغرافيا، الرباط، 1987، ص: 40

⁸الشيم: Saluts ويعني الجزء الذي لا يستغل في النشاط الزراعي حيث ترك فيها الأراضي بوار على شكلها الطبيعي و تستغل في غالب الأحيان حيث تعتبر بمثابة المصدر الرئيسي لتوفير الكال للماشية و هي خاصية من خواص المجالات الرعوية بالمناطق ذات تربية المواشي المستقرة

⁹الدبر: Parcellaire وهي عبارة عن مشاركات زراعية متشابهة و متجانسة إلى حد كبير خاصة على مستوى المساحة و هي ذات نظام استغلالي خاص يبرز بشكل جلي بالمجالات الشعبية الواطئة و التي شهدت غداة فترة الاستعمار عملية ضم الأراضي و اجتماعها و تسييجها كما عرفت إعدادا هيدرولوجيا.

صورة (1): امتداد سهل تادلا المسقي. صورة (2): مشهد ريفي بوري من شعاب أيت بوكماز بالاطلس الكبير



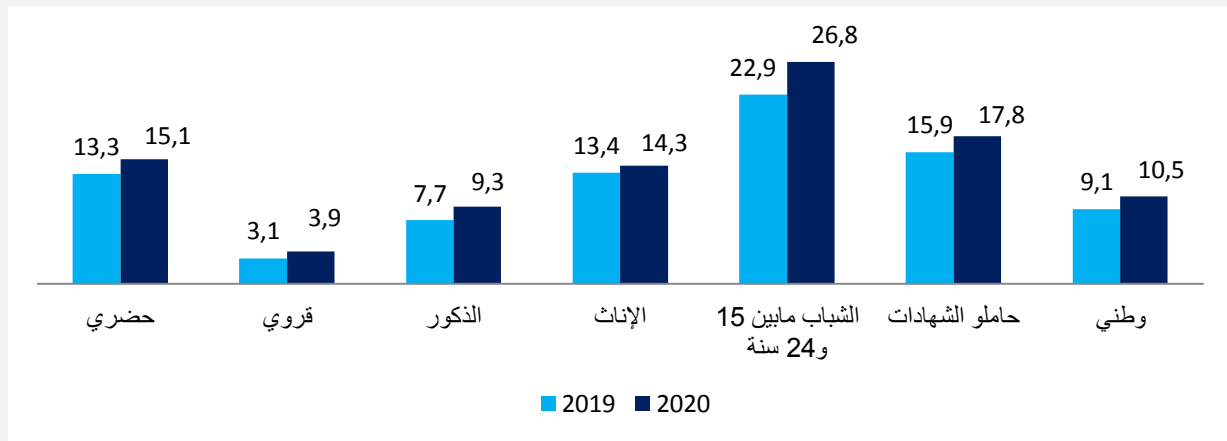
نخلص من خلال هذين المشهدين بأن الأرياف المغربية عموما لازالت تعيش تناقضا صارخا بين مجالات محظوظة تستفيد من السياسات العمومية الموجهة من قبل الدولة ومناطق بورية هشة وهامشية ذات نمو بطيء بسبب العزلة الطبيعية والتقلبات المناخية، الأمر الذي يكرس معه تعمق حجم الاختلالات السوسيوإقليمية التي يصعب الحد منها ما لم تتخذ إجراءات مستعجلة وكفيلة للرفع من أدائها وفعاليتها.

2-2 مظاهر أزمة الأرياف على المستوى الاجتماعي

تتفاقم أزمة الأرياف المغربية وتزداد حدة خاصة في ظل تراجع الخدمات الاجتماعية، فالعديد من الجماعات التي يوجد معظمها بالوسط القروي تفتقر إلى أبسط المرافق والخدمات الاجتماعية الضرورية وتعتبر مرتعا خصبا لمعضلات الأمية و البطالة و الإقصاء الاجتماعي وكذا ضعف فرص الشغل والأنشطة المدرة للدخل¹ناهيك عن استفحال ظاهرة الانقطاع المبكر عن التمدرس خاصة في صفوف الإناث مما يكرس ضعف نسب التمدرس 75% من الأمية)، زد على ذلك ضعف نسب التأطير الطبي (1 طبيب لكل 27.000 قاطن، كما نضيف مسألة أخرى وهي تعقد الوضع الاجتماعي لنسبة مهمة من القرويين بسبب تفشي الفقر 18% و كل مؤشرات الأخرى التي تزيد من تفاقم ظاهرة الهجرة من الأرياف الريفية نحو المدن وما ينتج عن ذلك من إفراغ لهذه المناطق من محتواها البشري. وفيما يلي مبيان لتشخيص التوزيع الحالي لمظاهر الأزمة الريفية.

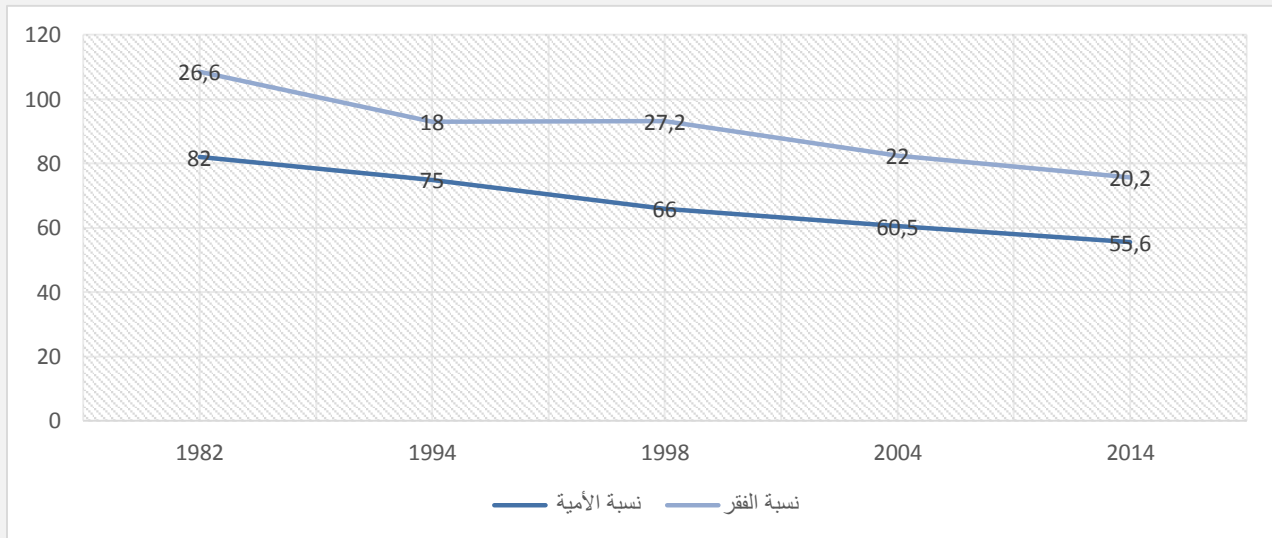
¹ مقتطف من الخطاب الملكي حول المبادرة الوطنية للتنمية البشرية 18 ماي 2005

مبيان: يوضح توزيع مؤشرات البطالة بالمجال الوطني المغربي



المصدر: مذكرة إخبارية حول وضعية سوق الشغل خلال الفصل الأول من سنة 2020¹:

مبيان: تطور مؤشري الفقر والأمية بالمجالات الريفية المغربية بين 1982 و 2014



المصدر: Annuaire statistiques Au Maroc : 2020

2-3 مظاهر أزمة الأرياف المغربية على مستوى. التجهيزات الأساسية والتجهيزات العمومية

عديدة هي مظاهر ومؤشرات استفحال الأزمة الريفية على مستوى التجهيزات الأساسية والتجهيزات العمومية والبنيات التحتية والأنظمة الإنتاجية وفيما يلي بعض الأرقام والإحصائيات الرقمية المفسرة لهذا الوضع:

¹ نظراً للقيود المفروضة لمجابهة فيروس كوفيد 19، فعملية تجميع المعطيات لهذا الفصل تمت خلال الفترة الممتدة من 1 يناير إلى 20 مارس 2020

جدول تطور بعض مؤشرات التجهيزات الأساسية والعمومية بالأرياف المغربية بالنسبة المئوية

السنوات	1982	1994	1998	2004
الربط بالماء	2,2	4,0	11,9	18,1
الربط بالكهرباء	4,5	9,7	15,6	43,2
المسالك والطرق	5,5	9	17	23
التجهيزات العمومية	9	12	22	28

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط: الإحصاءات العامة للسكان والسكنى بالمغرب

يتضح من خلال مؤشرات هذا المبيان على أن تطور متغير التجهيزات الأساسية والتجهيزات العمومية بالأرياف المغربية لا يزال ضعيفا ويتطور بوثيرة بطيئة منذ سنة 1982 خاصة ما يرتبط بالربط بالماء الشروب والمسالك الطرقية والولوجيات، وهذا الأمر إنما يوحى بتجذرا الأزمة الريفية على مستوى التجهيزات مما يقوض معه أسس التنمية الاجتماعية التي لا ترقى بعد إلى المستوى المطلوب الذي يضمن الرفاه الاجتماعي لسكان الأرياف عموما وساكنة المناطق الجبلية خصوصا

II- رصد واقع الأرياف المغربية ضمن السياسات العمومية الوطنية

1- مفهوم سياسة الأرياف

سياسة الأرياف تعني مجموع أشكال التدخلات المباشرة التي تقوم بها الدولة بشكل إرادي لتدبير قضايا الأرياف على جميع المستويات، سواء تعلق الأمر بتوزيع الأنشطة والسكان أو تعلق بإحداث التجهيزات الأساسية والتجهيزات العمومية.

2- تقييم السياسات العمومية الموجهة للأرياف المغربية

لقد تم التخلي عن المقاربة القطاعية والتقنية التي كانت سائدة في الثمانينيات وبداية التسعينيات لتحل محلها مقاربة أكثر شمولية، موجهة أكثر لهذا المجال لاسيما تجاه السكان. وقد ترجمت هذه المقاربة ببلورة برامج أفقية من قبيل برنامج الأولويات الاجتماعية من أجل تحسين مستوى عيش السكان (B.A.J) و البرنامج الوطني لمكافحة التصحر والتخفيف من آثار الجفاف والمخطط الوطني لإعداد التراب (S.N.A.T)، و برنامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية (2000-P.B.E.S)¹ وقد كان من بين أهم البرامج، وقد اهتم المغرب وبشكل مبكر بالمجال الريفي ويتجلى هذا

¹ المملكة المغربية، قطاع البيئة، " البيئة بالمغرب: 10 سنوات بعد ريو، ص:50.

الاهتمام في عدة واجهات نذكر منها الإجراءات التي تم اتخاذها على مستوى بناء السدود و إصلاح ميثاق الاستثمار الفلاحي¹ وكذا إخراج تصاميم التهيئة الريفية² إلى الوجود و التي شكلت إحدى آليات سياسة إعداد التراب الوطني بالمغرب³ و بوصفها شكلا من أشكال التدخل العمومي المباشر في الأرياف و الذي يهدف إلى تحسين البنيات التحتية الإنتاجية كتجفيف المستنقعات و مد قنوات الري و استصلاح الغابة و تشييد السدود و تهيئة السفوح، إضافة إلى إصلاح البنيات الزراعية كضم و استجماع الأراضي، وتحقيق نوع من التوازن في العلاقات بين الأرياف و المدن، هذا فضلا عن تطوير الخدمات العمومية بالريف و تنويع الأنشطة الاقتصادية به (سياحة+صناعة تقليدية+صناعات صغيرة...) زد عن ذلك القيام بأشغال الإعداد و الإستصلاح لفائدة المناطق الجبلية⁴ أي بمعنى محاولات رصد كل هذه الإمكانيات بغية خلق توزيع أفضل لمختلف التجهيزات لإشباع حاجيات السكان...و تحديد الاختيارات اللازمة لأي من المراكز القروية على المدى المتوسط و الطويل بغية الحد من الفوارق و الاختلالات بين الجهات و بين المدن و الأرياف بصفة أدق⁵ إن تصاميم التهيئة القروية هي أدوات كفيلة بخلق مراكز أو قرى نموذجية تجمع بين السكان و التجهيز عن طريق تقديم العديد من الامتيازات و تحقيق بعض أهدافها⁶ وقد بزغت مجموعة من المشاريع المندمجة لتهيئة الأرياف المغربية أهمها:

- 1- مشروع التنمية الاقتصادية القروية للريف الغربي DERRO يهدف إلى فك العزلة عن المنطقة و محاربة مشكل التعرية عن طريق تكثيف عمليات التشجير و كذا إعادة إعمار 2,7 مليون نسمة من سكان القرى كمحاولة للتخفيف من ظاهرة الهجرة بكل من الريف الأوسط و الغربي.
- 2- مشروع حوض سبو: بغاية الرفع من المردودية الفلاحية بالمنطقة المسقية مع إدخال الزراعات الكثيفة هذا إضافة إلى محاولة خلق مناصب شغل بهدف التخفيف من ظاهرة الهجرة بكل المناطق التي يعطيها حوض سبو بغرب البلاد
- 3- مشروع إنعاش و تنمية أقاليم الشمال اقتصاديا واجتماعيا: جاء هذا المشروع كمحاولة لخلق التنمية المندمجة الأقاليم الشمال اقتصاديا واجتماعيا بمحاولة القضاء على مظاهر التهميش بالمنطقة وإدماجها في النسيج الاقتصادي الوطني مع التحسيس بأهمية عقلنة استغلال الموارد الطبيعية هذا إضافة إلى تقوية النسيج الإنتاجي وخلق مناصب شغل مذرة للدخل وقد هم هذا المشروع مناطق الشمال.
- 4- استراتيجية 2020 للتنمية القروية بالمغرب: بغاية تهيئة المجال الفلاحي و حماية البيئة الريفية وتنويع لأنشطة الاقتصادية بالعالم القروي، وكذا تحسين البنيات التحتية الاقتصادية والاجتماعية وتوفير الخدمات العمومية

¹ قانون الاستثمار الفلاحي: إطار خاص بالقطاع الفلاحي، يخضع القطاع الفلاحي بوجه الخصوص الظهير الشريف رقم 25-69-01، الصادر في 10 جمادى الأولى 1389 (الموافق ل 25 يوليوز 1969)، كما تم تنميته وتعديله، و الذي يشكل قانون الاستثمارات الفلاحية...ويحدد هذا القانون الفوائد التي يمكن أن يحصل عليها الفلاحون من الدولة في شكل مساعدات تقنية و مالية، والالتزامات المفروضة عليهم للاستفادة من هاته الإعلانات أو الدعم (مكافآت و منح، قروض طويلة أو متوسطة أو قصيرة المدى حسب طبيعة الانجازات).

² التهيئة الريفية: يقصد بها مجموع أشكال التدخلات العمومية الإزادية في الأوساط الريفية بهدف توفير التجهيزات الإنتاجية و البنيات التحتية و الخدمات العمومية وكذا القيام بعمليات الإعداد و الإستصلاح الذي يروم تحقيق التنمية المندمجة بالأرياف.

³ لبيكر رشيد، "إعداد التراب الوطني رهانات التنمية الجهوية بالمغرب"، عكاز للنشر و التوزيع، الرباط، 2003، ص.ص: 104، 105

⁴ A. Nonjon, « Consent et mécanismes de géographie économique contemporain, Ellipses, Paris 1992, P: 99.

⁵ لبيكر رشيد، إعداد التراب الوطني ورهانات التنمية الجهوية بالمغرب، مرجع سابق، ص.ص: 103، 104

⁶ وزارة السككى و إعداد التراب الوطني، "السياسة المجالية و مشاريع المستقبل في الوسط القروي، ص.ص: 02.01

الأساسية بالأرياف

بالرغم من أن الأمور قد تحسنت بشكل طفيف لأن السلطات العمومية قامت بمحاولات لمواجهة كل مشكلة على حدة من خلال برامج وسياسات موجهة¹ لكن رغم كل هذه البرامج والسياسات فما زالت إشكالات الريف البنيوية ترخي بظلالها على المشهد العام داخل المجال المغربي ويشكل إحدى القضايا المسكوت عنها في النقاش العمومي السياسي، مع أن الكثير من المناطق الريفية المغربية تعتمد على الزراعة كقطاع رئيسي، وتشكل حصة الإنتاج في هذا القطاع جزءاً ضعيفاً، يحدث هذا في وقت لا تحظى الحواضن الريفية المغربية الكافية والضرورية التي قد تجعل منها مناطق جذب مهمة، خاصة وأن جل السياسات والتوجهات سالف الذكر كانت تصبو بالأساس إلى الرفع من وثيرة النمو الاقتصادي الريفي بنمط كمي بعيداً عن التنمية الاجتماعية ذو البعد الكيفي، حيث أنفق المغرب أموالاً طائلة بهدف تحديث بوابه فكانت النتيجة الزيادة في الإنتاج وقصور على مستوى التنمية، بل أكثر من ذلك أن هذا الوضع لا زال يكرس التفاوت المجالي بين المناطق المحظوظة والمناطق الأقل حظاً كما يكرس تبعية المناطق الهشة للمناطق التي بدأت تعرف صحوة سوسيو اقتصادية ما تؤكد جملة المؤشرات التي مرت معنا في الفصل الأول من هذا المبحث. وهو ما يجعل من مسألة الرفع من مستوى العالم القروي. "المجالات الريفية" ضرورة اجتماعية واقتصادية ملحة ومستعجلة ومما يعني كذلك أنه من الضروري إعادة تقييم النتائج والسياسات الموجهة لهذه المجالات.

لقد تمكنا من قياس حجم التأخر الذي راكمته بواديننا، ومسألة تدارك هذا التأخر لا يمكن اختزالها في مجرد الاقتصاد على الإنجازات الآنية لما كان يجب القيام به منذ سنوات خلت بل ينبغي وضع تصور لهذا العمل انطلاقاً من الظرفية الراهنة وعلى ضوء التحديات المستقبلية تصور لا يمكن أن يكون سوى شمولياً لمجمل العمليات المتعلقة بإعداد وتهئية المجالات الريفية.

III- طرح بدائل التطوير الممكنة لترقية الأرياف المغربية.

1- مفهوم التنمية الريفية

التنمية الريفية هي العملية التي تحقق التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعمراني في المناطق الريفية وهذه التطورات تستهدف بالأساس تطوير الفرد وقدراته وتعزيز الاقتصاد القومي وتحقيق الرفاه الاقتصادي والاجتماعي له² لعل التنمية الزراعية هي تنمية ريفية صرفة وهي حالة زيادة السلع النباتية والحيوانية، وهذه الأخيرة تستبعد الجانب البشري وإهمال عملية نشر الصناعات التحويلية للسلع الزراعية في الريف وعليه فإن مفهوم التنمية الزراعية يعني التنمية الريفية الاقتصادية ويعد مفهوم التنمية الاجتماعية مكملًا للنقص الكبير في مفهوم التنمية الزراعية حيث الإهتمام بالجوانب الإنسانية والمشاركة الفعالة لأفراد المجتمع في عملية التنمية الريفية. وعليه فعند تحليل مفهوم التنمية الريفية لابد لنا من دراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية في الريف لأجل بلوغ

¹ المملكة المغربية، وزارة السكّنى وإعداد التراب الوطني، مديرية إعداد التراب الوطني: الوثيقة التركيبية، مطبعة عكاظ، 2004، ص: 36

² ممدوح عبد الله أبو رمان ومحمد جاسم محمد العاني، "نظريات وأساليب التخطيط"، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2004، ص: 96

هدف التكامل لهذه العملية من كافة الجوانب¹

2- بدائل التطوير الممكنة المقترحة لترقية الأرياف المغربية

إن عددا من المناطق والكيانات الترابية بالمجال المغربي تفرض نفسها مجالات متميزة تكتسي أهمية وطنية بالغة وتشكل أولوية من أولويات إعداد وتهيئة التراب² وإعداد التراب كسياسة شمولية يتوقف نجاحها فيما سيتخذ من إجراءات وينجز من أعمال بغية الرفع من أداءات الاقتصاد الوطني وتنمية العالم القروي بحسن تدبير الموارد الطبيعية وتأهيل الموارد البشرية³ وكذا تحقيق التوازن بين المدن والبوادي وبين الإنسان والبيئة دون إغفال الخصوصيات المحلية لكل منطقة⁴ وبشكل يحترم التنوع والاختلاف، ويسمح لكل مجال بأن يبرع فيما يشكل أصالته ويميزه في إطار التضامن الوطني⁵ هكذا فإن المجال الريفي يقع في عمق القضايا الكبرى التي تشكل التحدي الأكبر لإعداد التراب ببلادنا... وأيا كان التطور الذي تشهده الفلاحة في بلادنا فإن هذا القطاع لن يقدر لوحده على توفير موارد العيش لمجموع سكان الأرياف ولهذا سيظل عالمنا الريفي مرهون ب بتحسين ظروف عيش السكان، وتوفير المحيط الملائم لتحفيز الاستثمار سواء في القطاع الفلاحي أو في مختلف الأنشطة غير الفلاحية⁶ وفي هذا الأفق يتعين تركيز الجهود لتدارك التأخر المتراكم في خمس ميادين حاسمة وهي إيجاد حلول لضعف مردودية النشاط الفلاحي وما لذلك من آثار سلبية على مستويات الدخول الأسرية بالريف، ثم محاربة الانتشار الواسع للأمية و ضعف التغطية الصحية وكذلك إيجاد حلول آنية و ناجعة لمعضلة السكن الهش والتخفيف من معاناة قاطني الريف الذين يعاني معظمهم من الإقصاء الاجتماعي حيث صعوبة الولوج إلى الخدمات العمومية (الطبيب+اندرس+تكوين+تأهيل...) والاستفادة من التجهيزات الأساسية (بنيات+طرق+مسالك+الوجبات+ماء شرب+كهرباء+ضرورية+صرف صحي+شبكات الاتصال...) ومنه تقترح بعض المقترحات التي من شأنها رد الاعتبار للمناطق الريفية خاصة المجالات البورية الهشة:

- تطوير الأساس التنموي للعالم القروي: ضرورة انتهاز سياسة اقتصادية عامة شمولية وموجهة لكل المناطق الريفية دون تمييز أو استثناء، مع توفير الأطر القانونية والمؤسسية لتنزيل وتفعيل تلك السياسات بشكل يضمن معه تكافؤ الفرص بين جميع المناطق. هذا بالإضافة إلى البحث عن مرتكزات جديدة خاصة بالمناطق الجبلية حيث ينبغي أن يع الأنشطة الاقتصادية بها؛
- تنمية الطاقات المتجددة: محاولة تنمية جميع الأساليب والوسائل التي يتمكن من إحداث تجديدات هامة على مستوى مصادر الطاقة الجديدة والمتجددة؛
- التخفيف من حدة التباينات بين المدن والأرياف: محاولة التخفيف من حجم التباينات الصارخة بين المدن التي تعد مجالات مستفيدة والبوادي المهمشة رغم كونها مناطق واعدة ولا زالت تبحث عن كيانها في خريطة التنمية

¹ فلاح جمال معروف العزاوي التنمية المستدامة والتخطيط المكاني، الطبعة الأولى، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان -الأردن 2016، ص: 73

² المملكة المغربية، وزارة السكّنى وإعداد التراب الوطني، الميثاق الوطني لإعداد التراب"، مكتبة كدعكاض، الرباط، ص: 63، 64.

³ المملكة المغربية، وزارة السكّنى وإعداد التراب الوطني، الميثاق الوطني لإعداد التراب" المرجع نفسه

⁴ البكر رشيد، إعداد التراب الوطني ورهانات التنمية الجهوية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 19

⁵ المملكة المغربية، وزارة السكّنى وإعداد التراب الوطني، "المجال المغربي: واقع الحال"، منشورات مديرية إعداد التراب الوطني، الطبعة الثانية، مطبعة عكاض، الرباط،

2000 ص: 07

⁶ المملكة المغربية، وزارة السكّنى وإعداد التراب الوطني، الميثاق الوطني لإعداد التراب، مرجع سابق، ص: 15، 16.

بالمغرب؛

• **تدبير الموارد الطبيعية و الحفاظ على التراث:** ضرورة عقلنة ترشيد استغلال الموارد الطبيعية المتاحة بشكل يضمن استمراريتهما على نسق التنمية المستدامة والحفاظ على التراث الغابوي مع الإشارة إلى ضرورة إتخاذ تدابير اجتماعية من شأنها أن تحد من اجتثاث الغابات التي يعتبرها معظم الجبلين بأنها مصدر قوتهم اليومي هذا بالإضافة إلى نهج مقارنة مندمجة لصون و حماية التراث و توثيقه بل وضع استراتيجية الحفاظ كبعد ترابي قوي و تحديد الفاعلين المركزيين و المحليين المؤهلين لحمايته باعتباره جزءا لا يتجزأ من المشهد الريفي، بل تثميه و إدماجهم في سيرورة التنمية السياحية خاصة ما يتعلق بالسياحة الثقافية؛

• **حل قضايا العقارات بالأرياف:** إيجاد حلول للبنى العقارية المعقدة التي تقوض أسس التنمية بالمجال القروي

• **تأهيل الموارد البشرية و تعزيز قدراتهم:** تعميم التعليم و ملائمة خصوصياته مع طبيعة المناطق القروية، إضافة إلى الرفع من مهارات الفلاحين و الحرفيين في مجال الصناعة التقليدية التي تعتبر عنصرا مكملا للأنشطة الاقتصادية بالريف. ذلك لأن كل ما يخرق المجتمع المغربي من قيم و قواعد و سلوكات و ممارسات من فاعلين و طاقات داخلية يعد جزءا لا يتجزأ من الإمكان البشري للبلاد إذ أنه يشكل المكون النوعي لهذا الإمكان الذي يجد حضوره في الأدبيات من خلال مفهوم الرأس الاجتماعي¹

• **تأطير البوادي:** رغم المجهودات المالية للدولة فهي لن تكفي لوحدها لتجاوز مشكل ضعف المرفق العام بالعالم القروي الذي لازال يعيش قصورا على مستوى الجاذبية مما ينبغي معه تطوير عنه الفضاءات حتى تصبح مجالات الإستقرار سواء تعلق الأمر بالسلطنة المحلية أو بالموظفين العاملين بهذه الربوع؛

• **التهيئة الريفية و إعداد المجال القروي:** تنزيل مقتضيات التهيئة الريفية بالمناطق القروية التي تشكل خيارا من الاختيارات المجالية لسياسات إعداد التراب (المناطق الجبلية، المناطق الصحراوية الجافة و شبه الجافة، الدوائر السقوية و المدارات المسقية، المناطق البورية) و ذلك من خلال تدارك تأخر الأرياف في المجال الاجتماعي (صحة+تعليم+ مرفق عمومي+تجهيزات أساسية+ بنيات تحتية...)، و كذا إعادة تأهيل و رد الاعتبار للمناطق الريفية الهشة التي عانت و لازالت تعاني من مشكل الانعزال الطبيعي و التاريخي، تم تنمية الاساس الاقتصادي عن طريق تنويع الأنشطة الاقتصادية و إيجاد حلول اقتصادية مستعجلة بالبور؛

• **المقاربة التشاركية مركز أساسي من أركان التنمية:** إشراك السكان في التسيير و ذلك باستشارة المواطنين و إشراكهم في تحديد و إنجاز مشاريعهم التي تهتم مستقبلهم مع العمل بمبدأ تكافؤ الفرص بعيدا عن سياسة التركيز. "مع ضرورة التذكير بأن المشاريع التنموية التي تعرف جهات المغرب ينبغي لها أن تحافظ على الاستدامة و المجاعة و كذا مراقبة طرق صرف النفقات بهدف تحقيق الهدف و المبتغى من وراء إحداث هذه المشاريع الاقتصادية و الاجتماعية، هذا مع العلم أن المجال الجهوي بالمغرب لازال يعاني نقصا من حيث نوعية هذه البرامج التي يجب أن تتجاوز ما هو محلي فردي إلى ما هو تعاوني و تشاركي بهم شريحة واسعة من المقاولين الذاتيين و الحرفيين و ذوي المشاريع من الذين يهتمون بالترويج لمنتجاتها المحلية التي تزخر بها الجهة موطن عيشهم و استقرارهم و هو الأمر الذي ينبغي تأطيره و مراقبته

¹ المغرب الممكن: إسهام في النقاش العام من أجل طموح مشترك -تقرير الخمسينية-، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2006، ص:

و مواكبتها لما نصت عليه المادة 83 من القانون التنظيمي 111.13 المتعلق بالجهات. والذي ينص كذلك على خلق برامج تنموية مع تحيينها وتقييمها¹

• تنمية الزراعة التجارية² وتنوع الأنشطة الاقتصادية في الوسط القروي: يتعين في هذا المستوى تطوير أداء القطاع الفلاحي بتعبئة الإمكانيات التي تخزنها الأوساط لتجويد وتحسين مردودية المنتجات الجالية المحلية وتقويتها لجعلها منتجات منافسة هذا إضافة إلى تنمية الأنشطة غير الفلاحية الأكثر تكيفا مع ظروف الوسط الطبيعي والمحيط الثقافي للسكان المحليين و من بينها الصناعة التقليدية والسياحة والصناعة المتوسطة ذات الصلة ببعض المنتجات الفلاحية النباتية والحيوانية؛

• الاجرات الممكنة وفق ما جاء به النموذج التنموي الجديد في المغرب³: ضرورة تنزيل وأجراً مختلف الأهداف والغايات المتوخاة من السياسات العمومية الموجهة الأرياف المغربية. وذلك وفق التحديد الشمولي للمبادرات الخلاقة المتخذة من مختلف مكونات الحكامة لتحقيق أسس التنمية، وما يرتبط بها تقدم اقتصادي ورفاه اجتماعي، وما ينجم عنها كذلك من نواتج إيجابية في تدبير سائر مجالات الفعل التنموي المنشور معيارياً⁴ حتى تتأتى عملية الإقلاع والصحة السوسيو اقتصادية بالمجالات الريفية بالغرب و حتى يتم انتشار بسبة مهمة من الساكنة التي تتوطن بهذه الإرجاء من الأوضاع الصعبة التي يعيشون على إيقاعها؛

• الرفع من الشعور بالمسؤولية لدى الفاعلين: وذلك عن طريق تحسيس كل المتدخلين في الشأن الريفي بضرورة تحقيق الإقلاع السوسيو اقتصادي والتأكيد على ضرورة تدبير الشأن المحلي الريفي بعيداً عن مسألة التشخيص فقط ذلك لأن مجرد تشخيص الظاهرة لا يؤدي أكله ما لم يقترن بالعمل الجاد والكفيل لتحقيق ذلك بعيداً عن الوصف والتفسير اللذان يكرسان الحتمية الطبيعية. هذه الحتمية التي تعتبر المشهد الريفي نتاجاً المحددات طبيعية صرفة يبقى الإنسان عنصراً رهيناً وخاضعاً لتأثيراتها⁵ إذ من هذا المنطلق يمكن التأسيس لتنزيل نظرية "الإمكانية"، أي بمعنى أدق إمكانية الإقلاع؛

• نهج سياسات ناجعة وفعالة: نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر سياسة التوزيعية وهي محاولة قيام السلطة السياسية بتلبية حاجيات المواطنين، من خلال الرفع التدريجي لكل أشكال الإنفاق العمومي والحرص على توزيع المنافع والخدمات: سياسة إعادة التوزيع: من خلال عمل الدولة على إعادة توزيع المنافع والخدمات والأنشطة، بشكل يحمل أبعاداً منصفة وعادلة لصالح الفئات الأكثر هشاشة: تم السياسات التنظيمية وتعني ضبط الدول التدخلات باقي مكونات الحكامة. ومن مظاهر ذلك. وضعها لقوانين وقواعد منظمة بسلوكيات الأفراد والجماعات والعمل

¹ قاسم لعومري، "الاقتصاد التضامني، التنمية الاجتماعية والجهوية: التعاونيات السكنية نموذجاً"، مركز تكامل للدراسات والبحوث-دراسات محكمة، عدد صدر ب 15 يوليوز 2021، ص: 05، 06

² عبد الله بن ناصر الوليحي، "المدخل إلى الجغرافيا الطبيعية، مكتبة جرير، شركة آفاق للنشر والتوزيع، السعودية 2003، ص: 216

³ النموذج التنموي الذي تم إقراره في الخطاب الافتتاحي للدورة الأولى من السنة التشريعية الثانية من الولاية العاشرة للبرلمان المنعقدة في أكتوبر 2017 وهو الخطاب الذي جاءت مختلف مضامينه بالإقرار بمدى فشل الذي شاب مختلف العمليات التنموية السابقة وقد اعتبر بمثابة توصيف وتشخيص وتقييم للوضع التنموي القائم اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وإدارياً وكذا قيمياً، وهو كذلك أداة لوضع التنمية الراهنة في سياقها الراهن برصد التحديات والأكراهات وكذا الاختلالات، تم أشكال التدخل الممكنة للحد منها.

⁴ محمد الباركوري "الأسس النظرية الكبرى"، دار السلام، الرباط، 2019، ص: 7-12

⁵ كرانغ مايك، "الجغرافيا الثقافية: أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر الإنسانية"، ترجمة منتاق سعيد عالم المعرفة، العدد 317، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2005، ص: 29

على احتكار كل أشكال العنف¹

خاتمة عامة

تحظى قضايا المجالات الريفية باهتمام بالغ من لدن الباحثين و الدارسين باختلاف مشارب تخصصاتهم و مناهجهم وأهدافهم وقد شكلت إحدى القضايا التي باتت تؤرق والتي أخذها الجغرافيون على عواتقهم هؤلاء الذين بدأوا يعتبرونها اهتماما صارخا من ضمن اهتماماتهم فياتو يناقشون داخل دوائرهم العلمية و الأكاديمية مختلف الجوانب المتعلقة بتنمية الأرياف كفرع من فروع جغرافية الأرياف التي تهتم بدراسة الديناميات و التحولات التي تطرأ بالمجالات الريفية عموما خاصة في ظل وجود إطارين الأول منهما طبيعي (موارد طبيعية)، و الآخر بشري (موارد بشرية) هذا التوجه الجديد الذي ينصب ضمن اهتمامات الجغرافيا البشرية عموما .

ففي ظل التحولات الجذرية و البنيوية التي تشهدها أرياف المجال العالمي على جميع المستويات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و التي تتناسب مع كل منطقة جغرافية على حدة، فإن الريف المغربي لا يزال يشهد قصورا على مستوى التنمية المندمجة فالأرياف المغربية عامة تعيش أزمة متعددة الجوانب و الأبعاد و يواجهها تحدي كسب الرهانات الاقتصادية و الاجتماعية و البيئية و الثقافية وهذا الوضع يجعلنا نتساءل عن مدى نجاعة أشكال التدبير الراهنة وقدرتها على تجاوز الاختلالات التي راكمتها منذ سنين وكذا مواكبة التحولات الداخلية التي تعرفها بلادنا لرفع التحديات الخارجية من عولمة و انفتاح على الأسواق الدولية و أزمات اقتصادية و مالية و سياسية وما تفرضه من اكراهات، مما يستدعي معه ضرورة تكثيف الجهود و توجيه الاهتمام لهذه المجالات بغية معه ضرورة تحسين شروط الإقلاع التنموي و بالشكل الذي يضمن تحقيق قفزة نوعية منقطعة النظير

لائحة المراجع باللغة العربية

- ✓ المغرب الممكن: إسهام في النقاش العام من أجل طموح مشترك -تقرير الخمسينية-، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2006.
- ✓ الخطاب الافتتاحي للدورة الأولى من السنة التشريعية الثانية من الولاية العاشرة للبرلمان المنعقدة في أكتوبر 2017.
- ✓ عبد الله بن ناصر الوليحي، "المدخل إلى الجغرافيا الطبيعية ومكتبة جرير، شركة آفاق للنشر والتوزيع، السعودية 2003
- ✓ محمد بلفقيه، "أوليات في الجغرافيا الزراعية، منشورات الشركة المغربية لتنمية النشر والتوزيع، الرباط، 1988،
- ✓ مديرية إعداد التراب الوطني، "توافد على المحال المغربي، منشورات عكاظ الرباط، 2002.
- ✓ محمد الرفاص، الدينامية السكانية، التربية السكانية بالمغرب: الكتاب المرجعي"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1991.
- ✓ مديرية إعداد التراب الوطني، "توافد على المحال المغربي، منشورات عكاظ الرباط، 2002.
- ✓ ممدوح عبد الله أبو رمان و محمد جاسم محمد العاني، "نظريات و أساليب التخطيط"، عمان-الأردن، 2004.

¹ محمد الباكوري، " نحو دولة الحكامة أو دولة النموذج التنموي بالمأمول بالمغرب"، مركز تكامل للدراسات و الأبحاث -دراسات محكمة-، المعاريف / الدار البيضاء، 13 يونيو 2021، ص: 09.

- ✓ التراب -خلاصة-، منشورات عكاظ، الرباط، يونيو 2003.
- ✓ محمد الباكوري، " نحو دولة الحكامة أو دولة النموذج التنموي المأمول بالمغرب"، مركز تكامل للدراسات والأبحاث -دراسات محكمة-، الدار البيضاء، 13 يونيو 2021.
- ✓ محمد الباركوري "الأسس النظرية الكبرى"، دار السلام، الرباط، 2019.
- ✓ محمد بلفقيه، "أولويات في الجغرافية الزراعية"، منشورات اللجنة الوطنية المغربية للجغرافيا، الرباط، 1987، ص
- ✓ وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، مديرية إعداد التراب الوطني وعلوم العمران والتنمية مجموعة ثمانية، التصميم الوطني لإعداد
- ✓ وزارة السكنى وإعداد التراب الوطني، "السياسة المجالية ومشاريع المستقبل في الوسط القروي
- ✓ فلاح جمال معروف العزاوي التنمية المستدامة والتخطيط المكاني، الطبعة الأولى، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان -الأردن 2016.
- ✓ ليكرشيد، "إعداد التراب الوطني رهانات التنمية الجهوية بالمغرب"، عكاظ للنشر والتوزيع، الرباط، 2003.
- ✓ كرانغ مايك، "الجغرافيا الثقافية: أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر الإنسانية"، ترجمة منتاق سعيد عالم المعرفة، العدد 317، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2005.

لائحة المراجع باللغة باللغات الأجنبية

- ✓ A. Nonjon, « Consent et mécanismes de géographie économique contemporain, Ellipses, Paris 1992.
- ✓ Defining Thé Rural population, hrsa.org 2021/12/22 اطلع عليه بتاريخ
- ✓ Jean Paul DIRY, "Les espaces Ruraux" Armand Colin, Paris, 2ème Édition, , 1999
- ✓ Kayser.B, « La renaissance rural, A. Colin, 1990.
- ✓ Presse, عليه بتاريخ 2021/12/22 www.archive.org مؤرشف من الأصل من الموقع الإلكتروني
- ✓ Rural, U.S disappearing ?, Population Share his low, By yahoo.news. Associated.

الأهمية الاستراتيجية للمضايق البحرية وتأثيرها في السياسات الخارجية للدول

بدر القاسمي: طالب باحث بسلك الدكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

badr.kasimi@usmba.ac.ma

الملخص

تعرف العلاقات الدولية، حركية مضطربة متأثرة بعدة عوامل، من بينها ارتفاع التبادلات التجارية وتعدد خطوط نقل السلع ومصادر الطاقة، وأغلب هذه الحركية تمر بنقط اختناق بحرية تتجلى أساسا في المضائق والقنوات البحرية، ومنه أهمية هذه المناطق الموزعة على بحار الكوكب، وتتباين أهميتها الاستراتيجية بالنسبة لكل من الدول المشاطئة أو الدول المستعملة لها، وتساهم بشكل أو بآخر في ضمان الاستقرار الأمني والطاقي، والازدهار الاقتصادي لمجموعة من الدول، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية والصين وروسيا، علاوة على دول أخرى.

تستهدف الورقة الوقوف عن مظاهر الأهمية الاستراتيجية للمضايق البحرية، وكيف تعمل الدول على تكييف سياساتها الخارجية، بما يضمن استقرار هذه المناطق الجغرافية، والحفاظ عليها مفتوحة في وجه تدفق السفن، كما تقف على أهم المخاطر المحدقة بها، والسبل لتجاوزها، وذلك اعتمادا على تحليل قانوني، واستقراء للسياسات الخارجية والاتفاقيات الدولية التي تؤطر المجالات البحرية، لنقف عن لأهم المضائق، وتأثيرها على القرار السياسي الخارجي.

كلمات دلالية: المضائق البحرية، السياسة الخارجية، المواقع الاستراتيجية، الأمن الطاقي.

Strategic importance of sea Straits and its impact on states' foreign policies

Astract

International relations are influenced by several factors, including high trade exchanges and multiple lines of transport of goods and energy sources, most of which pass through sea choking points that are based on straits and sea channels. These areas distributed to the seas of the planet, and their strategic importance varies for both the coastal states and the users countries, They contribute in one way or another to ensuring security and energy stability, the economic prosperity of a group of countries, notably the United States of America, China and Russia, as well as Other countries.

The paper aims to identify the strategic importance of maritime straits and how States adapt their foreign policies, to ensure the stability of these geographical areas, to maintain them in the face of the flow of ships, as well as to the most important risks and ways to overcome them, based on legal analysis, extrapolation of foreign policies and international conventions that frame maritime areas, to discover the important Straits and their impacts on foreign political decision- making.

Key words: sea fjords (Straits), foreign policy, strategic locations, energy security.

مقدمة

تسارعت العولمة بشكل كبير في النصف الثاني من القرن العشرين، ومن بين نتائجها الرئيسية التطور الحاصل في العلاقات الدولية، وعلى رأسها العلاقات التجارية المرتبطة بالتطور الكبير في مجال النقل البحري، إذ يتم، نقل ما لا يقل عن 80٪ من حجم التجارة العالمية (75٪ من حيث القيمة) عن طريق البحر، لا سيما مصادر الطاقة، بما فيها المحروقات.

تشهد خارطة الطاقة والمبادلات الاقتصادية الدولية تحولات كبرى في إنتاج واستهلاك ونقل النفط والغاز الطبيعي، خاصة مع الاكتشافات الجديدة المتعلقة بالغاز في بعض المجالات البحرية مثل شرق المتوسط، علاوة على تحول الولايات المتحدة الأمريكية من مستهلك إلى مُصدر للنفط، زيادة على الطلب المتصاعد على مصادر الطاقة من ثالث الصين والهند واليابان، ما يؤثر على تدفق مضطرب لهذه المصادر عبر الطرق البحرية.

يتعرض هذا التدفق المستمر للنقل البحري في أنحاء العالم لتهديدات متعددة، سواء بسبب تواجد الطرق البحرية بالقرب من مناطق الصراع أو القرصنة البحرية أو الإرهاب، وهذه التهديدات الفعلية، أو المحتملة، تقع على ممرات بحرية تعتبر الطرق المفضلة لأرباب السفن لتنقلاتهم وقد يصعب عليهم تغييرها، وتتكون في أغلبها من المضائق، حيث هناك نقط رئيسية ذات أهمية استراتيجية تتمثل أساسا في مضائق ملقا، وهرمز، والبوسفور والدردنيل، وباب المندب، ومضيق جبل طارق.

يشكل مضيق ملقا، بين سومطرة وماليزيا رابطا حقيقيا بين المحيط الهادئ والمحيط الهندي، ويعتبر ذا أهمية حيوية للاقتصاديين الصيني والياباني، ولا يزال مضيق هرمز، المستعمل من طرف مصدري النفط في السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية أهم ممر لإمدادات الطاقة في العالم، علما أن مضيق باب المندب جنوب البحر الأحمر، يقود إلى قناة السويس شمالا ومنها إلى أوروبا، أما مضيقي البوسفور والدردنيل فيستعملان لنقل النفط من روسيا والجمهوريات السوفياتية السابقة، ويشكلان الممر الذي لا مفر منه لحركة النقل البحري من وإلى البحر الأسود¹، وإن كان البعض يرى أن مضيق جبل طارق فقد الكثير من أهميته الاستراتيجية بعد عام 1960 تزامنا مع نهاية الاستعمار، إلا أنه لا يزال بؤرة اهتمام بوجود البريطانيين والإسبان (سبته ومليلية)، خاصة مع البريكست.

يمكن القول بأن المضائق البحرية في صلب اهتمامات وحسابات الدول، بتأثيرها على النقل البحري العالمي، حيث تعتبر ممرات إجبارية ضمن الطرق البحرية، ما يتيح للدول المجاورة لها إمكانية التحكم في النقل البحري بها، ويمكن بالتالي عرقلة التجارة البحرية، وقد يكون ذلك عن فعل إرادي من طرف دولة ما أو ناتجا عن مشاكل سياسية غير مباشرة، كما قد تنتج عن ضعف الدول المحيطة بهذه المضائق في مواجهة القرصنة كما هو الحال في الكاراييب أو في بحر الصين الجنوبي.

تعرف السنين الأخيرة اضطرابات متواترة في منطقة الشرق الأوسط في ظل تشديد الولايات المتحدة الخناق على إيران، التي تهدد بإغلاق مضيق هرمز، أحد أهم المضائق العالمية التي تستعملها الولايات المتحدة الأمريكية والصين لاستيراد مصادر الطاقة من الشرق الأوسط، وهو ما يهدد الأمن الطاقى لمجموعة من البلدان، في الوقت الذي يتأثر استقرار مضيق ملقا، بين سنغافورة واندونيسيا، بالتوتر الذي تعرفه العلاقات الصينية التايوانية.

وعليه، فإننا نفترض أن أي أزمة في التزود بمصادر الطاقة من شأنها خنق الاقتصاد في دول مثل الصين، وأي أزمة تطال حركية الطاقة قد يكون لها انعكاسات كبرى على العالم أجمع، ومنه فقد تصبح إمدادات الطاقة أحد أهم محددات السياسة الخارجية والدفاعية للدول، وعلى رأسها الاقتصاديات الكبرى والصاعدة، وقد تشكل موضوعا رئيسيا للنقاش حول الأمن الدولي.

تتجلى إشكالية هذه الورقة في رصد أهمية المضائق البحرية وتأثيرها على السياسات الخارجية للدول، وذلك بالاستناد على الأهمية الجيوسياسية والاقتصادية والحيوية لهذه المجالات الجغرافية، خاصة بالنسبة للدول المصدرة لمصادر الطاقة والدول المستهلكة لها، ليوضع السؤال التالي:

¹ Comité Toulon Provence Corse, géopolitique, la revue maritime 508, Mars 2017, P :68.

كيف تؤثر المضائق البحرية في السياسات الخارجية للدول؟

ولمحاولة سير هذا التأثير وتفكيك مظاهره، يبدو من البديهي الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما هي أهم المضائق البحرية بالعالم؟ وأين تتجلى الأهمية الاستراتيجية للمضائق؟ ثم كيف تؤثر المضائق على العلاقات بين الدول المحاذية لها؟ وكيف تؤثر المضائق البحرية على السياسة الخارجية للدول المستعملة لها؟

ولمقاربة هذا الموضوع ستستعمل المناهج التالية:

منهج تحليل النظم والبنائية الوظيفية، باعتبار حضور إدارة السياسة الخارجية لمختلف الدول مما يساعد على استكشاف كيف تتعامل مختلف الإدارات مع مسألة المضائق.

المنهج الاستقرائي: وذلك بتوصيف مختلف التفاعلات بين الدول حول تدبير واستعمال المضائق والممرات البحرية.

دون أن نغفل استحضار مقارنة قانونية تنغني الكشف عن العلاقات الدولية من خلال القانون الدولي، لا سيما بعض الاتفاقيات التي تنظم المجالات البحرية.

. وسنعمل على الإجابة عن هذه الأسئلة وفق التصميم التالي:

المبحث الأول: الأهمية الاستراتيجية للمضائق البحرية

المبحث الثاني: تأثير المضائق البحرية في السياسات الخارجية للدول

المبحث الأول: الأهمية الاستراتيجية للمضائق البحرية

يعرف المضيق بكونه جزءاً من أعالي البحار، وهو عبارة عن فتحات طبيعية ضيقة تصل بين بحرين أو مساحتين بحريتين ويتجاوز اتساعها ضعف عرض البحر الإقليمي، ولكل السفن حق المرور فيه مادام لا يضر بسلامة الدول الساحلية أو يمس نطاقها أو أمنها، وقد تم التأكيد على هذا المبدأ من خلال التوقيع في مونتيفو باي¹ (جمايكا) عام 1982 على "اتفاقية قانون البحار" (دخلت حيز التنفيذ في عام 1994)، بما يسمح بعدم غلق المياه الإقليمية (12 ميلاً/19 كلم من الساحل) أمام الشحن والنقل الدولي.

تنص اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار سالف الذكر، على تمتع السفن بحرية التنقل في المضائق المستخدمة في الملاحة الدولية، على أن يكون هذا المرور العابر مستمرا وسريعا، مع استبعاد أي نشاط آخر، دون أن يمنع الوصول إلى أراضي الدولة الساحلية (المحاذية للمضائق).

إلى جانب ذلك، تم توقيع اتفاقية مونترو² متعددة الأطراف في يوليو 1936 بين الدول المشاطئة³ ومعظم الدول المستفيدة من التواجد في منطقة البحر الأسود وفي مضيق الدردنيل والبوسفور، وتحكم مبدأ حرية الحركة الكاملة في أوقات السلم للسفن التجارية، في حين يخضع عبور السفن الحربية للقوى غير المشاطئة لقواعد منفصلة.

تتضمن جيوسراتيجية توزيع النفط بحريا المرور عبر نقاط اختناق بحرية رئيسية في العالم هي: مضائق هرمز، وملقا، وباب المندب، والبوسفور والدردنيل، وقناتي السويس وبنما⁴، ثم مضيق جبل طارق بين قارتي أفريقيا وأوروبا.

¹ للتعمق أكثرراجع موقع الأمم المتحدة على الرابط

https://treaties.un.org/pages/ViewDetailsIII.aspx?src=TREATY&mtdsg_no=XXI-6&chapter=21&Temp=mtdsg3&clang=_fr

²http://www.mfa.gov.tr/site_media/html/montro-bogazlar-raporu-2014.pdf

³ يعود المصطلح الفرنسي إلى Riverains، وقد يستعمل في هذه الورقة أحد مصطلحين: المشاطئة أو المحاذية.

⁴ علي حسين باكير، دبلوماسية الصين النفطية: الأبعاد والانعكاسات، دار المنهل، بيروت، 2010، ص: 171.

وإن كانت الممرات البحرية العالمية مليئة بالمضائق، إلا أن القليل منها يمتلك أهمية استراتيجية، وتقع العديد منها بمحاذاة مناطق غير مستقرة سياسياً أو أمنياً، مما يعرض الملاحة عبرها للخطر.

يتجلى مما سبق أضرار أساسيان، أن المضائق تختلف من حيث أهميتها (المطلب الثاني)، وأن هذه الأهمية الاستراتيجية ليست بنفس القدر لكل المضائق (المطلب الأول).

المطلب الأول: أهم المضائق البحرية

تبحر معظم السفن التجارية العالمية على عدد قليل من الطرق المحددة لربط الأقطاب الاقتصادية الرئيسية للكوكب ومناطق استخراج المواد الخام بمناطق الاستهلاك، وتشكل هذه الطرق حزماً بعرض عشرات الكيلومترات، على أن طولها قد يصل آلاف الكيلومترات، وتقع هذه الطرق أساساً في المياه الدولية، وهي مناطق تتمتع بحرية الحركة فيها¹ كما سلف، وإن كانت كل سفينة حرة مبدئياً في اختيار طريقها للوصول إلى وجهتها، فإنه توجد نقاط مرور إلزامية، بفضل موقعها أو التكاليف التي قد توفرها، وتفصيل هذه المناطق وأكثرها أهمية من الناحية الأمنية والاقتصادية هو موضوع ما يلي.

مضيق ملقا

يقع مضيق ملقا بين كل من شبه الجزيرة الماليزية وإندونيسيا وسنغافورة، ويربط بين المحيطين الهندي والهادي وبحر الصين الجنوبي، ويبلغ طوله حوالي 800 كلم، وعرضه بين 50 و320 كلم، ويتراوح عمقه بين 25 و113 متراً، ويعتبر أحد أهم الممرات البحرية العالمية للشحن، ويعد من أقدم الممرات وأكثرها استخداماً، بالإضافة إلى غناه بالموارد البحرية، كما يعتبر أول معبر لنقل البضائع والسلع والمسافرين في العالم بين المنطقة الهندية والأوروبية من جهة، وبين باقي دول آسيا وأستراليا من جهة أخرى، ويتواجد على أقصر الطرق بين الشرق والغرب، ويشهد المضيق والممرات المجاورة له مرور أكثر من 75 ألف سفينة سنوياً².

مضيق هرمز

يعتبر مضيق هرمز مضيقاً استراتيجياً يفصل بين مياه الخليج العربي من جهة، ومياه خليج عمان وبحر العرب والمحيط الهندي من جهة أخرى، تطل عليه من الشمال جمهورية إيران الإسلامية ومن الجنوب سلطنة عمان التي تشرف على حركة الملاحة البحرية فيه، باعتبار أن ممر السفن يتواجد ضمن مياهها الإقليمية، وهو أحد أهم الممرات المائية في العالم وأكثرها حركة للسفن، إذ يعبره ما يناهز 3020 ناقلة نفط يومياً.

ويكتسب مضيق هرمز أهميته لكونه عنق الزجاجة الواصل بين مياه الخليج العربي شبه المغلقة والبحار الكبرى على المحيط الهندي، وهو المنفذ الوحيد للدول العربية المطلة على الخليج عدا المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان، ولقد اعتبرت بريطانيا مضيق هرمز مفترق طرق استراتيجي، وطريقاً رئيسياً إلى الهند، فتدخلت بأساليب مباشرة وغير مباشرة في شؤون الدول الواقعة على شواطئه لتأمين مواصلاتها الضرورية، فافرضت الاحتلال ومنتصراً مع الفرنسيين والهولنديين لسنوات طويلة، إضافة إلى صدامها مع البرتغاليين ابتداء من العام 1588 بعد معركة "بالارمادا" إثر إنشاء شركة الهند الشرقية، وبذلك ضمنت بريطانيا السيطرة البحرية على هذه المنطقة³.

¹Antoine Frémont, Les routes maritimes : Nouvel enjeu des relations internationale ?, Revue internationale et stratégique, N° 69, 2008, P : 17.

² www.marine.gov.my نقلاً عن سلطة البحار الماليزية

³ المضائق البحرية صمامات إمدادات الطاقة... ونقاط صراع الدول الكبرى، متوفر على الرابط

<http://www.alriyadh.com/222853>

مضيق باب المندب

يصل هذا المضيق البحر الأحمر بخليج عدن والمحيط الهندي، ويفصل قارة آسيا عن قارة إفريقيا، وتصل المسافة بين ضفتيه حوالي 30 كم من رأس منبالي في الساحل الآسيوي إلى رأس سيان على الساحل الإفريقي، وتقسّمه جزيرة بريم، التي توجد في شرقه ومساحتها كيلومتران مربعان، إلى قناتين الأولى وهي القناة الشرقية وتعرف باسم "باب أسكندر" وعرضها ثلاثة كيلومترات وعمقها 30 متراً، والثانية هي القناة الغربية واسمها "دقة المايون" وعرضها نحو 25 كيلومتراً وعمقها 310 أمتار¹، وتعبّر السفن التي تحمل النفط من الدول الخليجية ودول آسيا في طريقها إلى الدول الأوروبية والأمريكية².

مضيق جبل طارق

يحده شمالاً Cap Trafalgar بجنوب إسبانيا، وجنوباً Cap Spartel بشمال المغرب، عمقه الأدنى 250 متراً وطوله 14 كم، ويعتبر أحد أنشط الطرق التجارية من البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الأطلسي حيث تعبّره 60 ألف سفينة سنوياً، بالإضافة إلى 220 مليون طن من النفط القادم من الشرق الأوسط أو الجزائر، والمضيق واسع بما يكفي، دون أي صعوبات ممرية³، وفيما يتعلق بتدفقات الحاويات، يأتي الطريق في المرتبة الثانية بعد تلك التي تعبر المحيط الهادئ بين أمريكا الشمالية وآسيا⁴، وتتشارك السيادة عليه ثلاث دول وهي المغرب وإسبانيا وبريطانيا.

البوسفور والدرديل

مضيقان متقابلان على طريق بحرية واحدة في التراب التركي، ويصل مضيق البوسفور بين البحر الأسود وبحر مرمرة بطول 30 كلم وعرض بين 550 و3000 متر، في حين يصل مضيق الدردنيل بحر مرمرة ببحر إيجه المرتبط بالبحر الأبيض المتوسط بطول يصل حوالي 90 كلم، وعرض بين 2 و9 كلم، ويعتبر المضيقان بمثابة الحدود الجنوبية بين قارتي آسيا وأوروبا، وحركة السفن بهما من أهم نقاط الملاحة في العالم، ويعدان الممر البحري الوحيد بالنسبة لتركيا وروسيا، وباقي الجمهوريات المنبثقة عن انهيار الاتحاد السوفيتي باتجاه المتوسط.

المطلب الثاني: الأهمية الاستراتيجية للمضايق البحرية

لا أدل على أهمية المضايق من سيطرة بريطانيا على مجموعة من المجالات البحرية، خاصة بحوض المتوسط مثل جبل طارق ومالطا وقبرص، وبامتلاك أسطول بحري قادر على فرض القانون انطلاقاً من هذه النقاط على الممرات البحرية، تمكنت بريطانيا من الخروج منتصرة في حروبها ضد نابوليون وألمانيا النازية، ومن حيث المبدأ، لم تتغير الأمور جذرياً رغم انتهاء الحقبة الاستعمارية، إذ تسعى القوى الكبرى إلى تطبيق مبدأ حرية الحركة (البحرية)، وضمان المراقبة العسكرية لبعض نقاط العبور الاستراتيجية⁵.

الفقرة الأولى: مضيق ملقا

تزايدت أهمية المضيق منذ ثمانينات القرن الماضي، بعيد استقلال الدول المحيطة به، وتعبّره أكثر من ثلث حمولة التجارة العالمية، ويخضع إلى جانب سيادة الدول المحاذية إلى سيطرة القوى الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية

¹ معلومات أساسية عن مضيق باب المندب الذي علقت السعودية تصدير النفط عبره

<http://www.bbc.com/arabic/middleeast-44968471>

² المضايق البحرية صمامات إمدادات الطاقة... ونقاط صراع الدول الكبرى:

<http://www.alriyadh.com/222853>

³ https://www.larousse.fr/encyclopedie/divers/detroit_de_Gibraltar/121367

⁴ Lasserre J., « Le Pas-de-Calais et le détroit de Gibraltar : quels enjeux géopolitiques ? », Études internationales, 34, 2003, P : 207.

⁵ Antoine Frémont, Op cite, P 19

والصين والهند، وفيما يخص التجارة العالمية، وبالأخص مصادر الطاقة، فإن جزءا كبيرا منها يمر بالضرورة بمضيق ملقا، الذي يقع على أقصر طريق بحري بين القرن الإفريقي أو الخليج العربي في اتجاه شرق آسيا والمحيط الهادي¹، حيث تذخر الصناعة البترولية اليابانية ملايين الأوروهاات سنويا باستعمال مضيق ملقا².

تشير بعض التقديرات إلى عبور 20 م/ب/ي³ عبر مضيق ملقا في 2020، وساهم النمو الاقتصادي الصيني في تعزيز الوظيفة الاقتصادية للمضيق، ناتجة عن زيادة هائلة في احتياجاتها من المحروقات، حيث تحولت الصين في 1993 إلى مستورد فعلي للنفط، حيث تعتمد على ما يفوق 50٪ من وارداتها للاستهلاك، ويمكن أن تصل احتياجاتها إلى 15 م/ب/ي في 2035 مقابل 8,6 م/ب/ي في 2010 وتأتي هذه الواردات أساسا من الخليج العربي وإفريقيا، 80% منها تمر عبر مضيق ملقا⁴، علما أن عرض المضيق يصل في أضيق نقطة إلى 2.8 كلم مما يعطيه شكل عنق الزجاجة، الشيء الذي يرفع احتمال الاصطدام وتسرب النفط، علما أن أي إغلاق لهذا المضيق سينعكس على أسعار النفط.

الفقرة الثانية: مضيق هرمز

نظرا لموقع المضيق الاستراتيجي، فإنه لم يفلت تاريخيا من سعي الدول الكبرى للسيطرة عليه، ويلعب دورا دوليا وإقليميا هاما في التجارة الدولية، وقد خضع للاحتلال البرتغالي ثم سائر الدول الأوروبية، خصوصا بريطانيا، وزاد اكتشاف الاحتياطي النفطي الكبير في المنطقة من أهمية المضيق، إذ ترى الدول المستهلكة في سلامته أمرا في غاية الأهمية للوصول إلى منابع النفط، وأنه الطريق الأهم لإمدادات النفط العالمية، إلا أن الأزمات السياسية التي يعرفها دفعت العديد من الدول للبحث عن البدائل المحتملة، كالاتعانة بأنابيب النفط.

يشكل غلق المضيق تهديدا حقيقيا على الاقتصاد العالمي، لا سيما الدول التي تعتمد على النفط، وهذا ما تعبه إيران جيدا وتعمل على استغلاله ورقة تفاوضية ضد العقوبات الأمريكية المفروضة عليها.

الفقرة الثالثة: مضيق جبل طارق

يقع مضيق جبل طارق ضمن العلاقات البحرية بين ضفتي غرب البحر الأبيض المتوسط، حيث إن 450 رحلة من أصل 971 في الشهر بين ضفتي الأبيض المتوسط تمر عبره، 420 منها في المسار طنجة-الجزيرة الخضراء، و30 رحلة عبر المسار طنجة-قادس⁵، ما يظهر أهمية المضيق على مستوى العلاقات بين الضفتين⁶.

يمكن القول بأن أهمية المضيق عرفت مرحلتين:

أولا: مع بداية اشتغال حاملة الحاويات الطايوانية Ever Green منذ 1985، والتي اعتمدت الطريق المباشر بين أمريكا الشمالية وآسيا في الاتجاهين مرورا بقناة السويس وقناة بنما⁷.

¹Hans Dieter Evers and Solvay Gerk, The strategic of importance of the straits of malacca for world trade regional development, ZEF working paper series P :5

²Ibid ; P :4

³ مليون برميل يوميا

⁴S. zhao, « China's Global Search for Energy Security: cooperation and competition in Asia-Pacific », Journal of Contemporary China 17 (55), May 2008, PP: 207-227.

⁵CENTRE D'ÉTUDES DES TRANSPORTS POUR LA MÉDITERRANÉE OCCIDENTALE, « Dossier : Réflexions sur le transport maritime de marchandises entre les deux rives de la Méditerranée occidentale », Bulletin du CETMO, no 50, avril 2002, p. 6.

⁶Lasserre, J. (2003), op cite P :208.

⁷Ibid., P :199.

ثانياً: مع بداية التحالفات بين ملاك السفن، وظهور ناقلات عملاقة تجاوز عرضها عرض قناة بنما، ونجاح الولايات المتحدة الأمريكية بإقناع ملاك السفن باستعمال موانئها الأطلسية، خاصة نيويورك، وبالنسبة للـ USA يعد تأمين رحلات منتظمة من وإلى آسيا عبر الواجهة الأطلسية مروراً بمضيق جبل طارق وقناة السويس ذا أهمية كبرى.

من زاوية جيوسياسية، يمثل المضيق معبراً حيويًا للطرق التي تنطلق/تصل من/إلى كل شواطئ الأطلسي أو المحيط الهادي "عبر قناة بنما" من جهة، ومناطق جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط وأستراليا من جهة أخرى، وبالتالي فإن الاتحاد الأوروبي بكل مكوناته، إضافة إلى الدول المستخدمة للمضيق، زيادة على المنظمة العالمية للتجارة، لن تسمح بأي شكل من الأشكال بتعطيل المضيق¹.

الفقرة الرابعة: البوسفور والدردنيل

تصنف مياه مضيق البوسفور ضمن مجال الملاحة الدولية²، وجعلت اتفاقية مونترو لعام 1936 من تركيا الحاكم الفعلي للنقل البحري عبر هذه الطريق الاستراتيجية من أوروبا إلى آسيا³، وبلغ عدد السفن المارة بالمضيق سنة 2003 حوالي 47000 سفينة، صمنها أكثر من 8000 تحمل مواد خطيرة (غاز، بترول ...)، ووصل عدد السفن سنة 2004 أكثر من 453000.

مما سبق، للمضايق البحرية أهمية استراتيجية بالنسبة لمعظم الدول، أهمية تتفاوت حسب تأثيرها الطاقى والتجاري والسياسي، ولا يمكن إنكار تأثيرها على السياسات الخارجية والعلاقات الدولية.

المبحث الثاني: تأثير المضايق في السياسات الخارجية للدول

يرتبط نشاط الطرق البحرية بنشاط التجارة الدولية، وتقع هذه الطرق في مناطق يعرف البعض منها توترات وصراعات، ما يشكل خطراً على السفن التي تسلكها، إضافة إلى خطر التلوث الذي قد تشكله السفن ذاتها، وبالتالي تشكل الممرات البحرية قضية علاقات دولية، لأن استعمالها يعتمد بشكل مباشر للغاية على الدول المحاذية لها (المطلب الأول)، أو تلك التي تستخدمها (المطلب الثاني).

المطلب الأول: تأثير المضايق في العلاقات الخارجية بالنسبة للدول المحاذية

تعتمد الدول المحاذية للمضايق والقنوات في معظم الأحيان على نفقتها الخاصة في حماية سلامة الملاحة، عبر تقديم المساعدة للسفن واستعمال رادارات المراقبة والأقمار الصناعية، أما بالنسبة للدول الأخرى الحريصة على ضمان انتظام إمداداتها من الطاقة، فتعمل، إلى جانب توفير فرق أمنية على متن سفنها، على المشاركة في حماية المضايق، عبر مساعدات مالية للدول المحاذية، وإمدادها بوسائل الدفاع.

في هذا الصدد، أنشأت القوى الكبرى قواعد عسكرية بالقرب من المضايق، حيث نشهد تواجد:

الولايات المتحدة الأمريكية: جيبوتي، مصر، المملكة العربية السعودية، غوام.

فرنسا: جيبوتي، الإمارات العربية المتحدة.

¹Ibid., P: 197.

²أحمد مصري: مضيقا البوسفور والدردنيل: الأهمية الإستراتيجية لتركيا، تركيا بوسـت مقال متوفر على

<https://i0.turkey-post.net/p-94870/>

³Jean-François Fiorina, CLES "Comprendre Les Enjeux Stratégiques", Géopolitique de la mer Noire Vers un condominium russo-turc sur les détroits ? », Note hebdomadaire d'analyse géopolitique, N 224, 21 Mars 2019

الصين: جيبوتي وبحر الصين الجنوبي.

بريطانيا: مضيق جبل طارق.

وتوقع هذه القوى بينها أيضا اتفاقيات تعاون عسكري، تسمح لها بالمشاركة في مراقبة المناطق البحرية الاستراتيجية، كالقيام بمناورات بحرية مشتركة، والتعاون بين أجهزة الاستخبارات، والمساعدة في تدريب القوات المسلحة للدول المحاذية، ونظرا لكثرة الدول المحاذية والمستخدمه للمضايق فسينحصر الحديث عن ثلاث مضايق هي مضيق ملقا، ومضيق هرمز، ومضيق جبل طارق.

مضيق ملقا

يعد مضيق ملقا الأكثر استخداما في جنوب شرق آسيا، مستفيدا من الأسواق الدولية ومن الموانئ المحلية والإقليمية¹، ويعتبر ثاني أكثر ممرات الشحن التجارية ازدحاما، وشريان الاقتصاد في العديد من البلدان التي تعتمد على الشحن الآمن وفي الوقت المناسب للنفط والسلع الصناعية لدعم نموها الاقتصادي²، وتختلف الرهانات المتعلقة بمضيق ملقا بين الدول المحاذية له من جهة، والقوى البحرية والدول المستعملة له من جهة أخرى، فإذا كانت الأولى تكثر بسياستها الوطنية، وتهتم أولا بأمن المضيق لتجنب وقوع كارثة بيئية وأزمة في القطاعات الاقتصادية التي تعتمد على استغلال البحار (تربيته الأحياء المائية، والسياحة، ...)، فإن الثانية تدافع عن حرية الحركة في المضيق وتُعنَى بسلامة سفنها وحمولاتها (ضد خطر القرصنة والإرهاب المحتمل)³، وتنبور هذه المواقف حول:

المسألة الأولى: تتعلق بتقاسم تكاليف الصيانة وبناء المنشآت الأساسية للملاحة في مضيق ملقا، بين الدول المشاطئة والدول المستعملة، فغالبا ما تكون ظروف الملاحة في مضيق ملقا صعبة بسبب ضيقه⁴، ومعدل مرور السفن المرتفع⁵، وبالتالي فإن هذه الصعوبات الملاحية المرتبطة بكثافة حركة المرور تجعل خطر الاصطدام بين الناقلات مرتفعا جدا.

لمنع كل هذه المخاطر، أعلنت الدول المشاطئة أنها المسؤولة عن إدارة المضيق وسلامته البحرية، من خلال بيان مشترك ب16 نونبر 1971، وقد توج هذا التعاون الثلاثي في فبراير 1977 بإنشاء ممرات ملاحية وأنظمة للمساعدة على الملاحة، وتم في 1998 إنشاء نظام إلزامي للإبلاغ عن السفن العابرة⁶، ويتبين كيف استدعت أهمية المضيق من الدول المجاورة له والبعيدة عنه الجلوس إلى طاولة واحدة في محاولة لتذليل الصعوبات، بما يسمح باستمراره مفتوحا في وجه الملاحة، وأدى هذا إلى بقاء اندونيسيا وماليزيا دولا مسؤولة عن الأمن في المضيق، واستفادتها من استثمارات وموارد مالية من طرف الدول والشركات التي تستخدمه لتجارها⁷.

المسألة الثانية: تتعلق بالأمن في المضيق، وقد اختلفت التصورات المتعلقة بالمخاطر اختلافا كبيرا بين الحكومتين الماليزية والاندونيسية من ناحية، وحكومة سنغافورة والدول المستخدمة من ناحية أخرى، فمنذ هجمات 11 سبتمبر

¹M. Cleary, K.C. Goh & G.K. Chuan, Environment and development in the Straits of Malacca, p. 6

Powers Vis-A-Vis: Littoral States in Strategic and Security Issues Mohd Sani, the Straits of Malacca: Regional Azizuddin Zubaidah Ismail & Mohd Siti and Interests, Political Managements and Policies in Malaysia, P87

³N. Fau, « Les détroits en Asie du Sud-Est », in L'évolution du débat stratégique en Asie du Sud-Est depuis 1945 de Pierre Journoud, Études de l'INSERM n°14, 2012, pp. 249-288.

⁴A. Hamzah, The Straits of Malacca, International Co-operation in trade, Funding and navigational safety, 1997, p. 3-14.

⁵N. Fau, « Le nord de Sumatra: une périphérie indonésienne sur le détroit de Malacca, un espace partagé entre intégration nationale et recomposition transnationale », thèse de doctorat, 2003, p. 567-573.

⁶Fau Nathalie, « Les enjeux économiques et géostratégiques du détroit de Malacca », Géoeconomie, 2013/4 n° 67, p. 127

⁷Ibid., P: 128.

2001، خشيت الحكومتان الاندونيسية والماليزية من إعادة النظر في حقوقهما على المضيق باسم مكافحه القرصنة والإرهاب، إذ تريان أن التهديد بتحالف القراصنة والإرهابيين مبالغ فيه، بل يُستخدم ذريعة لتشجيع تدخل قوات عسكرية خارجية¹، على العكس من ذلك فإن سنغافورة ترى بأن الخطر الإرهابي حقيقي، وترحب بتدخل قوات أجنبية². ترفض اندونيسيا وماليزيا بتاتا أي اقتراح بالحضور العسكري الأجنبي في المضيق، حيث رفضتا سنة 2004 الاقتراح المقدم من الأميرال توماس فارجو، "قائد الجمعية الأمريكية للأمن البحري"، بإنشاء مبادرة الأمن الملاحي الإقليمية، ورفضتا أيضا الاقتراح الصيني بإشراك أعضاء الآسيان+3³ في تأمين المضيق، ورفضتا في 2005 اقتراح اليابان لنشر خفر السواحل الياباني في المضيق، علاوة على رفض الدولتين التصديق على اتفاق التعاون الإقليمي بشأن مكافحه القرصنة والسطو البحري في آسيا، الذي يتغى إنشاء مركز لمكافحه القرصنة بسنغافورة⁴، ويُفسر هذا بالتخوف من تدويل إدارة المضيق.

مضيق هرمز

تشكل التوترات في منطقة الخليج، خاصة مع إيران، تهديدا دائما على مضيق هرمز، وعلى الرغم من أنه لم يسبق غلقه، ربما لأنه موضوع اهتمام العديد من الدول، حيث، وإن إذا نجحت كل من أمريكا الشمالية وأوروبا في تنويع مصادر إمداداتها النفطية، فإن دول شرق آسيا، وخاصة اليابان التي تستورد ما يناهز 80٪ من احتياجاتها عبر هرمز⁵، تعتمد على إمدادات الشرق الأوسط.

مضيق جبل طارق

عادت التوترات بين إسبانيا والمغرب إلى الظهور صيف عام 2002 للسيادة على جزيرة ليلى (جزيرة المعدنوس)، وهي ملكية إسبانية قريبة من الساحل الشمالي المغربي، أين تتواجد منطقة في ملكية بريطانية تحمل اسم المضيق نفسه، ويسمح المضيق بالوصول إلى موانئ الحوض المتوسطي، ومنه إلى البحر الأسود عبر مضيق البوسفور والدردنيل، ويمكن من ربح الوقت وخفض تكاليف الرحلات باتجاه آسيا عبر قناة السويس⁶، من جهة، وباتجاه الدول الإسكندنافية وبحر الشمال من جهة الأخرى، علاوة على تقريب المسافة بين القارتين الأوروبية والإفريقية، فشمال المغرب يبعد عن جنوب إسبانيا بحوالي 14 كلم، ما جعله معبرا تتجمع فيه الطرق البرية في اتجاه أوروبا، مانحا بذلك الفرصة لتوسيع نشاط النقل البحري من خلال العبّارات.

يعتبر مضيق جبل طارق محط اهتمام للدول المجاورة له ولل قوى الكبرى على حد سواء، إذ يعتبر ممرا ضروريا يقع على الطريق البحرية التي تربط آسيا بموانئ أوروبا الشمالية، خاصة روتردام وهامبورغ، والواجهة الشرقية للولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك بسبب الهجرة (الشرعية وغير الشرعية)، باتجاه أوروبا انطلاقا من إفريقيا، وترغب هذه الدول في مراقبة المضيق، والسيطرة عليه، لأنه يشكل رهانا جيوسياسيا بالنسبة لها.

¹J.N. Mak, « unilateralism and Regionalism : Workingtogether and Alone in the Malacca Straits », dans Piracy, Maritime Terrorism and Securing the Malacca Straits de Graham Gerard, ONG-WEBB (ed.), ISEAS, 2006, pp. 135- 164

²E. Frecont, « Géopolitique de la Piraterie au Sud-Est asiatique. Conflit de représentations », dans Les seigneurs de la mer, Outre Terre 25, Revue européenne de géopolitique, 2010, p. 102

³يتعلق الأمر بدول الآسيان (رابطة دول جنوب شرق آسيا) وهي: أندونيسيا، ماليزيا سنغافورة، الفلبين، تايلاند برونائي، فييتنام، لاوس، بيرمانيا، كامبوديا، تيمور الشرقية. +3 ثلاث دول هي: الصين واليابان وكوريا الجنوبية.

⁴Fau Nathalie, « Les enjeux économiques et géostratégiques du détroit de Malacca, op cite, P : 129.

⁵Antoine Frémont, Op Cite, P:20.

⁶Lasserre j., Op Cite, P:196.

اختارت الصين موقعا استراتيجيا قرب مدخل مضيق جبل طارق¹، حيث تشكل المملكة المغربية نقطة ارتكاز محورية في مشروع الحزام والطريق، موفرة للصين فرصة للانطلاق في ثلاثة فضاءات هي البحر المتوسط، والأطلسي، وغرب أفريقيا، بما يحمله هذا الموقع من منافع اقتصادية جمة، من ضمنها استثمارها في مدينة صناعية بشمال المغرب بمدينة طنجة، إذ من المفترض أن تشمل قطاعات الأعمال في -طنجة تك- صناعات السيارات، والفضاء، والطاقات المتجددة، وغيرها.

وُقعت اتفاقية في هذا الشأن في أبريل 2019، بين شركة تهيئة مدينة محمد السادس طنجة-تيك، والشركة الصينية للاتصال والبناء لإحياء المشروع الضخم، الذي أعطى الملك انطلاقة إنجازاته سنة 2017، ويعتبر التوقيع تنويعا لعدد من اللقاءات المنتظمة لمسؤولي مؤسسة تهيئة مدينة طنجة تيك مع مسؤولين بشركة «CCCC China Communications Construction Company» الصينية المملوكة للدولة².

المطلب الثاني تأثير المضايق في العلاقات الخارجية بالنسبة للدول المستعملة لها

يُعتبر الدور الدولي العسكري والاقتصادي للمضايق قضية من قضايا الأمن القومي والاستقرار السياسي والاقتصادي، وذلك ما ستؤشر عليه النماذج الدولية التي اختبرت للتدليل على أهمية المضايق بالنسبة للدول المستعملة لها.

الولايات المتحدة الأمريكية

كانت رهانات الولايات المتحدة على مضيق ملقا عسكريه أساسا في بداية السبعينات، حيث كان المضيق في قلب استراتيجية التآرجح الأمريكية³، واعتُبر الحد من حرية التنقل فيه هجوما على الأساطيل البحرية، ومؤثرا على توازن القوى العسكرية، وتسبب التهديد الإرهابي، بعيد هجمات 11 سبتمبر 2001، في إعادة اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بجنوب شرق آسيا، التي وصفها بالجبهة الثانية في "الحرب العالمية" ضد الإرهاب، وأضحى المضيق تهديدا لمصالحها، ما دفع الدول المشاطئة إلى تعزيز تعاونها العسكري مع الولايات المتحدة، خاصة وأن لجمهورية الصين ضعفي الموارد الاقتصادية والعسكرية المتوفرة للآسيان⁴.

فيما يتعلق بمضيق هرمز، الذي طالما هددت إيران بإغلاقه في التاريخ الحديث بسبب أهميته، ردا على العقوبات التي تفرضها عليها الولايات المتحدة الأمريكية⁵، فإن ازدياد طموح البرنامج النووي الإيراني، وبحث طهران على تعزيز موقفها في المفاوضات عبر إغلاق مضيق هرمز⁶، يجعل الولايات المتحدة الأمريكية مهتمة بوضع المضيق، ولا سيما بتواجد حلفاء لها بالمنطقة تجمعهم بإيران علاقات متوترة.

أما عن مضيق باب المندب، فقد قامت قوة أمريكية بالعمل على تأمين الملاحة في المضيق في مواجهة تنظيم القاعدة والقراصنة في المنطقة⁷، وتمر عبر مضيق باب المندب أكثر من 21 ألف قطعة بحرية سنويا، ويتمتع بأهمية عسكرية وأمنية كبيرة.

¹ إسلام المنسي، الحزام والطريق: الصين ولعبة السيطرة على مفاصل العالم،

تاريخ الزيارة: 2019/06/15 <https://www.ida2at.com/belt-and-road-china-and-the-game-of-controlling-the-world/>

² https://telquel.ma/2019/05/17/tanger-tech-va-beneficier-du-statut-de-zone-franche_1638853/?utm_source=tq&utm_medium=normal_post

³ J.N. Mak, op cite

⁴ منظمة التعاون الإقليمي بين دول جنوب شرقي آسيا

⁵ Amanda Briney, The Strait Of Hormuz

<https://thoughtco.com/strait-of-hormuz-1435398>

⁶ J. Peter Pham (2010) Iran's Threat to the Strait of Hormuz : A Realist Assessment, American Foreign Policy Interests, P :64.

⁷ معلومات أساسية عن مضيق باب المندب الذي علقت السعودية تصدير النفط عبره

أعادت الولايات المتحدة نشر الأسطول الثاني بالأطلسي المكلف بمراقبة حركة الملاحة العسكرية في المحيط الأطلسي، وخاصة النصف الشمالي منه، ومن ضمن نقاط المراقبة الرئيسية نقطة مراقبة مكثفة لمضيق جبل طارق، خاصة بعد ارتفاع الاهتمام العسكري الروسي والصيني بالبحر الأبيض المتوسط.¹

ذلك أن روسيا تتوفر على ثلاثة أساطيل بحرية، الأسطول الأول يتمركز في بحر الشمال، والثاني يتمركز في البحر الأسود، والثالث في المحيط الأطلسي، وتعمل القوات الروسية انطلاقاً من البحر الأسود، وصولاً إلى شمال المتوسط، انتهاءً بمضيق جبل طارق، وتتوفر القوات البحرية الروسية على قاعدة لوجيستية بمدينة سبتة المحتلة²، وقد رفعت روسيا من قطعها البحرية الحربية في المحيط الأطلسي، سواء السفن أو الغواصات، و"من أهم الأسباب التي دعت روسيا للتواجد في البحر الأبيض المتوسط هو التنافس المحموم الحاصل بين القوى الكبرى على موقع نفوذها، باعتبارها نقطة مهمة ذات بعد استراتيجي متميز"³.

الصين

يحذر العديد من المحللين السياسيين والاقتصاديين من التهديد بإغلاق ملقا، إذ من شأنه رفع أسعار النفط إلى مستويات غير مسبوقة⁴، والمعلوم أن لفواتير الطاقة دور كبير بالنسبة للدول المستهلكة في تحديد سياساتها اتجاه الدول المنتجة للنفط، وفي حال ما تم إغلاقه، يمكن لناقلات النفط الالتفاف خارجه، لكن بتكلفة أكبر⁵، وقد أدت طبيعة المضيق الاستراتيجية إلى الرغبة في السيطرة عليه، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، والصين، واليابان، والهند.

تعتمد الصين اعتماداً كبيراً على مضيق ملقا في التجارة ونقل الطاقة، وقد عبر أكثر من 90% من النفط الخام المنقول عبر بحر الصين الجنوبي في عام 2016 مضيق ملقا، وهو أقصر طريق بحري بين الموردين في إفريقيا والخليج الفارسي والأسواق في آسيا⁶.

تعين على بكين تأمين المضيق، وتشكل الدبلوماسية إحدى السبل التي تسعى الصين من خلالها على ضمان أمن مضيق ملقا، إذ تعزز بكين علاقاتها مع الدول المحاذية له، خاصة ماليزيا، وأوضح الرئيس الصيني هو جين تاو أن معضلة مضيق ملقا هي مفتاح أمن الطاقة في الصين، وأي تهديد له يشكل تهديداً للصين⁷.

وفي هذا الاتجاه عملت الصين أيضاً على تأكيد تواجدها في حوض البحر الأبيض المتوسط حيث مضيق جبل طارق وقناة السويس اعتماداً على ثلاث محاور أساسية⁸:

<http://www.bbc.com/arabic/middleeast-44968471>.

¹ حسين مجدوبي - القدس العربي، البنتاغون يعيد العمل بالأسطول الثاني والهدف مراقبة مضيق جبل طارق، 7 مايو، 2018. أخبار الشمال متوفر على: <http://chamalpost.net/>

² عبد الحميد بن سوسان، تقرير عن مداخلة الدكتور فؤاد فرحاوي في موضوع التحولات الاستراتيجية الكبرى وموقع المغرب فيها، وجدة، 2016. مقال متوفر على <http://www.cerhso.com/?p=1638> تاريخ الزيارة 2019/05/17

³ نفسه

⁴ James Phillips, An Israeli Preventive Attack on Iran's Nuclear Sites : Implications for the U.S., Heritage Foundation Backgrounder 2361 (January 15, 2010), P 9.

⁵ C.W. Pumphrey (ed.), The rise of China in Asia : security implications, Diane Publishing, 2002, p. 246

⁶ MAREX, Strait of Malacca Key Chokepoint for Oil Trade. 2018-08-27,

<https://www.maritime-executive.com/article/strait-of-malacca-key-chokepoint-for-oil-trade> تاريخ الزيارة: 2019/05/24

⁷ B. Thomas, Scaling rising tides: a three-pronged approach to safe guard Malacca Straits, Institutes of Defence and Strategic Studies, Singapore, 2005, p. 1.

⁸ Alice EKMAN, La Chine en méditerranée : Une présence émergente, Notes de l'IFRI institut français des relations internationale, Février 2018, Disponible sur : www.ifri.org

خلق منتديات للتعاون بين الصين وجنوب أوروبا.

الاستثمار في البنى التحتية للنقل والطاقة والاتصالات.

قيادة تداريب ومناورات عسكرية في حوض المتوسط.

ونجحت الخطة الصينية بدرجة جعلت قدرة خصوم الصين على غلق الممرات الملاحية في وجهها، شيئاً مستبعداً، بل قد ينعكس الأمر إذا استمر النفوذ البحري الصيني بالصعود بنفس الوتيرة الحالية، والتي تذهل المراقبين الغربيين¹، وقامت الصين بالاستثمار بقوة في الموانئ بالمنطقة المتوسطية، وذلك عبر شركات صينية (مثل COSCO)².

اليابان

بالنسبة لليابان، فالرهان المعلق على مضيق ملقا اقتصادي أكثر منه عسكري³، فهو شريان حيوي للاقتصاد الياباني، وتعبّره تقريبا 41% الواردات الإجمالية لأرخبيل اليابان، وخاصة 80% من حاجياته من النفط القادم من الخليج العربي، ومن تجليات هذا الاهتمام قيام وزير النقل الياباني في 1968 بالتعاون مع شركات النفط وشركات الطيران، والشركات الخاصة اليابانية العاملة في القطاع البحري بإنشاء مجلس مضيق ملقا، الذي يقدم المساعدة التقنية والمالية لتحسين ظروف الملاحة في المضيق⁴.

يعتبر المضيق مهما لشحن البضائع المصنعة اليابانية إلى أوروبا وأستراليا والشرق الأوسط وأفريقيا، لذلك من مصلحة اليابان ضمان أمن مضيق ملقا، وبالتالي، تعاونت اليابان لفترة طويلة مع سنغافورة وماليزيا وإندونيسيا في مجال سلامة الملاحة ورسم خرائط أعماق البحار وتبادل المعدات والتدريب، بل عملت اليابان على توسيع قاعدة المتعاونين معها في السهر على أمن المضيق، وتحدث السيد أكيو سودا، السفير المسؤول عن التعاون الدولي لمكافحة الإرهاب، في اجتماع كوالا لامبور "2006" حول مضيق ملقا وسنغافورة قائلا: "اعتبارا لضيقه الجغرافي وحركة المرور الكثيفة، سيكون مضيق ملقا وسنغافورة عرضة للهجمات الإرهابية، وهذا مبعث قلق كبير لجميع أنحاء العالم، فبتنوع الإرهاب من حيث مرتكبيه وتقنياته، أصبحت مكافحته تتطلب بذل جهود مشتركة ودائمة"⁵.

شهد شهر دجنبر من العام 2005 موافقة اليابان والآسيان على إطلاق حوار مكافحة الإرهاب الذي انعقد في وقت لاحق في طوكيو في يونيو 2006، بهدف تعزيز التعاون في مكافحة الإرهاب بين الآسيان واليابان، حيث اعتبرت السلامة البحرية أحد مجالات التعاون ذات الأولوية، وبطبيعة الحال فالولايات المتحدة الأمريكية، بصفتها أكبر قوة بحرية في العالم، يهمها أيضا أمر المضيق⁶.

ويعد التحالف بين اليابان والولايات المتحدة الركن الأكثر أهمية للاستراتيجية الأمنية اليابانية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، إذ كان الغرض من التحالف في البداية ضمان أمن اليابان، واليوم لدى كل من البلدين مصالح مشتركة

¹ إسلام المنسي، الحزام والطريق: الصين ولعبة السيطرة على مفاصل العالم، 14/05/2017، تاريخ الإطلاع 2019/05/10.

متوفر على

<https://www.ida2at.com/belt-and-road-china-and-the-game-of-controlling-the-world/>

² Alice EKMAN, Op Cite, P:15.

³ J. Tsunekawa « Japan Perspectives on the Straits of Malacca », in Proceedings of the 6th MIMA International Conference on the Straits of Malacca : Charting the future, Kuala Lumpur 23-24 June 2009 de Nazerih Khalid, 2010, pp. 31-40

⁴ Nathalie, « Les enjeux économiques et géostratégiques du détroit de Malacca, op cite P 130

⁵ موقع وزارة الخارجية اليابانية، راجع الرابط:

<https://www.mofa.go.jp/policy/terrorism/state0609.html>

تاريخ الزيارة: 2019/05/16

⁶ Siti Zubaidah Ismail & Mohd Azizuddin Mohd Sani, Op Cite, P:101.

تمتد من الترابط الاقتصادي إلى التنسيق السياسي¹، واقترحت اليابان تكوين تحالف مشترك من خفر الساحل لحماية المضيق، مكونا من اليابان وكوريا والجنوبية والصين بالإضافة إلى الدول المحاذية للمضيق: أندونيسيا وماليزيا وسنغافورة.

روسيا وتركيا

يعد مضيقا البوسفور والدردنيل بوابة روسيا للعبور من البحر الأسود إلى البحر المتوسط، ويعد إغلاقهما بمثابة إعلان حرب، ويبقى لدى أنقرة ورقة رابحة قوية وهي نظام القواعد الدولية الخاصة بحركة السفن في مضيقي البوسفور والدردنيل²، الذي أقرته أنقرة بصورة منفردة عام 1994، إذ يمنح هذا النظام تركيا الحق في منع مرور جميع السفن عبر المضيقين في حال القيام بعمليات الحفر، أو إجراء الفعاليات الرياضية وفي كافة الحالات المماثلة الأخرى، حسبما يقضي به المبدأ الرابع والعشرون للنظام.

في الوقت الذي دفعت ميزة كون تركيا المتحكم الفعلي في مضيقي البوسفور والدردنيل حلف الأطلسي إلى أن يضم إلى صفوفه دولة بهذا الموقع الاستراتيجي الخطير الحاكم لحركة الكتلة الروسية، إذ تمثل المضايق التركية المخرج الوحيد للسفن الروسية من البحر الأسود المغلق، وحيث في المعدل، تمر في المضايق سفينة حربية روسية كل 36 ساعة³، بينما تمر عبرها 20 سفينة تجارية روسية يوميا، وتمثل السفن التجارية الروسية 40% من الحمولة المارة في المضيقين، ومع انهيار الاتحاد السوفيتي، أصبح البحر الأسود "غربيا"، فثلاثة من الدول الستة المحاذية للبحر الأسود أعضاء في حلف الناتو NATO وهي تركيا ورومانيا وبلغاريا، الأخيرتين منهما انضمتا بالفعل للاتحاد الأوروبي، في حين وقعت جورجيا وأوكرانيا اتفاقية شراكة مع حلف شمال الأطلسي، ما ساهم في اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية.

ويثير هذا التقدم المزدوج (توجه الدول نحو حلف الناتو والاتحاد الأوروبي) قلق كل من روسيا وتركيا، التي حرمت من احتكار كونها الدولة الوحيدة المطلة على البحر الأسود والعضو بحلف شمال الأطلسي، مما يجعلها تخشى أن يتم تعديل اتفاقية مونترو بما يقلل من نفوذها على المضيق، الأمر الذي قد يؤدي إلى "تفاقم شعور روسيا بالعزلة في المنطقة، التي لا تزال المنطقة الوحيدة المحمية المحيطة بالاتحاد السوفيتي السابق، ويتطلب الإبقاء على بنود اتفاقية مونترو، من موسكو التثبيت بالوضع الدولي الجديد،....، الذي تتبناه الإدارة التركية للحفاظ على امتيازاتها، مستدعيا أن تكون روسيا وتركيا على نفس الجانب هذه المرة"⁴.

وعلاوة على تعزيز سيطرتها العسكرية على البحر الأسود، تواصل موسكو تعميق شراكتها الاقتصادية مع أنقرة، بما في ذلك الطاقة، حيث قامت بمد خط أنابيب الغاز Turkish Stream، الذي قامت ببنائه شركة Gazprom، والذي اكتمل بناء الجزء التحت-بحري منه وطوله 900 كيلومتر في نوفمبر 2018، مع انطلاق العمل به في أواخر 2019⁵، وهو أنبوب غاز موجه أساسا لخدمة تركيا، لكن مقطعا منه سيتجه نحو أوروبا الغربية، كما عملت روسيا على بناء أول محطة تركية للطاقة النووية من قبل Rosatom⁶، الذي بدأ تشييده في أبريل عام 2018.

¹ S.T. Hook, Comparative foreignpolicy adaptation strategies of the great and emerging powers, Pearson Education, New Jersey, 2002, p. 110

² موقع روسيا اليوم،

احتمالات-إغلاق-تركيا-لمضيق-البوسفور-والدردنيل-في-وجه-السفن-الروسية-801750/news/arabic.rt.com/

³ أحمد مصري، مرجع سابق.

⁴ Tolga BILENER, LES DÉTROITS, ATOUT STRATÉGIQUE MAJEUR DE LA TURQUIE,

Disponible sur https://www.diplomatie.gouv.fr/IMG/pdf/51_Bilener.pdf 2019/05/18 تاريخ الزيارة

⁵ راجع الرابط

<http://www.gazprom.com/projects/turk-stream/>

⁶ <https://www.rosatom.ru/en/investors/projects> / للمزيد من التفاصيل

خلاصة

إن القول بأن المضائق هي الشريان الحيوي للاقتصاد العالمي ليس تضخيماً للأمر، والواقع يقول بانعكاس سلبي أو إيجابي لما هو سياس على هذه الممرات، ولا تستطيع الدول الكبرى دعم قوتها وفرض هيمنتها دون أن تجعل من الممرات البحرية ومضائقها وسيلة وهدفاً في نفس الوقت لسياساتها الخارجية والعسكرية، حيث يشير الأميرال الأميركي ألفريد ماهان إلى أن القوة البحرية هي في صلب ودعامة القوة الاستراتيجية العالمية. ومن يسيطر على البحار يسيطر على التجارة، ومن يسيطر على التجارة يكون الأقوى.

وتجري اليوم العديد من الصراعات في مناطق مختلفة من العالم، تبدو وفق حملات الدعاية لأسباب مختلفة، في حين أن السيطرة على الموانئ والممرات والمضائق البحرية الاستراتيجية هي المحرك الرئيسي لمجرياتها، ولا تحظى الموانئ والمساحات البحرية عموماً بنفس الأهمية بالنسبة إلى دول العالم، حيث يتم الرهان على تلك التي تتميز بموقع استراتيجي. ويفسر هذا جانباً من جوانب الصراعات الدائرة في المنطقة العربية ذات الأهمية الجيو-استراتيجية الفريدة، حيث تشكل المضائق والقنوات التي تقع في مفترق الطرق البحرية الكبرى النظام الإقليمي الرئيسي في الضفة الجنوبية لبحر الأبيض المتوسط، وهي تطل على منطقة شرق آسيا عبر البحر الأحمر، وبحر العرب وبحر عمان، كما يقع في هذا الجزء من العالم مضيق هرمز وباب المندب وقناة السويس، وبالقرب منها يقع غرباً مضيق جبل طارق، ويقع شرقاً مضيق ملقا في شرق آسيا، مما يجعل من المنطقة ممراً أساسياً للملاحة الدولية وطريق الحرير الذي يمر منه النفط.

تبحث القوات البحرية اليابانية والصينية والروسية عن موطئ قدم لها في المحيط الهادي وبحر المتوسط، وعلى طول الساحل الأفريقي، وذلك إدراكاً منها بأن القوة الاقتصادية والقوة البحرية متلازمان لحماية مصالحها الحيوية، ثم إن النزاعات الخطيرة بين البلدان المتاخمة لبحر الصين الجنوبي تغذيها جزئياً المخاوف من أن العديد من القواعد العسكرية والحاميات، التي يتنافس أصحابها على الأرخبيل المتنازع عليه Spratleys و Paracels، قد تستخدم في يوم من الأيام لمنع حركة المرور على الطرق البحرية التي تربط الشرق الأوسط باليابان، عبر مضيق ملقا وسنغافورة¹.

وهنا تعكس السياسة البحرية الجديدة للهند صحوه للقضايا البحرية، وكان آخرها تجسيدا لشراء حاملة الطائرات الروسية أميرال غورسكوف في يناير 2004، والتي تحولت إلى INS Vikramaditya² الهندية. الهند، مدفوعة بتنافسها مع الصين، التي أقامت قاعدة في أرخبيل كوكوس البورمي، شمال جزر أندامان الهندية.

تعتبر الولايات المتحدة، تليها بريطانيا وفرنسا بفارق كبير، الدول الأقدر على فرض وجود عسكري هائل في البحار في جميع أنحاء العالم، على الرغم من أن قدرة النقل التجارية في أوروبا ما فتئت تتقوى أكثر فأكثر في شرق آسيا، دون إغفال طموحات الصين والهند البحرية.

مجمال القول، إن مراقبة الطرق البحرية، وخاصة منها المضائق والقنوات تظل بالنسبة للقوى المهيمنة رهانا جيو- سياسيا، وهو ما يفرض على الدول العربية تطوير أساطيلها البحرية وتطوير موانئها وتأمينها بالاعتماد على قواها الذاتية وعقد تحالفات استراتيجية متنوعة، في ظل واقع يفيد أن السيطرة على هذه المساحات هي مفتاح التحكم الإقليمي والدولي.

¹ Lasserre, F., Les détroits maritimes : réflexion sur des enjeux stratégiques majeurs. Cahiers de géographie du Québec, 48, (135), 2004, P :279.

² بحمولة تصل إلى 40000 طن.

لائحة المراجع

المراجع العربية

علي حسين باكير، دبلوماسية الصين النفطية: الأبعاد والانعكاسات، دارالمهمل، بيروت، 2010، ص171

المراجع الأجنبية (اللغة الفرنسية)

- ✓ Alice EKMAN, La Chine en méditerranée : Une présence émergente, Notes de l'IFRI institut français des relations internationale, Février 2018
- ✓ Antoine Frémont, Les routes maritimes : Nouvel enjeu des relations internationale ? Revue internationale et stratégique, N° 69, 2008.
- ✓ CENTRE D'ÉTUDES DES TRANSPORTS POUR LA MÉDITERRANÉE OCCIDENTALE, « Dossier : Réflexions sur le transport maritime de marchandises entre les deux rives de la Méditerranée occidentale », Bulletin du CETMO, no 50, avril 2002.
- ✓ Comité Toulon Provence Corse, géopolitique, la revue maritime, 508, Mars 2017.
- ✓ E. Frecont, « Géopolitique de la Piraterie au Sud-Est asiatique. Conflit de représentations », dans Les seigneurs de la mer, Outre Terre 25, Revue européenne de géopolitique, 2010.
- ✓ Fau Nathalie, « Les enjeux économiques et géostratégiques du détroit de Malacca », Géoeconomie, 2013/4 n° 67.
- ✓ Jean-Claude Lasserre, (2003), "Le Pas-de-Calais et le détroit de Gibraltar : quels enjeux géopolitiques ?", Etudes internationales, 34.
- ✓ Jean-François Fiorina, CLES "Comprendre Les Enjeux Stratégiques", Géopolitique de la mer Noire Vers un condominium russo-turc sur les détroits ? », Note hebdomadaire d'analyse géopolitique, N 224, 21 Mars 2019
- ✓ Lasserre, F. (2004). Les détroits maritimes : réflexion sur des enjeux stratégiques majeurs. Cahiers de géographie du Québec, 48, (135).
- ✓ N. Fau, « Le nord de Sumatra : une périphérie indonésienne sur le détroit de Malacca, un espace partagé entre intégration nationale et recomposition transnationale », thèse de doctorat, 2003.
- ✓ N. Fau, « Les détroits en Asie du Sud-Est », in L'évolution du débat stratégique en Asie du Sud-Est depuis 1945 de Pierre Journoud, Études de l'INSERM n°14, 2012.

المراجع الأجنبية (اللغة الإنجليزية)

- ✓ Hamzah, The Straits of Malacca, International Co-operation in trade, Funding and navigational safety, 1997.

- ✓ Thomas, *Scaling rising tides: a three-pronged approach to safe guard Malacca Straits*, Institutes of Defence and Strategic Studies, Singapore, 2005.
- ✓ C.W. Pumphrey (ed.), *The rise of China in Asia : security implications*, Diane Publishing, 2002.
- ✓ Hans Dieter Evers and Solvay Gerk. *The strategic of importance of the straits of malacca for world trade regional development* , ZEF working paper series.
- ✓ J. Peter Pham (2010) *Iran's Threat to the Strait of Hormuz : A Realist Assessment*, American Foreign Policy Interests.
- ✓ J. Tsunetsuka « Japan Perspectives on the Straits of Malacca », in *Proceedings of the 6th MIMA International Conference on the Straits of Malacca : Charting the future*, Kuala Lumpur 23-24 June 2009 de Nazerih Khalid, 2010.
- ✓ J.N. Mak, « unilateralism and Regionalism : Working together and Alone in the Malacca Straits », dans *Piracy, Maritime Terrorism and Securing the Malacca Straits* de Graham Gerard, ONG-WEBB (ed.), ISEAS, 2006.
- ✓ James Phillips, *An Israeli Preventive Attack on Iran's Nuclear Sites: Implications for the U.S.*, Heritage Foundation Backgrounder 2361 (January 15, 2010).
- ✓ M. Cleary, K.C. Goh & G.K. Chuan, *Environment and development in the Straits of Malacca*.
- ✓ S. Zhao, « China's Global Search for Energy Security : cooperation and competition in Asia-Pacific », *Journal of Contemporary China* 17 (55), May 2008.
- ✓ S.T. Hook, *Comparative foreign policy adaptation strategies of the great and emerging powers*, Pearson Education, New Jersey, 2002.
- ✓ Siti Zubaidah Ismail & Mohd Azizuddin Mohd Sani, *The Straits of Malacca : Regional Powers Vis-A-Vis : Littoral States in Strategic and Security Issues and Interests*, Political Managements and Policies in Malaysia.

وبیوگرافیا

- ✓ <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions/2016/1/17/بنما-قناة-كبيرة-في-دولة-صغيرة>
- ✓ <https://www.cairn.info/revue-l-information-geographique-2011-2-page-25.htm>
- ✓ https://www.diplomatie.gouv.fr/IMG/pdf/51_Bilener.pdf
- ✓ <https://www.ida2at.com/belt-and-road-china-and-the-game-of-controlling-the-world/>
- ✓ <https://www.ida2at.com/belt-and-road-china-and-the-game-of-controlling-the-world/>

- ✓ https://www.larousse.fr/encyclopedie/divers/detroit_de_Gibraltar/121367
- ✓ <https://www.lloydsbank.com/>
- ✓ <https://www.maritime-executive.com/article/strait-of-malacca-key-chokepoint-for-oil-trade>
- ✓ <https://www.mofa.go.jp/policy/terrorism/state0609.html>
- ✓ <https://www.rosatom.ru/en/investors/projects/>
- ✓ <https://www.suezcanal.gov.eg/Arabic/About/SuezCanal/Pages/AboutSuezCanal.aspx>
- ✓ www.marine.gov.my
- ✓ www.mpa.gov.sg www.pka.gov.my
- ✓ <http://www.alriyadh.com/222853>
- ✓ <http://www.bbc.com/arabic/middleeast-44968471>
- ✓ <https://i0.turkey-post.net/p-94870/>
- ✓ <http://www.cerhso.com/?p=1638>

دراسة تاريخية لأوضاع الأسرى في العراق القديم مع التركيز على بلاد اشور

ازهار هاشم شيت: دكتور بكلية الآداب / قسم التاريخ جامعة الموصل العراق

azhar_hashem@uomosul.edu.iq

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة تاريخية لأوضاع الأسرى المقاتلين والذين وقعوا في الأسر لدى القادة والحكام في العراق القديم منذ العصور التاريخية المبكرة، الذين ادركوا في حينها فائدة جلب الأسرى معهم عوضاً عن قتلهم لأنه بالإمكان استخدامهم كأيدي عاملة في مجال البناء والعمران أو الزراعة وري الأراضي والممارسة المهنة والحرف التي كانوا يمارسونها في بلادهم ، وقد ركز البحث على وضع الأسرى في بلاد اشور لأن ملوكها اعتادوا على تدوين اخبار حملاتهم العسكرية مع ذكر اعداد الأسرى والقتلى والغنائم ، وتصويرهم لوقائع تلك المعارك بصورة دعائية مبالغ فيها على المنحوتات الجدارية والمسلات التي وضعت في القصور والقاعات الملكية وعلى المسلات التي كانت توضع على الساحات العامة، كأحد اساليب الحرب النفسية والدعائية التي استخدموها ضد اعدائهم وذلك لا رهابهم والحيلولة دون قيامهم بالتمرد ضدهم والتي يمكن من خلالها دراسة الوضعية التي كان عليها الأسرى كما أظهرت النصوص الكتابية المسمارية بأنه كان يتم إسكان الأسرى في مجمعات وهذا ما أشارت قوائم التموين الجماعية كما تناول البحث حرص الملوك والحكام في بلاد الرافدين على ضمان حقوق مقاتليهم أو جنودهم الذين وقعوا في اسر الاعداء من خلال سن العديد من الأحكام والمواد القانونية التي عالجت امور الأسرى للحفاظ على حقوقهم وممتلكاتهم كما تبين بان وضع الأسرى في العراق القديم كان أحسن حالا من وضع الأسرى في البلدان والممالك المجاورة لهم

الكلمات المفتاحية: الأسرى، الحروب، العراق القديم، اشور، معاملة.

A historical study of prisoner's conditions in Ancient Iraq with a focus on Assyria

Abstract

This paperwork is a historical study of prisoner's conditions, who were captured by the armies of the ancient Iraq. Then the leaders of these armies realized the significance of bringing the prisoners with them instead of killing them. Because might be employed as manpower in the realms of the construction, agriculture and irrigation. Also, those prisoners might practice professions and artifacts they had been doing in their own country. They Moreover the paper focuses mainly on the prisoner conditions Assyria, because its kings were want to record the tidings of their military expeditions and to mention the number of their prisoners, the also interested in portraying the actualities of those which killed and the boots . were put in palaces, royal holes or public palaces. These can be used in Finally, the paper in question tackles the kings and the rulers order to know the situation of the prisoners there. interest in ensuring the rights of their warriors who were captured by enactment of certain lawful articles that had at their care the idea of their enemy. This great interest is so clearly expressed in their determining the rights of their prisoners

Keywords: prisoners, wars, ancient Iraq, Assyria, treatment

المقدمة

يعرف الأسير لغة: (هو كل من قبض عليه وأخذ مقيدا) وقد أخذت كلمة الأسير من أسره بأسره أسيرا وأساره شده بالأسار وهو القيد، أو ما شد به الإنسان ومنه سبي الأسير وكل أخيد وان لم يشد فهو أسير، والجمع أسراء وأسارى وأسرى والأسير القيد وأصله من ذلك وكل محبوس قيد أو سجن أسير⁽¹⁾.

ويقصد بالأسير اصطلاحاً: كل مقاتل وقع في يد الأعداء فاقتادوه إلى صفوفهم فسي أثناء الحرب وهو في قيد الحياة، إذ أن المقاتل قد يجرح في المعركة جرحاً بليغاً فلا يستطيع أن يستمر في القتال، أو قد تقطع يده أو رجله أو يفقد سلاحه في المعركة فلا يستطيع الاستمرار في القتال فيقبض عليه الأعداء ويسمى في هذه الحالة أسيراً.

لقد ظهرت قضية الأسير منذ القدم كإحدى النتائج الحتمية للحرب فقد قتل الأسرى وذبحوا ومثل بهم وأكلت لحومهم في عصر البدائية الهمجية بدافع الانتقام والقضاء على الخصم ولم يكن الغزاة في العصور القديمة يبقون على أسراهم من الرجال إلا لغرض تعذيبهم أو ذبحهم في معابد الآلهة وكان الأسرى يقتلون عادة في ساحة المعركة تخلصاً من أطعامهم وارهائهم لأقوامهم، ثم رأى الغالب أن يستفيدوا من الأسير، ولعل نشوء الزراعة هو الذي نبه المنتصر على ابقاء الأسير حياً وأصبح عبداً للظافر وجزءاً من متاعه، وكانت أعدادهم كبيرة جداً حتى أصبح أسرى الحروب من أهم مصادر جلب العبيد والذين يعدون من السلع التجارية المهمة ويتم التعامل بهم كأى سلع أخرى وهم معرضين لشتى العمليات التجارية من بيع ورهن واستئجار فضلاً عن أداء مهامهم وواجباتهم الاعتيادية خدماً في البيوت وعمالاً في الحقول والبساتين⁽²⁾.

أقدم ما ورد إلينا من إشارات لأوضاع الأسرى في العراق القديم

يبدو أن الملوك والحكام في العراق القديم قد شعروا منذ فترة مبكرة بفائدة جلب الأسرى معهم وامكانية توجيههم للأعمال العامة عوضاً عن قتلهم سيما أن الأسرى قد يضمنون بينهم بعض من له خبرة في الحرف والمهن والفنون المختلفة ولكي يقدموا الدليل القاطع على انتصارهم في سوح المعارك⁽³⁾.

(1) ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج: 4، (بيروت: 1955) ص: ١٩-٢٠. وردت كلمة اسير في القرآن الكريم في العديد من الآيات القرآنية منها (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً (٨) إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً (٩) سورة الانسان: الآيات ٨-٩، (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) سورة الأنفال، الآية 67: (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) سورة الأنفال، الآية ٧٠، أي أن القرآن الكريم قد أمر بمعاملة الأسرى معاملة إنسانية طيبة ونهى عن الاعتداء عليهم أو قتلهم أو تعذيبهم، ولئن أراد الاطلاع على أحكام الأسرى في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي فليرجع الى كتاب: علي علي منصور، الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، (القاهرة: ١٩٩٢) ص: ٣٢٠.

(2) جماعة من علماء الآثار السوفييت، العراق القديم، (بغداد: ١٩٨٦) ط: ٢، ص: ٤١-٧٧. وانظر: حسين، ظاهر حمود، التجارة في العصر البابلي القديم، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الموصل: 1995)، ص: ٥٩.

See also:

Gelb: "Prisoner of War in Early Mesopotamia" JNES, Vol.32 No.

1-2, (1973), PP 70-93.

(3) عامر، سليمان، القانون في العراق القديم، (موصل: 1977)، ص: 45.

وهكذا بدأت تتحول مجاميع أسرى الحروب تدريجياً من الناحية العملية إلى عبيد يستثمرون بشكل مباشر من قبل أسيادهم وأقدم ما ورد إلينا من إشارات لأوضاع الأسرى في العراق القديم، جاءت من طبعة ختم تعود إلى منتصف الألف الرابع ق. م من الوركاء تصورهم وهم جالسين القرفصاء وأيديهم مشدودة إلى الوراء الأمر الذي علّله بعض الباحثين أنه الدليل على تحويلهم إلى عبيد وربما يمثل بداية نظام العبودية (شكل رقم 1) ومن عصر فجر السلالات الثالث، يشير أحد أفارز شعار مدينة أور إلى صورة الأسرى وهم عراة مقيدون ويساقون على يد جنود (شكل رقم 2)، ومن العصر ذاته ورد في مسلة العقبان أو مسلة النسور مشاهد الأسرى محتجزين في شبكة يمسك بها الإله (ننكرسو) إله مدينة لكش⁽¹⁾.

ومن العصر الأكدي هناك جزء من مسلة عرفت بمسلة النصر تضم صورة لسرجون الأكدي وقد أسر عدداً من الجنود⁽²⁾ أنظر (الشكل رقم 3).

ودأب ملوك العهد الأكدي على الإبقاء على بعض الأسرى واستعبادهم فتذكر أحد نصوص الملك (ريموش ٢٢٨٤-٢٢٧٠ ق. م) عن تحطيمه المعادي الذي ألفه ملوك عيلام مع أمارات وممالك أخرى وقتله ١٧٠٠٠ رجل وأسره ٤٠٠٠ رجل من بينهم أحد ملوك الممالك المعادية وبعد هذا الانتصار نذر ستة عبيد وإماء إلى معبد الإله أنليل في نفر⁽³⁾.

ومن سلالة أور الثالثة ذكر الملك أمارسن (2052-2043 ق. م) تموينات مخصصة لأسرى من نساء وأطفال، كما ذكر الملك شوشين أنه أسكن أسرى إحدى المدن وهي مدينة (Simanum) في مكان قرب نفر، أما نصوص العصر البابلي القديم فتشير إلى أنه في عهد (ريم - انوم) في مطلع الألف الثاني ق. م، وردت نصوص كثيرة لتأجير أسرى وعبيد. وفي عهد سلالة بابل الأولى ذكر الملك سمسو - ايلونا (1749 - 1712 ق. م) أنه أطلق سراح أسراه من مدينة (ادماراس) ومن نوزي وجدت أعداد كثيرة من العبيد يدعون بالخاير ويرجع البعض بأنهم أجانب وأعداء أخذوا كأسرى حرب ووزع قسم منهم على كبار المسؤولين⁽⁴⁾. ولكن ليس لدينا ما يشير إلى السلطة في العهود السومرية والبابلية الأولى كانت تقوم بتوزيع أسرى الحروب المستعبدين على أفراد القوات المسلحة، بل على الأرجح كان القصر يحتفظ بالأسرى ويوجههم للأعمال والمشاريع الخاصة والعامة وقد يقدم عدداً من الأسرى إلى معبد المدينة الرئيسي أو بعض المعابد الأخرى كهدية أو غنائم واعترافاً له بالفضل في الانتصار على الأعداء، وهكذا غدا أسرى الحروب من الأمور التي يتفاخر بها الملوك بعد عودتهم من حملاتهم العسكرية وأصبح لدى الملوك الرغبة

(١) طه، باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، (بغداد: 1986) ط: ٢، ج: ٢، ص: ٣١٨.

(٢) انطون، مورتكات، الفن في العراق القديم، ترجمة وتعليق: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، (بغداد: 1975)، ص: ١٥٧.

(٣) صالح حسين، الروح، العبيد في العراق القديم، (بغداد: مطبعة أوفسيت الميناء، 1977)، ص: 35.

(٤) الروح، العبيد، ص: ٣٥.

في الحصول على المزيد منهم حيث ورد في بعض النصوص الملكية ذكر لأعداد من الأسرى اصحاب الحرف والمهن والفنيين بعد ذكر امراء الاعداء المأسورين وموظفيهم مباشرة⁽¹⁾.

وفي العصر البابلي الحديث توجه الملك نبوبلاصر (626 – 605 ق. م) الى بلال اشور واخذ من نينوى أسرى يفوقون الحصر. كما يذكر الملك البابلي نبو نصر الثاني (604 – 562 ق. م) انه تم ترحيل ثلاثة الاف من اسرى المدن اليهودية الى مدينة بابل، لان يهوقاين ملك مملكة يهوذا انقطع عن دفع الجزية ونكث العهد، فعين صديقا حاكما عليها في اورشليم عام (597 ق. م) الا انه اعلن تمرده بأن خلع ولاءه لملك بابل وانحاز الى الفرعون المصري فاستسلمت له بعد (18 شهرا) فاخذ صديقا مع الاسرى اليهود الذين قدر عددهم بنحو (40000) اسير الى بابل وذلك عام (586 ق. م) واسكنوا في الاراضي الزراعية⁽²⁾.

كما جلب الملك نبوخذ نصر الثاني اعدادا من الاسرى المصريين في معركتي عام (605 – 601 ق. م)⁽³⁾. حيث يذكر في أحد النصوص انه جلب أسرى من البحر الاعلى الى البحر الاسفل وحولهم الى عبيد في بابل⁽⁴⁾. ويذكر الملك البابلي نبو نائيد (555 – 539 ق. م) ان الاله مردوخ قد اعطاه أسرى اكثر من أسلافه ويمكن تصور ضخامة عددهم من اقدمه على اهداء (2850) عبدا من اسرى الحرب الى الالهين نابو ونركال⁽⁵⁾.

أوضاع الاسرى في بلاد اشور

لقد أسهبت حوليات الملوك الاشوريين في نتائج انتصاراتهم المبالغة فيها، اضافة الى ذكرهم للغنائم والاعداد الهائلة للأسرى بصورة تكاد تكون خيالية، فعلى سبيل المثال ذكر الملك توكلتي نورتا الاول (1244 – 1208 ق. م) انه اخضع اربعين (من ملوك نائيري) الذين وقفوا ضده وانه اخذ اسرى منهم الى بلاد اشور الا انه صفح عنهم ثم اعادهم الى بلادهم، اما ملوك العصور الاشوري الحديث (911 – 612 ق. م) فقد استمروا بتقليد الملوك الاشوريين الذين سبقوهم من حيث المبالغة في تدوين نتائج المعارك الحربية ضد اعدائهم وانتصاراتهم المتكررة والاعداد الهائلة للأسرى في حولياتهم الملكية، اضافة الى تصوير مشاهد تلك المعارك على المنحوتات الجدارية للقصور والقاعات الملكية وعلى المسلات التي كانت توضع على الساحات العامة، كأحد اساليب الحرب النفسية والدعائية التي استخدموها ضد اعدائهم وذلك لا رهابهم والحيلولة دون قيامهم بالتمرد ضد الملوك الاشوريين وليكون هؤلاء المعاقبون من المتمردين عبرة لغيرهم⁽⁶⁾.

(1) سليمان، المصدر السابق، ص 45. جدير بالذكر ان هؤلاء المرحلين أو أسرى المدن لم يكونوا عبيدا، إلا أنه كان يطلب على ان يقوموا بواجبات معينة للمملكة كإجبارهم على صنع الأجر ونقله الى اماكن البناء على انهم ظلوا أحرارا، فكان بإمكانهم الحصول على الأملاك والاحتفاظ بها وتوريثها وفي قواعد تنظيمية، وللمزيد من المعلومات انظر: هاري، ساكر، قوة اشور، لندن 1984 ترجمة: د. عامر سليمان، (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، 1999) ص 194.

(2) حياة، ابراهيم محمد، نبوخذ نصر (604-562 ق. م)، (بغداد: 1983)، ص 80.

(3) Wisemen, D. J., Some Egyptians in Babylonia, Iraq, Vol. 28, 1950, pp 154 – 155.

(4) الروح، العبيد، ص 38.

(5) الروح العبيد، ص 39. " نائيري: مملكة ظهرت في القرن الثاني عشر ق. م على شكل اتحاد بين شيوخ القبائل الحورية التي عاشت حول بحيرة وان والى نقطة التقاء فرعي الفرات في تركيا ثم توسعت وأصبحت قوة كبيرة في شرق بلاد الأناضول باسم مملكة (اورارتو) .

(6) ازهار، هاشم شيت، الدعاية والاعلام في العصر الاشوري الحديث، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب- (جامعة الموصل: 2000م) ، ص 127.

وسنحاول في هذا البحث ان نقتضب في ذكر بعض الامثلة وحسب التسلسل الزمني، فعلى سبيل المثال ذكر الملك اشور ناصربال الثاني (883 – 859 ق . م) في حولياته الملكية انه في حملته العاشرة على (مملكة بيت زماني) الواقعة في ديار بكر قد نقل من مدينة دمدانوسا الحصينة 3000 اسير⁽¹⁾، كما اظهرت البوابة البرونزية (بلوات امكر – انليل) التي تعود الى الملك شلمنصر الثالث (808 – 824 ق . م) مشاهد لأسرى من الاورارتيين كما ذكرت حوليات الملك الاشوري تجلاتبليزر الثالث (745 – 727 ق . م) انه اسر (72,950) شخص اثناء حملته سنة 743 ق.م، ضد ملك اورارتو سردوري الثاني⁽²⁾.

وفي الحملة الثامنة للملك الاشوري سرجون الثاني (721 – 705 ق.م) التي شنها على بلاد الاورارتو سنة (714 ق.م) بلغ عدد الاسرى (6,170) شخص⁽³⁾.

وانه عندما شن حملته الثانية ضد بلاد عيلام فان جنده قد تمكنوا من اسر قادة القلاع في بعض المدن العيلامية (ساموني وباب دوري) الواقعة على الحدود الغربية لبلاد عيلام، فضلا عن أسر (7500) شخص من العيلاميين⁽⁴⁾.

أما الملك سنحاريب (704 – 681 ق.م) فيذكر انه بعد حملته على بلاد بابل فانه جلب (208,000) من الاسرى⁽⁵⁾. كما يذكر سنحاريب انه في احدى حملات العسكرية على المدن السورية كان قد استولى على 46 مدينة محصنة وأخذ منها (200,150) اسير⁽⁶⁾. وفي منحوتة تعود لعهد سنحاريب خلد فيها انتصاره على مدينة لأجيش (تل الدوري) في فلسطين، اذ يظهر في الملك سنحاريب وهو جالس على العرش ويقف امامه اعداد من الاسرى اليهود وهم يقبلون الارض متضرعين يطلبون العفو والنجاة⁽⁷⁾.

الإجراءات الامنية والادارية التي اتخذتها السلطات الحاكمة في العراق القديم بخصوص الاسرى

يتبين من خلال النصوص المسمارية والمشاهد الفنية التي صورت على المنحوتات بأن مجاميع اسرى الحرب في العراق القديم، كانت قد وردت بأرقام واعداد هائلة وهي ان كانت صحيحة، فلا بد وانها كانت تتطلب من الملوك والقادة في العراق القديم القيام بأحدى من الاجراءات الامنية والادارية لغرض السيطرة على الاسرى واستثمار طاقاتهم لخدمة بلال وادي الرافدين، وفي مقدمة تلك الاجراءات الاحتياطية تقييد الاسرى بالحبال او وضع النير على رقابهم، ويمكن ملاحظة ذلك في مشاهد استعراض مجاميع الاسرى امام الملك فمثلا يظهر الملك الاشوري اشور ناصربال الثاني على منحوتة في غرفة العرش

(1) شيبان ثابت، الراوي، اشور ناصربال الثاني (883 – 859 ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – (جامعة بغداد: 1986)، ص 152.

(2) ازهار، هاشم شيت، علاقة بلاد اشور مع بلاد الاناضول خلال الفين الثاني والاول ق.م، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الموصل: 1996، ص 59.

(3) قاسم، محمد علي، سرجون الأكدي (721- 705 ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- (جامعة بغداد: 1983)، ص 71.

Assyrian Wafer in the Sargonid Period", Iraq, XXV, No. 1-2, (1963), PP. 151-154.

علي، سرجون الأكدي، ص: ٧٣⁽⁴⁾.

(5) Luckenbill, D. D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, (Chicago, 1927), Vol. 2, p. 133.

(6) Pritchard, J. B. Ancient Near Eastern Texts Relating to the Testament, (1950), p.288.

(7) Ibid, p. 288.

في مدينة كلخو (النمرود) في مشهد وهو في عربته الحربية متوج بإكليل ومظلة شمسية ويحمل قوسا وسهما في يده، ومن ناحية اليمين يقترب منه القائد مع جماعة من الضباط الذين يقتادون الأسرى في موكب يتناقص حجمه وقد صور الأسرى بأحجام صغيرة ويضع على وجوههم الذل والخضوع⁽¹⁾.

ومن الإجراءات الأخرى كانت تجرى عملية تسجيل أو تعداد الأسرى وهو من تصوره منحوتة آشورية حيث يظهر فيها كتبة آشوريين وأراميين وهم يقومون بإحصاء غنائم الملك تجلا تبليزر الثالث (745 – 727 ق . م). وعلى الأرجح انه كان يتم ذكر أعداد الأسرى في قوائم تبدأ بذكر مرتبة الأسير اذا كان من الملوك المأسورين أو أبنائهم ثم يذكر حكام المقاطعات وقادتهم العسكريين والاداريين، ومن ثم يتم ذكر أرباب المهن من فنيين وصناع وحرفيين⁽²⁾.

ثم تأتي بعدها اجراءات مهمة مثل ايواء واسكان الأسرى وهي من المشاكل التي عانى منها الملوك في العراق القديم وفي مختلف العصور خاصة أثناء نقلهم من أقاليمهم المتعددة الى العاصمة أو الى المدن المكلفة بإدارة شؤونهم، وهذا ما أظهرته النصوص الكتابية المسمارية والتي تبين من خلالها بأنه كان يتم إسكان الأسرى في مجمعات وهذا ما أشارت قوائم التموين الجماعية التي تعود لأسرى حرب من عصر أور الثالثة في عهد الملك امار- سين (٢٠٣٨-٢٠٤٦ ق . م) كما جاء في نصوص تعود الى العصر البابلي القديم مصطلح (بيت الأسر bit asiri) أما الموظف المسؤول عن ادارته فأطلق عليه (وكيل الأسير wakil isiri)⁽³⁾.

ومما جاء في قوائم التموينات المخصصة لبيوت الأسرى اللحوم والخبز بالإضافة الى التمر⁽⁴⁾. ولكن عندما يكون عددهم كبيرا فان مهمة توفير الأطعمة لأقواه الآلاف منهم كانت تعد مشكلة صعبة، وهذا ما توضحه رسالة حاكم مدينة (اربخا) كركوك الحالية المرسلة الى احد الملوك الآشوريين حيث ورد فيها ذكر المشكلة وهي ايجاد السكن والطعام ل (ستة آلاف أسير) يفترض أنهم كانوا في طريقهم الى العاصمة ويوضح للملك أن التموينات غير كافية لديه، ويقترح في الرسالة وضع مسؤولية ثلاثة آلاف أسير منهم بيد حاكم مدينة مجاورة له⁽⁵⁾.

(1) يوسف، خلف عبدالله، الجيش والصلاح في العهد الآشوري الحديث (911-621 ق. م)، رسالة ماجستير منشورة، ط1، (1977)، ص180. وانظر: مجيد كوركيس، يوحنا، الفارس الآشوري في النحت البارز، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، (١٩٨٣)، ص ٩٠.

(2) عامر، سليمان، منطقة الموصل خلال الألف الأول ق. م، موسوعة الموصل الحضارية، مجلد1، (1991)، ص264.

(3) الرويح، العبيد، ص40.

(4) Olmstead, History of Assyria, (Chicago, 1960), p.484.

(5) الرويح، العبيد، ص: 40.

وهناك رسالتان بعث بهما (بيل - ابني) حاكم أرض البحر بخصوص أسرى ولاجئين من بلاد عيلام حيث يطلب من الملك إرسال قريوتو (qurbutu)⁽¹⁾ للاهتمام بإطعام (١٠٠٠) أسير منهم أثناء نقلهم الى نينوى⁽²⁾ والرسالة الأخرى برقم (١٠٠) تخص طلب مشابه للاهتمام بخمسين أسير⁽³⁾.

وتشير بعض الرسائل الى ان الملك الآشوري كان يصر على الانضباط الصارم الاهتمام بالأسرى وهذا ما توضحه الرسالة الموجهة من قبل الملك الى أحد موظفيه الاداريين فيما يخص مؤونة الأسرى ويحذره فيها " لن تكون مهملا.. إذا كنت كذلك ستموت"⁽⁴⁾.

مجالات استخدام أسرى الحرب

لقد أصبح الأسرى جزءا مهما من موارد الامبراطورية الآشورية لهذا فقد حرصت السلطات الآشورية وفي مقدمتها الملك على سلامة وصولهم الى اماكنهم وهم بصحة جيدة، ومن خلالها متابعتها لأدق التفاصيل والترتيبات الخاصة بنقلهم واطعامهم حتى تتمكن بعد ذلك من الاستخدام الأوسع للأسرى في كافة المجالات.

فقد أبقت السلطات الآشورية على بعضهم في العاصمة او المدن الآشورية ليكونوا ايدي عاملة في مشاريع البناء وهذا ما صورته المشاهد على المحتويات الآشورية التي تظهر استخدام الأسرى في مشاريع البناء المختلفة ونقل الثيران المجنحة وسحبها على الطوافات⁽⁵⁾. (الشكل رقم ٨) فلا بد أن يكون للآلاف من أسرى الحرب نور كبير في بناء العواصم والبوابات الآشورية.

حيث أظهرت تحصينات شلمنصر الثالث (805 – 24 ق.م) في مدينة اشور وفي الأبواب البرونزية (بلوات أمكرانليل) تأثيرات سورية لابد أنها جاءت على يد الصناع والبنائين من أسرى الحرب من منطقة سورية⁽⁶⁾. كما تفاخر الملك سرجون الثاني بأنه بنى دور شركين (خرس باد) بجهود أسرى الحرب حيث يذكر ما نصه: " في تلك الايام وبجهود شعوب الأعداء الذين قبضت عليهم شيدت مدينة عند اقدام جبل مصري شمال مدينة نينوى استنادا الى أمر الإله و الهام قلبي ودعوت اسمها دور شروكين"⁽⁷⁾.

كما استخدم سنحاريب عدد كبير من أسرى الحرب في بناء مدينة نينوى وهذا ما يذكره بقايا نص مسماري مكتوب على ثور مجنح تم الكشف عنه في أحد المداخل الجانبية لقصر سنحاريب في نينوى جاء

(1) يعتبر هؤلاء الموظفون بمثابة حلقة الاتصال ما بين الملك والمدن والمقاطعات وهم يمثلون الحكومة المركزية عند جمع الضرائب وكان عليهم جمع وارسال الجنود المنقولين من مقاطعة الى أخرى ومن أعمالهم الرئيسية الاهتمام بأسرى الحرب. علي ياسين، الجبوري، الادارة، موسوعة الموصل الحضارية، مجلد1، (الموصل 1991)، ص: 252.

(2) Pfeiffer, R. Sate Letters of Assyria, (New Haven, 1967), p.46

(3) Ibid= 107.

(4) . بابل، ص: 372 ساكر، عظيمة.

(5) Larsen, M. T., The Conquest of Assyria, (London, 1996), p.229.

(6) الروح ، العبيد ، ص41.

(7) عامر، سليمان، الاثار الباقية، موسوعة الموصل الحضارية، الموصل: ١٩٩١م، ص: 532.

فيه: " ... في تلك الأيام جعلت من الأعداء الذين قهرتهم أناسا تابعين لي جعلتهم يحملون السلال صاغرين ويعملون اللبن لتوسيع قصري ونحتوا تمثال الثور المجنح الذي صنعه من حجر الكلس الأبيض⁽¹⁾.

كما يتباهى الملك أسرحدون (680 – 669 ق.م) أنه استخدم أناسا من البلدان المحتلة التي سيطر عليها في بناء قصره الملكي في نينوى حيث يقول: أرست اثنين وعشرين ملكا من حاتي والساحل الى مدينتي نينوى ومعهم موادا لبناء قصري⁽²⁾. كذلك استخدم الملك آشور بانيبال (668 – 627 ق.م) الأسرى في بناء المخازن والقصور في كافة أرجاء المدن الآشورية⁽³⁾.

وقد أظهرت الحوليات الملكية الآشورية افتخار الملوك الآشوريين بالأسرى اصحاب الحرف والمهن، حيث يذكر الملك أسرحدون ان أخذ من مصر وبلاد النوبة الأطباء والكهنة ومفسري الأحلام وسحرة الثعابين وصانعي الاثاث، ويذكر الملك آشور بانيبال ان من جملة غنائمه مغنين ومغنيات وصانعي الذهب والنحاس والكتاب والنساخ⁽⁴⁾. كما استخدم الأسرى في صناعة السفن وهذا ما يذكره سنحاريب في أحد نصوصه الملكية حيث يقول: (لبناء السفن قاموا بقطع الأشجار العظيمة في الغابات ...)⁽⁵⁾. كما استخدم الأسرى كملاحين وهذا ما ذكره الملك سنحاريب في أحد النصوص: .

(أصدرت أوامري الى ملاحين من صور وصيدا وقبرص الذين أسرهم بان يبحروا في السفن في نهر دجلة وينزلوا اليابسة)⁽⁶⁾. هذا بالإضافة الى استخدام قسم من الأسرى للعمل في الحقول والمناطق الزراعية فقد اعتمد عليهم الملك الآشوري آشور بانيبال في حفر قنوات الري لإرواء المناطق الزراعية الجديدة وغرس الحدائق⁽⁷⁾.

كما أدخلت أعداد كبيرة من أسرى الحروب ضمن تشكيلات الجيش الآشوري وخاصة في العهد السرجوني فقد جاء على لسان الملك سرجون ما يلي: " أنا سرجون حاصرت وقهرت السامرة، وأخذت منهم ٢٧٢٩٠ أسير وشكلت وحدة قوامها (٥٠) من راكبي العربات الى الحرس الملكي، أما البقية فقسموا حسب مهاراته⁽⁸⁾.

معاملة الأسرى من قبل الملوك في العراق القديم مقارنة مع البلدان والممالك المجاورة لهم آنذاك.

(١) اكرم، الزبياري، نص مسماري غير منشور للملك سنحاريب، مجلة بين النهرين، ١٩٨٨، السنة 13، ع ٦٣ – 64، ص: ١٥٠.

(٢) حمد حمودي، حسين، التحصينات الدفاعية في العاصمة الآشورية في ضوء تحصينات مدينة نينوى، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب – جامعة الموصل، 1990، ص: 49.

(٣) الروح، العبيد، ص: ٣٨.

(٤) الروح، العبيد، ص: ٣٨ وانظر: محمد صبيح، عبدالله، العلاقات العراقية المصرية في العصور القديمة، (بغداد: 1998)، ط ١، ص: ٤١ وما بعدها.

(٥) الزبياري، نص مسماري، ص: ١٥٠.

(٦) سليمان، منطقة الموصل خلال الالف الاول ق. م، ص: ١٠٣.

(٧) الروح، العبيد، ص: ٤١.

(٨) Luckenbill, D. D, op. cit, Vol. 2, p. 269.

مما لا شك فيه أن الحكام والملوك في العراق القديم وخاصة الآشوريين كانوا قساة عند معاقبتهم لزعماء التمرد والعصيان والخارجين عن سلطتهم إلا أن معاقبتهم وتعذيبهم لم يكن لمجرد الانتقام ولكنه التحذير وتهديد المتمردين ولأن ضم الأراضي لم يكن هدف الملوك الآشوريين الرئيسي وإنما كان مهمهم فرض السيطرة السياسية على أرض الأعداء⁽¹⁾. فمن خلال دراسة وتفحص العديد من النصوص الملكية فقد توضح أن الملوك وخاصة الآشوريين كانوا يطلقون سراح الأسرى في كثير من الأحيان ويعيدوهم إلى بلادهم، جاء في نص أحد الرسائل التي وجهها أدد - شم - أصر إلى الملك الآشوري ما يلي: (... أولئك الذين كانوا أسرى خلال عدة سنوات أعدتهم أنت إلى بلدانهم)⁽²⁾. وحتى في خطة كونهم من الحكام والأمراء الذين أعلنوا تمردهم وعصيانهم ففي كثير من الأحيان كان يطلق سراحهم والأمثلة كثيرة فمثلاً أعاد الملك آشور بانيبال أحد والأمراء المصريين المتمردين وفي مقدمتهم نيخو الذين كانوا قد أرسلوا إلى العاصمة نينوى وهم مقيدون، إلا أنه كرمهم وحملهم بالهدايا وأعادهم إلى بلادهم ومناصبهم⁽³⁾.

مما سبق يتبين بان وضع الأسرى في العراق القديم كان أحسن حالا من وضع الأسرى في البلدان والممالك المجاورة لهم، فهناك الجرائم التي ارتكبتها اليهود بحق الأسرى، حيث كانوا يقتلون الأسرى من الرجال، ويقتلون نساءهم وأطفالهم على شكل مذابح كالتى حدثت في عهد (ياهو بن يهوشافاط) عندما أفني شعب بأكملهم⁽⁴⁾، وكل المناطق التي يستولون على أموالهم وممتلكاتهم ويتلفون مزارعهم وهذا ما كانوا يفعلونه في جميع المناطق التي يستولون عليها أثناء الحرب⁽⁵⁾.

وفي مصر الفرعونية، صورت مشاهد الحرب في معابد الأقصر والكرنك ومنها مشاهد ذبح الأسرى في المعركة وهم يعانون من سكرات الموت وقسوة الاحتضار بالإضافة إلى مشاهد ذبح الأسرى أمام الآلهة أمون، إلى جانب المشاهد التي تمثل عملية سوق الأسرى حيث لم يكونوا يفرقون بين النساء والأطفال وبين الرجال عند سوقهم من مناطقهم قد كانوا يوثقون أيدي الجميع دونما تمييز وهذا ما يظهره أحد النصوص الذي يعود إلى الملك رمسيس الثالث ١١٨٢ ق . م جاء فيه ما يلي: (اعتقلت قاداتهم في حصن تحمل أسمي ووليت عليهم ضابطا ورؤساء قبائل واعتبرتهم عبيدا مدموغين باسمي وعومل نساؤهم وأطفالهم نفس المعاملة ووهبت قطعانهم إلى دار أمون ...) ⁽⁶⁾.

ثم صورت ساحة المعركة بعد انتهائها قفرا موحشا حيث اجتثت الحرب أهلها من فوق الأرض، كما اجتثت شجرها سواء بسواء وكان الفرس يعاملون الأسرى أكثر تعاسة أيضا، أما الرومان فكانوا يقيمون

(1) Saggs, H. W. F., Assyrian Warfare in Sargonid Period, Iraq, XXV, (1963), p. 150.

(2) Pfeiffer, R. op-cit, 20.

(3) وليد محمد صالح، فرحان ، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، (جامعة بغداد: 1976)، ص 134.

(4) نجيب ميخائيل، إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، (سورية: د. ت)، ص 60.

(5) خاشع، المعاضبي، الأسرى في التاريخ الإسلامي (عصر الرسالة)، مجلة كلية المأمون الجامعة، ٢٠٠٢، ع ٨، ص ٢٩٣.

(6) عبد العزيز، صالح ، الشرق الأدنى القديم، ج 1، مصر والعراق، (القاهرة: 1967)، ص 239.

في ملاعهم المشهورة (امفنيثياتر) الاحتفالات الكثيرة التي يحضرها النساء والشيوخ والأطفال ليستمتعوا بمشاهدة الأسرى وهم يقتلون بعضهم البعض او تفتريهم الوحوش الضارية ⁽¹⁾ .

حماية حقوق الأسرى في بلاد وادي الرافدين

لقد حرص الملوك والحكام في بلاد الرافدين على ضمان حقوق مقاتليهم او جنودهم الذين وقعوا في اسر الاعداء من خلال سن العديد من الأحكام والمواد القانونية التي عالجت امور الأسرى للحفاظ على حقوقهم وممتلكاتهم ، اما بخصوص المواد القانونية ، التي عالجت قضايا تتعلق بأسرى الحرب، المادة التاسعة والعشرون من قانون اشنونا ، جاء فيها : اذا اعتبر رجل ما (اسيرا) خلال غارة او غزو ، او تم اقتياده بالقوة (ثم) (اوطن) في بلد اخر (مدة) طويلة ، وتزوج رجل اخر من زوجته ، ثم حملت بابتن ، فمتى ما عاد يمكن ان يعود الى زوجته

ومن بين المواد القانونية المادة (32) من قانون حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق . م) التي عالجت قضية الأسير وتقتصر الأسباب الكفيلة بإطلاق سراحه ، ويظهر من نص هذه المادة أن جنديا من صنف (الريدوم) اي (المشاة) و (البانيروم) أي (القناص) وقع في الأسر عند العدو وان تاجرا من أهل بلاده اشتراه من سيده ، كان على الجندي بعد وصوله الى مدينته أن ينفع من ماله الخاص للتاجر ثمن فديته ، واذا لم يكن عنده في بيته ما يفدي به نفسه كان على معبد المدينة ان يتكفل بدفع الفدية وذا لم يجد المعبد المال اللازم لدفع الفدية فان على القصر الملكي في هذه الحالة دفعها . وينطبق الأمر نفسه على المملكة الآشورية التي ضمنت حقوق المقاتلين الآشوريين الذي يقع في الأسر حيث أخذت على عاتقها نفع لقبة لفك الأسرى من المقلين الآشوريين الذين تم أسرهم أثناء الحروب حيث ورد في أحد الرسائل الآشورية التي تشير الى الأسرى الآشوريين الذين أسرهم العيلاميون ما يلي: (دفعنا عنهم الفدية وتم تهيئة ملابس جديدة لهم ليكونوا على استعداد للمثول أمام حضرة الملك). كما حفظت القوانين العراقية للأسير حقوقه منها استرجاع الأرض المقطوعة له في حالة عودته من الأسر اذ نصت المادة (٢٧) من قانون حمورابي انه: (اذا ما أخذ (الريدوم) او (البانيروم) أسيرا ولن حقله او بستانه أعطى فيما بعد لشخص آخر ليقوم بتأدية التزاماته الاقطاعية فاذا ما عاد ووصل مدينته فسوف يعاد له حقله وسوف يقوم هو بنفسه بتأدية التزاماته الاقطاعية) . أما اذا كان للأسير ابن فادر على الايفاء بالتزامات الاقطاعية الدولة عندئذ يحق له الاحتفاظ بالأرض نيابة عن أبيه، اذ تنص المادة (٢٧) قانون حمورابي : (اذا ما وقع كل من (الريدوم) في (البانيروم) في الأسر حصن للملك فاذا كان له ولد قادر على تأدية التزاماته الاقطاعية فسوف يعطى له حقله وبستانه و يقوم بتأدية ، التزامات أبيه) ⁽²⁾ .

وبالنسبة لزوجة الأسير فقد منحها القانون الحق بالاحتفاظ بالأرض المقطوعة لزوجها فالمادة (45) من القانون الآشوري الوسيط لوح (أ) تذكر أن ملكية الأرض للجندي الأسير تبقى بحوزة زوجته لمدة سنتين وذلك من أجل اعالتها في حالة عدم وجود معيل لها عم أو لبن يرث ملكية أبيه ويقوم على خدمتها حيث انها تتقدم وتصرح بذلك للقضاة الذين يقومون بتكليف محافظ (رئيس) المدينة أو القرية التي تعود اليها تلك الأملاك بتأجيرها في شخص آخر وإعطاء مردودها المادي للزوجة لأجل اعالتها لكن اذا عاد الأسير فله حق المطالبة براضه وزوجته كما يفهم من هذه المادة التي

(١) عبد العزيز ، الشرق الأدنى القديم ، ص: ٢٣٩ .

(٢) فاضل عبدالواحد ، علي ، القانون البابلي احكامه في قضايا التجنيد والاسرة ، مجلة بين النهرين ، ١٩٨٨ ، ع 63-64 ، ص: ١٧٠ .

نصت ان الشخص الذي تزوجته للملك الحق في التصرف بها ومنحها له بالقول : (.. أما إذا كان زوجها قد التزم حقلا وبيتا في مدينة فعلها أن تتقدم وتصرح للقضاة قائلة: لا أملك شيئا كله " فعلى القضاة أن يستعلموا من رئيس المدينة ومن شيوخها بخصوص التزام زوجها للحفل في تلك المدينة وبعد ذلك عليهم ان يستملكو الحقل والبيت اعانة لها مدة سنتين ويعطوا (اجارهما) لها. وعليها أن تسكن. البيت والحقل) بعد أن يكتبوا لها بذلك رقيما ، وعليها أن تنتظر مدة سنتين كاملتين ، بعدها يمكنها أن تعاشر الرجل الذي ترضيه ، وعندما يكتبوا (باعتبارها أصبحت أرملة او اذا عاد بعد ذلك زوجها المفقود الى بلده فيحق له استرجاع زوجته التي تزوجت من غيره ولكن لا يحق له المطالبة بالأولاد الذين أنجبهم من زوجها لثاني يأخذهم والدهم أما الحقل والدار اللذان أخذنا منه واستأجرا لصالحها (أي أعطى لصالح الزوجة) بثمن كامل ، فاذا لم يعد في خدمة جيش الملك فعليه أن يدفع نفس الثمن ويستعيدهما واذا لم يرجع ومات في بلد آخر فللملك الحق بان يهب بيته ولمن يشاء⁽¹⁾

الخاتمة

أجاد الحكام والملوك في العراق القديم في تسخير القوى البشرية الهائلة لمجاميع الأسرى من مختلف الأقاليم والمقاطعات التي تمت السيطرة عليها ، في مختلف المجالات كمشاريع البناء ونقل الثيران المجنحة وكان لهم دور في بناء العواصم والبوابات الأشورية وإقامة السدود وقنوات الري واستصلاح الأراضي لزراعتها وتحقيق أعلى نسبة من المنتج للزراعة وانتعاش الاقتصاد ، وتبين أن أساليب القسوة والشدة وقتل الأسرى التي صورت على المنحوتات والمحلات الأشورية كانت على الأغلب لأغراض إعلامية ودعائية لغرض بث الرعب وتخويف الأعداء لأن وضعهم في بلاد آشور كان أحسن من أقرانهم في بقية البلدان والممالك المجاورة لهم أنداك حيث تفاخر الملوك الآشوريين بالأسرى اصحاب المهن والحرف وكانوا يقسمونهم حسب مهاراتهم وفي اغلب الاحيان كانوا يعمدون الى اطلاق سراحهم واعادتهم الى بلدانهم.

المصادر والمراجع

- ابن منظور ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (1955) لسان العرب ، المجلد الرابع ، بيروت
- أكرم، الزبياري، (١٩٨٨) " نص مسماري غير منشور للملك سنحاريب " ، بين النهرين ، السنة ١٣ ، العدد 64-63 ..
- انطوان، مورتكات، (١٩٧٥) الفن في العراق القديم ، ترجمة وتعليق : عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، بغداد.
- جماعة من علماء الآثار السوفييت، 1986 العراق القديم ، ط ٢ ، بغداد
- حسين، ظاهر حمود ، 1995 التجارة في العصر البابلي القديم ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل

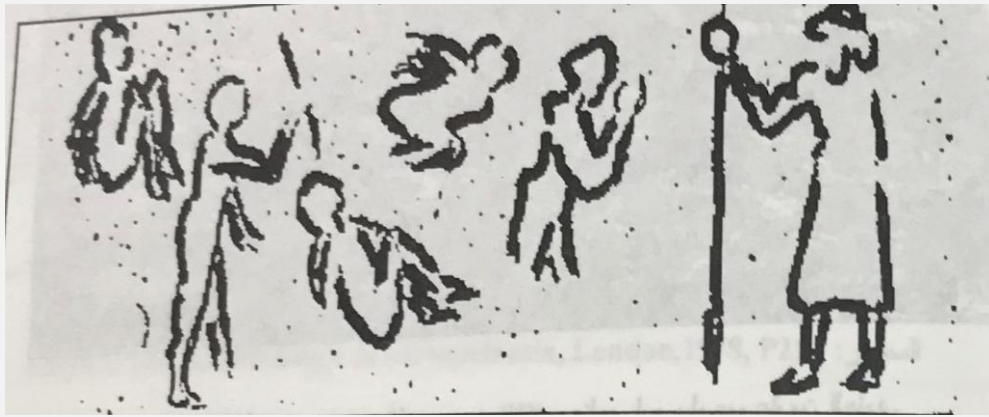
(١) فوزي ، رشيد، الشرائع العراقية القديمة، (بغداد: ١٩٧١) ط ١ ، ص: ١٢٣ - 124. وانظر: سليمان، القانون، المصدر السابق، ص 234-235. وللمزيد من المعلومات انظر: سامي، جاسم، ملكية الأراضي في العصور الآشورية رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٠، ص: ٥٢ .

- حمد حمودي، حسين، 1990 "التحصينات الدفاعية في العاصمة الآشورية في ضوء تحصينات مدينة نينوى"، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الموصل.
- حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر (604 – 562 ق. م) ١٩٨٣، بغداد.
- خاشع، المعاضيدي، (٢٠٠٢) الأسرى في التاريخ الإسلامي (عصر الرسالة)، مجلة كلية المأمون الجامعة، ع ٨،
- ساكر، هاري، اشور، ١٩٩٩ ترجمة: د. عامر سليمان، بغداد، مطبعة المجمع العلمي.
- سامي، صفوان جاسم، (٢٠٠١) ملكية الأراضي في العصور الآشورية رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الموصل،.
- سليمان، عامر ١٩٩١ منطقة الموصل خلال الألف الأول ق. م، موسوعة الموصل الحضارية ص 103.
- شيبان ثابت، الراوي، 1986 "اشور ناصربال الثاني ٨٨٣-٨٥٩ ق. م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة بغداد.
- شيت ازهار، هاشم، (٢٠٠٠) "الدعاية والاعلام في العصر الآشوري الحديث، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة الموصل،
- شيت أزهار هاشم، 1996 علاقة بلاد آشور مع بلاد الأناضول خلال الألفين الثاني والاول ق.م رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الموصل،
- صالح حسين، الروح، (١٩٧٧) العبيد في العراق القديم، مطبعة اوفسيت الميناء، (بغداد، .
- طه، باقر، 1986 مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، ط 2، (بغداد).
- عامر، سليمان، (١٩٩١) الآثار الباقية، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد 1،.
- عامر، سليمان، (١٩٩١) منطقة الموصل خلال الألف الأول ق.م، موسوعة الموصل الحضارية، مجلد ١، .
- عامر، سليمان، (1977) لقانون في العراق القديم، موصل، .
- عبد العزيز، صالح، 1967 الشرق الأدنى القديم، ج ١، مصر والعراق (القاهرة .
- علي ياسين، الجبوري، (١٩٩١) "الادارة موسوعة الموصل الحضارية، مجلد ١
- فاضل عبد الواحد، علي، (١٩٨٨) "القانون البابلي أحكامه في قضايا التجنيد والأسر، مجلة النهرين، ع 63-64، .
- فوزي، رشيد، (١٩٧١) الشرائع العراقية القديمة، (بغداد، ،
- قاسم، محمد علي، 1983 سرجون الاشوري (-705 ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الموصل،
- نجيب ميخائيل، ابراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ج، (سورية، د.ت)، ص 60.
- وليد محمد صالح، فرحان، 1976 العلاقات السياسية للدولة الآشورية، رسالة موسم مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد.
- يوسف، خلف عبد الله، (١٩٧٧) الجيش والاسلح في العهد الآشوري الحديث 911-612 ق. م : رسالة ماجستير منشورة، ط 1 .

- مجيد كوركيس، يوحنا، (١٩٨٣) الفارس الأشوري في النحت البارز ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، .

- Driver , G.R.and Miles , J.C . , The Babylonian Laws . Vol.2 , (Oxford ,1960) .
- Larsen, M.t., The Conquest of Assyria, (London, 1996.
- Luckenbill, D. D. , Ancient Records of Assyria and Babylonia , Chicago , 1927) , Vol . 2 ,
- Pfeiffer, R. Sate Letters of Assyria, (New Haven, 1967) ,
- Pritchard , J. B. Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament , (1950)
- Sages . H.W.F. , " Assyrian Warfare in Sargonid Period " , Iraq , XXV . (1963)
- Wisemen, D. J. Some Egyptians in in Babylonia, Iraq, Vol. 1960

شكل رقم (١) طبعة ختم من الوركاء لأسرى وهم جالسين القرفصاء وايديهم مشدودة الى الوراء



المصدر أنطوان مورتكات، الفن في العراق القديم ص ٤١، اللوح ٩.٣

شكل (٢) شعار مدينة اور يظهر في أحد افاريزه صورة لأسرى وهم عراة ومقيدين ويساقون على يد جنود



شكل (٣): جزء من مسلة سرجون الاكدي يظهر اسره لمجموعة من الجنود



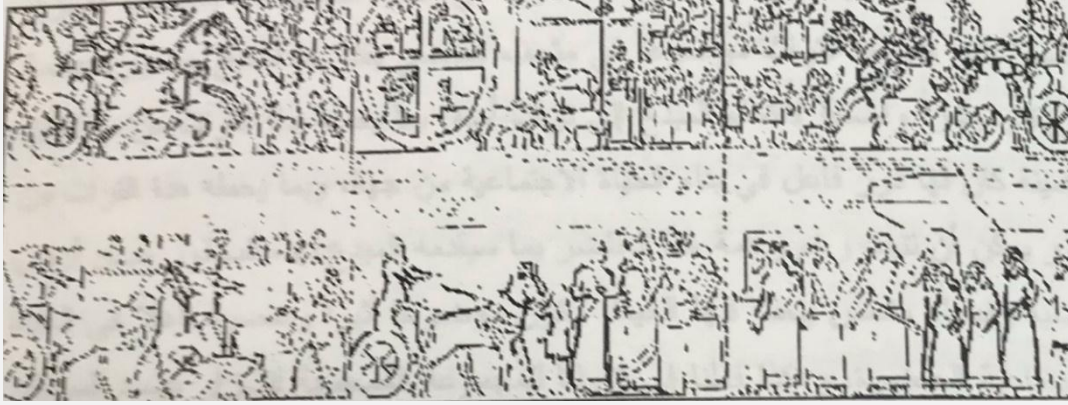
شكل (٤): مشاهد من البوابة البرونزية تظهر عدد من الاسرى



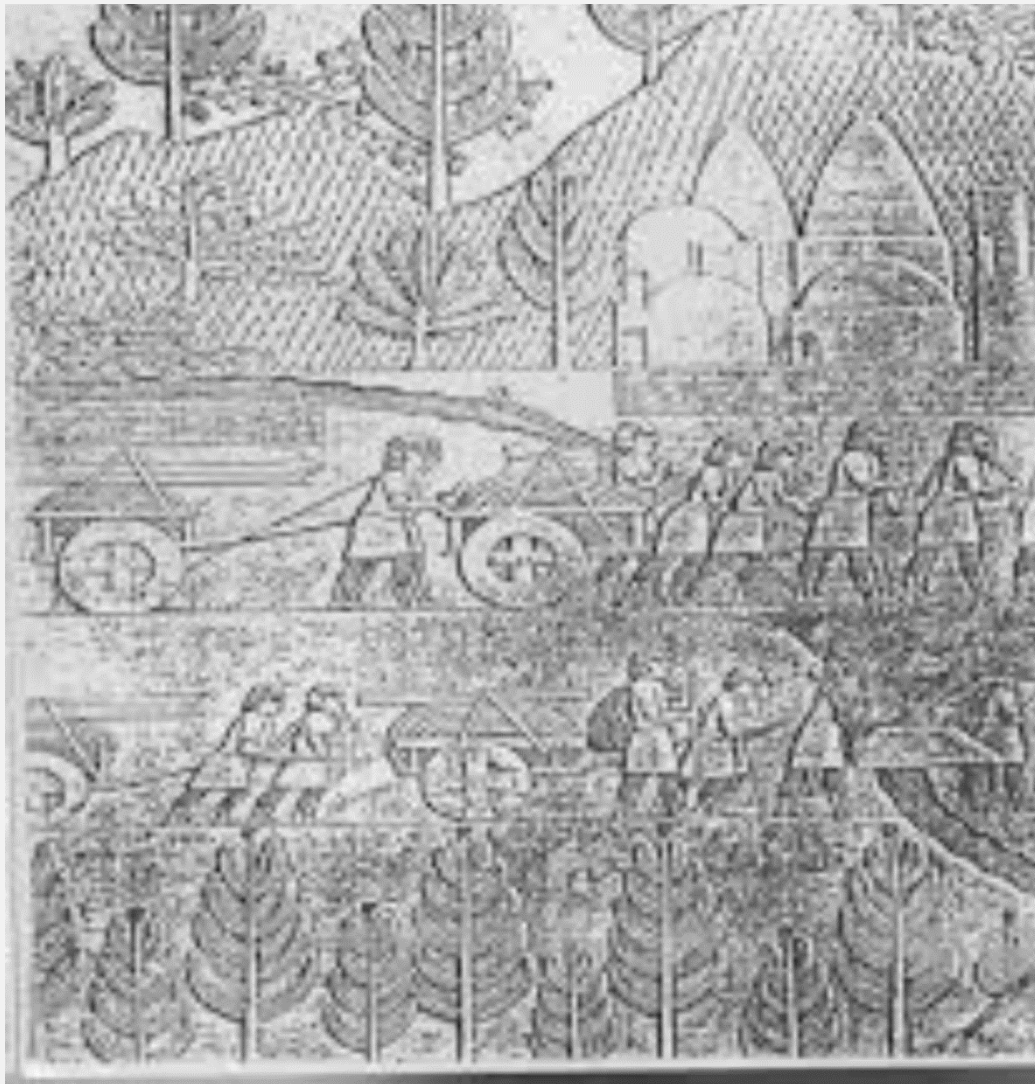
شكل (٥): حصار لأجيش ويظهر فيها الاسرى وهم يعلنون الخضوع



شكل (٦): مشاهد تظهر الملك الاشوري اشور ناصربال الثاني في عربته الحربية ويظهر امامه الاسرى



شكل (٧): استخدامات الاسرى في مشاريع البناء ونقل الثيران المجنحة



حلف الناتو بين دواعي البقاء ومؤشرات التفكك

صريح صالح القاز: مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة- صنعاء - 2022م.

sareeh22777@gmail.com

الملخص

يهدف البحث بإيجاز إلى استعراض الظرف الذي نشأ فيه حلف شمال الأطلسي "الناتو" من حيث عقيدة الحلف العسكرية، ونوع التهديدات لأعضائه، وما آلت إليه تطورات البيئتين الإقليمية والدولية عقب الحرب الباردة من تحول في استراتيجية الحلف الدفاعية داخل أوروبا إلى هجومية (استباقية - إدارة أزمات - وقائية) خارجها مع التطرق إلى تذبذب العلاقة بين الأعضاء وتوضيح مدى تأثير توافقهم وتباينهم على بقاء الحلف أو تفككه.

وتأتي أهمية الموضوع من كونه يتناول حلف الناتو في خضم حراك عالمي استثنائي عسكرياً، وسياسياً، واقتصادياً منذ الحرب العالمية الثانية أهمه الغزو العسكري الروسي لجمهورية أوكرانيا الشعبية.

ويسعى البحث إلى الإجابة على التساؤل الآتي: هل تؤدي التطورات الدولية السابقة، والراهنة على الساحتين الإقليمية والدولية إلى بقاء حلف الناتو أم إلى تفككه؟

وقد وضع الباحث افتراضين:

1- إن زيادة الهيمنة الأمريكية على الحلف تؤدي إلى تفككه.

2- كلما تعاظمت التهديدات الخارجية للحلف كلما زاد تماسكه.

وقد اعتمدنا على المنهج المؤسسي، ومنهج دراسة الحالة لتناول البحث في ثلاثة مباحث تناول الأول ظروف نشأة الحلف، وتناول الثاني دواعي بقاء الحلف، فيما تناول الثالث التباينات بين أعضاء الحلف، وانتهى بالخاتمة، وقائمة المصادر.

الكلمات المفتاحية: حلف الناتو "NATO" - دواعي البقاء - مؤشرات - تفكك.

NATO: between survival and indicators of disintegration

Abstract

This article reviews the circumstance in which the North Atlantic Treaty Organization "NATO" emerged in terms of the alliance's military doctrine, the type of threats to its members, and the developments in the regional and international environments after the Cold War from a shift in the alliance's defensive strategy within Europe, to an offensive (proactive - preventive) outside its zone. Add to that addressing the fluctuation of the relationship between members and clarifying the impact of their compatibility and divergence on the survival or disintegration of the alliance.

The importance of the topic comes from the fact that it deals with NATO, amid an unusual global movement, militarily, politically, and economically, since World War II, the most important of which is the Russian military invasion of the People's Republic of Ukraine.

The researcher made two assumptions:

- 1-The increase of American hegemony over the alliance leads to its disintegration.
- 2-The more significant the external threats to the alliance, the more cohesion it will be.

We have relied on the institutional approach and the case study approach to study the research, in three sections, the first dealt with the circumstances of the emergence of the alliance, and the second dealt with the reasons for the survival of the alliance, while the third dealt with the differences between the members of the alliance, It closed with a conclusion and the reference list

Keywords: NATO - justifications - survival - indicators - disintegration.

المقدمة

يعتبر حلف شمال الأطلسي "الناتو" أقوى وأهم التحالفات العسكرية التي تشكلت عقب الحرب العالمية الثانية، ومرد ذلك إلى طبيعة هيكله المؤسسي، وإلى التقارب الجيوبوليتيكي بين أعضائه، وعدائهم المشترك للاتحاد السوفييتي، وإلى ضخامة مقدراتهم، وإمكاناتهم العسكرية، والاقتصادية والسياسية، وفي طليعتها الأسلحة النووية، والعضوية الدائمة "الفيتو" اللتان تمتلكهما ثلاث دول من أعضائه (فرنسا- أمريكا - بريطانيا).

وكان لتداخل المصالح وتقاطعها حيناً، والتقاءها حيناً آخر بين أمريكا، وأوروبا، وتحديداً الدول مزدوجة العضوية بين حلف الناتو، والاتحاد الأوروبي انعكاسات سلبية على طبيعة العلاقة بينها حول مسائل كثيرة أبرزها قيادة الحلف وتوسيع العضوية، والإنفاق، وأولويات المهام والعدايات القائمة والمحتملة.

وتفاقت التباينات إلى حدٍ ما عقب نهاية الحرب الباردة 1991م، وهي الفترة التي شهدت تهوراً عسكرياً لحلف الناتو بقيادة أمريكا للسيطرة على العالم، وهندسته عسكرياً، واقتصادياً، وسياسياً وفق المزاج الأمريكي- الرأسمالي على أنقاض الاتحاد السوفييتي، وأيدولوجيته الشيوعية المتوارثة، والتدخل في سيادة دولها، وحقوق شعوبها تحت عناوين متعددة (الإرهاب - الأقليات - الديمقراطية.....الخ)، وهكذا استمر الحال حتى الغزو الروسي لأوكرانيا 2022م، ليعيد لأمريكا والغرب ذكريات الاتحاد السوفييتي في أوج قوته العالمية.

إشكالية البحث

تتمثل إشكالية البحث في التساؤل التالي:

هل تؤدي التطورات الدولية السابقة والراهنة على الساحتين الإقليمية والدولية إلى بقاء حلف الناتو أم إلى تفككه؟

افتراضات البحث

- 1- إن زيادة الهيمنة الأمريكية على الحلف تؤدي إلى تفككه.
- 2- كلما تعاظمت التهديدات الخارجية للحلف كلما زاد تماسكه.

منهج البحث

تم الاعتماد على المنهج المؤسسي، ومنهج دراسة الحالة لتناول البحث.

المبحث الأول: ظروف نشأة الحلف

لم تكن معاهدة شمال الأطلسي هي المعاهدة الأولى وليست فكرتها هي الفكرة الأوروبية الأولى في سياق ضرورة وجود كيان عسكري يحمي دول أوروبا الديمقراطية من التهديدات المتوقعة من داخل القارة ومن خارجها، وقد بدأت الفكرة تطرق أذهان عدد من قادة أوروبا السياسيين، والعسكريين في فترات متقطعة منذ التوقيع على معاهدة "وستفاليا" 1648م، ولكنها حضرت بقوة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، وما خلفته من مآسٍ وجرائم إنسانية ومادية، وما أفرزته من أيديولوجيات متناقضة فبعد أن انتصرت دول الحلفاء بقيادة (أمريكا-بريطانيا-فرنسا) على دول المحور بقيادة (ألمانيا-إيطاليا)، وقضت على الأيديولوجيتين النازية الألمانية، والفاشية الإيطالية، انتاب الدول الأوروبية في شرق أوروبا وغربها القلق من الأيديولوجية الشيوعية - التوسعية لحليفها السابق في مواجهة النازية، والفاشية الاتحاد السوفييتي، الذي بدأ يتوسّع عسكرياً أثناء الحرب في دول البلطيق وبعدها داخل بلدان شرق أوروبا⁽¹⁾ كقوة جديدة تقود حرباً جديدة عُرفت بالحرب الباردة مما دفع الجارتين بريطانيا وفرنسا إلى توقيع معاهدة دفاع مشترك عُرفت بمعاهدة "دونكيرك" في 4 مارس 1947م لمواجهة أي خطر من ألمانيا أو الاتحاد السوفييتي، وبما أن هذه المعاهدة لم تأمن المخاوف المختلفة للدولتين خاصة مع تسارع الأحداث، وتطورها في المنطقة لغير صالح دول أوروبا قررت عدد من دول أوروبا توسيع دائرة التحالف، وانخرطت في معاهدة "بروكسل" التي تم توقيعها في 17 مارس 1948م بين بلجيكا، وفرنسا، ولوكسمبورغ، وهولندا، والمملكة المتحدة، كامتداد لمعاهدة "دونكيرك". وبما أن هذه الاتفاقية بين دول من غرب أوروبا، وليس من ضمنها ألمانيا فإن الاتحاد السوفييتي يكون قادراً على مهاجمتها من وسط أوروبا عبر ألمانيا، وقد أدى الحصار السوفييتي لبرلين في عام 1948م، بالفعل إلى إظهار ضعف أطراف المعاهدة من الناحية العسكرية وعلى عدم قدرتها على مواجهة القوة العسكرية للاتحاد السوفييتي بالإضافة إلى انقلاب تشيكوسلوفاكيا 1948م من قبل الشيوعيين الذي أطاح بالحكومة الديمقراطية، وإلى قلق الولايات المتحدة حول إيطاليا من نفوذ الحزب الشيوعي الإيطالي فيها⁽²⁾.

لقد تيقن حينذاك قادة أوروبا أن التهديد الروسي العسكري- الشيوعي أكبر من أن تواجهه الدول الأوروبية وأن ردع الاتحاد السوفييتي، وأطماع قيادته داخل أوروبا، وخارجها عبر دعمه لحركات التحرر الوطني، والقومي في بلدان العالم الثالث يقتضي تحالف دفاع مشترك، سياسي، وعسكري يشمل حلفاء الحرب العالمية الثانية بما فيهم الولايات المتحدة الأمريكية. وبدأ في عام 1948م التشاور الأوروبي مع مسؤولين عسكريين ودبلوماسيين في البنتاغون بناءً على أوامر وزير الخارجية الأمريكي "جورج سي مارشال" وأسفرت المحادثات عن تشكيل تحالف عسكري جديد، وتوقيع معاهدة حلف "شمال الأطلسي" التي وقّع عليها الرئيس الأمريكي "هاري ترومان" في واشنطن العاصمة في 4 أبريل 1949م وشملت المعاهدة الخماسية لدول "بروكسل" بالإضافة إلى الولايات المتحدة، وكندا، والبرتغال، وإيطاليا،

(1) لخميسي شبي، دراسة شاملة لمنظمة حلف شمال الأطلسي، (النشأة، المهام، المبادئ والاهداف) 2018م، <https://www.politics-dz.com>، تاريخ الاطلاع 1 فبراير، 2022م.

(2) نشأة، ومبادئ، وأهداف حلف شمال الأطلسي "الناتو"، <http://www.ALmoqatel.com>، تاريخ الاطلاع 10 مارس، 2022م.

والنرويج، والدنمارك، وأيسلندا، وقد ذكر الأمين العام الأول للناتو "اللورد إسماي" في عام 1949م أن هدف المنظمة هو "إبقاء الروس خارجاً، والأمريكيين داخلاً، وإسقاط الألمان". ويمكن النظر إلى إنشاء منظمة حلف شمال الأطلسي باعتبارها النتيجة المؤسسية الرئيسية لمدرسة الفكر الأطلسية، والتي شددت على أهمية التعاون الأطلسي⁽¹⁾

وجسّدت معاهدة "شمال الأطلسي" الخوف المشترك الذي سكن أمريكا ودول أوروبا، من النفوذ المتنامي للاتحاد السوفييتي، عسكرياً، وفكرياً، واقتصادياً في المنطقة، والعالم خاصة بعد أن نصّ ميثاق منظمة الأمم المتحدة عام 1945م على حق الفيتو (VETO) التي قد يستغله الاتحاد السوفييتي كغطاء لتحقيق أهدافه والدولتان الاستعماريتان الكبيران، بريطانيا، وفرنسا، اللتان كانتا تتقاسمان ذات يوم العالم بما فيه أمريكا لو كانتا قادرتين على درء الفكر الشيوعي وبناء اقتصادهما المدّمّر بمعزل عن أمريكا، لما قبلتا بنفوذ أمريكي في أوروبا من أي نوع، أو التحالف معها تحت أي مسمى. لكنها الحاجة والغاية التي عبّر عنها المفكر الإيطالي "نيكولو مكيافيلي" في كتابه الأمير بقوله "الغاية تبرّر الوسيلة" فحاجة أوروبا المستمرة لأمريكا، عسكرياً، واقتصادياً، وسياسياً، إبّان الحربين العالميتين الأولى والثانية، وإعادة إعمار أوروبا خلال الحرب الباردة "مشروع مارشال" الأمريكي جعل أمريكا دائنة، وأوروبا مدينة، ومن ثم أصبح تمركزها عسكرياً داخل بلدان أوروبا، ضرورةً للدفاع عن مصالحها، ومصالح حلفائها الذين لا يستطيعون الفكك عنها بحكم العدو الروسي المشترك لهما، وكذا النمط الرأسمالي، والديمقراطية اللذان يجمعانها⁽²⁾.

المبحث الثاني: دواعي بقاء الحلف

على الرغم من وجود تباينات بين أعضاء الحلف قد تهدد في بعض الأحيان تماسك الحلف ووحدته إلا أن هناك تهديدات، ومخاوف، ومصالح مشتركة، وغير مشتركة يدركها ويستشعرها أعضاء الحلف مجتمعين، ومنفردين، وتجعلهم يمتصّون خلافاتهم الثانوية في سبيل ديمومة الحلف لمواجهة ما هو أهم وأعظم.

1- التهديد الروسي

يعتبر الصراع بين الشرق بقيادة الاتحاد السوفييتي، والغرب بقيادة الولايات المتحدة من أهم الصراعات العسكرية، والفكرية، والاقتصادية، والسياسية، منذ خمسينيات القرن العشرين وحتى اليوم، وما تأسيس كل من حلف شمال الأطلسي عام 1949م كقوة عسكرية غربية، وحلف "وارسو" عام 1955م كقوة عسكرية شرقية، إلا دليل على حجم العداء واستمراره بين المعسكرين العالميين الشرقي، والغربي اللذين خاضا حرباً سميت بالحرب الباردة والذي انتهت بتفكك الاتحاد السوفييتي رسمياً عام 1991م.

ولم يكن تفكك الاتحاد هو الحل أو النهاية لهذا الصراع بل ظل قائماً في أكثر من منطقة، وحول أكثر من قضية مع تراجعها إلى حدٍّ ما خلال فترة تسعينيات القرن الماضي بسبب الوهن الذي أصاب الاتحاد في كل المجالات جراء تفككه، ومع صعود الرئيس "بوتين" إلى السلطة عام 2000م عاد الصراع بقوة في ملفات عديدة، ويتبيّن من خلال

(1) ميشال نعمه - رامي حسيب، حلف شمال الأطلسي أي دور بعد التفكك السوفييتي؟ بيروت، مجلة الجيش اللبناني، العدد 24 أبريل، 1998م. <https://www.lebarmy.gov.lb/content> تاريخ الدخول 8 فبراير، 2022م.

(2) وليد محمود أحمد، إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية للأمن الأوروبي، بعد الحرب الباردة، العراق، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد 39، 2018م. ص 201، 202.

الاستراتيجيات التي وضعها بوتين، وإدارته أنهم عازمون على استعادة مجد، ونفوذ الاتحاد السوفييتي ومكانته الإقليمية، والعالمية وعلى وجه التحديد داخل مجاله الحيوي الجغرافي في دول البلطيق، وشرق أوروبا، وآسيا الوسطى التي كانت ضمن الاتحاد قبل تفككه وهي المناطق والبلدان، التي أعادت أمريكا، وحلفاؤها الأوروبيون هندستها بما يخدم مصالحهم وأجندتهم في المنطقة⁽¹⁾.

وكما هو معروف أن أمريكا ركزت على هذه البلدان وأولتها أهمية قصوى لكي تبعدها عن كل ما يربطها بروسيا، حيث شرعت في ضمّ عدد منها إلى عضوية حلف الناتو، ونصبت عدداً من القواعد العسكرية والصواريخ الاستراتيجية فيها، وتبنّت فيها نهجاً اقتصادياً رأسمالياً بضمها إلى الاتحاد الأوروبي، وإدخال إصلاحات ليبرالية مختلفة، وخطوات كهذه جعلت من هذه الدول مصدر خطر دائم يهدد روسيا، ومصالحها القومية في عقر دارها مما دفعها إلى مواجهة هذه التدابير بتدابير مضادة تهدف إلى تعزيز وحماية أمنها القومي، ورأت أن تمددتها التدريجي عسكرياً، واقتصادياً، وسياسياً في دول محيطها الجغرافي التي كانت سابقاً ضمن الاتحاد السوفييتي، ومنظومته الشيوعية⁽²⁾. أمر لا بد منه لأن هذه البلدان والشعوب حسب- قيادة وشعب روسيا- هي جزء من روسيا عبر التاريخ، وترتبط معها جيو ثقافياً، وديمغرافياً، وكانت الخطوة الروسية بضم شبه جزيرة "القرم" إلى الاتحاد الروسي عام 2014م، والتدخل العسكري الروسي لدعم انفصال إقليم "أوسيتيا" الموالي لها عن جورجيا عام 2004م بمثابة تدشين لبداية عصر روسي جديد تعود روسيا خلاله إلى سابق عهدها القوي كقوة عظمى ذات وزن عسكري، وسياسي تستعيد فيه موقعها العالمي، وتعيد رسم الخارطة السياسية العالمية، وتعود إليها دولها التي بعثتها تفكك الاتحاد السوفييتي عودة الفرع إلى الأصل⁽³⁾.

وإثر هذا التحرك الروسي عاد الشعور بالخطر مجدداً يخيم على أمريكا وحلفائها الذين تأكد لهم طموح روسيا وما ترمي إليه في الحاضر، والمستقبل مع احتمال دخولها في تحالف عسكري مع رابطة الدولة المستقلة "CIS" في شرق أوروبا، ووسط آسيا المكونة من 12 جمهورية سوفييتية سابقة ومقرها في مينسك عاصمة روسيا البيضاء وتتكون من "روسيا، وبيلاروسيا، وأوكرانيا، ومولدوفا، وجورجيا، وأرمينيا وأذربيجان، وتركمانستان، وأوزبكستان وكازاخستان، وطاجيكستان، وقرغيزستان" وجاء رفض روسيا الرسمي الصريح مؤخراً لانضمام أوكرانيا أو أي من دول المنطقة إلى حلف الناتو متزامناً مع تصريحات لأمين عام الناتو، وآخرين باقتراب قبول أوكرانيا، وهو ما دفع الأولى بادئ ذي بدء إلى حشد أكثر من 150 ألف مقاتل روسي على الحدود مع أوكرانيا بمختلف الأسلحة المتطورة، ومن ثم إجراء مناورة عسكرية، وتطور الموقف إلى إعلان روسيا رسمياً الاعتراف باستقلال جمهوريتي "دونيتسك" و"لوهانسك" عن أوكرانيا، في خطاب متلفز للرئيس الروسي "بوتين" أعقبه توقيع اتفاقيات صداقة، ودفاع مشترك بين روسيا، والجمهوريتين الوليدتين اللتين وقع الاتفاقيات من طرفهما كل من "دينيس بوشيلين" عن جمهورية "دونيتسك" و"ليونيد باسيتشنيك"⁽⁴⁾ عن جمهورية "لوهانسك"، وهاتان الجمهوريتان في إقليم دونباس ذات أهمية بالنسبة لروسيا لما لهذه

(1) محمود قاسم - حسين عبد الراضي، الناتو، وأوكرانيا: إعادة تشكيل الناتو لمواجهة التحدي الروسي والصيني، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، القاهرة، فبراير، 2022م. <https://ecss.com.eg>...تاريخ الدخول 3 مارس 2022م.

(2) عبدرت محمد المهدي، السياسة الخارجية الروسية تجاه الاتحاد الأوروبي: بين فرص التعاون والتهديدات الأمنية 2000-2019، رسالة ماجستير، الجزائر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر3، 2020م. ص 94 - 95.

(3) عبدرت محمد المهدي، السياسة الخارجية الروسية تجاه الاتحاد الأوروبي، المصدر نفسه، ص 96- 97.

(4) الأزمة الروسية الأوكرانية واحتمالات التصعيد. <https://www.politics-dz.com>، تاريخ الاطلاع 10 مارس، 2022م.

المنطقة من مميزات جغرافية، واقتصادية، وعسكرية كعمق استراتيجي على الحدود معها (ثروتان نفطية، ومعدنية، ساحة ممر لأنابيب الغاز الروسي-... الخ) ، ولم ينته الأمر عند مسألة الاعتراف باستقلال الجمهوريتين عن أوكرانيا بل تعداه إلى إعلان الرئيس بوتين تدخل قواته عسكرياً لحماية المدنيين في أوكرانيا بناءً على طلب رئيسي الجمهوريتين المستقلتين عنها مهدداً دول الغرب من أي تدخل منها بجانب نظام أوكرانيا متوعداً برد لم يشهد مثله التاريخ.

وفي 24 فبراير 2022م بدأ الهجوم الروسي برأ، وبحراً، وجواً بمختلف أنواع الأسلحة على جمهورية أوكرانيا بهدف اجتثاث ما يسميه الإعلام الرسمي الروسي بسلطة القمع، ونظامها النازي، وسلاحها النووي. وفي حقيقة الأمر أن روسيا لا تقبل بنظام أوكراني ديمقراطي موالٍ للغرب، ومعادٍ لموسكو، لأن نظاماً ديمقراطياً متاخماً لروسيا ذات النظام الشمولي ترى في عدوى الديمقراطية خطراً على الداخل الروسي، وفي الوقت ذاته لن تقبل موسكو أن تصبح أوكرانيا مسرحاً لقواعد وأسلحة، وقوات حلف شمال الأطلسي الذي تعتبره منذ تأسيسه حتى اليوم عدوها اللدود، ومهددها الوجودي بالإضافة إلى ذلك قررت روسيا بهذه الإجراءات العسكرية، والسياسية إرسال رسائل واقعية على الأرض بأن روسيا اليوم غير روسيا الأمس، وأن ما أخذه الغرب من الاتحاد السوفيتي المتفكك في الماضي سوف يعود لا محالة إلى روسيا الموحدة اليوم.⁽¹⁾

كل هذه التحركات الروسية فضلاً عن قوتها النووية، والعسكرية، والبشرية، باتت تهدد مصالح دول حلف الأطلسي في أوروبا، وخارجها حيث نشطت روسيا خارجياً منذ عام 2011م، وتزاحمت ولا زالت مع أمريكا، ودول الغرب على مناطق النفوذ العسكري والاقتصادي خارج قارة أوروبا مثل سوريا، وليبيا، وأنشأت قواعد عسكرية في أفريقيا وغيرها، علاوة على أن تصريحات الرئيس "بوتين" باستخدام السلاح النووي، قد جعلت وتجعل أمريكا وحلفاءها في حلف الناتو يتمسكون ببقاء الحلف ويعززون قوته لمواجهة التهديدات الروسية الماثلة وكبح جماح تعاظم النزعة القومية الروسية وخطرها التي لا تقل خطراً عن النزعة الشيوعية فليس بمقدور أي دولة من دول الحلف مواجهتها منفردة⁽²⁾.

ومن ثم لاريب في القول بأن التهديد الروسي الشيوعي لأوروبا، وأمريكا إبان الحرب الباردة الذي أفل مع أفول الاتحاد السوفيتي قد عاد اليوم بنزعة قومية توسعية، وبقوة نووية هائلة، خاصة مع ظهور مواقف ذات طابع قومي مؤيدة للغزو الروسي لأوكرانيا، لبعض دول شرق أوروبا كتواطؤ النظام البلاروسي بقيادة الرئيس "ألكسندر لوكاشينكو"، وصربيا، والمجر، والتدخل العسكري المباشر لقوات الرئيس الشيشاني "رمضان قديروف" إلى جانب القوات الروسية، في أوكرانيا، كل ذلك يفرض على دول الناتو مزيداً من التضامن، والتلاحم لمواجهته، وقد يجعل الغزو الروسي لأوكرانيا، دول الناتو تعير الجانب العسكري، والأمني جُلَّ اهتمامها، وتسخر ميزانيات مالية ضخمة لتعزيز قدراتها الدفاعية، والوقائية أكثر من ذي قبل، وسيبقى الهاجس الأمني حاضراً بقوة في استراتيجياتها المستقبلية.⁽³⁾

(1) الأزمة في أوكرانيا بين المعسكر الغربي وروسيا.. <https://barq-rs.com> تاريخ الاطلاع 10 مارس 2022م.

(2) سيد العزازی - حسين خلف موسى، حلف الناتو: ومدي تأثيره على المنطقة العربية، في ظل الصراعات العربية الداخلية، المركز الديمقراطي العربي، 17 سبتمبر 2015م. <https://democraticac.de>

(3) سهام عبد الرحمن، أزمة أوكرانيا — "غزو" القوات الروسية إلى أوكرانيا — هل من مواجهة محتملة مع الناتو؟ المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب، والاستخبارات. ألمانيا، وهولندا، 4 مارس، 2022م. <https://www.europarabct.com> تاريخ الاطلاع 7 مارس 2022م.

2- التهديد الصيني

خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين والأول من القرن الحادي والعشرين، برزت الصين على المسرح الدولي كمنافس أيديولوجي، وتقني، وعسكري، قوي يهدد أمريكا، وكل القوى الغربية، وباتت كقوتها ترجح في ميزان القوى العالمية في مجالات شتى، أهمها الفضاء الإلكتروني⁽¹⁾.

ويتضاعف القلق لدى دول الغرب من صعود الصين لما يشكل من تهديدات على هذه الدول ومنها:

أ- تجزئة مواقف الدول الغربية: إذ تمكنت الصين بحكم علاقاتها الاقتصادية التي تربطها مع بعض دول حلف الناتو بمبادرة "الحزام والطريق" من استمالة هذه الدول، وثنيها عن انتقاد سياسة الصين المنتهكة لحقوق الإنسان، وللقانون في "هونغ كونج"

ب- توسُّع عسكري: تمتلك الصين قواعد عسكرية في أفريقيا وتنفذ مناورات عسكرية كبيرة مع روسيا في مناطق مجاورة لدول حلف الأطلسي، وتمكنت من الحصول على معلومات، وأسرار عسكرية عالمية عن طريق الهكر الإلكتروني، وتعتبر شبكة الجيل الخامس الصينية من المهددات الرئيسية لشبكة الاتصال داخل حلف الناتو إلى جانب امتلاكها أسلحة فضائية تهدد أي قمر فضائي للناتو⁽²⁾.

ج- استثمارات داخل أوروبا وخارجها: في فبراير 2021م، تحدث الأدميرال "روبرت بيرك" قائد قيادة القوات المشتركة للحلفاء في نابولي، عن خطورة النفوذ الصيني داخل أوروبا بقوله "اليوم، يملك الصينيون السيطرة على 12 ميناء في أوروبا إذاً هل ستمتكن دول حلف شمال الأطلسي من الاعتماد على تلك الموانئ من أجل التجارة الحرة، وإذا كان على حلف شمال الأطلسي الدفاع عن أوروبا؟ فهل سيسمحون لنا بدخول تلك الموانئ للتزود بالوقود، والقيام بالإصلاحات، والأعمال اللوجيستية، وإعادة التسليح؟ لا نعرف إن كان بإمكاننا الاعتماد على ذلك إنه تحديّ مقلق لأمننا ومستقبلنا؟"⁽³⁾.

كما صرح رئيس صربيا "ألكسندر فوسيتش" أن بلاده اشترت ست طائرات صينية دون طيار من طراز CH-92A (UCAVs)، وهذه الصفقة يعتبر السلاح الصيني قد دخل مرحلة جديدة من الاستثمار العسكري في البلقان⁽⁴⁾ وفي جنوب شرق آسيا، وأمريكا اللاتينية، وأفريقيا، وأوراسيا نفذت الشركات الصينية المئات من المشاريع، وخلال السنوات القليلة الماضية استثمرت شركاتها الحكومية بشكل كبير في المناطق الضعيفة هيكلية في أفريقيا، وأمريكا

(1) Maximilian Mayer, "China's Rise as Eurasian Power: The Revival of the Silk Road and Its Consequences", in Maximilian Mayer (Edited), Rethinking the Silk Road: China's Belt and Road Initiative and Emerging Eurasian Relations, (Singapore: Macmillan, 2018), p.12.

(2) محمد المصطفى بن الحاج، موقف الاتحاد الأوروبي من مبادرة الحزام والطريق الصينية: الفرص والتحديات، بيروت، مجلة المستقبل العربي مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 509، 2021م، ص 124-125.

(3) عدنان خلف حميد - هند زياد نافع، مبادرة الحزام والطريق: الأهداف والتحديات، العراق، مجلة تكريت للعلوم السياسية، جامعة الموصل، المجلد 2020، العدد "19" مارس 2020م، ص 175 - 176.

(4) نيقولا فاقيلوت، مابين التقارب والتحالف - كيف يمكن فهم العلاقة مابين موسكو وبكين - القاهرة - مجلة الشؤون لعربية الاوراسية - مركز الدراسات العربية الاوراسية العدد 11 اكتوبر 2021م ص 149.

اللاتينية، وجنوب شرق أوروبا، ولا تزال معظم دول الحلف غير مستوعبة للسرعة القياسية التي نفذت بها حكومة الصين، وشركاتها مئات المشروعات الأوراسية في إطار مبادرة الحزام، والطريق الصينية التي انطلقت عام 2013م⁽¹⁾.

ولا يُجمعُ أعضاء الناتو على ردٍّ مشتركٍ ضد التحدي الصيني الذي قد يتضمن بعض الدعم من روسيا حيث يدور حالياً جدل غربي بين مؤيدي الحوار والاحتواء، ومن يرؤن ضرورة ردع النفوذ الصيني، والروسي في الشرق الأوسط وجنوب آسيا، وآسيا الوسطى، والقوقاز، وما يعمق الشعور بخطورة الصين على الناتو مستقبلاً هو قوتها العسكرية الضخمة، وعلاقتها المتينة مع روسيا في هذا المجال وغيره التي تكشف من خلال التصريحات الرسمية الصينية المعارضة للعقوبات الاقتصادية الغربية المفروضة على روسيا عقب الغزو الروسي لأوكرانيا، وكذا الفيتو الصيني بمجلس الأمن، ضد قرار يدين هذا الغزو.

3- مهددات ومطامع مختلفة

يرى أعضاء الناتو أن الأزمات، والتهديدات الواقعة والمتوقعة من خارج دولهم هي أشد وأخطر من أي تحديات أو مخاطر داخلها، وقد قسمت قيادة الناتو مواطن التهديدات الخارجية إلى منطقتين الأولى جنوبية وتشمل دول شمال أفريقيا، ودول حوض البحر الأبيض المتوسط بما فيها مصر، والسودان، والأردن، والثانية شرقية، وتشمل دولاً إسلامية غير عربية في آسيا، وإيران، وأفغانستان، وباكستان، وتنظر إلى هاتين المنطقتين على أنهما بؤرتان لمختلف الأزمات التي تهدد الأمن الأوروبي، والأطلسي مثل الإرهاب، والجرائم الدولية المنظمة، وتجارة المخدرات، والأسلحة، لأن هذه الدول تعاني من صراعات عرقية، ودينية متجددة أدت وتؤدي إلى تدهور سياسي واجتماعي، واقتصادي فيها، والأهم من ذلك وجود أسلحة دمار شامل فيها كباكستان، وإيران التي اقتربت من امتلاكه⁽²⁾. الأمر الذي يُحتم على حلف الناتو التدخل في هذه المناطق لحماية أمنه تحت ذرائع مختلفة كحماية الديمقراطية، والدفاع عن الأقليات، وحقوق الإنسان، وغيرها من الحجج، وكان احتلال أفغانستان عام 2001م، والعراق 2003م بقيادة أمريكا مثالان على تهوُّر دول الناتو عسكرياً في هذين الشعبين لانتهاك سيادتهما، وتغيير نظامي الحكم فيهما ليس بسبب وجود خطر الإرهاب أو أي من الذرائع التي تسوقها أمريكا بل كانت الغاية، والهدف من احتلال أفغانستان هو فرض نظام عالمي جديد يهيمن عليه القطب الأمريكي الواحد، وإرساء مداميكه في أرجاء العالم فهذا الاحتلال عكس رغبة أمريكا وحلفائها في التواجد العسكري بأوراسيا المتوسطة تطبيقاً "لمقالة المحور الجغرافي" "لهيلفورد ماكيندر" (1861 - 1974): التي قال فيها(أن القارة الأوراسية من وجهة نظر كوسموبوليتيكية هي مركز العالم)،⁽³⁾ ومنطقة متوسطة للانتشار العسكري الممنهج تحسباً لأي مواجهة محتملة مع الخصوم (الصين، وروسيا، وإيران) وتضييق الخناق عليهم، ومراقبتهم، والتجسس عليهم، ومساندة خصومهم في المنطقة عن كثب كما هو حال الدعم الأمريكي للهند لمواجهة الصين، ونصب القواعد العسكرية في البلدان المجاورة لهم بزعم محاربة الإرهاب في أفغانستان، فلو كان احتلال

(1) مروة عبد الحليم، التهديد الجديد... لماذا تشكل الصين تحدياً مباشراً لحلف الناتو؟ المرصد المصري، 28 يونيو، 2021م <https://marsad.ecss.com.erg>، تاريخ الاطلاع 14 فبراير، 2022م.

(2) محسن حسامي ظاهر العبودي، توسيع حلف الناتو بعد الحرب الباردة (دراسة في المذكرات، والخيارات الاستراتيجية الروسية)، العراق كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بغداد، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2013م، ص 131-132.

(3) لخميسي شبي، دراسة شاملة لمنظمة حلف شمال الأطلسي (النشأة، المهام، المبادئ والاهداف)، مرجع سابق. <https://www.politics-dz.com>، تاريخ الاطلاع 1 فبراير، 2022م.

أفغانستان من أجل مكافحة الإرهاب فلماذا انسحبت أمريكا منه عام 2021 م وسلّمت له حركة طالبان؟ بعد أن تقاطلت معها لأكثر من عقدين⁽¹⁾.

ولا يختلف الهدف من احتلال العراق تحت ذريعة امتلاكه أسلحة دمار شامل التي لم يعثر على أي شيء منها وذريعة دعمه للإرهاب عن أفغانستان، فالعراق كدولة نفطية وقوية بجيشها، وقيادتها، وحزبها "البعث" كانت تشكّل خطراً على أمن إسرائيل، ومصالح أمريكا، وحلفائها في الخليج العربي، والمنطقة بميلها لروسيا وبمهاجمة صواريخها لإسرائيل أثناء حرب الخليج الثانية⁽²⁾.

لذلك قضى حلف الناتو على الرئيس العراقي "صدام حسين"، ونظامه، وحزبه، وتحكّم في نفط العراق، وأضعف، وقنّ قوته العسكرية، وخلف دولة فاشلة، ونظام حكم مضطرب يقوم على المحاصصة الطائفية موالٍ للغرب بعيداً عن الشرق، لقد انكشف الافتراء الأمريكي- البريطاني لاحقاً، وتبيّن أن العراق لم يكن يمتلك سلاحاً نووياً بل تعمّدت أمريكا ذلك كمبرّر لعدوانها، وتدخلها غير المشروع في العراق، وسعت إلى جر حلف الناتو واستخدام قوته خارج أوروبا لتحقيق أطماعها الاقتصادية، والعسكرية⁽³⁾، وتقاسمت المطامع مع حلفائها، وجعلت دول أوروبا، وتحديدًا القوتين الاستعماريّتين تعتقدان أن وجودها أي أمريكا ضمن حلف الناتو ضرورة لا غنى عنها في سبيل المحافظة على مكاسبهما ونفوذهما في بلدان ما وراء البحار الموروثة عن الحقبة الاستعمارية، وقد مثل هذا الإغراء الأمريكي للدولتين (بريطانيا- فرنسا) وعدد من دول الحلف في بعض الأحيان عاملاً من عوامل تماسك وبقاء حلف الناتو، حيث أفلحت واشنطن في إقحامهن بجرائم ضد الإنسانية، وانتهاكات، وحشية في هذا البلد أو ذاك، وما تبرح تهدهن بالرد الانتقامي الذي قد تتبنّاه قوى المقاومة ضدهن داخل وخارج هذه البلدان، مما يجعلهن يتمسكن، ويستقوين بأمريكا، وحلف الناتو، كما أن الأخيرة تشبّث بحياة حلف الناتو كي يبقى لها موطن قدم في أوروبا، وتعسكر قواتها فيها لحماية المصالح الأمريكية، ولمنع صعود التيارات الشعبوية القومية المناهضة لها، ولا تتردد في عرقلة الاتحاد الأوروبي في مجالات مختلفة، وبطرق شتى خوفاً من أن يقوم بأي ترتيبات عسكرية، وأمنية تؤهله ليكون بديلاً لحلف الناتو، أو يضطلع بدوره، ولا تريد أن تكون أوروبا يوماً ما مستقلة عنها⁽⁴⁾، لأنها أدركت بعد تفكك الاتحاد السوفييتي وتراجع أيديولوجيته الشيوعية أن مخاوف دول أوروبا منه تراجعت أيضاً ومن ثم لم تعد تكثر بالتحلف أو تعول عليه وعلى أمريكا كما كان عليه الحال أثناء الحرب الباردة، وباتت هذه الدول تنزع نحو الاستقلال كما هو طموحها المبكر كدول مستقلة يجمعها الاتحاد الأوروبي، بما فيها ألمانيا التي أضحت بعد وحدتها قوة اقتصادية تطمح للنفوذ في أوروبا، وإن بقوة المارك الألماني هذه المرة عوضاً عن قوتها العسكرية قبل الحرب العالمية الثانية فعملت أمريكا إزاء هذه المعطيات على توسيع حلف الناتو، وبخاصة في شرق أوروبا لما من شأنه إضافة أعضاء جدد يميلون إليها ويرجّحون كفتها في توجيه قرارات، وسياسة الحلف داخل أوروبا، وخارجها وللحد أيضاً من نفوذ دول غرب أوروبا، كما بحثت لدول أوروبا عن مناطق نزاع واختلقت لها مسميات صراع جديدة من قبيل الإرهاب الإسلامي،

(1) دولة أفغانستان، كأهم ساحة للتنافس في الحرب الباردة. <https://www.politics-dz.com> تاريخ الاطلاع 20 فبراير 2022م.

(2) عبدالكريم باسماعيل، التدخل العسكري لحلف شمال، الجزائر، مجلة دفاتر السياسة والقانون، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 12، 2015م، ص 220.

(3) محمد عبدالرحمن عريف، شهادات عن الغزو الأمريكي للعراق 2003 الذي تم تحت "عملية حرية العراق"، <https://www.politics-dz.com>، تاريخ الاطلاع 11 مارس 2022م.

(4) مهدي مرعي _ عبدالهادي عبدالكريم، العلاقات الأمنية العسكرية بين حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي بعد الحرب الباردة (1991- 2016)، العراق المجلة الأكاديمية جامعة الموصل، العدد 40، 2020م، ص 253.

والمد الشيوعي، وغيرها من الفزاعات، والعدايات المبالغ فيها التي تعمل حسب تصورها على بقاء تماسك الحلف الذي يظل بقاؤه مرهوناً بوجود تهديدات، وأطماع، ومخاوف خارجية وداخلية لدول الحلف، ووجود هذه المهددات، والأطماع يعتبر ضامناً لوجود أمريكا في الحلف وفي أوروبا نفسها⁽¹⁾.

ولا يفارق القلق، والريبة أعضاء الناتو الأوروبيون في المقام الأول من عودة الصراع الدامي في منطقة البلقان بخلفية دينية، وثقافية، وما قد يترتب عليه من تهديد لأوروبا أمنياً، واقتصادياً، الأمر الذي لا تقوى على مواجهته منفردة من دون أمريكا التي لولا قيادتها لعمليات حلف الناتو في حروب يوغوسلافيا من 24 مارس 1999م ولمدة 78 يوماً على سبيل المثال لما تمكنت هذه الدول من احتواء الوضع، والسيطرة عليه، بعد أن أعطيت لها الفرصة والوقت لمعالجة ذلك ولكن دون جدوى⁽²⁾.

ولعل ما يدفع أعضاء الناتو إلى المزيد من التضامن هو بروز أحلاف ومؤسسات واتفاقيات مختلفة على أساس إسلامي، أو عربي، أو عربي-إسلامي، أو، أوراسي، أو غيرها قد تتطور مع مرور الوقت إلى تحالفات عسكرية قوية على غرار حلف وارسو بقيادة الصين وروسيا اللتان هما في حالة عداء معها مثل منظمة "شنغهاي" إذ شكّلت «اتفاقية شنغهاي» الموقعة يوم 26 نيسان العام 1996م الرحم الذي منه ولدت «منظمة شنغهاي للتعاون» (SCO) يوم 15 حزيران العام 2001م، بدعوة، وتشجيع من الصين التي كان هدفها الأول حلّ الخلافات الحدودية ما بينها وجمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق المجاورة لها، وتعزيز الثقة العسكرية ما بين الأطراف الموقعة على الاتفاقية خصوصاً بين الصين، وروسيا حيث كانت حدودهما تشهد نزاعات مسلّحة منذ فترة طويلة، وشملت الاتفاقية "روسيا، الصين، طاجيكستان، قيرغيزستان، كازاخستان، وأوزبكستان" وقد سميت هذه الاتفاقية باسم "شنغهاي" نسبة إلى المدينة الصينية⁽³⁾.

ولاحقاً تم قبول "الهند" و "باكستان" بعضوية كاملة في قمة "أستانا، كازاخستان، في 8 و9 يونيو 2017م وفي الذكرى الـ 20 لتأسيس المنظمة التي عقدت بمدينة "دوشانبي" عاصمة "طاجيكستان" عام 2021م تم قبول "إيران" بعضوية كاملة، و "معاهدة الأمن الجماعي" التي أبرمت عام 1992م، عقب انهيار الاتحاد السوفييتي، تعتبر من أهم المهددات العسكرية للناتو وهي بمثابة الوريث لحلف "وارسو"، حيث قامت كلٌّ من (روسيا، وطاجيكستان، وقرغيزستان، وأرمينيا، وبيلاروسيا، وكازاخستان)، عام 2002م بإعادة هيكلة هذا الحلف فيما عرف بـ "منظمة الأمن الجماعي" كتحالف عسكري، وتستند هذه المنظمة -مثل حلف الناتو- إلى مبدأ الدفاع المشترك وقد استجابت ولأول مرة إلى طلب المساعدة من إحدى دولها (كازاخستان) وأرسلت مطلع يناير، 2022م "2500" جندي لحفظ الأمن فيها⁽⁴⁾.

(1) حسن بسري ياسين، أزمة حلف الناتو ومستقبله الاستقلالية المتصاعدة لتركيا - SETA مايو 2019، <https://www.setav.org> تاريخ الاطلاع، 10 مارس 2022م.

(2) سليم كاطع علي، حلف الناتو والرؤية الأمريكية، في سياسة ما بعد الحرب الباردة، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، 2001 - 2017م، <https://m.annabaa.org>strategicissues> تاريخ الاطلاع 24 فبراير 2022م.

(3) أحمد علّو، منظمة شنغهاي... بين تحالف المصالح وصراع الحضارات، بيروت مجلة الجيش اللبناني، العدد "293" - تشرين الثاني 2009م، <https://www.lebarmy.gov.lb>content> تاريخ الاطلاع 15 فبراير 2022م.

(4) كارينا فايزولينا، احتجاجات كازاخستان: بحث في الخلفيات، والتداعيات والسيناريوهات المحتملة Archives - chinaaasa، <https://chinaaasa-rc.org>studies-ar> تاريخ الاطلاع 9 فبراير 2022م.

كما تُعدّ اتفاقية التعاون، وحسن الجوار الموقعة بين الصين وروسيا في عام 2001م الركيزة الأساسية للتعاون بين البلدين في مواجهة أمريكا وحلفائها، وجاءت بكل ما تضمنته من نقاط عسكرية وأمنية كَرَّ حقيقي على التوجهات الجديدة لحلف الناتو الذي بدأ بالتوسع شرقاً متجاهلاً مصالح كلا البلدين، خاصة المصالح الروسية التي طالبت الولايات المتحدة الأمريكية بإعطائها ضمانات خاصة بعدم توسيع الحلف شرقاً، ضماناً لأمنها القومي، والاستراتيجي، ولعل أهم ما ركزت هذه الاتفاقية المؤلفة من (25) بنداً عليه هو ما يلي:

1. المعارضة المشتركة للدور الصاروخي الأميركي.

2. رفض المفهوم الغربي "التدخل الإنساني"، والذي تبناه حلف الناتو عام 1999م في كوسوفو.

3. معارضة الخطط الأمريكية بالتوسع العسكري والتي لا يمكنها إلا أن تضر بمصالح الأمن العالمي.

4. الدعم الروسي لمفهوم "صين واحدة" والاعتراف بحق الصين في تايوان كجزء منها.

5. تدعيم التعاون العسكري بين الطرفين⁽¹⁾.

ومجموعة البريكس "BRICS"، وهي اختصار للحروف الأولى الأجنبية للدول المؤلفة للمجموعة "البرازيل، وروسيا، والهند، والصين، وجنوب أفريقيا" واحدة من التكتلات التي تهدف إلى تحدي الهيمنة الأمريكية، من خلال تعزيز نفوذ الدول غير الغربية في مؤسسات الحوكمة المالية والعالمية، وقد عقدت أول قمة بين رؤساء الدول الأربع المؤسسة في "يكاثرينبورغ" "روسيا" في حزيران ٢٠٠٩م⁽²⁾.

وهذه التحالفات وإن كانت ذات قدرات، وإمكانات متواضعة في الوقت الراهن تعتبر تهديداً للمصالح الأمريكية والغربية على المدى المتوسط والبعيد.

المبحث الثالث: التباينات بين أعضاء الحلف

أ. الاتفاقيات والقرارات المهددة لوحدة الحلف

تعتبر الخطوة التي أقدمت عليها أستراليا بانسحابها في عام 2021م من الاتفاقية المبرمة بينها وفرنسا في 2016م، والتي بمقتضاها تبتاع أستراليا من فرنسا 12 غواصة تعمل بالديزل، ولجؤها بوساطة أمريكية إلى بريطانيا للحصول على غواصات تعمل بالطاقة النووية إجراء استفزازي من دولة عضو في الناتو إلى دولة عضو أخرى دفع فرنسا إلى استدعاء سفيريها في واشنطن، وكانبرا احتجاجاً على ذلك، وكان الاتفاق بمنزلة صفة كبرى، وطعنة في الظهر لفرنسا، القوة المقيمة في المحيط الهادي إذ حُرمت امتيازات كانت ستحصل عليها لتعزيز هيمنتها ووجودها العسكري في منطقة المحيطين الهادي، والهندي اللذين تمتلك فيهما عدة جزر⁽³⁾.

(1) سداد نوري جاسم العيساوي، العلاقات الروسية - الصينية لفترة 2000-2012، العراق - رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية، جامعة النهرين، 2014م، ص 98-99.

(2) رامز صلاح عبد الإله الشيشي، تأثير تكتل البريكس على الهيمنة الأمريكية، - مصر - كلية السياسة والاقتصاد، جامعة السويس، المركز الديمقراطي العربي، 2021م <https://democraticac.de> تاريخ الاطلاع 20 فبراير 2022م.

(3) انعكاسات أزمة اتفاق أوكوس، على سياسات الدفاع المشترك لدول حلف الناتو، تركيا، تقدير موقف، وحدة الرصد والتحليل، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، 2021م، ص 4.

وننتج عن الانسحاب تحالف أممي جديد باسم "الأوكوس/AUKUS" وهي الحروف الأولى باللغة الإنجليزية من أسماء الدول الثلاث أعضاء التحالف، (الولايات المتحدة، وبريطانيا، وأستراليا) وبذلك، تصبح أستراليا الدولة السابعة في العالم التي تمتلك هذا النوع من الغواصات بعد أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، وروسيا، والصين، والهند، ويأتي حلف أوكوس على خلفية خدمة استراتيجية سلاح البحرية الأمريكي، والتي من أبرز أركانها السيطرة على "نقاط الاختناق" في الممرات البحرية العالمية أمّا توقيته الزمني فهو عبارة عن رسالة عقاب إلى أوروبا، وخصوصاً ألمانيا وفرنسا بسبب رفضهما استمرار نزعة العداء لروسيا والتقاعس عن شنّ حرب باردة جديدة عليهما⁽¹⁾.

وقبل اتفاقية أوكوس تشارك أمريكا بعيداً عن أعضاء الناتو في تحالف رباعي "كواد/Quad" منذ العام 2007م ويضمّ كلاً من (الولايات المتحدة، واليابان وأستراليا، والهند)، ويكتسب اليوم أهمية متزايدة في سياق التنافس المتصاعد في منطقة المحيطين الهندي، والهادي (الهند -باسيفيك) لمواجهة الصين في مجالات مختلفة، ومحاصرتها في المقام الأول⁽²⁾.

كما أن قرار الانسحاب العسكري الأمريكي المفاجئ من أفغانستان بدون تشاور، أو تنسيق مع أعضاء الناتو، وكذا إعلان أمريكا انسحاب قواتها العسكرية من العراق، وسوريا بالإضافة إلى انسحابها من الاتفاق النووي الإيراني، واتفاقية الاحتباس الحراري، وغيرها من التحركات الأمريكية الإقليمية، والدولية، التي مضت فيها منفردة قد ولّد شعوراً لدى بعض دول الحلف ومنها فرنسا، وألمانيا، بأن أمريكا مستمرة في انتهاك روح التشاور الذي أكدت عليه معاهدة الحلف، ولم تعد مهتمة بمصلحة أعضائه بقدر اهتمامها بمصالحها⁽³⁾.

ب- خلافاً متعلقة بالقيادة والعضوية والأولويات

لقد كان وما زال حلف الناتو يعاني من بعض المسائل الخلافية بين أعضائه:

1- القيادة

ترى بعض دول الحلف كفرنسا، وألمانيا أن أمريكا تسيطر على الحلف، وتهيمن على قراراته، ودعتا إلى إنشاء جيش أوروبي موحد، وصندوق دفاع أوروبي، ولعل تصريحات الرئيس الفرنسي "ماكرون" تؤكد ذلك حين قال "أن أمريكا تهيمن على قرار الناتو الذي بات في حالة موت دماغي" وليس هذا أول موقف فرنسي في هذا الشأن بل كان الرئيس الفرنسي "شارل ديغول" قد انتقد هيمنة أمريكا على الناتو، وازدواجية مواقفها بتمكين بريطانيا من تطوير مشروعها النووي مطلع خمسينيات القرن الماضي، وعدم تمكين فرنسا منه، وكان موقفها لغير مصلحة باريس في حرب السويس 1956م، ولما تمكنت فرنسا من امتلاك النووي في ستينيات تلك المرحلة طلب "ديغول" من أمريكا تشكيل لجنة خاصة من الثلاث الدول النووية داخل الحلف (أمريكا- بريطانيا- فرنسا) تتولى القرارات المتعلقة بالدفاع، وكيفية استخدام الأسلحة النووية، وبما أنها لم تتجاوب مع مطالبه أعلن انسحاب بلاده من الجناح

(1) علي الدين هلال، حدود اختلاف المصالح والثقة بالتحالفات.. "أوكوس" نموذجاً، أبو ظبي مركز المستقبل للدراسات والأبحاث المتقدمة، الثلاثاء، 5 أكتوبر، 2021م، <https://futureuae.com>، تاريخ الاطلاع 10 يناير 2022م.

(2) محمد سيف الدين، تحالفات أمنية لتطويق "جزيرة العالم"، الميادين نت، 29 سبتمبر، 2021م، <https://www.almayadeen.net>، تاريخ الاطلاع، 11 مارس 2022م.

(3) تداعيات الانسحاب الأمريكي من أفغانستان على حلف الناتو. المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب، والاستخبارات. ألمانيا وهولندا، وحدة الدراسات والتقارير "2" سبتمبر، 2021م، <https://www.europarabct.com>، تاريخ الاطلاع 28 فبراير 2022م.

العسكري للحلف عام 1966م، وتم نقل مقر قيادة الحلف من باريس إلى بروكسل، ولم تعد فرنسا إلى الحلف إلا عام 2009م.

وحين اقترحت ألمانيا إنشاء جيش أوروبي موحد كبديل لهيكل الناتو لاقى هذه الفكرة تأييداً من الرئيس "إيمانويل ماكرون" نكاهة بأمريكا التي باتت تدرك تماماً أن ظهور مثل هذا الجيش سيضع معنى استمرار وجود حلف شمال الأطلسي موضع الشك، ويجعل وجود القوات الأمريكية في الدول الأوروبية معرضاً للرحيل، وقد أبلغت عدد من الدول الأوروبية بما في ذلك غير الأعضاء في حلف الناتو وهي النمسا، وقبرص، وفنلندا، وسويسرا الاتحاد الأوروبي رسمياً في نوفمبر 2017 عن نواياها في البدء بتنفيذ التعاون الدائم المنظم، وانضمت إليها لاحقاً البرتغال، وأيرلندا ومن شأن هذا التعاون أن يؤول على المدى المتوسط إلى تأسيس اتحاد دفاعي أوروبي حقيقي يجعل الاتحاد الأوروبي أكثر مرونة واستقلالية عن أمريكا⁽¹⁾.

ويرى الأوروبيون أن تأسيس الجيش الأوروبي يقوي الاعتماد على الذات الأوروبية، ويخرجهم من عباءة واشنطن التي باتت تدخلهم في مغامرات عسكرية، وفي إشكاليات ثانوية لافائدة منها مستغلة أحداث الـ 11 من سبتمبر 2001م في واشنطن، ونيويورك التي تعتبرها عملاً إرهابياً يتوجب على كل أعضاء الحلف وفق المادة الـ 5 من معاهدته الوقوف معها وتحتّ بعض دول الحلف تهدئة الصراع مع الصين، وروسيا اللتين بدأت سياسة كليهما تتغير إيجابياً في منطقة اليورو بل واصطبغت العلاقة معهما بتعاون استثماري وتهديدات تأمين في باطنها هذه المصالح، وذكرت صحيفة "زايت" الألمانية وفقاً لروسيا اليوم في 12 فبراير 2019م، أن 50% من مواطني ألمانيا المستطلعين وصفوا الولايات المتحدة بالتهديد الرئيسي للبلدان الأوروبية، فيما رأى 33% فقط من الألمان أن أكبر تهديد يأتي من روسيا، بالإضافة إلى ذلك، وصف 50% من المستطلعين توسيع حلف الناتو بأنه سبب لتدهور الأمن الأوروبي، ورأى 41% من الألمان تهديداً في توسيع الاتحاد الأوروبي، وفي الوقت نفسه يعتقد أكثر من 54% ألمان أن أوروبا بحاجة إلى استثمار المزيد في مجال الأمن.

وتعد عملية توحيد الجيوش الأوروبية حسب التصور الأوروبي توحيداً للرؤية المشتركة للتهديدات، والمخاطر التي تواجه أوروبا، ودولها، ولسد الثغرات الأمنية أمام تصاعد تهديدات الجماعات المتطرفة، وتنظيم داعش، وكذلك من أجل السيطرة على الحدود الداخلية، والخارجية لدول أوروبا. فالجيش ليس مجرد أداة عسكرية فحسب بل تعتبر هذه المؤسسة قادرة على جعل المجتمع الأوروبي أكثر تقارباً، وتضامناً، واستقلالاً معنوياً عن المساعدات العسكرية الأمريكية وهذا ما تفتقر إليه أوروبا منذ زمن طويل، لأن الناتو انسحب عملياً من حل مشاكل الهجرة، ومكافحة الإرهاب في أوروبا، في الوقت الذي استمرت فيه الجيوش الوطنية الأوروبية مقيدة الأيدي لأنها تابعة لمجلس الناتو وللجنة العسكرية، وقد، عزز انسحاب بريطانيا من الاتحاد الأوروبي من فكرة إنشاء جيش أوروبي موحد لدى ألمانيا،

(1) مستقبل "الناتو" ومشروع الاستقلال الاستراتيجي الأوروبي، الرياض، تقرير المعهد الدولي للدراسات الإيرانية "رسانة"، نوفمبر 2021م، <https://rasanah-iiis.org> تاريخ الاطلاع، 15 يناير، 2022م.

وفرنسا وحمّس الأخيرة لقيادة أوروبا بصفتها الدولة النووية الوحيدة داخل الاتحاد الأوروبي فضلاً عن تلك دول أوروبا في تلبية طلبات واشنطن بزيادة النفقات لتمويل قواعد الناتو والعديد من وحداته داخل أوروبا⁽¹⁾.

وستظل قضية إنشاء جيش أوروبي موحد شائكة بين دول حلف شمال الأطلسي، لأنه ليس من المنطقي أن يكون هناك جيش خاص لأداء مهام مماثلة لحلف الناتو نظراً لأن 22 دولة من أصل 28 دولة في الاتحاد الأوروبي هي أعضاء في الناتو، وفي نفس الوقت كيف لهذه الدول التي ليست مستعدة لزيادة الإنفاق العسكري الذي تحدده قواعد الناتو البالغ 2٪ من الناتج المحلي الإجمالي أن تنفق مبالغ أكثر من هذه النسبة في تكوين جيش آخر، وليس من الواضح أيضاً كيفية توحيد أكثر من عشرين جيش وكل منها يعاني بشكل فردي من مشاكل عديدة، وعلى سبيل المثال مازالت جيوش جمهورية التشيك، والمجر، وبلجيكا صغيرة، وسيئة التسليح، وقلصت الدنمارك جيشها بشكل مفرط، وقضت هولندا على قواتها المدرعة تماماً، بينما يعاني الجيش الفرنسي الذي يعد واحداً من أكثر الجيوش كفاءة في أوروبا من مشكلة عدم وجود احتياطي معبأ في الأفراد وفي المعدات⁽²⁾.

2- توسيع العضوية

بما أن قبول عضوية أي دولة في الحلف تخضع لاعتبارات جغرافية، وسكانية، وديموغرافية، فقد كانت هذه المسألة محل خلاف بين الحين والآخر، حيث عارضت فرنسا توسيع العضوية شرق أوروبا، ووسط آسيا، لأن ذلك يصب في مصلحة ألمانيا وأمريكا، ويعزز من مكانتهما داخل الحلف بما للأولى من روابط جيوثقافية وقومية بالمنطقة، وما للثانية من قدرة على استمالة هذه الدول إلى جانبها للتأثير على قرارات الحلف وتوجهاته، ومقايضة عضويتها بشراكة اقتصادية لا تفيد كل أعضاء الاتحاد الأوروبي كما هو الحال مع بولندا، والتشيك، ورومانيا، وغيرها، وتحبذ فرنسا توسيع العضوية شمال وجنوب حوض البحر الأبيض المتوسط لما لذلك من أهمية في الحد من الهجرة، والمتشددین الإسلامیین، والتجارة غير المشروعة⁽³⁾.

3- الأولويات

تختلف تصورات أعضاء الناتو في النظر لمهام وأولويات الحلف فهناك دول ترى أن أولوياته ينبغي أن تظل أوروبية دفاعية، كما جاء في معاهدة إنشائه، ويمثل هذا التيار الدول التي ليس لها مكاسب اقتصادية خارج أوروبا في مقابل ذلك ترى أمريكا وتؤيدها بريطانيا وإلى حد ما فرنسا ضرورة توسيع واستمرار مهام الحلف خارج أوروبا، وتتطابق وجهات النظر في هذا التوجه من أجل فرض النفوذ، وتعزيز الهيمنة، والمصالح الأمريكية في العالم، وحماية بقايا التركة الاستعمارية إذ تهتم فرنسا بشدة بتنفيذ عمليات حفظ السلام في سيراليون، وغرب إفريقيا بشكل عام، وتهتم إيطاليا وألمانيا جداً بمنطقة البلقان (كرواتيا، البوسنة، ألبانيا، مقدونيا)، لما من شأنه تطويق روسيا وترسيخ الأمن فيها الذي يؤدي بدوره إلى استقرار اليورو، ودعم السوق الأوروبية المشتركة ولم يغيب التناقض خلال التدخل العسكري للناتو في صربيا، حيث لم تشترك في الهجوم إيطاليا، واليونان، وتركيا، وألمانيا، وهولندا، وإسبانيا، و

(1) مساعي أوروبية لتشكيل جيش موحد، المهام والتحديات، وحدة الدراسات والتقارير، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات سألانيا وهولندا، فبراير 26، 2020م <https://www.europarabct.com> تاريخ الاطلاع، 30 فبراير 2022م.

(2) سوف يعارض الجيش الأوروبي الموحد روسيا. أكبر الجيوش في أوروبا valenteshop.ru > edinaya-arm تاريخ الاطلاع 8 مارس 2022م.

(3) نزار إسماعيل الحياي، دور حلف شمال الأطلسي، بعد انتهاء الحرب الباردة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، الاستراتيجية، 2003م، ص 65.

شاركت في الهجوم على صربيا الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، ونيوزيلندا، وأستراليا، وكندا، وفرنسا، لأن الدول غير المشاركة كان لها مبرراتها المختلفة في حين كان هدف الدول المشاركة تدمير صربيا ذات العرق السلافي المشترك مع روسيا، وتدمير ما تبقى بحوزتها من ترسانة عسكرية مورثة من الاتحاد السوفييتي⁽¹⁾.

ولا يزال جنوب القوقاز منطقة غير مرغوب فيها للغاية لوجود عسكري للدول الأوروبية التي اكتفت بالتغاضي إلى حدٍ ما عن دور تركيا كعضو في الناتو لمزاحمة روسيا هناك، وفيما يتعلق بأولوية العدائيات فإن كل دولة عضو تصنف ذلك حسب مسألة الربح والخسارة فلو اعتبرت أمريكا الصين كعدو أول قد لا تشاطرها ذلك بعض أوكل دول الحلف انطلاقاً من علاقة كل دولة اقتصادياً مع الصين، وحين ترى بولندا أن روسيا هي الخطر الأهم قد تختلف معها ألمانيا التي تعتبر من أكثر الدول الأوروبية في استيراد الغاز الروسي، وكان أنبوب الغاز الروسي "نورد ستريم 2" المزمع تمريره عبر ألمانيا إلى أوروبا من أهم نقاط الخلاف بين ألمانيا، وأمريكا فقد اعترضت الأخيرة على ذلك، وهددت بالانسحاب من حلف الناتو كما سبق لفرنسا، وألمانيا، وبلجيكا أن اعترضت على احتلال العراق، وإسقاط نظام "صدام حسين" الذي كان قد أصدر قراراً يتم بموجبه بيع النفط باليورو بدلاً عن الدولار⁽²⁾.

إن الجغرافيا والتاريخ والمصالح الوطنية ستظل تخلق حالة الانقسام داخل حلف الناتو حيث ترى بعض دول شرق أوروبا أن التهديد الأول يأتي من روسيا في حين ترى دول جنوب أوروبا أن عدم الاستقرار والاضطراب في الشرق الأوسط، وأفريقيا هو التهديد الأول لأمنها، ويتعرض الحلف لتهديد من الداخل مثل الخلاف الكبير بين تركيا من جانب، وبعض الدول الأوروبية وأمريكا من جانب آخر بسبب الغزو التركي لسوريا، وكذا إعلان تركيا شراء منظومات "إس 400" الدفاعية الروسية، وسياستها العدائية تجاه فرنسا⁽³⁾.

وتتعمد أنقرة تهديد دول اليورو كاليونان، وقبرص في شرق المتوسط، وتتداخل مصالحها مع واشنطن مما جعل الأخيرة تتعامل معها كحائط صد أولي ضد موسكو، وبالتالي فإمكانية شطبها من الناتو يظل أمراً صعباً للغاية خلال الحقبة الحالية، فضلاً عن قوتها العسكرية القوية لضبط موازين الشرق الأوسط، وآسيا الوسطى، وما يزعج ساسة أوروبا هو الأطماع التركية التي باتت على بعد أميال بحرية منهم، لتندفع فرنسا إلى تعطيل أعمالها العسكرية الخاصة بحلف الناتو في المتوسط اعتراضاً على الانتهاكات التركية ضد بوارجها، ومن مسببات اضطراب العلاقة داخل حلف الناتو أيضاً الانقلاب العسكري في تركيا عام 2016م الذي اتهم الرئيس التركي "رجب طيب أردوغان"، بعض دول حلف الناتو بالوقوف وراءه مثل أمريكا، وألمانيا، ورعاية أمريكا للمعارض التركي فتح الله غولن ودعمها وبعض دول الحلف كفرنسا وألمانيا للمعارضين الأكراد⁽⁴⁾.

(1) سعيد الوجاني، الحلف الأطلسي، (الناتو)، 2020م، مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية - العدد 6603، 27 يونيو 2020م.

(2) سلام الكواكبي، العلاقات الأوروبية الأمريكية ... إلى أين؟ القاهرة، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، العدد 175، 2018م <https://arabaffairsonline.com>، تاريخ الاطلاع 10 مارس 2022م.

(3) عوامل الانقسام والتصدع - المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات - ألمانيا وهولندا، وحدة الدراسات والتقارير "3" 12 أغسطس، 2020م. <https://www.europarabct.com>، تاريخ الاطلاع 6 فبراير 2022م.

(4) الجيش الأوروبي مقابل مظلة الناتو، احتمالات النجاح و الفشل؟ المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات - ألمانيا وهولندا، وحدة الدراسات والتقارير "3" 28 يوليو، 2020م. <https://www.europarabct.com>، تاريخ الاطلاع 19 فبراير 2022م.

ومسألة الإنفاق هي الأخرى كانت ومازالت محل جدل بين الدول الأعضاء بسبب اعتراض بعض الدول على الإنفاق فيما يتعلق بعمليات الحلف، ومهامه الخارجية بحجة أن المهام الأساسية للحلف دفاعية أوروبية، وليس بوسعها تحمل نفقات لعمليات تخدم وتفيد أمريكا في المقام الأول⁽¹⁾.

وتظهر تقديرات حلف شمال الأطلسي لعام 2019م أن اليونان، وبريطانيا، وأستونيا، ورومانيا، و بولندا، و لاتفيا، وليتوانيا، وبلغاريا إلى جانب الولايات المتحدة، ينفقون 2% أو أكثر من إجمالي الدخل القومي على الدفاع ووصل إنفاق فرنسا إلى 1.84% وألمانيا إلى 1.36%. أما الدول الأوروبية الأخرى في الحلف فقدرت نسبة إنفاقها في عام 2019 بما بين 1% إلى 1.99% وفقاً لـ "BBC" في 4 ديسمبر 2019م.

وأفادت صحيفة "راينيشه بوست" أنه من المرجح أن تقترب النفقات الدفاعية الألمانية من هدف حلف شمال الأطلسي، الذي يحدد 2% من الناتج المحلي الإجمالي، ويقدر المعهد الألماني للاقتصاد أن نسبة النفقات الدفاعية من الناتج المحلي الإجمالي يحتمل أن تقفز إلى 1.58% عام 2020م، وفي نوفمبر 2019م أبلغت ألمانيا الناتو بنفقات دفاعية بأكثر من 50 مليار يورو لعام 2020م وفقاً لـ "صحيفة الشرق الأوسط" في 28 مايو 2020م⁽²⁾.

وفي 11 يوليو 2020م أشار الرئيس الأمريكي "ترمب" إلى أن هناك دولا "لم تكن تدفع شيئاً تقريباً والآن تدفع"، مضيفاً "سألوني سؤالاً مهماً هل ستغادر إذا لم ندفع؟ أجبت نعم، سأغادر". وأوضح أنه لو لم تكن هذه هي الإجابة فإنهم لن يدفعوا، مضيفاً "أريد أن يدفعوا حصتهم بالعدل" ولم تردّد إدارة ترامب مراراً في التعبير عن استيائها من إخفاق ألمانيا بوضوح في تحقيق هدف الناتو المتمثل في استثمار 2% من الناتج المحلي الإجمالي للبلد في الجيش، وذلك على الرغم من ارتفاع الإنفاق الدفاعي لألمانيا، والذي يصل حالياً إلى 38,1% من الناتج المحلي الإجمالي⁽³⁾.

الخاتمة

تعتبر تجربة حلف شمال الأطلسي "الناتو" واحدة من التجارب العسكرية الناجحة، إذ استطاع الحلف تعظيم قوة، وهيبة ترسانته العسكرية، واستحضر جهوزية استراتيجية الردع الجماعي الدفاعي، وتمكن من تكتيل هذه القوة، وتوجيهها في تعزيز أمن الدول الأعضاء، وحماية مصالحها في مرحلة الحرب الباردة وبعدها.

غير أن الحلف منذ عام 1991م شهد تحولاً في استراتيجيته من حالة الدفاع عن أوروبا، إلى حالة الهجوم خارجها في ما يسميه (حروباً استباقية- وقائية) منتهكاً سيادة الدول، وكرامة، وحقوق شعوبها مثل الغزو، والاحتلال الأمريكي لأفغانستان، والعراق، تحت ذرائع واهية بهدف تعزيز الهيمنة، والنفوذ في أوراسيا، والسيطرة على منابع النفط في آسيا وغيرها، كبداية لنظام عالمي جديد أحادي القطبية (أمريكا).

ولقد تأرجحت العلاقة بين دول الحلف بين الحين، والآخر، وبرزت نزعة فرنسية- ألمانية نحو تحرير الحلف من الهيمنة الأمريكية، والدعوة إلى تشكيل جيش أوروبي موحد، ومستقل للدفاع عن أوروبا، التي رأى قادتها أن

(1) طالب حسين حافظ، الأدوار الجديدة لحلف الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة، بغداد، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد، 46، 2010م، ص 146. <https://jcis.uobaghdad.edu.146>

(2) الناتو.. عوامل الانقسام والتصدع، مرجع سابق.

(3) "الناتو" .. تداعيات أي انسحاب أمريكي محتمل من الحلف؟، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات — ألمانيا، وهولندا، وحدة الدراسات والتقارير 3، 10، أغسطس، 2020م. <https://www.europarabct.com/?p=71150> تاريخ الاطلاع 18 فبراير 2022م.

القواعد العسكرية للحلف في أوروبا، وخارجها باتت تشكل عبئاً مالياً أوروبياً ولا تخدم وتبلي الأمن، والمصالح الأوروبية بالدرجة الأولى، كما هو الحال بالنسبة لأمريكا، بالإضافة إلى التحركات الأمريكية أحادية الجانب التي تسببت هي الأخرى في زعزعة ثقة أعضاء الحلف بواشنطن، كالانسحاب من الاتفاق النووي الإيراني، ومعاهدة المناخ، والانسحاب العسكري من أفغانستان والعراق.... الخ، وأوحت لهم أنها تركز خلف مصالحها، ولم تعد تكثر بحلفائها.

إلا أن هذا الطرح القديم - الجديد لم ولن يكتب له النجاح بسبب تباين تصورات أعضاء الحلف حوله، وكذا حجم التهديدات الخارجية المحدقة بالدول الأوروبية، كالتهددين الروسي، والصيني، إلى جانب نشوء عدد من الأحلاف والتكتلات المناهضة لما يسمى القيم الغربية بقيادة روسيا، والصين، والتي من أهمها "منظمة شنغهاي".

وليس بوسع دول أوروبا أن تنشئ كياناً عسكرياً بديلاً للناتو في الوقت الراهن، وليس بمقدور أي منها منفردة مواجهة التهديد الروسي على سبيل المثال، لاسيما وأن الغزو الروسي لأوكرانيا، قد كشف النوايا التوسعية-القومية للأولى، وعزز القناعة لدى دول الحلف، بأن مطامع روسيا الجيو ثقافية، وسلاحها النووي الذي هدد رئيسها "بوتين" لأول مرة باستخدامه، أصبحا يشكلان تهديدتين رئيسيين لها أكثر من ذي قبل، ومن ثم ليس أمامها في الوقت الراهن، إلا الاستعداد للولوج، والتعايش مع مرحلة عالمية جديدة متعددة القطبية الدولية، والتمسك بحلف الناتو، وتطوير مؤسساته، واستراتيجياته المستقبلية بقيادة أمريكا، وسعي كل منها في نفس الوقت إلى التعزيز الذاتي لقدراتها الدفاعية مرحلياً تيمناً بألمانيا التي أعلن مستشارها "أولوف شولتز" بداية الغزو الروسي لأوكرانيا تخصيص 2% من الناتج المحلي الإجمالي للدفاع سنوياً.

البيبلوغرافيا

- أحمد علّو، منظمة شنغهاي... بين تحالف المصالح وصراع الحضارات، بيروت مجلة الجيش اللبناني، العدد "293" - تشرين الثاني 2009م. <https://www.lebarmy.gov.lb/content> تاريخ الاطلاع 15 فبراير 2022م.
- حسن بسري ياسين، أزمة حلف الناتو ومستقبله الاستقلالية المتصاعدة لتركيا - SETA مايو 2019، <https://www.setav.org> تاريخ الاطلاع، 10 مارس 2022م.
- رامي صلاح عبد الإله الشيشي، تأثير تكتل البريكس على الهيمنة الأمريكية، - مصر - كلية السياسة والاقتصاد، جامعة السويس، المركز الديمقراطي العربي، 2021م <https://democraticac.de> تاريخ الاطلاع 20 فبراير 2022م.
- سداد نوري جاسم العيساوي، العلاقات الروسية - الصينية لفترة 2000-2012، العراق - رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية، جامعة النهرين، 2014م.
- سعيد الوجاني، الحلف الأطلسي، (الناتو)، 2020م، مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية - العدد 6603، 27 يونيو 2020م.
- سلام الكواكي، العلاقات الأوروبية الأمريكية ... إلى أين؟ القاهرة، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، العدد 175، 2018م. <https://arabaffairsonline.com> تاريخ الاطلاع 10 مارس 2022م.

- سليم كاطع علي، حلف الناتو والرؤية الأمريكية في سياسة ما بعد الحرب الباردة، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، 2001 - 2017م. <https://m.annabaa.org › strategicissues>. تاريخ الاطلاع 24 فبراير 2022م.
- سهام عبد الرحمن، أزمة أوكرانيا - "غزو" القوات الروسية إلى أوكرانيا - هل من مواجهة محتملة مع الناتو؟ المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب، والاستخبارات — ألمانيا، وهولندا، 4 مارس 2022م. <https://www.europarabct.com>. تاريخ الاطلاع 7 مارس 2022م.
- سيد العزازي - حسين خلف موسى، حلف الناتو: ومدي تأثيره على المنطقة العربية، في ظل الصراعات العربية الداخلية، المركز الديمقراطي العربي، 17 سبتمبر 2015م. <https://democraticac.de>.
- طالب حسين حافظ، الأدوار الجديدة لحلف الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة، بغداد، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد، 46، 2010م. <https://jcis.uobaghdad.edu>.
- عبد الكريم باسماويل، التدخل العسكري لحلف شمال، الجزائر، مجلة دفاتر السياسة والقانون، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 12، 2015م.
- عبد رت محمد المهدي، السياسة الخارجية الروسية تجاه الاتحاد الأوروبي: بين فرص التعاون والتهديدات الأمنية 2000-2019، رسالة ماجستير، الجزائر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، 2020م.
- عبد رت محمد المهدي، السياسة الخارجية الروسية تجاه الاتحاد الأوروبي، المصدر نفسه.
- عدنان خلف حميد - هند زياد نافع، مبادرة الحزام والطريق: الأهداف والتحديات، العراق، مجلة تكريت للعلوم السياسية، جامعة الموصل، المجلد 2020، العدد "19" مارس 2020م.
- علي الدين هلال، حدود اختلاف المصالح والثقة بالتحالفات... "أوكوس" نموذجاً، أبوظبي مركز المستقبل للدراسات والأبحاث المتقدمة، الثلاثاء، 5 أكتوبر 2021م. <https://futureuae.com>. تاريخ الاطلاع 10 يناير 2022م.
- كارينا فايزولينا، احتجاجات كازاخستان: بحث في الخلفيات، والتداعيات والسيناريوهات المحتملة <https://chinaasia-rc.org › studies-ar>. Archives - chinaasa
- لخميسي شبي، دراسة شاملة لمنظمة حلف شمال الأطلسي (النشأة، المهام، المبادئ والأهداف)، مرجع سابق. <https://www.politics-dz.com>. تاريخ الاطلاع 1 فبراير 2022م.
- لخميسي شبي، دراسة شاملة لمنظمة حلف شمال الأطلسي، (النشأة، المهام، المبادئ والأهداف) 2018م، <https://www.politics-dz.com>. تاريخ الاطلاع 1 فبراير 2022م.
- محسن حسامي ظاهر العبودي، توسيع حلف الناتو بعد الحرب الباردة (دراسة في المدركات، والخيارات الاستراتيجية الروسية)، العراق كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بغداد، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2013م، ص 131-132.
- محمد المصطفى بن الحاج، موقف الاتحاد الأوروبي من مبادرة الحزام والطريق الصينية: الفرص والتحديات، بيروت، مجلة المستقبل العربي مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 509، 2021م.

- محمد سيف الدين، تحالفات أمنية لتطويق "جزيرة العالم"، الميادين نت، 29 سبتمبر، 2021م
<https://www.almayadeen.net>، تاريخ الاطلاع، 11 مارس 2022م.
- محمد عبدالرحمن عريف، شهادات عن الغزو الأمريكي للعراق 2003 الذي تم تحت "عملية حرية العراق".
<https://www.politics-dz.com>، تاريخ الاطلاع 11 مارس 2022م.
- محمود قاسم - حسين عبد الراضي، الناتو، وأوكرانيا: إعادة تشكيل الناتو لمواجهة التحدي الروسي والصيني، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، القاهرة، فبراير، 2022م. <https://ecss.com.eg>
 ...تاريخ الدخول 3 مارس 2022م.
- مروة عبد الحليم، التهديد الجديد.. لماذا تشكل الصين تحديًا مباشرًا لحلف الناتو؟ المرصد المصري،
 28 يونيو، 2021م <https://marsad.ecss.com.eg>، تاريخ الاطلاع 14 فبراير، 2022م.
- مهدي مرعي _ عبدالهادي عبدالكريم، العلاقات الأمنية العسكرية بين حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي بعد الحرب الباردة (1991-2016)، العراق المجلة الأكاديمية، جامعة الموصل، العدد 40، 2020م.
- ميشال نعمه - رامي حسيب، حلف شمال الأطلسي أي دور بعد التفكك السوفيياتي؟ بيروت، مجلة الجيش اللبناني، العدد 24 أبريل، 1998م. <https://www.lebarmy.gov.lb> content تاريخ الدخول 8 فبراير، 2022م.
- نزار إسماعيل الحياي، دور حلف شمال الأطلسي، بعد انتهاء الحرب الباردة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، الاستراتيجية، 2003م.
- نيقولا قاقيلوث، مابين التقارب والتحالف - كيف يمكن فهم العلاقة مابين موسكو وبكين - القاهرة - مجلة الشؤون لعربية الأوراسية - مركز الدراسات العربية الأوراسية العدد 11 أكتوبر 2021م .
- وليد محمود أحمد، استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية للأمن الأوروبي، بعد الحرب الباردة، العراق، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد 39، 2018م.
- Maximilian Mayer, "China's Rise as Eurasian Power: The Revival of the Silk Road and Its Consequences", in Maximilian Mayer (Edited), Rethinking the Silk Road: China's Belt and Road Initiative and Emerging Eurasian Relations, (Singapore: Macmillan, 2018).

الثقافة ودورها في التنمية الاقتصادية والبشرية: من الإقصاء إلى الاعتراف

يوسف أوقسو، طالب باحث بسلك الدكتوراه بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة "ابن طفيل" - القنيطرة- المغرب

oukssouyoussef@gmail.com

ملخص

لطالما شكلت المكونات المختلفة للثقافة مركز اهتمام الباحثين في العلوم الإنسانية والاقتصادية والسياسية وغيرها من التخصصات التي حاولت فهم طبيعة العلاقة التي تربط الثقافة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية، فحاولت التحقق في أكثر القضايا الثقافية ذات الصلة بالتنمية والنمو في العالم المتقدم المعاصر. وقد أظهرت العديد من الدراسات الحديثة - وبشكل مقنع- أهمية الثقافة كعامل في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بعدما ظلت لعقود طويلة "مقصية" من عملية التنمية التي اتخذت من البعد الاقتصادي الواحد أساسا لها. وبناء على ما سبق، تقدم المقالة الحالية مختلف القضايا والاشكالات التي تطرح علاقة الثقافة بالتنمية، فتحاول تأطير إشكالية الثقافة داخل استراتيجيات التنمية بدءا بـ "إقصائها" ووصولاً إلى "الاعتراف" المتأخر بها وبدورها. لتخلص بنتيجة تجعل من الممكن توضيح كيف أن "الثقافة دعامة مهمة" لفهم جوهر التنمية وتأثيرها عليها.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، التنمية، التنمية الاقتصادية والبشرية، التماسك الاجتماعي.

Culture and its role in economic and human development: from exclusion to recognition.

In recent years, the various components of culture have formed the interest of researchers in the humanities, economics, political sciences, and other disciplines that have tried to understand the nature of the relationship between culture and economic, social and human development, so they tried to investigate the most cultural issues related to development and growth in the contemporary world.

Many recent studies have convincingly demonstrated the importance of culture as a factor in economic and social development, after it remained for decades "excluded" from the development process that took the single economic dimension as its basis.

Based on the foregoing, the current article presents various issues and problems that raise the relationship of culture to development. It attempts to frame the problem of culture within development strategies, starting with its "exclusion" and ending with the late "recognition" of it and its role. To conclude with a conclusion that makes it possible to show how "culture is an important pillar" for understanding the essence of development and its impact on it.

Keywords: culture, development, economic and human development, social cohesion.

المقدمة

لقد بات من البديهي اليوم وبشكل متزايد، لا سيما في أنثروبولوجيا التنمية وسوسيولوجيا التنمية والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأخرى، أن الثقافة وكل أبعادها المختلفة، تشكل بعدا أساسيا في تنمية المجتمعات، كما أنها (التنمية) لا يمكن أن تقوم على النمو الاقتصادي كشرط "مطلق" و "مثالي" ووحيد على غرار ما تم

تصوره منذ النصف الثاني من القرن العشرين، حيث تم حصر مفاهيم التنمية والتقدم والنمو في التراكم الكمي للموارد المادية/ الاقتصادية كحل كاف وشامل لمعضلات التنمية، وكهدف "عقلاني" يروم الانتقال من المجتمعات التقليدية نحو المجتمعات المعاصرة (Rostow, 1960)، في الوقت الذي تم النظر فيه إلى ثقافة البلدان المسماة "متخلفة"؛ من قبيل المعتقدات والقيم كما هي متوارثة اجتماعيا عبر الميكانيزمات الاجتماعية¹؛ كمكبج يحول دون تحقيق "التقدم" الذي تم تقديمه كديانة وك "معتقد غربي" في العصر الحديث².

وسيرتبط شرط التقدم بالتغير الثقافي الذي يجب أن يؤمن بقيمة الإنتاج الاقتصادي مقارنة بباقي القيم الأخرى، حيث سيصير النموذج الاقتصادي الغربي مرادفا "للحداثة" كنموذج يحتذى به بالنسبة لباقي الدول الأخرى لا سيما الفقيرة منها.

على هذا الأساس؛ تم اعتبار الثقافة في النماذج التنموية السائدة التي دافع عنها "أرثودكسي التنمية" عبارة عن منطق جماعي وتضامني يكرس "اللاتنمية" في البلدان الفقيرة. كما اتخذت المقاربات الفكرية التي جعلت من النموذج الليبرالي و"الحداثي" للتنمية موقفا سلبيا منها لصالح الاقتصاد والمشاريع المادية التي دافع عنها التيار الأيديولوجي والاقتصادي الرأسمالي-الليبرالي لا سيما مع المؤسسات البنكية الدولية³ التي فرضت تعديلات مؤسسية تنبني على قواعد "عقلانية السوق".

وعلى العكس مما كان متوقعا؛ ستظهر الإجراءات المرتبطة بالنموذج التنموي - الذي سيطر على كل المقاربات الأخرى ممكنة - حدودا كبيرة بفعل الأزمات العديدة التي نتجت عنها أضرار وآثار لا تُحصى بما في ذلك اختلال التوازن الاجتماعي والبيئي والثقافي في العالم بأسره. كما أدى البحث المستمر عن الفاعل الاقتصادي - الذي لا يمكن تعقبه - إلى إرجاع فشل السياسات الاقتصادية للتقاليد والخرافات والعادات والعقليات التي تم التذرع بها بشكل متكرر وروتيني لشرح "تخلف" السكان الفلاحين في البلدان "الأقل نموا"، "لقصورهم الذاتي" أو لمقاومتهم لعمليات التنمية⁴، أو لرفضهم للحاجيات المادية المفروضة من فوق⁵، لأنها لم تناسب اهتمامات البلدان الاجتماعية والتضامنية المستهدفة. ولقد أدى "فشل" المقاربات التقنية الكلاسيكية إلى صعود مقاربات جديدة تدعو لأخذ العوامل الثقافية والاجتماعية بعين الاعتبار كعوامل أساسية جدا لعملية التنمية؛ لأن هذه الأخيرة "لا يمكنها أن توجد أو تتحقق إلا بأخذها بعين الاعتبار للسياقات السوسيو-ثقافية وللشروط الخاصة التي ترتبط بالثقافة المعنية"⁶، وذلك لأن المجتمعات تتصرف حيال كل القضايا بحسب نمط حياة ورؤية للعالم خاصة بها، فتجد مبررات لها داخل الثقافة

¹ F. Facchini, Culture, diversité culturelle et développement : une mise en perspective des travaux récents, revue Tiers-Monde, N 195, Juillet-Septembre 2008.

² Gilbert Rist, Le développement. Histoire d'une croyance occidentale, Paris, Presses de Sciences Po, 4^e éd, 2013.

³ لا سيما البنك والنقد الدوليين.

⁴ Jean-Pierre Olivier de Sardan, Anthropologie et développement, essai en socio-anthropologie du changement social, Paris, 2 -ème édition Karthala, 1995, p. 64.

⁵ Amartya Sen, Development as Freedom, published by Alfred A. Knopf, New York 2000, p. 7.

⁶ M. Claxton, Culture and Development: A Study. UNESCO (France).

بمفهومها الشاسع كـ "كل مركب يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع"¹.

1. الثقافة والتنمية: الديناميات والتفاعلات وقضايهما

1. الثقافة باعتبارها عائقاً أمام سيروية التنمية

إذا كانت التنمية قد أصبحت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ممارسة حديثة ورسمية تستمد أصولها من سياق اقتصادي واجتماعي وتاريخي أكثر ارتباطاً بإرث التنوير و"العقلانية" التي تدعو إليها "الحداثة"، والتي تنضاف بدورها لانتصار نمط التصنيع الغربي، فإنها (التنمية) قد ظلت مصدر انتقاد بالنسبة لبلدان "العالم الثالث" المجبرة على اتباع نفس العملية الفريدة "للتعلم" من الدول الغربية لتحقيق التقدم المدقع للحداثة، لا سيما "إذا ما اندمج الفرد في المجتمع وذابت الجماعة التقليدية التي لا تزال قائمة، والتي تقف مانعاً أمام تحقيق التنمية التي لا بد لها أن تستند عليها أعمال الجماعة نفسها"².

فقد تم النظر إلى "التخلف" أو إلى "المجتمع التقليدي" حسب الإنجازات التي يقدرها المجتمع الصناعي نفسه، وحسب المستوى (المنخفض) من الإنتاجية، وذلك لأن "التقليدية" تتجاهل التقنيات الحديثة التي تجعل من الممكن استغلال الطبيعة بعقلانية، ومن ثمة جعل التقدم غاية في حد ذاته. فكان النظر إلى الثقافة والجوانب المختلفة منها أداة للتبرير والمقارنة، وتم تفسير الانحرافات في التنمية بناء على تقسيمات وثنائيات ثقافية: التقليدية / الحديثة ، الوظيفية / المختلة ...

ويعتبر "عصر التنمية"³ - كما صرح بذلك الرئيس الأمريكي Harry S. Truman سنة 1949- عصراً "يسمح للشعوب في العالم - لا سيما الأقل نمواً - بتحقيق حياة أفضل خاصة بها"⁴، على عكس الحياة "البدائية" التي يمثل فيها الفقر مشكلاً وتهديداً للأمن العالمي ولرفاه الشعوب التي تعيش في الرفاهية.

وعلى هذا الأساس؛ اعتبرت نظريات التحديث أن دول "العالم الثالث" (Alfred Sauvy) عبارة عن كل متشابه في ثقافته وفي بناء الاجتماعية والثقافية التي تشكل عائقاً أمام كل عملية تنموية تم تعريفها على أنها: "عبارة عن خط مستقيم يمكن تمريره من طرف الدول الغنية إلى الدول الفقيرة لكي تتمكن من تحقيق نفس التنمية الغربية وإرساء أسس الدولة الحديثة على غرار دول الشمال انطلاقاً من الأفكار الاقتصادية والمنافسة الحرة"⁵. وقد ظلت الفكرة الأساسية تتمثل في جلب "التقدم" و"الحداثة" لدول العالم الثالث، في الوقت الذي تم فيه تفسير "التخلف" - Sous-développement على أنه راجع لهيمنة الثقافة التقليدية في أوساط المجتمعات الفقيرة التي تعرف هيمنة الروابط

¹ التعريف الأولي والشهير الذي أعطاه "إدوارد تايلور" للثقافة في كتابه "الثقافة البدائية" سنة 1871. ينظر:

- الطاهر لبيب، سوسيولوجيا الثقافة، مطبعة فضالة، الملتقى للنشر، الطبعة الأولى، 2006، ص10.

- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت 2007، ص31.

² Gilbert Rist, *Ibid*.

³ Harry S. Truman, Year 1949,5, United States Government Printing Office, 1964 (January 27).

⁴ Point IV (النقطة الرابعة) من خطاب H. S. Truman.

⁵ S. Jolly, Gender and cultural change, Institute of Development Studies, Juillet 2002.

الأسرية والإثنية وسيادة الوظائف الدينية، والسياسية والقانونية، والعلاقات الجماعية، وضعف في الإنتاجية وقلة الوسائل التقنية للإنتاج الاقتصادي¹.

وهكذا؛ ستمثل الثقافة بالنسبة لنظريات التحديث ذريعة للمقارنة، حيث بحثت عن تحديد وتأويل الفروق بين النظم الاقتصادية بهدف صياغة علاقة سببية بين الثقافة والتنمية الاقتصادية. وقد "قدمت إطاراً من الحالات تشمل كل عناصر الحياة الاجتماعية والثقافية بناء على وظيفتها/صلاحياتها لخدمة النظام السوسيو-سياسي المرتكز على النمو الاقتصادي وتراكم الرأسمال"²؛ في الوقت الذي ظل فيه احترام القيم الثقافية لمختلف المجتمعات غير ذي معنى بالنسبة لنظريات التحديث؛ ذلك أن براديجم تراكم رأس المال والنموذج الرأسمالي ذو البعد الواحد هو "الأهم" و "الأنجع" لتحقيق التنمية، في حين أن الأبعاد الأخرى – بما فيها الثقافية- فتظل ثانوية ومعيقة ليست إلا. وما على الشعوب إلا أن تتخلى عن ثقافتها وعن عاداتها القديمة التي تمثل أصل كل الفشل لأنها تعوق تحقيق التنمية في هذه البلدان³.

2. نقد البراديجم السابق، أو البحث عن أشكال جديدة من التدخل: وكلاء التنمية.

إذا كانت نظريات التحديث عن التنمية قد هيمنت على النصف الثاني من القرن العشرين معتمدة على المعطيات الاقتصادية لتمييز التنمية عن غيرها، فإن المقاربة الاقتصادية الكمية "المفروضة" على الدول الفقيرة جعلتها تدفع فاتورة باهضة الثمن، سواء في ارتفاع نسبة الفقر أو في اتساع الهوة بين الطبقات الاجتماعية داخل البلد الواحد، إلى حد أن بعض الباحثين قد اعتبروا التنمية على المقاس الغربي "سيرورة نمو فاشلة تعوق المجتمعات المعنية التي يراد تنميتها"⁴.

لقد أدت التنمية التي فرضتها الدول الغنية على الدول الفقيرة إلى فشل ذريع في معظم التجارب الاقتصادية، لا سيما في إفريقيا وفي أمريكا اللاتينية نتيجة للنتائج السلبية التي تم أجرائها من قبيل الخصخصة والليبرالية، والاستثمارات، والهيمنة الاقتصادية التي أحدثت اختلالات لحقت السوق والثقافة والهوية الثقافية التي كان "ثمنها الاجتماعي" غالياً.

كما ستدفع هذه النتائج ومحدوديتها الكثير من المؤسسات والتنظيمات الدولية للتفكير في مقاربات تنموية جديدة ستشهد بدايتها منذ فترة الثمانينيات⁵، لذلك سيتم اللجوء إلى فاعلين جدد لهم القدرة على تطوير شكل من أشكال الانعكاسية الجماعية لتحسين العمل المشترك لا سيما بإشراك الفاعلين الجمعيين والاجتماعيين والمدنيين والثقافيين في الفعل التنموي وفق مقاربة تشاركية واعدة. ومنذ ذلك الحين؛ تم تعريف التنمية ليس كبعد ميكانيكي يمثل "معجزة" منتظرة بالنسبة للمجتمعات "الأقل تطوراً" بناء على الإنجازات التي يقدّرها المجتمع الصناعي وقانون السوق، أو بناء على نظرية مهيمنة ينتجها "الشمال" في إطار سياسات أحادية فوقية، ولكن كقطاع يتضمن تدخل العديد من الجهات

¹ J.C Peemans, le rôle de la modernisation dans les rapports entre impérialisme, capitalisme et développement, cahiers marxistes, N236, Octobre-Novembre 2007.

² Ibid.

³ Ibid.

⁴ I. Nechifor, Culture, développement économique et tiers-monde, Etude et rapports de l'Unité de recherche et de gestion culturelle-N-6, Paris UNESCO, 1998.

⁵ لا سيما النقد الذي وجهته نظريات التبعية ونظريات الثقافة واليونسكو وغيرها.

الفاعلة بما في ذلك المنظمات والمؤسسات الدولية والجهات الفاعلة المحلية المصممة للفعل التنموي، سواء من خلال النشاط العادي للخدمات الفنية أو من خلال التحيز المفضل لوكلاء التنمية في الميدان، والذين يشكلون الواجهة الأساسية بين "المشروع" و "المستفيدين منه".¹

كما أن تنوع هذه الجهات الفاعلة المشاركة في تحديد وتنفيذ سياسات التنمية، والفواصل المتعددة بين السياسات والممارسات، وكذلك مرونة ولاءات الأفراد هو أمر ينم أيضا عن هيمنة مؤسسات المساعدات وكذا الجهات المانحة وتعكس علاقات القوة التي لا تخفى عن أشكال التدخل المتعددة هذه.

في هذا السياق من التدخلات من قبل "وكلاء التنمية" والجهات الفاعلة الاجتماعية في أماكن معزولة في العديد من البلدان لا سيما الأفريقية منها، هدفت العديد من المؤسسات والمنظمات الدولية (USAID, OXFAM, CARE, WWF, MSF, AFD, JIC) إلى تعزيز التنمية والمشاركة فيها لا سيما في العالم القروي، وذلك بدعم المبادرات المحلية والمشاركة في التضامن الدولي من خلال التنمية المستدامة والعادلة ومن خلال معسكرات عمل الشباب وإقامة علاقات تضامن قوية. كما هدفت إلى مساعدة المجتمعات القروية لا سيما في هذه البلدان الأفريقية من خلال القيام "بالسياحة التضامنية" أو "التبادلات الثقافية" أو تمويل مشاريع الدخل الإضافي للسكان خاصة في المناطق الأقل نموا حيث يسود انعدام الاستقرار والفقر (السنغال، مالي، كينيا...)، كما تستهدف من خلال أنشطتها تطوير الزراعة بدرجة أولى لأنها المصدر الأول للمعيشة، بالإضافة إلى أنها تولي أهمية كبرى لتعليم الفتاة القروية في هذه الأماكن المعنية ببناء المدارس والمستشفيات والتمويل والمنح ودعم المشاريع التنموية.

3. الاعتراف بأهمية البعد الثقافي في مناهج التنمية:

لقد كان لزاما انتظار سنوات التسعينيات ليتم الاعتراف بالثقافة كبعد رئيسي في التنمية في مواجهة التناقضات المتكررة بين السلوكيات المخطط لها والفعلية، وفي مواجهة الانحرافات التي تمر بها أية عملية تنمية بسبب ردود فعل المجموعات المستهدفة. وقد تزعمت حركات "المجتمع المدني" هذه الرؤى النقدية ونادت بـ "الحق في الجذور".² كما تم انتقاد وكلاء التنمية الذين يلجأون إلى المفاهيم "الرائفة" (حسب Gilbert Rist) في العلوم الاجتماعية أو الاقتصادية وتوظيف مزيد من الكليشيهات والقوالب النمطية من الأدوات التحليلية في إقصاء تام لثقافة أو قيم السكان المحليين المستهدفين في تنميتهم.³

لقد باتت الثقافة إذن مركزية لعملية التنمية، لا سيما بعدها مقاربات "اليونسكو" واحتجاجات الفاعلين الاجتماعيين والمجتمع المدني لتنمية الوعي بأهميتها. كما استجابت حركة تغيير العولمة في مظاهرات ضد الأزمات الاقتصادية المتراكمة ودافعت عن استقلالية الشعوب وخصوصياتها ضد قانون السوق والعولمة النيو-ليبرالية. واعتبرت "منظمة اليونسكو" بداية القرن الواحد والعشرين أن "الثقافة تعتبر إحدى القوى الدافعة الأساسية للتنمية، وأن

¹ Marion Fresia et Lavigne Delville, Au cœur des mondes de l'aide internationale, Regard et posture ethnographique, Paris, Edition Karthala, 2018.

² I. Ruigrok, *Ibid.*

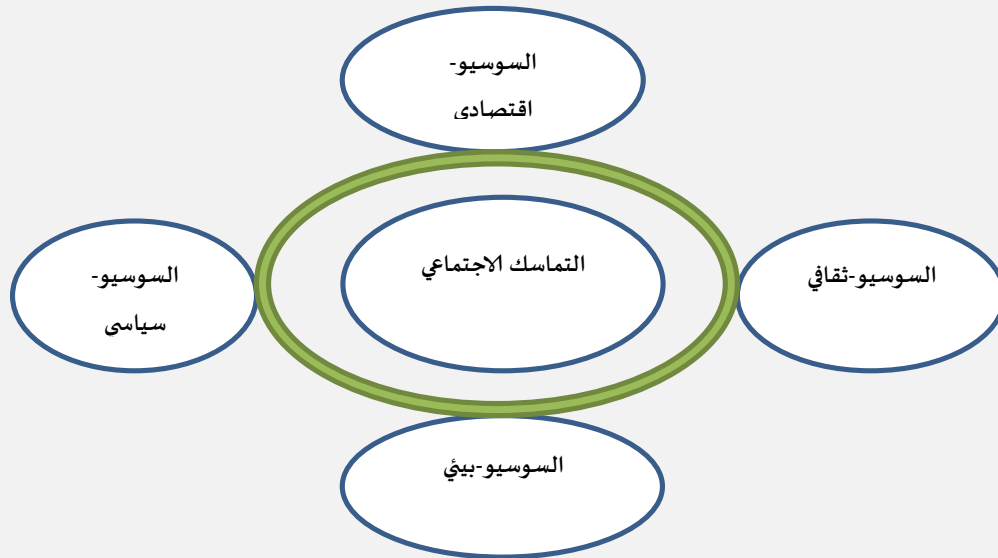
³ *Ibid.*

الجوانب الثقافية للتنمية لا تقل أهمية عن جوانبها الاقتصادية. كما أن للأفراد والشعوب الحق الأساسي في المشاركة فيها وفي الاستمتاع بها والحفاظ عليها وعلى خصوصياتهم وهوياتهم الذاتية"¹.

وإذا كانت المؤسسات الدولية تنظر إلى الدولة كلاعب أساسي في التنمية من خلال نموذج إداري متعلق بمصالح السوق، فإن نظرية الهوية الثقافية ترى أن استراتيجيات التنمية يجب أن تتم على المستوى المحلي للمجتمع، كما لا يجب إبعاد هوية الأفراد الثقافية عن قانون السوق. فالتنمية هي ما يطمح إليه الناس، - على العكس من تصوره النظريات الرأسمالية- وما يمكنهم تحقيقه حسب دور الفاعلين المحليين الرئيسيين الذين يمكنهم اتخاذ إجراءات على أرض الواقع. ويتعلق الأمر هنا بضرورة تعزيز وتشجيع الديناميكيات الاجتماعية والثقافية المحلية في المجتمع، فضلا عن خلق عمل مستدام ومناسب، حيث إن الجهات الفاعلة والسكان المحليين هم الذين يعرفون مشاريع التنمية التي يحتاجون إليها ويولدون تنميتهم الخاصة وفقا لتقاليدهم وعقليتهم، وحسب طبيعة التفاعلات والتفاهات، والهويات، والتاريخ، والذاكرة، باعتبارها قواسم بحاجة إلى نمذجتها واحترامها، فالتنمية - من وجهة نظر منهجية أساسية- هي أولا سلسلة من العمليات الاجتماعية والديناميكية المستوحاة من العمليات التطوعية لتغيير وتعبئة بيئة المجتمع، وتعزيز السلام والحفاظ على الإثراء المتبادل بين الثقافات الوطنية والحفاظ عليها².

II. من الاعتراف بأهمية الثقافة إلى تحقيق التنمية البشرية:

1. الثقافة ركيزة من ركائز التماسك الاجتماعي³:



إن الأنشطة الثقافية تقوي تضامن السكان وتحاول ربط الروابط الاجتماعية بين المجتمع بأسره ومحيطه البيئي، كما تعزز اندماج الأفراد في عالمهم الثقافي والاجتماعي مع الوعي بالانتماء إلى مجموعة تحمي ثقافتها وتحترم ثقافات الآخرين وحياتهم. ويعتبر التماسك الاجتماعي والثقافي الذي تحققه الأنشطة الثقافية ذو أهمية كبرى لا سيما

¹ M.Poncelet, Une utopie post-tiersmondiste. La dimension culturelle de développement, l'Harmattan, 1994, p.56.

² UNESCO, Actes de la Conférence générale, 14e session, Paris, 1966, vol. 1 : Résolutions

³ يحيل مفهوم التماسك الاجتماعي "Cohésion social" في استخداماته الواسعة وفي توافقاته إلى العوامل الاجتماعية والاقتصادية العامة لوصف السمات المجتمعية التي تم تأسيسها على جماعات تحددها العقيدة أو الإثنية، بدلا من الانتماء للطبقة الاجتماعية

في الدول الأفريقية حيث الصراعات والحروب جزء من الحياة. فالتضامن الذي تخلقه الثقافة يعكس قدرة المجتمع على الحفاظ على مصالح أفرادهِ وإجماعهِ وثروته الخاصة، وهو الأمر الذي لم يكن دائماً سهلاً في المناطق التي تكون فيها الهشاشة هائلة، ويكون فيها السلام الاجتماعي ضعيفاً أيضاً.

فتعزيز المراجع الثقافية يؤدي إلى إدامة الثقافة نفسها التي تقوي - بإحالاتها ومرجعياتها ودلالاتها المعروفة والمشاركة بين جميع الناس- الرابطة الاجتماعية بين الأفراد بما يكفي لاستمرارية وتشكيل إجماع حول القضايا المشتركة؛ حيث يتم تحديد الهوية من خلال الانتماء إلى الجماعة التي تشكل التماسك وتشجع التضامن الجماعي. كما تجعل الناس على دراية بالقواسم المشتركة الموحدة، وأيضاً لتوعيتهم بالقضايا الاجتماعية المتعلقة ببيئتهم¹.

إن التعاون بين أفراد المجتمعات غير المستقرة من خلال إقامة مشاريع صغيرة أو كبيرة يشجع على استقرار الناس في مناطقهم وأراضيهم والتمسك بهويتهم المحلية، كما أن فصلهم عن جذورهم يمكن أن يزعزع استقرار الفرد. ويبدو أن تعزيز جميع القضايا والمعرفة الثقافية هو جزء من المهمات الملقاة على الفاعلين المحليين؛ السياسيين والجمعيين والثقافيين؛ بتعاون مع شركائهم، وذلك بخلق مبادرات ومشاريع ثقافية من قبيل المهرجانات والمواسم والمناسبات والندوات عن أهمية الثقافة والمناقشات حول الثقافة أو البيئة أو الحرف أو التراث الثقافي أو المعارف التقليدية. وتعد هذه المناسبات الثقافية فرصة حقيقية للترويج للقيم والمعارف والصناعات التقليدية والملابس والآثار وكل ما هو محط إجماع في المجتمع يروم التماسك. وكذا خلق مشاريع ثقافية مثل تعاونيات النسيج والملابس والموسيقى والحرف اليدوية والأسواق التقليدية والترويج للمنتوجات المحلية لتنشيط الدورة الاقتصادية والحفاظ على الحياة الاجتماعية. كما أن الصورة التسويقية والاشهارية للأنشطة الثقافية تجعل الساكنة متمسكة بتراثها وثقافتها وهويتها الأصلية ضد كل أشكال الهيمنة والغزو الثقافي.

2. الثقافة سبب في السلام والاستقرار

تكمن أهمية الثقافة كركيزة مهمة لأهداف التنمية - بالإضافة إلى فهمها النظري والصلاحيات الميدانية لتأثيرها - في أنها تلعب دوراً مهماً للغاية على جميع المستويات، وعلى الصعيدين الفردي والجماعي. ولعل من أدوارها أنها تساهم في الاستقرار والسلام. فسواء "على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الوطني أو الدولي، يمكن للناس تطوير ثقافة متنوعة تساهم في زيادة الوعي بالاختلافات والتفاهم المتبادل والانفتاح بين الأفراد والمجتمعات"².

كما يساعد تطوير تعددية ثقافية تكون في متناول السكان على زيادة الوعي الثقافي لتجنب العديد من النزاعات المتعلقة بالمجتمع وتجنب التعصب العرقي / الإثني في البلدان حول العالم. ويعتمد استقرار كل مجتمع أيضاً على قبول ثروته التاريخية والثقافية، والتي تقوم على فن مشاركة المشاعر والعيش معاً خاصة في ظل الأزمات الاجتماعية والاقتصادية، حيث تشترك الجماعات الإثنية والثقافات المختلفة في الهويات ونقاط القوة والثقافة الواحدة.

أما بالنسبة للمعايير الإيجابية للثقافة المشتركة والطريقة المفتوحة لقبول الاختلافات، فهي تجعل الثقافة عاملاً مهماً في التغلب على الصراع المزمع وتعزيز الوعي الثقافي والفهم الأساسي للمجتمع. وبالتالي فإن السلام هو الهدف الذي

¹ Bertrand Roehner, Cohésion sociale, Odile Jacob 2004, p.24.

² Commission européenne, Culture et développement sociale et humaine, mai 2010.

تسعى إليه المشاريع الثقافية الداعمة التي تشجع التبادل واللقاء ، خاصة في المجتمعات الهشة؛ بينما تستمر التدخلات في قطاعات أخرى مثل التعليم (وغيرها) في قيادة القضايا الاجتماعية والثقافية لإعادة التفكير بطرق إيجابية لضمان الحفاظ على التراث والهوية والأمن العاطفي للأفراد في عالم متغير وغير مستقر.

إن الثقافة هدف معترف به لزرع السلام بين الأفراد في المجتمع من خلال تشجيع المبادرات الثقافية القائمة على الحوار والتبادل والاحترام المتبادل، لا سيما من خلال المبادرات الثقافية (المهرجانات والمواسم والأنشطة المدرة للدخل والجمعيات والتعاونيات...)، حيث أنها تخلق روابط للاتصالات والتبادل والحوار وتبني العلاقات الإنسانية¹. ومن أجل ذلك تحقيق تنمية اجتماعية ترتبط بالسلام، تقدم اليونسكو أسسا ثمانية لـ "ثقافة السلام" وهي:

1. تعزيز السلام عبر التربية لجميع الأطفال وإيلاء اهتماما خاصا للمرأة.
2. القضاء على الفقر والتركيز على قيمة البيئة من خلال تحسين التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
3. تعزيز الاحترام لكل الناس وتطبيق الإعلانات العالمية لحقوق الإنسان على جميع المستويات.
4. ضمان المساواة بين المرأة والرجل والقضاء على كل أشكال التمييز.
5. دعم المشاركة الديمقراطية من خلال توعية المواطنين بالممارسات المسؤولة.
6. تعزيز مفاهيم التسامح والتضامن وتشجيع الحوار بين الحضارات.
7. دعم حرية المعرفة والمعلومات من خلال استقلالية وسائل الإعلام.
8. تعزيز السلم والأمن الدوليين من خلال إجراءات مثل نزع السلاح والحل السلمي للنزاعات².

3. الثقافة عامل اقتصادي مهم في التنمية

تؤكد الأهداف الإنمائية أن للثقافة كل القدرة على تعميم الموارد المرتبطة بالسياحة الثقافية والإبداع والرفع من مستويات الموارد وخلق الكثير من الفرص للشباب والنساء (1,3,8 OMD). وتتجلى المساهمة الاقتصادية للثقافة في الترويج للخدمات الثقافية والسلع الثقافية وتسويقها على المستوى الاقتصادي وتشكيل "صناعات إبداعية". وتعد المواسم الثقافية والمهرجانات والمعالم الأثرية والأغاني والرقصات والفرق الشعبية عناصر ذات أهمية ثقافية للتنمية الاقتصادية. فالممارسات الثقافية التقليدية تجذب بشكل كبير ملايين السائحين الفضوليين لإعادة اكتشاف الماضي البسيط للإنسانية، وهو ما يوفر للسكان المحلية مزيدا من وسائل التمويل ويمثل مصدرا دخل حقيقي بالنسبة للعديد من الدول (مصر، المغرب، تونس، جنوب إفريقيا...)، حيث توضح المعطيات أهمية التراث الثقافي (بشقيه المادي وغير المادي) عامل جذب سياحي كبير، وبات ميدانا للتدخل يضمن دخلا كبيرا بالنسبة لهذه الدول (على الرغم من كل الانتقادات طبعا).

¹ في عام 1995 أثناء الحرب في البلقان، انطلق مهرجان "سرايفو" السينمائي الذي خلق مساحة للحوار والسلام والخبرات بغرض المصالحة وتجاوز الكراهية بين الشعوب والإثنيات المختلفة. والذي يعد في الوقت الحالي من أكبر المهرجانات السينمائية في العالم.

² Commission européenne , *Ibid*.

وقد أصبحت السياحة أداة فعالة للتنمية ومكافحة الفقر في العديد من البلدان بفعل تسليط الضوء على الاحتفالات الثقافية التي تقوم بها الدول ومؤسساتها المركزية والجمعيات الثقافية النشطة التي تشجع المبادرات الثقافية لخلق الديناميات الاقتصادية وتحقيق التنمية لا سيما في بلدان "الجنوب"، حيث توفر موارد إضافية لكثير من السكان¹.

ويعتبر تعزيز التراث الثقافي مهما جدا بالنسبة للعديد من الدول، فبقدر ما يسعى إلى تعزيز الموارد المالية للمجتمعات المستهدفة، بقدر ما يوفر فرصا أخرى للاستقرار والدخل الجديد؛ فالإقتصاد التضامني يرتبط ارتباطا مباشرا بمشاريع التضامن المنفذة في كثير من البلدان. كما أن الثقافة - زيادة على تأثير الأنشطة المرتبطة بها على التنمية الاقتصادية - تظهر حجم الدينامية الاقتصادية التي تخلقها قطاعات النشاط الثقافي التي تقدم خصائصا تجعلها قطاعات مثيرة للاهتمام من حيث الإمكانيات والمساهمة في التنمية الاقتصادية المتوازنة خاصة في اقتصادات البلدان النامية. والتي غالبا ما يتركز النشاط الاقتصادي فيها في عدد قليل من أنشطة الإنتاج الأولية كالزراعة، والثروة الحيوانية، وفي استخراج المواد الخام.

خاتمة

منذ منتصف التسعينيات؛ سيتحول البعد الثقافي للتنمية الاجتماعية إلى موضوع مهم للبحث المتعدد التخصصات؛ وستثار أسئلة كثيرة من طرف الباحثين والمفكرين حول تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية على التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وكذا الجمع بين قيم الثقافات التقليدية مع التحديث، وتأثير التنوع الثقافي على ما يفعله الناس وما يريدونه. فصار من المهم - بشكل متزايد - الانتقال من إدماج العوامل الثقافية ضمن سيرورات التنمية إلى دراسة ميكانيزمات هذا النوع من التنمية: التنمية البشرية.

ونظرا لحقيقة أن دراسة أي قضايا على المستويات الوطنية/المحلية اليوم مستحيلة دون مراعاة عمليات العولمة، فإنه بات من الضروري أن تتم دراسة مشكل التنمية بتحليل الاتجاهات الاجتماعية والثقافية العالمية، بما في ذلك تلك المتعلقة بتكامل وتفكك المجتمعات المحلية، وتشكيل مواقف الهوية الثقافية، وكذلك "وحدة التنوع" في التنمية الثقافية ومبادئها العامة. وهكذا تظل الحاجة إلى توسيع قاعدة السياسة الثقافية لصالح التنمية البشرية/المستدامة غاية في حد ذاتها تتطلب الوعي بأهمية الفعل الثقافي في عالم متغير ودينامي.

البيبلوغرافيا:

- Amartya Sen, Development as Freedom, published by alfred a. knopf, New York 2000,p.7.
- Bertrand Roehner, Cohésion sociale, Odile Jacob 2004, p.24.
- F. Facchini, Culture, diversité culturelle et développement : une mise en perspective des travaux récents, revue Tiers-Monde, N 195, Juillet-Septembre 2008.
- Gilbert Rist, Le développement. Histoire d'une croyance occidentale, Paris, Presses de Sciences Po, 4^e éd, 2013.
- Harry S. Truman, Year 1949,5, United States Gouvernement Printing Office, 1964 (January27).

¹ Volker Borschier, Culture and Politics in Economic, Development, Routledge, New York 2005, p.115.

- I. Nechifor, Culture, développement économique et tiers-monde, Etude et rapports de l'Unité de recherche et de gestion culturelle-N-6, Paris UNESCO, 1998.
- J.C Peemans, le rôle de la modernisation dans les rapports entre impérialisme, capitalisme et développement, cahiers marxistes, N236, Octobre-Novembre 2007.
- Jean-Pierre Olivier de Sardan, Anthropologie et développement, essai en socio-anthropologie du changement social, Paris, -ème édition Karthala, 1995, p. 64.
- M. Claxton, Culture and Development: A Study. UNESCO (France).
- M.Poncelet, Une utopie post-tiersmondiste. La dimension culturelle de développement, l'Harmattan, 1994, p.56.
- Marion Fresia et Lavigne Delville, Au cœur des mondes de l'aide internationale, Regard et posture ethnographique, Paris, Edition Karthala, 2018.
- S.Jolly, Gender and cultural change, Institute of Development Studies, Juillet 2002.
- Volker Bornschier, Culture and Politics in Economic, Development, Routledge, New York 2005, p.115.

دراسة ظاهرة التوسع الحضري وإشكالية التنقلات الحضرية باستعمال نظم المعلومات الجغرافية: حالة مدينة خريبكة- المغرب

حسن الممساوي: دكتور باحث في الجغرافيا وإطار التوجيه المدرسي والمهني والجامعي، المغرب

hassane.elmamsaoui@gmail.com

ملخص

شهد المجال المغربي منذ النصف الثاني من القرن العشرين تحولات عميقة وتوسعا حضريا مهما، نتج بالأساس عن ارتفاع عدد السكان بالمجالات الحضرية، الأمر الذي جعل الحواضر تعرف ضغطا قويا وطلبا متزايدا على السكن وعلى النقل الحضري.

أدى هذا الوضع، وفي غياب أي مخطط للتنقلات الحضرية بالمدن، إلى ضعف على مستوى تدبير وتخطيط التنقلات الحضرية، وعدم مواكبتها للتحولات السوسيواقتصادية للمدن، وأدى أيضا إلى سوء توزيع المرافق العمومية والاجتماعية، والأنشطة الاقتصادية؛ وبالتالي يصعب خلق توسع مجالي وتنظيم وتخطيط مجالي متوازن ومستدام. تتجلى أهمية الموضوع في كونه يسلط الضوء على دور نظم المعلومات الجغرافية في دراسة إشكالية عدم مواكبة التنقلات الحضرية لتوسع المجالات الحضرية، وما ينتج ذلك من إكراهات وصعوبات أمام خلق مجالات حضرية تراعي مبدأ الاستدامة والتنمية بمختلف مقاييسها.

الكلمات المفتاحية: التنقلات الحضرية، التوسع الحضري، التخطيط المجالي، مستدام.

Study of the phenomenon of urban expansion and the problem of urban displacement using geographic information systems: case of the city of Khouribga -MOROCCO

Summary

The Moroccan space has known since the 2nd half of the 20th century profound transformations and important urban expansions due mainly to the increase in the population in the urban sectors, something causing a strong pressure and a growing demand on housing and transport. urban.

This situation, faced with the absence of an urban displacement plan in the cities, has caused a weakness in the management and planning of urban travel, and its delay, via the socio-economic transformations of the cities, has caused a poor distribution of public, social facilities and cultural activities. In this case, it is difficult to create a balanced and sustainable spatial extension and spatial organization and planning.

The importance of the subject is seen essentially in the case that it puts its finger on the role of geographic information systems in the study of the problem of the non-monitoring of urban displacement and the extension of urban spaces, and what leads to the constraints and difficulties of creating urban spaces aimed at the principle of sustainability and development in all its measures.

Key words: Urban displacements, urban extension, spatial planning, sustainable.

مقدمة

عرف المجال المغربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين وبداية القرن الحالي، دينامية للتمدين كرسّت وأيدت السيادة العددية والتنوعية للمجال الحضري على حساب سيادة المجال القروي. مما أدى إلى تحول العديد من المراكز القروية إلى حواضر وبكثافات سكانية مهمة، حيث مثلت الساكنة الحضرية حسب تعداد 1960 نسبة 29 % من مجموع ساكنة المغرب ، لتنتقل إلى 35% سنة 1971، ولتعرف ارتفاعا متزايدا لتصل حسب إحصاء 2014 إلى 65%.

وقد تزامن كل ذلك بنمو المدن نوعيا وعدديا مع عدة اختلالات مجالية، بعدما انتقل عدد المدن من 27 مدينة سنة 1926 إلى 199 وحدة حضرية سنة 2004 [قضايا التمدين والتعمير الكبرى بالمغرب، فجال علي، مجلة دفاتر جغرافية، العدد السابع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز، فاس، 2010، ص 36]، ووصل عددها عدد سنة 2011 إلى 221 جماعة ترابية حضرية [اللامركزية في أرقام 201-2015، المديرية العامة للجماعات الترابية، المملكة المغربية، 2015]. وعرفت مختلف الحواضر كثافات مرتفعة من السكان؛ ويبلغ معدل التزايد السكاني بالوسط الحضري خلال الفترة 2004-2014 ما قيمته 2,1% [النشرة الإحصائية الجهوية 2014، المندوبية السامية للتخطيط]، مع ما يرافق ذلك من تحولات اجتماعية واقتصادية وثقافية ومجالية عميقة. انعكست هذه الوضعية سلبا على مستوى توزيع السكان، الموارد والأنشطة الاقتصادية داخل التراب الوطني، مما أفرز مجموعة من الاختلالات وقيام تنظيم ترابي غير متوازن سيمته الأساسية التمرکز المفرط للسكان والأنشطة بجهات دون أخرى ومدن على حساب أخرى.

وعلى غرار المدن المغربية، عرفت مدينة خريبكة توسعا حضريا ملحوظا منذ منتصف القرن الماضي، بفعل النمو الديموغرافي وتوالي الهجرات نحوها لما توفره من فرص للشغل، إذ تعتبر مدينة منجمية بامتياز بفضل توفر مخزون هام للفوسفات في المناطق المحيطة بها. لقد بلغ الإنتاج سنة 2010 ما مجموعه 17 مليون طن أي 63,6 % من الانتاج الوطني. أضف إلى ذلك عائدات العمال المقيمين بالخارج والذين يفضلون عادة الاستثمار في العقار، ومن هنا وجب اعتماد سياسة حضرية توازن بين تنمية المدينة وتهيئتها، وبين استدامة مواردها ومؤهلاتها.

إن التحولات المجالية والعمرانية والديموغرافية لمدينة خريبكة، تستدعي تيسير التنقلات الحضرية من أجل تحقيق الولوجية للبنيات والمرافق الاجتماعية، وتلبية الحاجيات المتزايدة للساكنة، ذلك أن التنقلات الحضرية والولوجية ترتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة تنظيم المجال. وبالتالي وفي ظل هذا التوسع الحضري يصبح لزاما على القائمين على تدبير وتخطيط المجال الحضري التفكير المسبق في حركية السكان، ذلك أن الولوجية مؤشر على درجة الرفاه أو الاقصاء الاجتماعي، ولأن مستقبل الشعوب وتنميتها رهين بمدى قدرتها على الإدماج الفعلي لكل شرائحه الاجتماعية. تأسيسا على كل ما سبق، فإن إشكالية الموضوع تتمثل فيما يلي: ما مدى مساهمة التنقلات الحضرية لوثيرة التوسع الحضري لمدينة خريبكة؟ ومنه يمكن طرح الأسئلة الفرعية التالية: ما مدى مراعاة تحقيق الولوجية بمدينة خريبكة؟ وما هي أهم خصائص التوسع الحضري بمدينة خريبكة؟

1. الإطار النظري

يعتبر تحديد المفاهيم والمصطلحات ضرورة ملحة في البحث الجغرافي، شأنها في ذلك شأن تحديد الأدوات والمنهج الذي يعتبر جوهر الدراسات على اختلافها وتنوعها. فالمفاهيم تتعدد معانيها بتعدد التخصصات، وهو الأمر الذي يجعل كل باحث يعطي تعريفاً انطلاقاً من تخصصه العلمي.

ولتفادي اللبس والارتباك والغموض الذي يمكن أن يسقط فيه القراء، سنحاول قدر الإمكان الإحاطة بالمفاهيم المؤطرة لهذا البحث والتي لها صلة وثيقة بالإشكالية موضوع الدراسة، التي يشكل تحديدها تحديداً للأسس النظرية والمفاهيمية التي تمكن المتلقي من التموضع والنظر من نفس زاوية صاحب البحث.

1.1. مفهوم التوسع الحضري

لفهم هذا المفهوم المركب من لفظتين، لابد من تجزيته وتحديد مدلول كل شق، ومن ثم يمكن تحديد المعنى الذي ينبثق عن عملية الدمج بين هذين الجزأين، وهو المعنى الإضافي. فالدمج بين مفهومي "التوسع" و"الحضري" يمكننا من تحديد مدلول التوسع الحضري، الذي هو اكتساح المجال من طرف المدينة، بمعنى توسع مساحات المدن والتجمعات الحضرية¹. كما يعرفه Pierre MERLIN على أنه لا يخص فقط التطور العددي للسكان، وإنما يخص كذلك استهلاك المجال من طرف الأشخاص، حيث أنه رغم ثبات عدد الساكنة فإن المدن تزدهر، وذلك راجع لارتفاع مستوى العيش الفردي².

إذن فالتوسع الحضري يعني توسع مدينة ما وضواحيها على حساب الأراضي والمناطق المحيطة بها، مما يؤدي إلى تطور المناطق الريفية المجاورة للمدن الكبيرة تدريجياً وزيادة كثافتها السكانية شيئاً فشيئاً، ورفع مستوى الخدمات وانتشار استخدام السيارات ووسائل النقل الحديثة بها على مستوى أوسع.

2.1. التنقلات الحضرية

يحدد مفهوم هذه الكلمة المركبة بإعطاء مفهوم اللفظتين "التنقلات" و"الحضرية"، فالتنقلات المرتبطة بالمدينة إما خارجية تصرف الضغط عن المدينة في اتجاه الخارج، وإما داخلية (تنقلات حضرية) تهدف إلى استفادة السكان من الإمكانيات والفرص التي توفرها المدينة.

2. الفرضيات

يرتبط التوسع الحضري في جل المدن المغربية، وإن كان بنسب متفاوتة، بالنمو الديموغرافي والهجرات، وذلك عبر ضمان انسيابية التنقلات الحضرية للأفراد داخل المدارات الحضرية، في أفق تحقيق اللوجية للسكان قصد سد حاجياتهم. ومن هذا المنطلق تأتي الفرضيات التي ستسمح لنا بالإجابة على الإشكالية موضوع البحث، كما ستسمح بتحديد مختلف محاوره. وهي كالتالي الفرضية الأولى: عدم مراعاة تحقيق اللوجية، يؤدي إلى انخفاض جودة التنقلات الحضرية. الفرضية الثانية: ضعف إعداد وتدبير المجال المبنى، ينتج توسعاً حضرياً لا يأخذ بعين الاعتبار التنقلات الحضرية.

¹ علي لبيب، قاموس الجغرافيا، الطبعة الأولى، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، 2004

² MERLIN .Pierre, La croissance urbaine, Presses universitaires, Paris, France, 1994, P 36

3. المنهجية

يرتبط اعتماد مقارنة دون أخرى بطبيعة الاشكالية التي يعالجها البحث، حيث أنها لا تخضع لرغبات الباحث، وإنما تفرضها طبيعة موضوع الدراسة، والأهداف المرجوة وكذا قدرتها على الإجابة على الفرضيات المتعلقة بالبحث. وفي هذا الإطار قد تم الاعتماد على المقاربة النسقية، باعتبارها منهجا يعتمد المقاربة الكمية النسقية، نظرا لكون موضوع الدراسة يتمحور حول المدينة كمنظومة معقدة من العلاقات التي تمكن من اختزال أو تقليص المسافة الفيزيائية بين الانسان والأنشطة ". وبالتالي فهي مجموعة من الأنظمة المتداخلة والمتفاعلة بطريقة دينامية بغرض تحقيق هدف معين، والتي لا يمكن فهم عناصرها معزولة عن بعضها البعض بل تدرس في كليتها، مع الأخذ بعين الاعتبار أنها مندمجة في منظومة أكبر، تتفاعل معها وتحدد توجهاتها.

1.3. جمع المعطيات

يرتبط اختيار الأدوات المنهجية التي يعتمد عليها الباحث في جمع المعطيات بطبيعة هذه الأخيرة، الوضع الذي جعلنا نعتمد للحصول على المعطيات الكمية على نتائج إحصاءات السكان المتعددة التي قامت بها المندوبية السامية للتخطيط، كما اعتمدنا على معطيات حصلنا عليها من مؤسسات عمومية: عمالة إقليم خريبكة، بلدية مدينة خريبكة، الوكالة الحضرية لمدينة خريبكة، نيابة وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني بمدينة خريبكة، مندوبية وزارة الصحة بمدينة خريبكة، مجموعة العمران، المندوبية الجهوية للإسكان والتعمير، المندوبية الإقليمية للتجهيز والنقل واللوجستيك. كما تمت مقارنة إشكالية الموضوع من خلال بحث ميداني دقيق للمجال من خلال استمارة لجمع أكبر كم من المعطيات حول الاشكالية موضوع الدراسة، عبر توجيهها لعينة تمثل المجتمع الأصلي للبحث، وذلك بهدف التعميم ودون الحاجة للقيام بحصر شامل لمكونات المجتمع الأصلي للدراسة. وبالنظر لطبيعة الظاهرة المدروسة وهي التوسع الحضري والتنقلات الحضرية، والتي تستدعي توزيع العينة بشكل متناسب على مجال الدراسة، لأن هناك ارتباط وثيق بين الأسرة كوحدة إحصائية والمسكن كوحدة مجالية لقياس مدى مساهمة التنقلات الحضرية لوثيرة التوسع الحضري.

2.3. تحليل المعطيات

تكتسي هذه العملية أهمية بالغة، ذلك أن الحصول على المعطيات الكمية والنوعية لا يعني تحقيق الغاية من البحث، بل هو توفير للمادة الخام التي يجب تحليلها وتمحيصها، وانجاز التقاطعات، للوقوف على العلاقات التفاعلية، واستنباط علاقات التأثير والتأثر بين العناصر المدروسة، حتى يتم الوصول إلى الخلاصات والنتائج. وقد اعتمدت في تحليل المعطيات ومعالجتها على مجموعة من البرانم، الجدول Excel، والبرنام الإحصائي SPSS، كما استعنت بنظم المعلومات الجغرافية للقيام بالعمل الكارطوغرافي، والتحليل الموضوعاتي والتركيبى لنتائج الاستمارة، وتنظيمها على شكل خرائط تركيبية ورسوم مبيانية.

4. النتائج والمناقشة

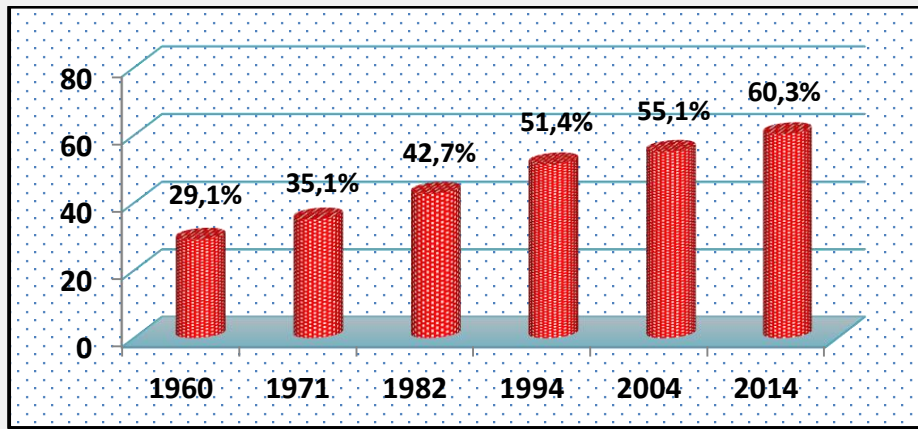
شهد المغرب كباقي المجتمعات المعاصرة ظاهرة التوسع الحضري، حيث عرفت المدن مجموعة من التحولات المجالية والسوسيواقتصادية، أنتجت عدة عوامل كالتزايد الطبيعي والهجرة الداخلية والدولية وتركز الأنشطة الاقتصادية. بدأ مسلسل التغير هذا مع الفترة الاستعمارية التي تعتبر نقطة انطلاق لتعمير معاصر، حيث شهد المغرب

تحولات سوسيواقتصادية وثقافية عميقة، تجلت خصوصا في ظهور أنماط جديدة لهيئة المجال على المستوى الحضري والقروي على حد سواء، مما أدى إلى هجرة قروية قوية في اتجاه المدن، التي لم تكن مهيأة بالشكل الكافي لاستقبال الأفواج الكبيرة من السكان. وكنتيجة لهذه الوضعية أخذت المدن تتوسع في كل الاتجاهات، بشكل عشوائي وغير منظم وتفتقر لمعظم التجهيزات العمومية والبنى التحتية والمرافق الاجتماعية، مما أثر بشكل كبير على سلامة ووثيرة التنقلات الحضرية داخل المجالات الحضرية وهوامشها.

ويمكن الاستعانة بنظم المعلومات الجغرافية في إنجاز خرائط موضوعاتية رقمية، تكون تفاعلية وقابلة للتحسين، وتستخدم للقيام بمختلف عمليات القياس لدرجة اللوجية، وجودة التنقلات الحضرية، وذلك عبر إنجاز خرائط النقل الحضري وخرائط السري، وخرائط المرافق العمومية.

1.4. التمدن ودينامية المدن بالمغرب

برزت أهمية المدن مع بداية القرن العشرين، والذي رافقه نمو كبير ومتواصل للمناطق الحضرية، لمواكبة التدفقات البشرية بفعل الهجرة أو التزايد الطبيعي. وبذلك أصبحت المدن الأنسب للحياة اليومية والمحرك الرئيسي للتنمية في ظل العولمة. وأصبحت بذلك تعاني من مجموعة من الاختلالات كمشكل التنقلات الحضرية والسكن والصحة والتعليم والبنية التحتية. تشير الإحصائيات أن المدينة المغربية هي مجال للاستهلاك أكثر منه للإنتاج. ويشكل تزايد نسبة التمدن بالمغرب باستمرار، إحدى أهم التحديات أمام المغرب مباشرة بعد بزوغ فجر الاستقلال، خاصة أمام تزايد أعداد الساكنة الحضرية، والتطور العددي والنوعي للمدن داخل التراب الوطني.



المصدر: المندوبية السامية للخطوط

مبيان 1 : تطور نسبة التمدن بالمغرب بين أحصاء 1960 و 2014

وقد انعكست التحولات المجالية الكبرى بالمغرب، على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، حيث عرفت نسبة التمدن ارتفاعا متواصلا، إذ انتقلت من 5% سنة 1900 إلى 55.1% سنة 2004، أي تضاعفت 11 مرة، لتواصل ارتفاعها لتصل 60.3% حسب احصاء 2014، بفعل التزايد الطبيعي وارتفاع وثيرة الهجرة القروية إثر الظروف غير الملائمة بالعالم القروي.

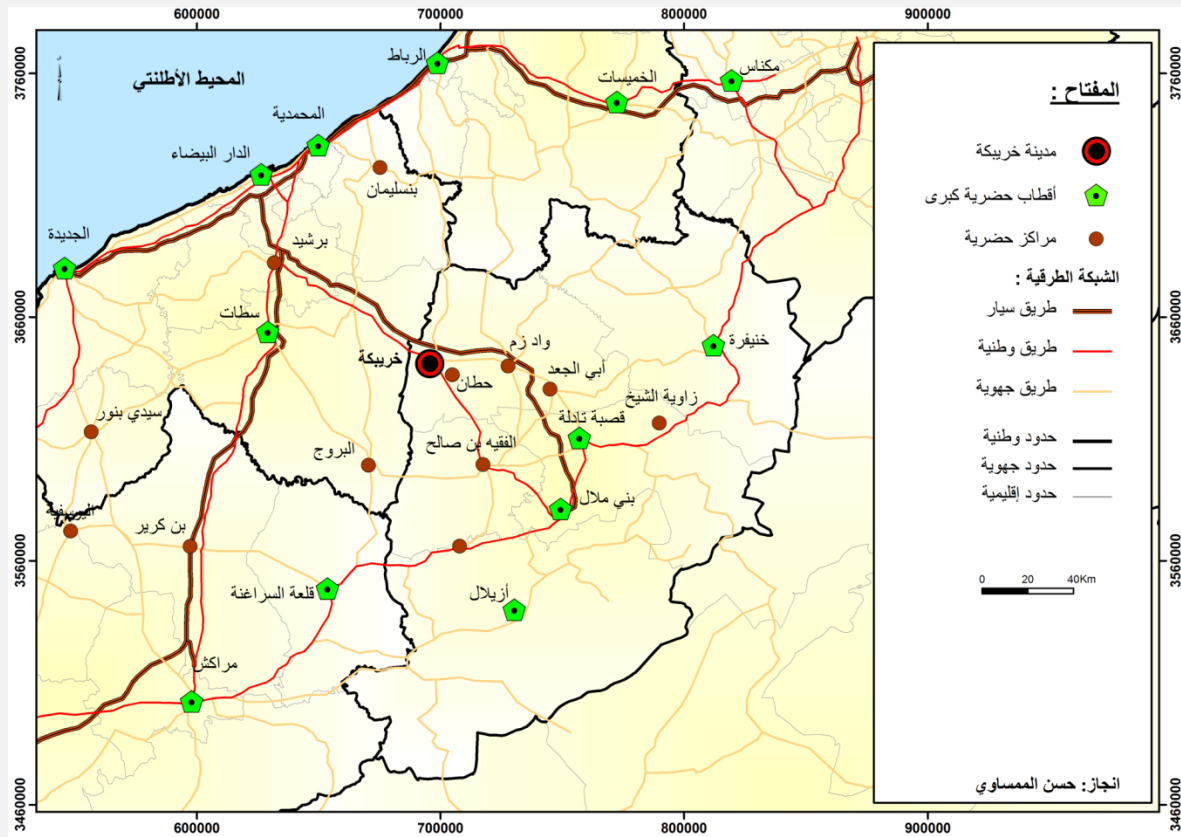
2.4. آليات وعوامل التوسع الحضري لمدينة خريبكة

خربةكة مدينة بعمر قرن من الزمن تقريبا، تشكلت مع اكتشاف مادة الفوسفات، وظلت لسنوات ومازالت نبض الاقتصاد الوطني، وقبلة للهجرة الوطنية والدولية مع أول نبش على أرض الفوسفات. هذه الوضعية جعلت المدينة تتوسع في كل الاتجاهات، لتتألف مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية والاقتصادية.

1.2.4. الموقع الجيوستراتيجي للمدينة

تتموقع مدينة خربةكة التي تبلغ مساحتها 42 كلم مربع، ضمن تراب جهة بني ملال- خنيفرة، وتعد مركز إقليم خربةكة، الذي يحده شمالا إقليم الخميسات، وجنوبا إقليم بني ملال والفيقه بن صالح، وشرقا إقليم خنيفرة، وغربا إقليم سطات وقلعة السراغنة، مما يجعلها تلعب أدوارا استراتيجية ضمن الشبكة الحضرية التي توجد ضمنها.

خريطة رقم 01: موقع مدينة خربةكة ضمن الشبكة الحضرية

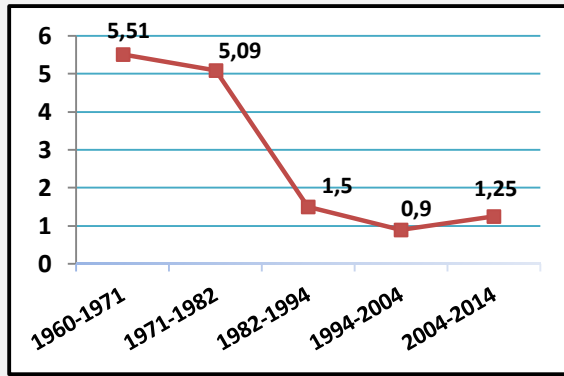


المصدر: عمل شخصي

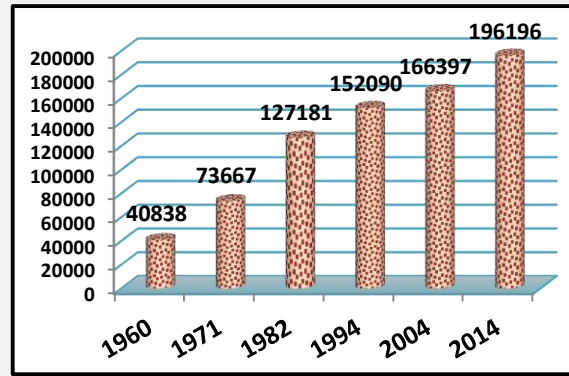
2.2.4. تزايد سكاني مستمر

عرفت ساكنة مدينة خربةكة نموا متواصلا وإن كان بمعدلات مختلفة نتيجة مجموعة من العوامل. حققت خلال الفترة 1952-1936 معدل نمو 5.4% وهو يفوق المعدل المسجل على الصعيد الوطني 4%¹، لتعرف هذه المعدلات منحا تنازليا على الرغم من تزايد عدد الساكنة، والذي ازدادت حدته خصوصا في الفترة 1994-2004 ليصل 0.9%، ويلخص المبيانين المواليين معدلات النمو وعدد الساكنة.

¹ Abdelaziz Adid : Khouribga la problématique d'une ville] minière marocaine, schéma directeur d'aménagement urbain Khouribga-Oued zem-rapport final Khouribga, P 219.



المصدر: الإحصائيات من 1960 إلى 2014



المصدر: الإحصائيات من 1960 إلى 2014

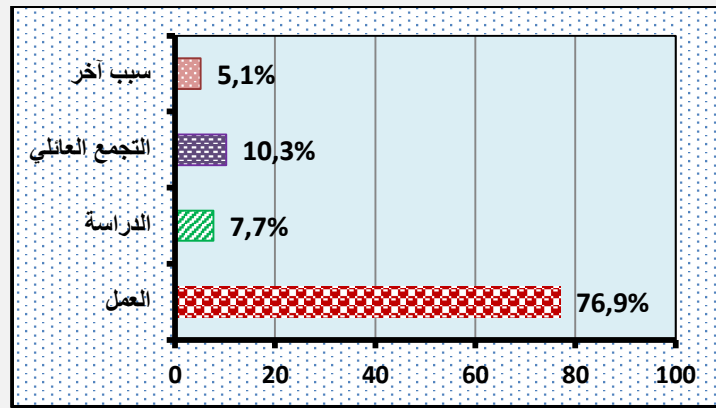
مبيان 2: تطور ساكنة مدينة خريبكة (1960-2014) مبيان 3: نسب التزايد السنوي بمدينة خريبكة (1960-2014)

من المؤكد أن تعداد ساكنة المدينة يتزايد باستمرار، خصوصا منذ بداية السبعينات، حيث انتقلوا من 40838 نسمة سنة 1960، إلى 127181 نسمة سنة 1982 بسبب ارتفاع الطلب على مادة الفوسفات بعد أن عاش أزمة في تسويق انتاجه خلال الخمسينيات، وتزامنا مع ذلك ظل التزايد الطبيعي مرتفعا مع مرحلة الانتقال الديموغرافي الذي عرفه المغرب في تلك الفترة.

غير أنه ابتداء من سنة 1982 عرفت المدينة تراجعا قويا على مستوى الدينامية الديمغرافية والذي يتجلى في تراجع معدلات النمو إلى ما دون 1% سنة 1994، وانتقل عدد السكان من 152090 سنة 1994 إلى 166397 نسمة فقط سنة 2004 بزيادة سنوية بلغت 0.9%. ورغم ذلك فقد تضاعف عدد السكان بأكثر من أربع مرات (4.08) خلال 54 سنة، وهذا راجع إلى الزيادة الطبيعية وكذا ارتفاع وثيرة الهجرة الداخلية، وارتقاءها إداريا سنة 1959 من مركز حضري إلى بلدية، ثم إلى عمالة للإقليم منذ سنة 1967.

3.2.4. الهجرة كآلية من آليات التوسع الحضري

تعد الهجرة عنصرا أساسيا من عناصر الدراسة السكانية، لأنها تمثل إلى جانب التزايد الطبيعي مصدرا لتغيير أعداد الساكنة بمجال معين، وترجع أسبابها إلى مجموعة من العوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتي تكون إما طاردة أو جاذبة للساكنة، الشيء الذي يكون له انعكاسات واضحة ومباشرة على المجال والمجتمع. وبالنسبة لمدينة خريبكة يمكن أن نميز بين نوعين من الهجرة: الهجرة الداخلية والهجرة الدولية. وتتعدد أسباب النزوح نحو مدينة خريبكة حسب آراء الساكنة كما هو مبين في المبيان أسفله:



المصدر: العمل الميداني 2016/04

مبيان 4: توزيع المستجوبين حسب سبب الهجرة نحو المدينة

رغم المجهودات التي تبذلها الدولة في الحفاظ على توازن الساكنة بين الحواضر والأرياف، عبر توفير ظروف ومتطلبات الاستقرار بالعالم القروي، إلا أن الهجرة نحو الحواضر ما زالت مستمرة لعدة أسباب، يأتي في مقدمتها البحث عن العمل بنسبة 76,9% يليها التجمع العائلي بنسبة 10,3% ثم الهجرة لمواصلة الدراسة بالمدينة بنسبة 7,7%.

4.2.4. المكتب الشريف للفوسفات فاعل في توسع مدينة خريبكة وشريك أساسي في تنميتها

أضحت مجموعة المكتب الشريف للفوسفات قاطرة للتنمية المحلية، فمنذ اكتشاف معدن الفوسفات أسندت السلطات الاستعمارية أمر استغلاله للمكتب الشريف للفوسفات، والذي أسسته سنة 1920 طبقا للظهير الشريف المؤرخ بنفس السنة ب 27-01-1920، وهكذا تأسس في شكل مؤسسة تابعة للدولة تتمتع بحرية وتنظيم يسمح لها بالتنقيب والاستغلال والتسويق، ومن تم بدأ الاستغلال فعليا سنة 1920 بمدينة خريبكة و1932 باليوسفية. وبذلك أصبح الفوسفات بالنسبة للمغرب شبيهة بالبترول بالنسبة لدول الشرق والخليج، وأصبحت هذه المؤسسة الوطنية تقوم بأدوار تتعدى وظيفتها الانتاجية الصرفة، إلى أدوار اجتماعية وبيئية، حيث تشغل المؤسسة 18000 عاملا، منهم نسبة 6% مهندسون.

3.4. مراحل التوسع الحضري لمدينة خريبكة

كانت هضبة ورديفة تعرف فراغا عمرانيا، فإلى تاريخ اكتشاف ثروة الفوسفات كانت المنطقة مجال تركيز أعداد قليلة من السكان ولا تضم أي تجمع حضري، والأعداد القليلة من الساكنة كانت عبارة عن قبائل رحل تنتقل باستمرار، وذلك راجع إلى الخصوصيات الطبيعية للمنطقة حيث نجد بعض المجالات التي تضم أترية التيرس، بينما معظم المجالات الأخرى ذات أترية هزيلة ومغطاة بالحصى، كانت تستغل في إنتاج بعض أنواع الحبوب وتربية الماشية، هذه العوامل ساهمت كثيرا في طغيان ظاهرة الترحال للبحث عن الماء والكأ. خلقت بداية استغلال ثروة الفوسفات دينامية سكانية واقتصادية منذ النشأة، أدت إلى تزايد الطلب على العقار، مما جعل مدينة خريبكة تعرف مراحل من التوسع الحضري بمميزات خاصة، يمكن تقسيمها إلى مرحلتين بارزتين وبمواصفات معينة.

1.3.4. مرحلة ما قبل 1923: حياة البدو والترحال

قبل خلق المكتب الشريف للفوسفاط، وفي أوائل العشرينيات، كانت هضبة أولاد عبدون عبارة عن مجموعة من القرى الصغيرة القليلة السكان، تتكون من بضع عشرات من البدو الذين يعيشون في الخيام و" النوايل ". كانت الهضبة مستوطنة من قبائل محلية تتمثل أساسا في أولاد بهار الكبار وأولاد بهار الصغار، اللتين عاشتا حياة شبيهة بحياة الرحل، حيث اعتمدتا على الاستزراع الموسع وتربية القطعان وهو ما يدفعهم أحيانا خلال السنوات العجاف لدفع قطعانهم من هضبة عبدون في اتجاه غابات السماعيل وبني زمور.

وينعكس المستوى المادي للأسر على طبيعة المسكن، حيث الأغنياء يقطنون الخيام المصنوعة من شعر الماعز، في حين الفقراء يسكنون في خيام مصنوعة من أوراق النخيل وهو ما يسمى محليا بـ " النواله ".



المصدر: بلدية خريبكة

صورة رقم 1: سكن البدو بهضبة أولاد عبدون

2.3.4. مرحلة ما بعد 1924: توسع حضري كبير

ظهرت أول نواة لمدينة خريبكة مع اكتشاف الفوسفاط واستغلاله، من طرف المكتب الشريف للفوسفاط الذي أحدث بظهير الشريف، بموجبه يتكلف هذا الأخير بخلق مختلف البنيات التحتية الضرورية لإنتاج الفوسفاط، من الطرق والمسالك وشبكة السكك الحديدية والربط بالماء والكهرباء. وكان أول تجمع حضري وجد بالمنطقة هي بوجنيبة التي تم التخلي عنها لصالح خريبكة التي ستصبح فيما بعد مركز إدارة المعادن سنة 1924.

شكلت الخمسينيات مرحلة نمو ذات وثيرة مرتفعة، حيث تضاعفت الساكنة الحضرية في النطاق الحضري ووصلت إلى 40 ألف نسمة وبكثافة بلغت 14 نسمة في الكيلومتر مربع، وأصبحت مدينة خريبكة خلال الفترة 1952 إلى 1960، على راس المدن المغربية من حيث النمو الديموغرافي، كما هو مبين في الجدول أسفله:

الجدول رقم 01: النمو الديموغرافي لمدينة خريبكة مقارنة مع النمو الوطني

السنوات	1952-1936	1960-1952
مدينة خريبكة	5.4%	8.3%
النمو الوطني	4%	4.8%

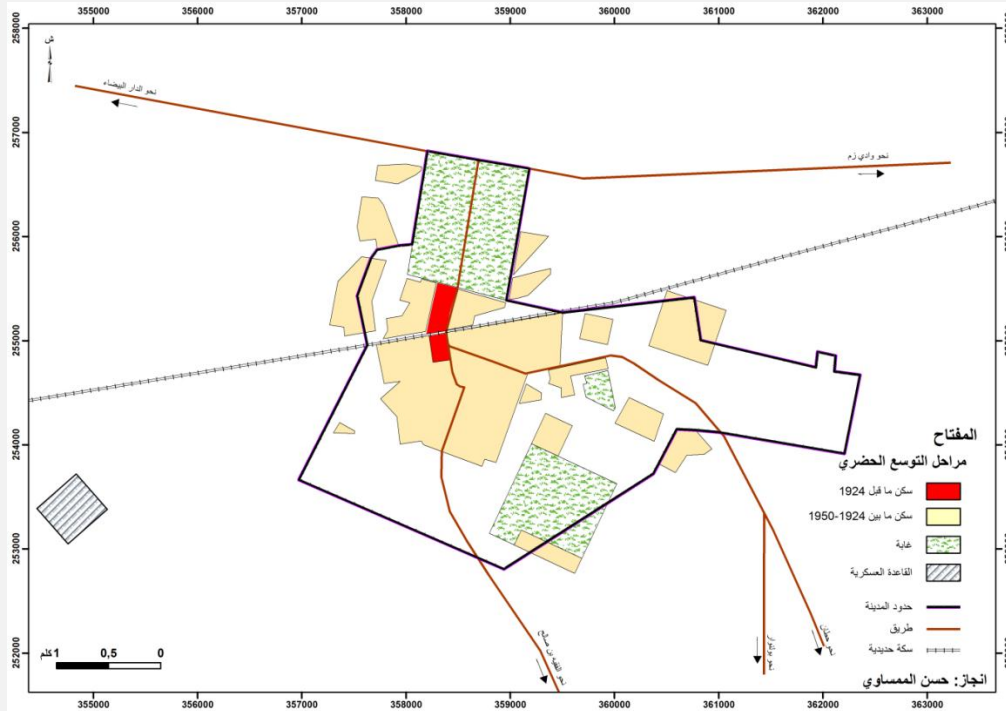
المصدر: M.abdelaziz Adidi : Khouribga la problématique d'une ville minière marocaine

يظهر التوسع الحضري للمدينة على مستوى إنجاز العديد من التجزئات السكنية الضخمة، التي قضت على نسبة كبيرة من المجالات الخضراء، كما أن هذه الفترة تميزت بالقضاء الكلي على دور الصفيح، حيث أعلنت خريبكة مدينة بدون صفيح سنة 2007، إثر العديد من تدخلات الدولة بمؤسساتها لتنفيذ مشاريع إعادة الهيكلة في إطار برامج التنمية الحضرية الهادفة إلى القضاء على أحياء الصفيح.

واعتبارا للتطور الحاصل في النمو الديموغرافي لسكان المدينة في هذه الفترة، والذي نتج عن زحف وهجرة سكان المناطق المجاورة، خصوصا من التجمعات السكانية المتواجدة داخل الإقليم، حيث وصلت الساكنة بناء على الإحصاء العام للسكان سنة 2004 إلى 166000 نسمة. وقد أدى الضغط الديموغرافي المتزايد، إلى تسريع وثيرة العمران بموازاة مع توسع المدار الحضري للمدينة بحيث ارتقت مساحة المدار الحضري إلى 27 كلم²، مما فتح المجال أمام مجموعة من التجزئات السكنية.

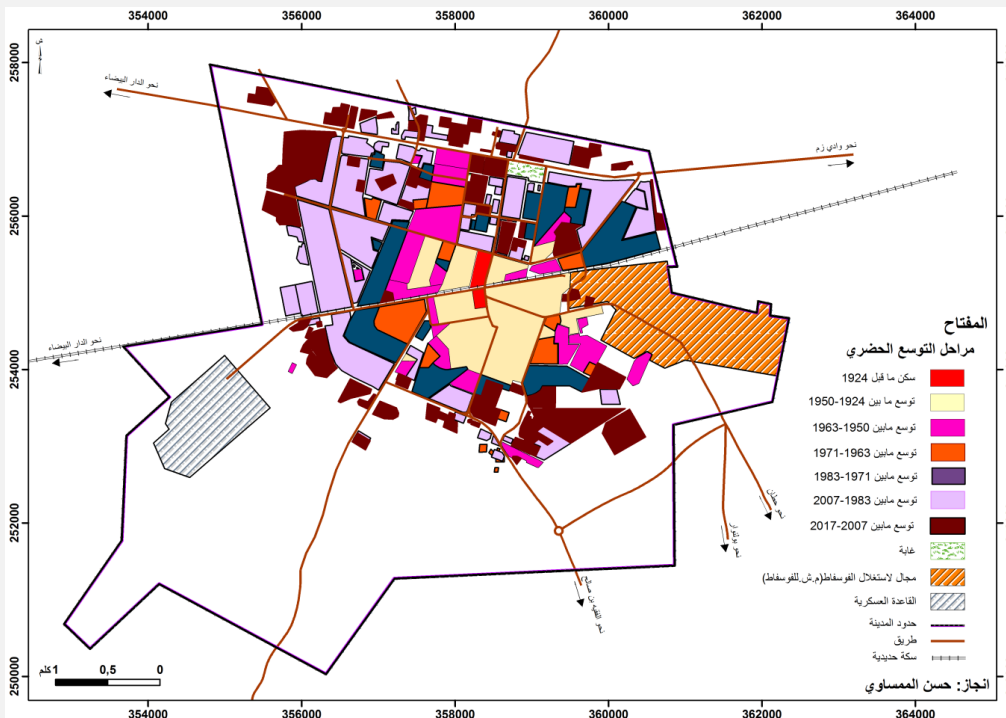
أدت حركة التوسع المهمة للمدينة إلى توسيع المدار الحضري، حيث شهدت خلال سنة 2008 توسعا على المجال الترابي المحيط بالمدينة والتابع لبعض الجماعات القروية في إطار التقسيم الإداري الجديد؛ من الجهة الجنوبية على مساحة تقدر بـ 480 هكتارا، و من الجهة الجنوبية الغربية على مساحة تقدر بـ 400 هكتار، ومن الجهة الجنوبية الشرقية على مساحة تقدر بـ 620 هكتارا. وبذلك أصبحت المساحة الإجمالية للمدار الحضري 42 كلم²، مما فتح الباب أمام إنشاء المزيد من التجزئات من انشاء الدولة من جهة، وتجزئات من إنجاز الوداديات والمنعشين العقاريين من جهة ثانية.

خريطة رقم 02: توسع مدينة خربكة بين 1924-1950



المصدر: المخطط الإداري للتهيئة الحضرية بين 1924 و 1950 بتصرف

خريطة رقم 03: توسع مدينة خربكة بين 1924-1983



المصدر: مخطط التهيئة سنة 2017 بتصرف

4.4. التنقلات الحضرية تعكس درجة الولوجية أمام الساكنة

في ظل التوسع الحضري الذي تعرفه جل الحواضر المغربية، والذي لا يستثنى منه مدينة خربكة، وكذا غلاء أئمة العقار، وارتفاع المساحات التي تستنزفها الأنشطة السكنية، أضحت عقلنة وترشيد استعمال الأرض بالمجال

المديني ضرورة لا محيد عنها، وهو ما يتم ترجمته في شكل قوانين ونصوص تؤخذ بعين الاعتبار أثناء إنجاز التجزئات والمرافق العمومية والاجتماعية، وفي احترام تام لمخططات التهيئة الحضرية للمجالات الحضرية. ومن المعايير¹ التي تفرض أثناء وضع المخططات لتيسير التنقلات الحضرية نجد:

- الاستعمال الأمثل للأرض بالمدن؛
 - التمييز بين الأراضي المخصصة للمرافق الاجتماعية(التعليمية، الصحية...) والمرافق العمومية الكبرى(دور الشباب...);
 - تجميع المرافق الاجتماعية التي لها وظائف مختلفة، ما أمكن في مكان واحد، للرفع من جودة الخدمات مع الحفاظ على جمالية المشهد.
- ويمكن تلخيص المعايير التي تؤخذ بعين الاعتبار، والتي تشكل مرجعا في برمجة المرافق داخل المدن أثناء وضع مخططات التهيئة، فيما يلي:

- مستوى الولوجية؛
- الحجم الديموغرافي المستفيد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من خدمات هذه المرافق؛
- مساحة المرافق؛
- المسافة والمدة الزمنية الفاصلة بين محل السكنى والمرافق الاجتماعية.

1.4.4. عوامل وعوائق تيسير حركية الساكنة

تعد صعوبة التنقلات الحضرية سببا من الأسباب الحاسمة للوقوع في الإقصاء الاجتماعي، حيث تتحكم فيه عوامل اجتماعية واقتصادية وجغرافية، منها ما يتعلق بطبوغرافية المجال، ومنها ما يتعلق بالفرد أو حالة الأسرة ككل. فهي تمثل قدرة الاشخاص والبضائع على التحرك والتنقل يسر من مكان إلى آخر. فتصبح الولوجية المتدنية هي التنقل الذي يصاحبه قطع مسافات طويلة، وهدر وقت طويل، وتكبد تكاليف باهظة (عوادة غرود 2007) مقاييس سهولة الوصول إلى الخدمات العامة في المدن الفلسطينية حالة مدينة نابلس، أطروحة ماجستير في التخطيط في التخطيط الحضري، جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين، 2007، ص 22).

وتتأثر التنقلات الحضرية بعدة عوامل ذات البعد المادي وآخر اجتماعي، حيث صرحت الساكنة المستجوبة أثناء البحث الميداني أن التنقلات الحضرية ترتبط بالدرجة الأولى بالحالة المادية للفرد، ثم جودة الخدمات التي تقدمها المرافق، يلها الجانب التقني المتمثل في حالة شبكة النقل، والموقع الجغرافي. وتختلف العوامل في التنقلات الحضرية كما هو مبين في الجدول أسفله:

¹ Ministère délégué chargé de l'habitat et de l'urbanisme, Direction de l'urbanisme des équipements collectifs, Etude relative aux normes urbaines, juin 2005.

جدول رقم 02: العوامل المؤثرة في التنقلات الحضرية

نعم (%)	لا (%)	
96%	4%	الحالة المادية للفرد
70.7%	29.3%	شبكة النقل
85.9%	14.1%	جودة الخدمات التي تقدمها المرافق الاجتماعية
44.4%	55.6%	الموقع المناسب

المصدر: العمل الميداني 2016/04

فيما يخص طبيعة الصعوبات التي تحول دون جودة التنقلات الحضرية بمدينة خريبكة، فقد صرحت العينة المستجوبة، أن بعد المرافق عن محل السكن يأتي في المرتبة الأولى بنسبة بلغت 58.6% نتيجة التوسع الحضري المستمر والتوزيع المجالي الغير المتكافئ للمرافق داخل المدينة، وفي المرتبة الثانية تأتي الصعوبات المتعلقة بنقص العرض للخدمات بنسبة بلغت 51.5%، كما تشكل الصعوبات المتعلقة بعدم توفر وسائل النقل العمومية وازدحام المرور عائقا أمام الساكنة بنسب بلغت على التوالي 25.3% و 47.5%، نتيجة تواجد معظم المرافق بمركز المدينة، إضافة إلى بنية المدينة التي يجرؤها خط السكة الحديدية إلى قسمين، الشيء الذي يجعل الربط بين مختلف أطراف المدينة صعبا. كما أفادت العينة المستجوبة أن هناك صعوبات أخرى تعرقل التنقلات إلى المرافق مثل ارتفاع التكاليف، كما هو مبين في الجدول أسفله:

جدول رقم 03: الصعوبات التي تحد من جودة التنقلات الحضرية بمدينة خريبكة

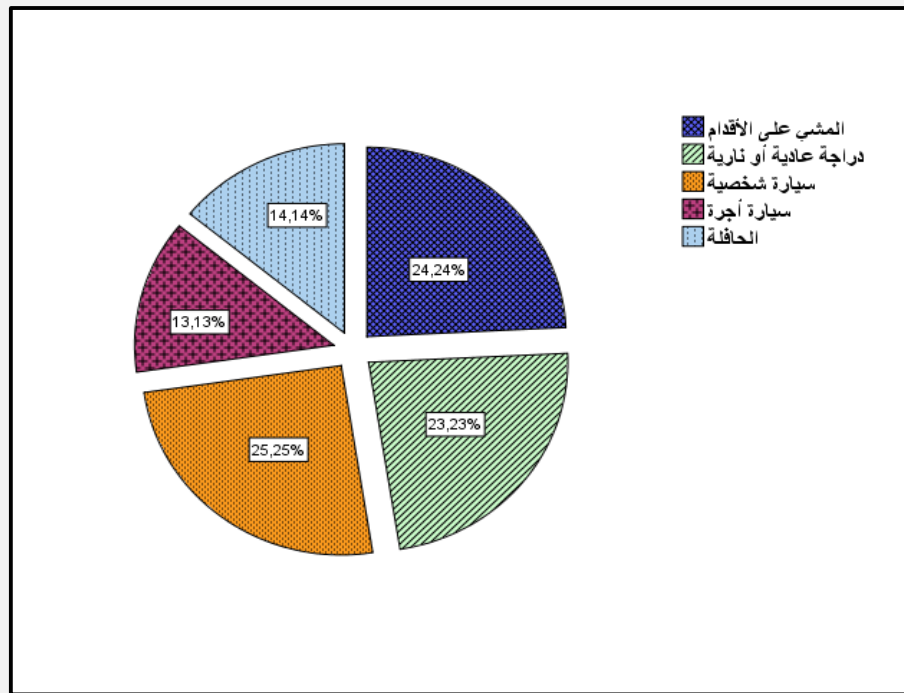
نعم (%)	لا (%)	
58.6%	41.4%	بعد المرافق
25.3%	74.7%	عدم توفر وسائل النقل العمومية
47.5%	52.5%	ازدحام المرور
51.5%	48.5%	نقص الخدمات
14.1%	85.9%	صعوبات أخرى (الرشوة، غلاء التكلفة...)

المصدر: العمل الميداني 2016/04

2.4.4. شبكة النقل أساس لقياس جودة التنقلات الحضرية

أدى التوسع الحضري المستمر لمدينة خريبكة إلى ازدياد الحاجة إلى وسائل النقل، ذلك أن غالبا ما تتم إقامة تجزئات سكنية أو مناطق للأنشطة الاقتصادية، دون الأخذ بعين الاعتبار الإجراءات الموازية لتوفير البنيات التحتية الطرقية القادرة على الاستجابة على الطلب المتزايد للنقل. لقد أقرت نسبة 64.6% فقط من الساكنة المستجوبة، أن شبكة النقل بالمدينة تسهل التنقلات الحضرية، في مقابل نسبة 35.4% صرحت أنها تعيق هذه التنقلات.

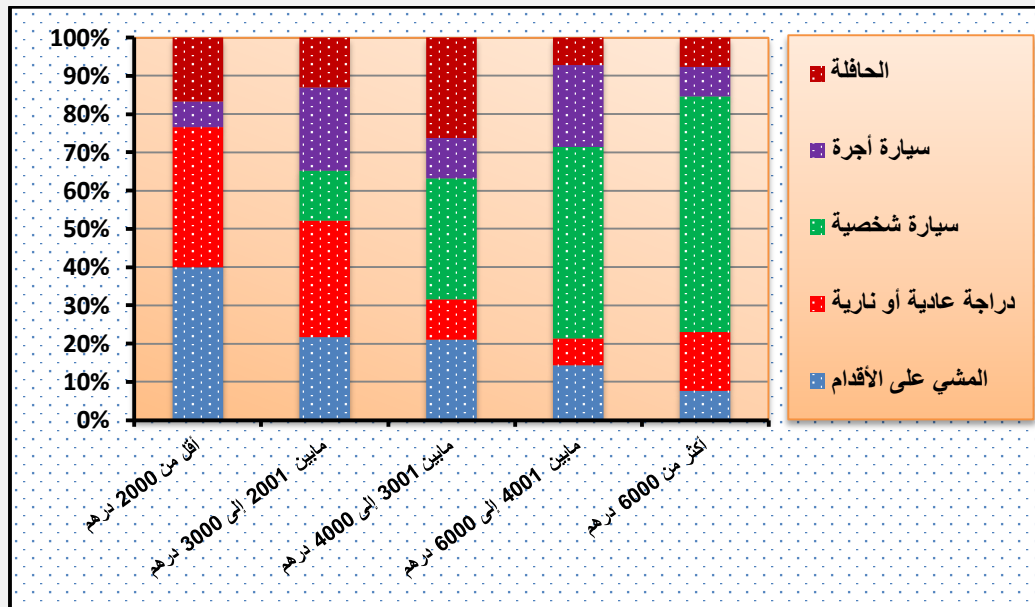
أدى التوسع الحضري للمدينة، إلى إدخال مجالات جديدة للمجال الحضري، نتيجة النمو الديموغرافي الذي تعرفه المدينة بفعل التزايد الطبيعي والهجرة، هذا التوسع واكبه إقبال على استخدام وسائل نقل متنوعة في التنقلات الاعتيادية للساكنة، حيث أكثر من ربع المستجوبين يستعملون سيارة شخصية (25.25%)، وثلاث أرباع الساكنة المستجوبة (38.38%) تنقل باستعمال وسائل النقل العمومية أو المشي على الأقدام، كما هو مبين في المبيان أسفله:



المصدر: العمل الميداني 2016/04

مبيان 5: توزيع المستجوبين حسب وسيلة النقل الاعتيادية.

يؤدي ضعف الوضع السوسيواقتصادي لفئة عريضة من الساكنة، إلى عدم القدرة على استعمال سيارة شخصية. فالملاحظ من خلال البحث الميداني أنه كلما انخفض الانفاق الأسري للأسر، كلما تراجع الدخل، وكلما زاد الإقبال على استعمال النقل العمومي، والاعتماد على المشي على الأقدام، كلما تراجعت نسبة امتلاك سيارة خاصة للأسر، كما يوضح ذلك المبيان أسفله:



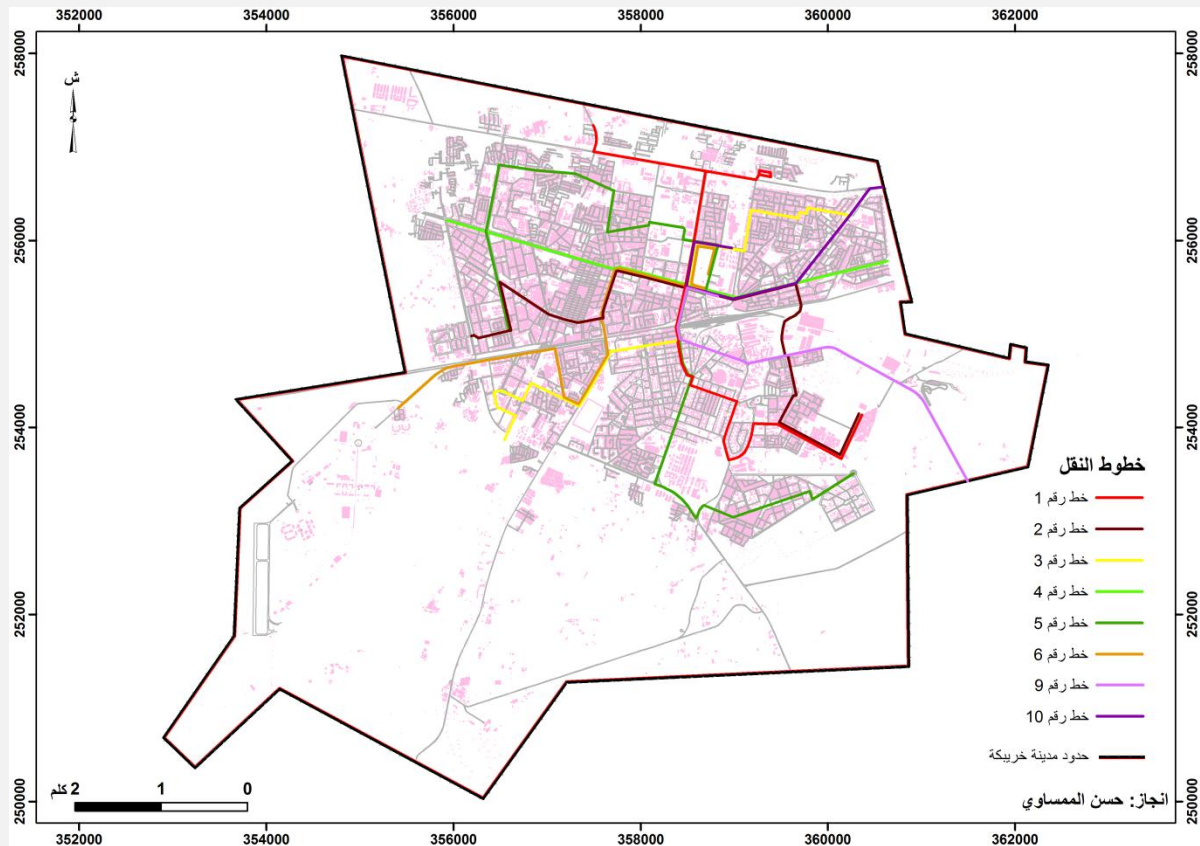
المصدر: العمل الميداني 2016/04

مبيان 6: توزيع وسيلة النقل الاعتيادية للمستجوبين حسب الانفاق الأسري

تقدم وسائل النقل الحضرية العمومية خدمة ذات أهمية بالغة، حيث تؤثر بشكل مباشر على جودة حياة السكان وسير مختلف الأنشطة الحضرية، ودرجة التنقلات الحضرية إلى مختلف المرافق بالمجال الحضري. وتزداد أهميتها في ظل ضعف تملك الأسر بمدينة خريبكة لوسيلة نقل خاصة مما يدفعهم إلى التنقل مشياً أو استخدام وسائل النقل العمومية.

تتأثر التنقلات الحضرية بالمدينة في ظل التوسع الحضري، بكثافة وسائل النقل العمومي من جهة، وببنية الشبكة الطرقية وتوزيع المرافق داخل المجال المديني من جهة ثانية. وتعاني مدينة خريبكة من تضخم عدد سيارات الأجرة الذي يبلغ عددها 293 سيارة، في مقابل ضعف النقل الحضري الجماعي الذي تسيره شركة "ALZA" منذ سنة 2015، بأسطول حافلات يبلغ 40 حافلة تؤمن رحلات 6 خطوط تمر بالشوارع الرئيسية للمدينة، وتربط بين مختلف أجزائها. كما أن عدد الرحلات يتغير حسب ضغط المسافرين بالخطوط التي تشغلها، كما توضحه الخريطة أسفله (الخريطة رقم:4):

خريطة رقم 04: خطوط النقل للحافلات بمدينة خريبكة



المصدر: عمل شخصي

5. الخاتمة

يعرف المغرب حركة تمدن سريعة، يصاحبها في أحيان عدة استفحال مظاهر الاستغلال العشوائي للأمكنة (البناء غير القانوني والاحتلال الفوضوي للملك العام). الأمر الذي يؤدي تلقائياً إلى حدوث تجاوزات لمعايير التخطيط الحضري وبرزو نكوص تديري على مستوى التحكم في دينامية التوسع الحضري في اتجاه الضاحية. والذي زاد في تداعي

هذه الاختلالات محدودية المقاربات الوظيفية المعتمدة في السياسة العمومية المتعلقة بإنتاج المجال المدني، وعدم استباقها للتحويلات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المغربي.

وقد أدى التوسع الحضري المستمر لمدينة خريبكة إلى إقامة تجزئات سكنية، ومناطق للأنشطة الاقتصادية دون توفير المرافق الاجتماعية والبنيات التحتية الطرقية الكافية، وهو ما يزيد من صعوبة تنقلات الساكنة، والتي تتأثر بتوفر وسائل النقل العمومي من جهة، وجودة الشبكة الطرقية وتوطين المرافق العمومية داخل المجال المدني من جهة ثانية. ولعل أهم المشاكل التي أضحت تعوق عملية إعداد وتدير المجال المبنى بمدينة خريبكة، من سكن ومرافق اجتماعية، هي تلك المتعلقة بطرق إعداد وتوجيه توسع المجال الحضري. ذلك أن غياب الحكامة التشاركية والتنسيق بين الفاعلين (خاصة الوكالة الحضرية، المجلس المنتخب، والمصالح الخارجية للقطاعات الوزارية) في برمجة المرافق التابعة لها وكذا التجزئات السكنية، أثناء عملية إعداد تصاميم التهيئة، يخلق توسعا حضريا لا يأخذ بعين الاعتبار التنقلات الحضرية للساكنة، ولا يوفر العرض الكافي من وسائل النقل، من ناحية الكم والنوع بغية الاستجابة لحاجيات الساكنة وتحقيق جودة الولوجية أمام ساكنة المدينة.

وعموما فقد أدت المنهجية القطاعية غير المندمجة في التخطيط المدني، إلى عدم مساهمة وتيرة إنجاز المرافق العمومية الضرورية مع إيقاع التشييد الحضري، مما نتج عنه بروز تفاوتات مجالية في درجة الولوج الساكنة لها. وهنا يصبح محل السكنى وموقع توطين التجزئات السكنية داخل المدار الحضري عاملا حاسما في الاندماج الاجتماعي والحضري: فكلما زادت المسافة على مركز المدينة، كلما صعبت ظروف الاستقرار الاجتماعي، وارتفعت مخاطر الإقصاء الاجتماعي، وتفاوتت حدة التفاوتات المجالية على مستوى التجهيزات والبنيات التحتية والربط بشبكات النقل الحضري.

6. المراجع

- إدالي محسن، صفرو: التمدين والممارسة الحضرية، رسالة لنيل الدكتوراه في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرارز، فاس، المغرب، 2002-2003.
- أريب عبد الرحيم، آليات وأشكال التوسع الحضري بمدينة سطات، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادال، الرباط، المغرب، 1996.
- أهندار عبد الحق، ولوجية المرافق الصحية بجهة تادلة أزيلال، بحث لنيل الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بن مسيك، الدار البيضاء، المغرب، 2014.
- أيت موسى أحمد، التحولات المجالية بمدينة المحمدية، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب، الجزء الأول، 2001-2002.
- رامو رشيدة، التوسع الحضري وانعكاساته البيئية بمدينة الصويرة، بحث لنيل الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، المغرب، 2010.
- الرقيبي خالد، ولوجية المرافق الصحية بجهة سوس ماسة درعة حالة إقليم ورزازات، بحث لنيل الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بن مسيك - الدار البيضاء، المغرب، 2012.

- سيف النصر يونس، ولوجية المرافق الاجتماعية بجهة الشاوية ورديغة حالة إقليم خريبكة، بحث لنيل الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بن مسيك، الدار البيضاء، المغرب، 2015.
- علمي اليزيد حمدوني، 2004، التمدين والبيئة الحضرية بمدينة فاس، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الآداب والعلوم الإنسانية، تخصص جغرافية المدن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس، المغرب.
- عمرو لحنين، 2011، آليات التوسع الحضري وانعكاساته المجالية والبيئية بمدينة تاهلة، بحث لنيل الماستر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس، المغرب.
- غرود عوادة، مقاييس سهولة الوصول إلى الخدمات العامة في المدن الفلسطينية حالة مدينة نابلس، أطروحة ماجستير في التخطيط في التخطيط الحضري بجامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين، 2007.
- فجال علي، قضايا التمدين والتعمير الكبرى بالمغرب، مجلة دفاتر جغرافية، العدد السابع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز، فاس، المغرب، 2010.
- مقداد الهادي، التجزئات ودورها في تخفيف أزمة السكن، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، المغرب، 1987-1988.
- ADIDI A: formes de mobilisation dans les régions d'activité minière de Khouribga, la problématique de développement d'une ville minière marocaine, étude en urbanisme, Maroc, 2000.
- ADIDI A: Khouribga la problématique d'une ville minière marocaine, schéma directeur d'aménagement urbain Khouribga-Oued zem-rapport final, Khouribga, 2000.
- ANEFLOUSS M. (Cord.), La ville marocaine à la veille du 21^è siècle, publications de FLSH- Université Hassan II – Mohammedia, Série Colloques n°12, 1^è Ed Ennajah Aljadida, Casablanca, 2000.
- Bahi H. et Hamdouni M., Urbanisation et gestion urbaine au Maroc, Edition, Imprimerie Toumi, Raba, 1992.
- BENNANI D., Khouribga côté privé, côté public, TelQuel, numéro 137, du 24 au 30 juillet, 2004.
- Bleuchot H., Une ville minière marocaine : Khouribga, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°6, 1969.

رؤية مستقبلية لاستراتيجية الأمن القومي العراقي (2022-2026)

فاطمة محمد رضا: معاون رئيس أبحاث في مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية / جامعة الدفاع للدراسات العسكرية العليا،

العراق

Mohamedridha79@yahoo.com

الملخص

نسلط الضوء في هذا الدراسة على قضايا الأمن القومي العراقي، القضايا التي فرضت نفسها عنوة على المشهد العراقي برمته خلال عام 2014 على أثر أحداث احتلال تنظيم داعش الارهابي التي كانت بمثابة الزلزال الذي حدث في العراق، في ظل غمرة مواجهة الأحداث وضعت استراتيجية التطويق وممسك الأرض والتطهير للمناطق التي يوجد فيها الارهاب، وحاكت عقلية "الحرب على الارهاب" المأزومة وجرى وضع خريطة لأحلاف عائمة، وسادت الرؤية بأن القوات المسلحة تشكل رأس الحربة، وجاءت فتوى الجهاد الكفائي الذي أصدرها المرجع الاعلى في النجف الأشرف السيد "علي السيستاني" التي تشكل عن طريقها الحشد الشعبي الرفيد للقوات المسلحة في المواجهة مع الارهاب وبرزت وجهات نظر جانحة عبر العمل الانفرادي وتم تعليق أمل كبير على عاتق المؤسسة العسكرية.

كلمات مفتاحية: الأمن القومي العراقي، المصالح الحيوية، المصالح المهمة، المصالح الثانوية

A future vision for the Iraqi National Security Strategy (2022-2026)

Abstract

We shed light in this research on the issues of national security in Iraq, the issues that imposed themselves by force on the entire Iraqi scene during the year 2014 following the events of the occupation of the terrorist organization ISIS, which was like the earthquake that occurred in Iraq, in the midst of the confrontation of events, the strategy of encirclement was developed and caught The land and purification of the areas where terrorism exists, and the mentality of the "war on terror" imitated the crisis, and a map of floating alliances was drawn up, and the vision prevailed that the armed forces constituted the tip of the spear. Its path is the popular mobilization support for the armed forces in the confrontation with terrorism, and delinquent views emerged through unilateral action, and great hope was placed on the shoulders of the military establishment.

Key words: Iraqi national security, vital interests, important interests, secondary interests

المقدمة

يعد تنظيم (داعش) الإرهابي عدواً عالمياً جديداً ظهر في سوريا وانتقل للعراق عبر الحدود، جعل إدارة الحكومة العراقية تختزل كل شيء في هذا العدو وعلى أساسه وضعت شعار من يدعم تنظيم (داعش) الإرهابي هو ضدنا، أذ أنصبت رؤية وزارة الدفاع العراقية على إيقاع الهزيمة بالتنظيم (الإرهابي)، ومن هنا ظهر اتجاه يميل إلى تخويل القوة

العضى (الولايات المتحدة الأمريكية) معها دول التحالف مسؤولية حفظ الأمن والتدخل المباشر لمساعدة العراق في محاربة تنظيم (داعش) الارهابي وعموماً شكلت البيئة الاقليمية عامل سلبى تجاه حماية الأمن الوطني العراقي.

إن العلاقة بين الأمن الداخلي والأمن الخارجي، هي علاقة تأثير وتأثر متبادل، لتحقيق الأمن الخارجي يلزم أخذ بنظر الاعتبار التحديات الداخلية لما لها من تأثير بنسب مختلفة الدرجات في استراتيجية الأمن القومي الخارجية لصانع القرار، بقدر ما تمثل السياسة الخارجية حلقة الربط بين السياسة الداخلية والسياسة الدولية فالأمن الخارجي يجسد جسراً للعلاقة بين ضمان الأمن الداخلي وبين تحقيق الأمن الخارجي، العراق واجه تهديدات أمنية داخلية وخارجية. فالتدخلات الخارجية سببت خروقات ذات تأثير كبير على الأمن القومي العراقي وأحدث خسائر وأضرار استراتيجية من خلال اللعب على التنوع العرقي والديني وأثارة الفتنة وهي ما تسعى سياسة فرق تسد التي أدت الى الإخلال بالاستقرار الداخلي وتشويه النظام السياسي والتشكيك في مصادر شرعيته وإبراز مكامن الضعف في الحكومة التي قد تكون غير قد تكون غير قائمة على أنها دليل على عدم قدرة الحكومة في القيام بمهامها الأساسية تجاه مواطنيها.

أهمية الدراسة

بيان حدود إطار استراتيجية الأمن القومي العراقي وانعكاساتها على الدول المجاورة وكذلك الأحداث التي أثرت في توجهاته لاسيما بعد عام 2014 التي وضعت الحكومة العراقية أمام نقطة تحول حاسمة، أما أن تعزز سيطرتها على الساحة الاقليمية أو تزداد المخاطر على الأمن القومي العراقي.

اقترن الأمن القومي العراقي بإبعاد مكانية وذلك تبعاً لضرورتها الاستراتيجية ومدى تأثير وتأثر أمنها القومي بالمتغيرات خارج نطاقها الجغرافي لحماية مصالحها، لذلك من الضروري توضيح المصالح الحيوية والمصالح المهمة والثانوية للعراق.

الاشكالية

تنبثق إشكالية الدراسة من تداعيات احتلال تنظيم داعش الارهابي للمحافظات الغربية على الأمن القومي العراقي والتي اثارت جدلاً واسع النطاق حول الأمن بين ما هو داخلي وخارجي، إذ أن مفهوم الأمن أصبح ذا نطاق واسع، ابتداء من عدم القدرة على التنبؤ بمواقع التهديد والنزاعات في ظل إمكانية انتقال التقنيات العسكرية الى (تنظيمات مسلحة إرهابية) إذ ان الخرق الأمني دفع الإدراك العراقي الى وضع استراتيجية لمواجهة تلك التنظيمات الارهابية.

الفرضية

تحاول الدراسة التحقق من فرضية مفادها "إن أحداث عام 2014 كانت نقطة تحول جوهرية في استراتيجية الأمن القومي العراقي، أدت الى زيادة زخم التوجهات نحو حماية المصالح الحيوية والمصالح المهمة والثانوية " وإن هذه الفرضية تنطوي على مجموعة أسئلة تحاول الدراسة الاجابة عنها وهي:

1- ماهي المصالح واهداف استراتيجية الأمن القومي العراقي ؟

2- ماهي المتغيرات التي أثرت في استراتيجية الأمن القومي العراقي؟

3- ماهي أبعاد العراق في حماية مصالحه الحيوية والمهمة والثانوية؟

4- كيف يوظف العراق تحالفاته الاقليمية والدولية في استراتيجية الأمن القومي؟

5- كيف ستقوم وزارة الدفاع بالتصدي للمجماميع الإرهابية العابرة للحدود؟

6- كيف سيقوم العراق بحماية الاقليم العراقي وتأمين الطاقة وإعادة بناء القطاع الاقتصادي العراقي؟

المناهج المتبعة في الدراسة

نظراً لطبيعة الموضوع وأهميته وشموليته فقد تطلب اعتماد أكثر من منهج علمي، لذا تم استعمال المنهج الوظيفي الذي يركز على الوظائف التي تؤديها الدولة لحماية أمنها القومي من التهديدات الخارجية في إطار المحافظات الاستراتيجية المهمة فضلاً عن استعمال المنهج الوصفي والمنهج التحليلي للوقوف على مرتكزات التحولات في استراتيجية الأمن القومي العراقي بعد 2014.

هيكلية الدراسة

تم تقسيم الدراسة على ثلاثة محاور فضلاً عن المقدمة والخاتمة:

المحور الأول/ المصالح الحيوية للعراق.

المحور الثاني/ المصالح المهمة للعراق.

المحور الثالث/ المصالح الثانوية للعراق.

المحور الأول: المصالح الحيوية للعراق

هي تلك المصالح التي يشكل فقدانها بحد ذاته خطراً مباشراً على الأمن القومي العراقي أذ إن بناء شراكات استراتيجية وتفاهمات مع كل الدول المجاورة والدول الكبرى أمر حيوي بالنسبة للأمن القومي العراقي والمصلحة الحيوية للأخيرة هي منع الارهابيين المحتملين وليس أمام العراق من خيار سوى الرد بالقوة العسكرية لدفع المخاطر التي تهدد تلك المصالح.⁽¹⁾

كان سبب الفراغ الأمني بعد عام 2003 هو تفكك المؤسسة العسكرية العراقية، بعد عام 2011 كان المطلوب بحسب التصور الأمريكي ملء الفراغ الناجم عن انسحاب الأخيرة من مواقع تأثيره، إما في عام 2014 ظهر تنظيم داعش الارهابي في العراق وأصبح على الاخير حماية هذه المصالح الحيوية وعلى العراق إن يعمل لحماية الأمن في الداخل مما يساعدها على خلق عراق أكثر أمناً وعليها ان تستغل الفرص لمنع التهديدات لتأمين الأهداف الأساسية وكانت استراتيجية الأمن القومي العراقي ، تشمل أراضي المحافظات الغربية التي تم احتلالها من قبل تنظيم داعش وساحات مصادر التهديد المحتملة، وعليه كانت الصحراء العراقية وما زالت تمثل ضعف جيوبوليتيكي، وأنها الشريط الأخطر أمنياً وأصبح اليوم بؤرة لقيام معسكرات لمجاميع داعش وقبلها القاعدة وهناك من يعتقد انها تنفيذ استراتيجيات وجيوستراتيجياً إمبريالية معادية مثل (صدام الحضارات) و(نهاية التاريخ) و(مشروع الشرق الأوسط) و(عش الدبابير) وافكار (برنارد لويس) وغيرها، وتطبيقاتها في ما يسمى الربيع العربي و(نهاية التاريخ) و(مشروع الشرق الأوسط) و(عش الدبابير) وافكار (برنارد لويس) وغيرها، وتطبيقاتها في ما يسمى الربيع العربي و(نهاية التاريخ) و(مشروع الشرق الأوسط) و(عش الدبابير) وافكار (برنارد لويس) وغيرها.

(1). ريتشارد نيكسون ، أمريكا والفرصة التاريخية ، ترجمة محمد زكريا إسماعيل ، مكتبة بيسان، بيروت 1992 ، ص 39 .

الجيوإستراتيجي(صناع القرار العالمي، فضلاً عن دول الإقليم التي لها وزن جيوبوليتيكي، ودول الجوار غير الفاعلة جيوبوليتيكياً تعاونت جميعها لتنفيذ أجندة للدول الفاعلة، وعليه لا بد من سد ثغرات الحدود المفتوحة في اجراء اداري تنظيمي يعتمد شبكة من المعسكرات والمراكز والقرى والنواحي والاقضية، تكون هذه التشكيلات الادارية ماسكة للأرض ومراقبتها على مدار الساعة مع وجوب أن تبني في داخلها ابراج المراقبة كي تكون حامية لها من عبث العابثين والمجرمين والمهربين على إن تغطي الابراج مراقبة كل الحدود⁽¹⁾ ومن زاوية النظر هذه نرى أن الثوابت تنطلق من رؤى تتداخل مع منطلقات داخلية وأخرى خارجية كذلك تتداخل من حيث الإبعاد فهي تشمل:

المؤسسة العسكرية: نرى أن الدفاع القومي العراقي للعام 2022 يجب أن يقوم على ضرورة توظيف ودمج كل جوانب القوة القومية إذ أن العراق مرتبط بشكل وثيق بالمجتمع الاقليمي والدولي ونعترف بصعوبة كسب الحرب والانتصار على التنظيمات الارهابية مالم يتم إنشاء غرف استخبارية مع الدول المجاورة والكبرى وإن بناء القدرات العسكرية وحدها ليست دواءً شافياً من كل الامراض ونتحدث عن ضرورة استغلال القدرات المهمة للقوة الناعمة لتحقيق الأمن وتوجد عناصر أساسية للنجاح على المدى الطويل تشمل التنمية الاقتصادية وبناء المؤسسات وحكم القانون فضلاً عن تعزيز المصالح الداخلية والحكم الجيد وتوفير الخدمات الأساسية للناس، على الحكومة العراقية وعلى وجه التحديد وزارة الدفاع كسب الحرب ضد الإرهاب والتصدي بنجاح للتحديات الأمنية الأخرى أذ إن بناء عراق جديد يمكن العيش فيه يتطلب جهداً متواصلاً ووحدة في الهدف مع الحلفاء والشرائط الاستراتيجية والتحول الى الاستراتيجية الشاملة للأمن القومي العراقي من خلال الآتي:

✓ إن استراتيجية الأمن القومي العراقي للعام 2022 يجب أن تهتم بقضايا الأمن الاقتصادي والتخطيط القومي وأمن الطاقة والتعليم والمكون العسكري وأمن الفضاء الالكتروني "الفضاء السيبراني" واعتماد الدبلوماسية الناعمة ونؤكد إن استراتيجية الاستخبارات القومية للعراق للعام 2022 التشدد في مكافحة التطرف العنيف المؤدي الى الارهاب وعلينا إلا نتخلى عن هدف تعزيز الديمقراطية وعلى الاستخبارات التمكين من سياسات أمن قومي حكيم من خلال المراقبة والتقييم المستمر للبيئة الأمنية والإقليمية والدولية لتحذير صناع القرار بشأن التحديات واستغلال الفرص واتخاذ اجراءات فعالة للأمن القومي من خلال تقديم معلومات استخبارية فعالة لدعم الدبلوماسيين والوحدات العسكرية.

✓ إن وزارة الدفاع تستطيع التعاطي مع التحديات الأمنية المعقدة التي تواجه العراق وإن أحد الدروس المهمة من العمليات الأخيرة التي جرت في الموصل في عام 2014 والنجاح العسكري الذي حققه الجيش العراقي في الانتصار على داعش يجب ان نستخلص منه مراجعة الوظائف والمهام التي قامت بها القوات المسلحة والاستفادة من الفرص التي سوف تساعد على بناء توازن أفضل بين قدرات دولتنا من القوة الناعمة والقوة الصلبة ويجب تطوير قدرتنا القومية من اجل دعم التنمية الاقتصادية وبناء المؤسسات.

✓ تعاون وزارة الدفاع مع وزارة الأمن الداخلي من خلال تدريب وتزويد قوات الجيش الأصيلة وقوات الشرطة والاتصالات الاستراتيجية وعمل غرف استخبارية استراتيجية مع الدول المجاورة وعمل ذلك على مستوى

(1). عبد العباس فضيخ دغبوش، حدود العراق بين متطلبات الجيوبوليتك وتحديات الأمن الوطني، كراس الهرين، العدد 22، 2021، ص45.

الحكومة كلها لمواجهة التحديات الأمنية المعقدة يجب بناء مشروع الأمن القومي من خلال الأمن الداخلي والكيانات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني فضلاً عن الافراد والأسر والمجتمعات الذين يشتركون في مصلحة وطنية مشتركة تتضمن سلامة وأمن العراق والشعب العراقي هذا المشروع يحتاج الى جهود جماعية وتقاسم المسؤوليات على المستوى المحلي والإقليمي للحفاظ على القدرات الحيوية للأمن القومي العراقي واستعمال هذا المصطلح المشروع يشير الى مجتمع واسع النطاق الهدف أمن العراق وسلامة المجتمع العراقي الذي يتكون من فاعلين متعددين واصحاب مصالح.

✓ يتضح لنا أنه يجب معاودة التركيز من جديد في عام 2022 على الحرب على الارهاب والعصابات "تنظيم داعش"... وغيرها من التنظيمات بخاصة بعد عملية هروب إرهابي داعش من سجن غويران في سوريا لما له تأثير كبير على الأمن القومي العراقي فضلاً عن إن هناك أكثر من (8) الاف عنصر من القاعدة و"داعش" في سجن الحوت محكومين بالإعدام على الرغم من صدور الحكم قبل اربع سنوات لكن لم ينفذ علماً أن تكلفة المعتقلين 240 الف دولار شهرياً وهو ما يعني تكرار حادثة هروب سجناء ابو غريب عام 2013 والتي كانت سبب في نكسة حزيران 2014 وضياح ثلث العراق⁽¹⁾.

✓ أكدت لجنة الأمن والدفاع النيابية بشأن تزايد الجرائم بسبب أنتشار المخدرات، أن على الحكومة القيام باتخاذ الاجراءات اللازمة لمنع دخول المخدرات الى البلد إذ شهدت السنوات الأخيرة ارتفاع معدلات الجريمة بسبب انتشار المتعاطين وهوبات خطر كبير يهدد المجتمع العراقي واثار التغير المناخي وبروز سلاسل جديدة من الامراض منها كورونا والتوترات الطائفية في العديد من مناطق العراق التي يمكن أن تشكل الصراعات المستقبلية ونشير الى ان تحقيق المصالح عبر تقوية الأساس الداخلي وترسيخ قيم المواطنة ودمج كل عناصر القوة القومية واحباط التهديدات المحتملة والتركيز على الحرب اللانظامية التي يتوقع خوضها مع جماعات اراهابية التهديدات غير التقليدية التي تطرحها الهجمات الإرهابية ، الحرب التي تمتزج فيها التكتيكات والمباغطة والحرب السيبرانية، الحقيقة ان التغير نحو شمولية الامن القومي العراقي والاخذ في الاعتبار الجوانب غير العسكرية له لم يقتصر على العراق وحده فان هذا الاتجاه تركز عليه ايضاً استراتيجية الأمن القومي في الدول الاخرى ونؤكد على منهج ورؤية تكاملية بين ابعاد ودوائر الأمن ونتحدث عن البعد الداخلي لأن الأمن في الداخل سينعكس على السياسة العراقية في الخارج ونؤكد بوضوح إن مقاربه للأمن القومي العراقي تستند الى مجموعة من القيم الأساسية التي تتضمن حقوق الانسان وسيادة القانون والعدالة والحرية والتسامح الحكومي القائم على الشرعية والخاضع للمساءلة هو الذي يتيح الفرص للجميع.

حماية الإقليم العراقي: ظل العراق لسنوات طويلة محمياً ولا يوجد في الذاكرة العراقية الحديثة أي أثر لاعتداء عسكري على الأراضي العراقية سوى الحرب مع إيران تم في المناطق الجنوبية ولم تؤثر على العراق، لكن في عام 2014 تعرض العراق لاعتداء غير مسبوق على المحافظات الغربية من قبل تنظيم داعش الارهابي الذي تسلل من

(1). أنظر لحظة هروب عدد من معتقلي "داعش" من سجن بالحسكة شمال شرق سوريا، https://arabic.rt.com/middle_east/1316691

تأمين الطاقة أمن الطاقة والأمن القومي العراقي اتسقا وتكاملا يشكلان محورا أساسيا للتفاعل العراقي مع الأحداث، أينما كانت وتنامت العلاقة وتأصلت بزيادة أهمية النفط عالمياً وبهذا الصدد يرى " كليفوردي سينجر" (*) إن النفط مصدر محدود ومآله إلى النضوب وغير متوافر بكثرة، في الوقت شهد هذا المصدر تغيير من كونه ذا أهمية اقتصادية إلى مصدر للتدخل العسكري في مناطق الإنتاج الذي سجل مكانة استراتيجية عالمياً حتى وقتنا هذا، ولهذا كان النفط ومازال له تأثير كبير في سياسات الدول الكبرى،⁽¹⁾ من زاوية النظر هذه أن التركيز على أمن الطاقة في العراق سيؤدي إلى زيادة الأهمية الاستراتيجية للمناطق الجغرافية كافة الغنية باحتياطات النفط والغاز بوصفها مناطق يمكن أن تشهد توترات وصراعات محتملة في العقود القادمة وهذا ما يفسر زيادة زخم التوجهات الدول الكبرى نحو تلك المناطق.

المحور الثاني: المصالح المهمة للعراق

هي تلك المصالح التي يشكل فقدانها تهديداً مباشراً لأحد المصالح الحيوية للعراق، فينبغي على الأخيرة أن تتعامل أحياناً مع المصالح المهمة وكأنها مصالح حيوية كجزء من استراتيجية تقوم على فكرة الدفاع المتقدم⁽²⁾ إن تحقيق المصلحة الدفاعية يتم من خلال تأمين الحلفاء من أجل حماية الدولة والمصلحة الاقتصادية تتعلق بغنى الدولة وزيادة ثرائها ووفرة مواردها وعليه تعتمد المصلحة الدفاعية من خلال الآتي:

تأمين الحلفاء: أدت أحداث عام 2014 في العراق إلى التغيير في مبدأ الحلفاء وهو من يساندنا في الحرب على الإرهاب، خلاصته (من ليس معنا ضد محاربة الإرهاب فهو ضدنا) وقال رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي في خطابه في عام 2015 " أن الدول الإقليمية سمحت بمرور الإرهابيين من مختلف جنسيات العالم وصرفت مليارات الدولارات على هذه الجماعات وتسليحها لتحقيق مصالحها لكن هجوم داعش الارهابي على نينوى وجزء من محافظة صلاح الدين وديالى بسرعة كبيرة سرعت الانذار الدولي بشكل كبير وإن هناك خطريته الدول المجاورة ، كانت طبيعة الأحلاف المطلوبة في الحرب على الإرهاب مؤكداً أن هذه الحرب لن يشنها تحالف كبير موحد بإلحاق الهزيمة، بمحور قوى معادية و بدلاً من ذلك تشمل تحالفات عائمة متبدلة لدول عدة، يمكن أن تتغير وتتخذ إشكالا مختلفة وفي هذه الحرب المهمة هي التي تحدد التحالف وليس العكس، ومن هذه التصورات جاءت الاستراتيجية العراقية لتؤكد أن طبيعة الحرب على الإرهاب تقتضي تحالفات عائمة وليس تحالفات⁽³⁾ مستقرة، على غرار التحالفات التقليدية، مثل حلف الناتو، بمعنى اخراج قرارات السياسة الخارجية يجب أن تتخذ في ضوء خدمة المصالح الوطنية مع اتباع برنامج نشط لتكثيف وتنويع العلاقات الدبلوماسية والتجارية للدولة مع الوحدات السياسية الدولية كافة وبعد العراق بأمر الحاجة الى مثل هذا المبدأ والمهمة من خلال دبلوماسية نشيطة تهدف الى توفير الدعم الدولي والاقليمي من أجل

*- سينجر كليفوردي: أستاذ في أقسام النووية والبلازما والهندسة الإشعاعية ، والمدير السابق لبرنامج الحد من الأسلحة الإشعاعية ، المدير السابق لبرنامج الحد من الأسلحة الإشعاعية ، المكتبة العالمية، بغداد، 2011، ص 23

(1)- نوار جليل هاشم ، مصدر سبق ذكره، ص 23.

(2) . ريتشارد نيكسون، مصدر سبق ذكره ، ص 39 .

(3) . اسراء كاظم الحسيني، فاطمة محمد الجابري، استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية تجاه قارة آسيا بعد عام 2001 بين التصعيد والتعقيد العراق إنموذجاً، مطبعة الثقليين، النجف، العراق، 2017، ص 153.

مساعدة العراق في محاربة الارهاب فضلاً عن جذب رؤوس الأموال الأجنبية الى العراق والتركيز على ما يعرف بـ(دبلوماسية التنمية)⁽¹⁾.

إعادة هيكلة النظام الاقتصادي العراقي: يعاني الاقتصاد العراقي كثيره من التخلف في قطاعات اقتصادية مثل الصناعة والزراعة بسبب الحروب التي عاشها وتذبذب اسعار النفط العالمية مما ادى الى تراجع النشاط الاقتصادي في كافة القطاعات الاقتصادية واستنزاف الاحتياطيات من العملة الصعبة وارتفاع معدلات البطالة وانقطاعها عن العالم الخارجي بفعل الحصار الاقتصادي وقد نتج عن كل ذلك احكي الاختلالات الهيكلية في الاقتصاد العراقي وكان لابد للحكومة من إن تتجه باختيار الاصلاح الاقتصادي مستعيناً بالمجتمع والمؤسسات الدولية وهي كالآتي⁽²⁾:

أولاً. تشجيع العملية الإنتاجية في قطاعات الزراعة والصناعة والاسكان ودعم وتحفيز القطاع الخاص وتشجيع إقامة المشاريع الصغيرة والمتوسطة ومبادرة البنك المركزي بهدف تحقيق خطه الحكومة لإعادة هيكلة الاقتصاد العراقي والانتقال به من الاقتصاد الريعي الى الاقتصاد الانتاجي وتعد المهمة الاساسية للقطاع الخاص في تحقيق ذلك وفقاً لما ورد في استراتيجية تطوير القطاع الخاص للسنوات (2014 - 2030) بمراحلها الثلاث والتي تستهدف زيادة نسبة مساهمة القطاع الخاص في الناتج المحلي الاجمالي الى 60% بحلول عام 2030 وكانت 35% عام 2017 وصول النسبة تكوين رأس المال الثابت لدى القطاع الخاص الى 50% من الاجمالي الوطني وتخفيض معدل البطالة الى 4% واقل يتطلب قيام الحكومة بتحديد الاليات والاجراءات المطلوبة للقيام بالإصلاح الاقتصادي يتضمن⁽³⁾ من خلال ما يأتي:

✓ تنوع الانتاج في القطاعات الاقتصادية كافة وخلق قطاعات جديدة مولدة للدخل للتقليل من الاعتماد الكلي على قطاع النفط وهذا يتطلب احداث تغييرات مهمة في هيكل الاقتصاد العراقي نحو تنوع مصادر الانتاج والدخل واصلاح الجهاز الإنتاجي من أجل القضاء على الاختلالات الهيكلية وبالتالي احداث معدلات نمو مهمة في الاقتصاد

✓ تقليل الانفاق العام وترشيد بنوده ومعالجة الهدر مدعوماً بزيادة حجم الضرائب يساهم في انعاش الموازنة واصلاح اوضاعها مع تبني سياسات الغاء الدعم عن الخدمات الحكومية لرفع اسعارها بما يتناسب مع تكاليفها الحقيقية، على ان يصاحب هذه الاجراءات توجيه الموارد نحو القطاعات التي تدعم النشاطات الإنتاجية مثل قطاع التعليم والبحث العلمي والصحة والاسكان والاهتمام بالبنية الأساسية والمنشآت الاقتصادية ذات الأهمية الاستراتيجية.

✓ تشكيل هيئة استيرادية عليا لإعداد المنهج الاستيراد للدولة حسب اولويات توافر التخصيصات وتتولى اعداد منهاج لاستيراد للدولة وتتابع تنفيذ لكل وزارة استيراد المواد الضرورية وايقاف استيراد المواد الاستهلاكية

(1). أسراء شريف جيجان، عمر كامل حسن، السياسة الخارجية العراقية بين التنافس الإقليمي والدولي، مركز النهري للدراسات الاستراتيجية، العدد 1، 2020، ص:27.

(2). ستار جبران عمران، منهجية الاصلاح الاقتصادي في العراق دراسة تحليلية، مجلة الادارة والاقتصاد، جامعة المستنصرية، العدد 42، 2019، ص 502.

(3). ستار جبران عمران، مصدر سبق ذكره ص 503_504.

والترفيهية ودعم الانتاج المحلي الزراعي والصناعي وتطبيق شعار الاستيراد "مكمل للإنتاج المحلي وليس منافس له".

✓ ان عملية التحول من الاقتصاد المعتمد على قطاع النفط الى قطاعات اخرى مهمة الزراعة والصناعات التحويلية والخدمات والسياحة باتت من مقومات اصلاحه لان هذا الانتقال يؤدي الى خلق فرص عمل ويساهم في تقليل نسب البطالة فضلاً عن خلق منتجات جديدة يمكن الاستفادة منها في تنوع مصادر الانتاج والدخل وعمل حلقة ربط بين القطاعات المختلفة.

✓ تنمية القطاعات غير النفطية القادرة على جعل الاقتصاد العراقي اكثر مرونة وتقليل الاعتماد على مصدر وحيد للإيرادات والسعي نحو ملء فجوة تمويل التنمية من خلال توسيع دور القطاع الخاص ليكون له أثراً أكبر في النشاط الاقتصادي وقدرته على بناء مشاريع انتاجية لتنمية الصادرات غير النفطية لتنوع مصادر الدخل وترشيد استهلاك الانفاق العام، فضلاً عن تنمية القطاع الزراعي خاصة إن الوضع الدولي غير مستقر بسبب الحرب الروسية الأوكرانية التي يمكن إن تتوسع الى حرب عالمية ثالثة والتي ستؤدي الى قحط يجتاح العالم بأجمعه في عام 2023.

المحور الثالث: المصالح الثانوية

هي المصالح التي يمكن أن يطلق عليها مصالح مساعدة أو ثانوية تسهم في تحقيق المصالح الحيوية والمهمة للعراق وقد عرف ريتشارد نيكسون المصالح الثانوية هي تلك المصالح التي إذا استولت عليها دولة معادية سوف يشكل تهديداً عن بعد لمصلحة حيوية أو مصلحة للعراق وهي لا تستدعي الرد العسكري⁽¹⁾.

من خلال توظيف المنظمات الدولية بوصفها أدوات حيوية في تحقيق أهدافها ولاسيما فيما يتعلق باستخدام القوة والتطويق السياسي مدعوم بالشرعية الدولية اللازمة لتبرير هذا السلوك ومن هذه المنظمات ما يأتي:

منظمة الأمم المتحدة: وتشير الوقائع إلى أن النظام الدولي إبان القطبية الثنائية أدى إلى تقليل وظيفة الأمم المتحدة من دون تهميشها، إذ عطلها نسبياً، حق النقض الفيتو الذي تتمتع به الدول الخمس في مجلس الأمن، الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفيتي سابقاً روسيا حالياً وبريطانيا وفرنسا والصين، فقد استعمله طرفي الصراع الدولي 329 مرة منذ تأسيس الأمم المتحدة في عام 1945 وحتى عام 1991، إذ تفكك الاتحاد السوفيتي وبعد انتهاء الحرب الباردة تفرّدت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى في الشؤون الدولية عامة واحتوت الأمم المتحدة حتى باتت وظائفها وكأنها أمريكية أحادية فقط وقد جاءت القرارات الأممية معظمها لاسيما تلك التي صدرت عن مجلس الأمن متوافقة مع الرغبة الأمريكية تماماً ابتداءً من يوغسلافيا ومروراً بالصومال والعراق وأفغانستان فيما يخص تعامل الأمم المتحدة مع العراق إذ أصدرت قرارات ضد العراق بالصيغ وبالكيفية التي تريدها أمريكا حصراً وكان السلوك الأمريكي، هو دليل القرار الأممي وليس العكس⁽²⁾ ولعل صدور قرار الأمم المتحدة في 2/8/1990 رقم (660) في عد الغزو الأمريكي للعراق هو

(1). ريتشارد نيكسون ، مصدر سبق ذكره، ص 39.

(2) . نقلاً عن علي حسين العيسوي، القوى الإقليمية والقوى الكبرى دراسة في استراتيجيات الشراكة والتوظيف دراسة حالة العراق والولايات المتحدة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، 2007، ص 20.

احتلال⁽¹⁾، تدهورت علاقات العراق مع المجتمع الدولي قبل سقوط النظام السابق بسبب السياسات الخارجية لذلك النظام الذي تميزت بشن حروب عبثية على جيرانه (الكويت) وبسبب ممارساته الداخلية كاضطهاد شعبه ونتيجة لذلك خضع العراق الى عشرات القرارات الصادرة بموجب الفصل السابع من الميثاق تضمنت عقوبات اقتصادية شاملة رتبت أعباء اقتصادية ومالية فضلاً عن مساسها بسيادة العراق.

بعد سقوط النظام السابق في 2003 عمل العراق مع المجتمع الدولي وفي المقدمة منه منظمة الأمم المتحدة من أجل أن يستعيد دوره الذي كان عليه كعضو فعال ومسؤول في الأسرة الدولية، على الرغم من وظيفة العراق في الأمم المتحدة يرجع الى عام 1955 إلا إن علاقة العراق مع هذه المنظمة والأجهزة المتخصصة التابعة لها تشهد تطوراً كبيراً بعد سقوط النظام السابق ويساهم العراق حالياً بشكل أساسي في بناء المجمع الجديد للأمم المتحدة للمساعدة (يونامي) من خلال منحها قطعة ارض في بغداد ومنحها (25) مليون دولار عام 2010 و(25) مليون دولار أخرى محسوبة على ميزانية العراق لعام 2011 ليكون مجموع المنحة المقدمة (50) مليون دولار.

للأمم المتحدة دور فعال في العراق وتقوم بتنفيذ المشاريع والبرامج المختلفة من خلال التعاون والشراكة مع الحكومة العراقية ومع منظمات المجتمع المدني وعدد من الشركاء الدوليين وتغطي هذه المشاريع قطاعات مختلفة مثل قطاع التعليم والمياه والصرف الصحي والصحة والتغذية والسكن والأوى والأمن الغذائي وغير ذلك من المجالات المعنية بالتنمية، على العراق أن يسعى في استراتيجيته الجديدة إن يكون عضو دائم في الأمم المتحدة.

منظمة حلف شمال الأطلسي: شكلت الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية منظمة حلف شمال الأطلسي "الناتو" في عام 1949 لمواجهة الخطر الشيوعي نحو أوروبا الغربية⁽²⁾ وبقي هذا الوضع قائماً حتى بعد تلاشي الخطر السوفييتي⁽³⁾ وبعد تفكك الاتحاد السوفييتي في نهاية عام 1991 جاءت التقديرات الأولية للناتو من الممكن أن ينحل هو الآخر بعد أن فقد هويته نتيجة زوال الخطر الشيوعي وعدم حاجة أوروبا إلى الحماية الأمنية الأمريكية بيد أن شيئاً من هذا لم يحدث⁴، لأن نهاية الحرب الباردة شهدت أزمات حادة في البلقان وسقوط دول أوروبا الشرقية في حوض الانقسام والفوضى السياسية والعرقية وأصبحت دول أوروبا الغربية مهددة تحت ضغط المهاجرين وعصابات المافيا وتجار السلاح مما جعل الأوروبيون يتمسكون بالحلف أكثر مما سبق، علاقة حلف الناتو بالعراق إذ بدأ الانتشار لحلف الناتو "حلف شمال الأطلسي" في العراق والذي هو وحدة صغيرة قوامها أقل من مائة مستشار في عام 2004 وأنهت في عام 2011 عندما انسحبت القوات الأمريكية وخلال تلك المدة تربت تلك البعثة أكثر من 5,000 من الأفراد العسكريين العراقيين و10,000 من عناصر الشرطة وأستأنف حلف "الناتو" تدريباً أنشطته التدريبية وبناء القدرات في عام 2014 بناءً على طلب بغداد في الاردن (في مركز الملك عبدالله الثاني لتدريب العمليات الخاصة) ولاحقاً عبر ثمانية أفراد نشروا في بغداد في عام 2017 وفي غضون ذلك أنظم الحلف الى التحالف الدولي لهزيمة تنظيم (داعش الارهابي)

(1). أنظر قرار S/RES/ 660 الحالة بين العراق والكويت، موقع الأمم المتحدة على الرابط، <http://www.UN.org>

(2). نقلاً عن موسى حمد، القلاب ادوار حلف الناتو الإقليمية ودوره المحتمل في منطقة الخليج، مركز الخليج للأبحاث، 2005، ص 6_7.

(3). المصدر نفسه، ص 15.

(4). نقلاً عن نزار إسماعيل الحيالي، دور حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2003، ص: 40.

وأمن الدعم المباشر للعمليات من خلال أسطول طائرات الاستطلاع "إيواكس" التي تديرها في الغالب المانيا وبعد الانتصار على تنظيم داعش والاستعادة التدريجية للسيطرة السيادية للعراق.

تم إطلاق بعثة جديدة في عام 2018، هي بعثة الناتو في العراق بناء على طلب بغداد وتولت كندا قيادة هذه المهمة خلال العامين الأولين أذ أسهمت بما يصل الى 250 فرداً قبل تسليمها القيادة الى الدنمارك في تشرين الثاني نوفمبر 2020 وتم تجميد حلف الناتو أنشطته التدريبية نتيجة جائحة (كوفيد -19) يجب تطوير خطط استراتيجية مع بعثة الناتو التي يرأسها حالياً اللفتنانت جنرال بيير أولسن من الدنمارك) والافادة منهم في الحرب السيبرانية التكنولوجية الحديثة للحرب لدعم استراتيجية الأمن القومي العراقي.

الخاتمة

إن استراتيجية الأمن القومي العراقي بعد احتلال تنظيم داعش للمحافظات الغربية في العراق، والذي يعد هجوم غير مسبوق على الأمن القومي العراقي والذي شكل تحدياً أمنياً كبيراً جعلت الحكومة العراقية من حيث المصدر والتمويل والاتجاه وحجم التأثير المتوقع في اطار غير محدد المعالم للإبقاء على مفهوم الخطر، أمتزج الخطر بأكثر من معنى وأصبحت مصادره متعددة ومتنوعة، إذ جمع تنظيم (داعش الارهابي) بين الإسلام الراديكالي والإرهاب والتمثيل بالعراقيين وقتلهم بأبشع الصور، إذ إن التهديدات المعقدة والبازغة والمحتملة تتضمن الارهاب ولا تقتصر عليها هي من بين قضايا الامن القومي المركزية التي تواجه الحكومة العراقية فالتغير المناخي ومستلزمات الطاقة والتحديات الاقتصادية واحتمالات الأوبئة والأمن الغذائي جميعها جزءاً من مصفوفة التهديد التي تهدد الأمن القومي العراقي.

إن مواجهه التطرف العنيف المؤدي الى الارهاب هي استراتيجية متكاملة لمواجهة الراديكالية يجب تبني منهج متعدد الواجهه ومتكامل لمواجهة أيولوجية التطرف العنيف في كل من الداخل والخارج. كما ينبغي الاعتماد بتحقيق الأمن الغذائي للشعب العراقي من خلال ثورة زراعية تمكن العراق إن يتحرر من التبعية للدول الأخرى بخاصة إن الحرب الروسية الأوكرانية تهدد الأمن الغذائي وإن العراق يعتمد على تأمين القمح وزيت الذرة من أوكرانيا وروسيا فضلاً عن أنه سيخلق مليون فرصة عمل للعراقيين.

المراجع

الكتب

1. اسراء كاظم الحسيني، فاطمة محمد الجابري، استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية تجاه قارة آسيا بعد عام 2001 بين التصعيد والتعقيد العراق إنموذجاً، مطبعة الثقليين، النجف، العراق، 2017.
2. ريتشارد نيكسون، أمريكا والفرصة التاريخية، ترجمة محمد زكريا إسماعيل، مكتبة بيسان، بيروت 1992.
3. نزار إسماعيل الحياي، دور حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2003.

المجلات والدوريات

4. . أسراء شريف جيجان، عمر كامل حسن، السياسة الخارجية العراقية بين التنافس الإقليمي والدولي، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، العدد 1، 2020.
5. عبد العباس فضيخ دغبوش، حدود العراق بين متطلبات الجيوبوليتك وتحديات الأمن الوطني، كراس النهرين، العدد 22، 2021.
6. سليم كاطع علي، مقومات القوة الأمريكية وأثرها في النظام الدولي، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، الجامعة بغداد، العدد 42، 2009.
7. ستار جبران عمران، منهجية الإصلاح الاقتصادي في العراق دراسة تحليلية، مجلة الادارة والاقتصاد، جامعة المستنصرية، العدد 42، 2019.
8. سمر عبد الستار أمين، نموذج القيادة الأمريكية للنظام العالم الجديد، مجلة دراسات دولية، الجامعة بغداد، العدد 35، 2008.
9. موسى حمد، القلاب ادوار حلف الناتو الإقليمية ودوره المحتمل في منطقة الخليج، مركز الخليج للأبحاث، 2005.
10. مصطفى كمال محمد، أحداث 11 سبتمبر والأمن القومي الأمريكي مراجعة للأجهزة والسياسيات، مجلة السياسة الدولية، مركز النشر الأهرام للدراسات الاستراتيجية والدولية، القاهرة، العدد 147، 2002.

الإطار

11. علي حسين العيساوي، القوى الإقليمية والقوى الكبرى دراسة في استراتيجيات الشراكة والتوظيف دراسة حالة العراق والولايات المتحدة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، 2007.

الانترنت

12. أنظر لحظة هروب عدد من معتقلي "داعش" من سجن بالحسكة شمال شرق سوريا، https://arabic.rt.com/middle_east/1316691
13. أنظر قرار S/RES/ 660 الحالة بين العراق والكويت، موقع الأمم المتحدة على الرابط، <http://www.UN.org>
14. . Lawrence, kronb, max 13 ergiment, restoring American military power: toward anew pro aggressive
15. Steve Jones ,Bush Doctrine / <https://eferrit.com>.
16. . See: U.S defense strategy the protection of their lives and personal safety, both at home and broad. www.dod.gexe.csecladrg.611.chapt.Htm .

تغير طابع الحرب: تحليل عسكري لكيفية قتال تنظيم الدولة في العراق وسوريا

منتصر عدايلي: باحث بمرحلة الدكتوراه بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

montassar.adaili@gmail.com

الملخص

يدرس هذا البحث تغير طابع الحرب بالاستناد إلى دراسات مختصة ويركز البحث على التكتيكات العسكرية لتنظيم الدولة في كل من العراق وسوريا لفهم كيفية تأثيرها على طابع الحرب. فالورقة تحاول الإجابة على الأسئلة التالية: هل تتسبب التكتيكات العسكرية لتنظيم الدولة في تغير طابع الحرب؟ ماهي هذه التكتيكات؟ وتدرس الورقة القدرة القتالية لتنظيم الدولة في العراق وسوريا ولماذا حقق انتصارات أمام جيوش نظامية؟ تستنتج الورقة أن تنظيم الدولة تمكن من هزيمة جيوش نظامية وإقامة كيان سياسي بسبب إتباعه تكتيكات عسكرية ناجعة على أرض المعركة. أدى توظيف تكتيكات عسكرية عديدة من قبل تنظيم الدولة في العراق وسوريا إلى تغير في طابع الحرب حيث لم تعد صورة الحرب تقتصر على مواجهة مباشرة بين جيشين أو أكثر باستخدام بيانات وتقييم كيفي لتطور التكتيكات العسكرية لتنظيم الدولة نجد حدوث تغير مهم في طابع الحرب ناتج عن استخدام هذه التكتيكات. أصبحت حروب الإرهاب تتخذ صور مغايرة لما عهده الحروب في السابق.

الكلمات المفتاحية: طابع الحرب، تنظيم الدولة، التكتيكات العسكرية، الحرب الهجينة، القدرة القتالية

The Changing Character of War: Analysis of ISIS's Military Tactics

Abstract

This paper relies on academic literature on armed non-state actors and terrorist groups to better understand their military tactics. The paper introduces the military tactics of the terrorist organization in Iraq and Syria. The paper seeks to understand how the character of war changes asking did the military tactics of ISIS change the character of war. The military capabilities and the military effectiveness of the armed organization are scrutinized to answer the question why ISIS was able to defeat State regular armies. The author concludes that military tactics enhanced by ISIS had an impact on the character of war.

Key words: The character of war, Islamic State of Iraq and Levant, Military tactics, Hybrid warfare, Military capability

مقدّمة

تختلف تصورات الحرب من مدرسة فكرية إلى أخرى. فبينما يرى المنظّر الاستراتيجي الصيني سون تزو أن الإنجاز الأفضل هو " إخضاع العدو دون قتال"¹، يُعرّف الاستراتيجي البروسي كلاوزفيتز الحرب بأنها " فعل قوة لإجبار عدونا

¹ سون تزو، فن الحرب، ترجمة ودراسة علي شيري، مراجعة علاء الحلي، ط 3، (بيروت: دار الرافيدين، 2017)، ص 30.

لإرادتنا"¹. غالباً ما تُفهم الحرب على أنها مواجهة عسكرية بين بلدين.² وبالتالي بين جيشين نظاميين وبأسلحة ثقيلة. غير أنّ العديد من الأدبيات والدراسات التي تبحث في طابع الحرب تُقدم لنا مجموعة من العوامل التي تؤثر في طابع الحرب، أبرزها التطور التكنولوجي والجغرافيا.

ساهمت التكنولوجيا الحديثة في تطوير أسلوب القتال فأصبحت حروب تخاض عن بعد مثل الحروب الإلكترونية وحروب أخرى تخاض في فضاءات افتراضية من ذلك الهجمات السبرانية. بالنسبة لعامل الفضاء الحضري (عمران المدن) والذي يشكل ميدان القتال في العديد من الحروب والمعارك الحديثة، يفرض على الأطراف المتصارعة أسلوب وشكل القتال على غرار حرب العصابات وحرب المغاوير. خلال العقود الأخيرة طوّرت العديد من الجماعات من أسلوب قتالها داخل المناطق الحضرية وشهدت كثير من المعارك تصاعد أسلوب الإرهاب واستعمال العبوات النافسة بكثافة والقنص والاعتقالات وغيرها من التكتيكات العسكرية الميدانية.

بيّنت دراسة لـ Wilson و Lyall، صدرت سنة 2009، أن الجيوش النظامية للدول لم تنتصر إلا بنسبة 25 % فقط³، مقابل 90 % خلال القرن التاسع عشر.⁴ وقد غطّت الدراسة الحقبة التاريخية ما بين 1800 و 2005. تواصلت انتصارات التنظيمات المسلحة ما دون الدولة خلال العقد الأخير فأصبح الموضوع محورياً في الدراسات العسكرية والأمنية والاستراتيجية.⁵ يصف عمر عاشور هذا التصاعد في تحقيق الانتصارات بـ "التغير التاريخي لنمط التنظيمات المسلحة ما دون الدولة"⁶. وفي هذا السياق يُعتبر تنظيم الدولة أكثر التنظيمات المسلحة ما دون الدولة تميزاً من الناحية القتالية حيث سيطر على مناطق شاسعة في العراق وسوريا ونجح في فرض نظام سياسي على الأراضي التي افتكها بالقوة العسكرية.

تُسلط هذه الورقة الضوء على العلاقة بين التكتيكات العسكرية لتنظيم الدولة وتغير طابع الحرب. تحاول الورقة الإجابة على السؤال البحثي التالي: هل غيّرت التكتيكات العسكرية لتنظيم الدولة في العراق والشام طابع الحرب؟ كما تجيب الورقة عن الأسئلة الفرعية التالية: ما هي هذه التكتيكات؟ كيف وظّفت في الحرب الحديثة؟ وكيف أثرت التكتيكات العسكرية في النتائج العسكرية للمعارك؟

تُقدّم لنا الأدبيات التي تبحث في مجال الحروب بمختلف أنواعها مجموعة من التفسيرات لفهم كيفية وعوامل تغير طابع الحرب. أبرز هذه الأبحاث ركزت على التكنولوجيا والجغرافيا في الوسط الحضري والريفي. يقول بروس

¹ Carl von Clausewitz, *On War*, Michael Howard & Peter Paret (trans.), 1st ed. (New York: Oxford University Press, 2008), p. 11.

² Kalevi J. Hostic, *The State, War, and the State of War*, (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), p. 1.

³ J. Lyall & I. Wilson, "Rage against the Machines: Explaining Outcomes in Counterinsurgency Wars," *International Organization*, vol. 63, no. 1 (2009), pp. 67-106.

⁴ Ibid.

⁵ Omar Ashour, *How ISIS Fights: Military Tactics in Iraq, Syria, Libya and Egypt* (Edinburgh: Edinburgh University Press (forthcoming in 2020); Omar Ashour, "How 'Sinai Province' Fight? A Military-Political Analysis of the Sinaian Crisis" (In Arabic), *Siyasat Arabiya*, n. 33 (July 2018), pp. 7-21; Omar Ashour (ed.), *Punching Above Their Weights: Combat Effectiveness of Armed Non-State Actors*, (Doha: Arab Centre for Research and Policy Studies), (forthcoming in 2021). See also: the proceedings of the annual conference of the Strategic Studies Unit entitled "Militias and Armies: Developments of Combat Capacities of Armed Non-State and State Actors," Arab Centre for Research and Policy Studies (ACRPS), Doha, 24/2/2020, at: <https://bit.ly/2K3hYzc>

⁶ Ibid.

بيروكوفيتس " الحرب القادمة لن تخاض على أرض المعركة بل أيضا داخل حواسيب وأنظمة اتصال"¹. قد تكون الحرب السبرانية الشكل الأكثر تغيرا عن الحروب التي عرفتها البشرية في القرون السابقة لكن هذا الشكل من الحروب لا يزال في طوره البدائي. حاليا ساهمت التكنولوجيا في تساوي الفرص على أرض المعركة بين الطرف الأقوى والطرف الأضعف. إذ يُبرز آزارقات أن التكنولوجيا الحديثة المتقدمة " قطّبت ودمقرطة التوازن في الحرب بين الجانب المتقدم والجانب الأقل تقدما"².

اعتبرت الجغرافيا أيضا عاملا حاسما في الحروب وهو ما يساهم في التأثير في طابع الحرب. أكد ديفيد كيلكولن أن المناطق الريفية والمناطق النائية والجبال والغابات والأدغال كانت في الماضي البيئة المناسبة للحرب غير النظامية.³ بسبب تزايد العمران عالميا، أصبح طابع نموذج هذا الصراع يشهد تغير.⁴ يعتقد كيلكولن أن المدن توفر غطاء للتنظيمات المسلحة ما دون الدولة وتوفر لمقاتليها حماية من المراقبة الأمنية. تنطبق عناصر عدة في هذه التفسيرات على الحروب غير النظامية لاسيما دور التكنولوجيا في تغير طابع الحرب والمتمثل أساسا في تطوير الأسلحة، والعمران العسكري الذي أصبح يوفر ميدان قتال جديد يختلف عما كان خلال الحروب التقليدية حيث يتسم الصراع بتكتيكات عسكرية متعددة يتبعها طرفي أو أطراف الصراع لتطويع ميدان القتال لصالحهم. تدرس هذه الورقة التكتيكات العسكرية التي يستخدمها تنظيم الدولة والتي من شأنها أن تساهم في تغير طابع الحرب.

الإطار النظري والمفاهيمي

تعدّ الحرب من أقدم الأنشطة البشرية التي تواصلت عبر التاريخ إلى عصرنا الحالي. إذ تم التنظير للحرب منذ عصور ما قبل الحقبة العامة ويعتبر الاستراتيجي العسكري الصيني سون تزو من أوائل المختصين الذين نظروا للحرب في كتابه فنّ الحرب. يري سون تزو أن الحرب تخضع لقانون الحظ والاحتكاك وهو يؤكد على قدرة حدّس القائد العسكري على تكيف الظروف غير المتوقعة.⁵ يُقر تزو بأن طبيعة الحرب متغيرة وهو يشبهها بالماء، " مثل الماء ليس له شكل ثابت كذلك الحرب ليس لها ظروف ثابتة"⁶. يتفق كلاوزفيتز مع تزو في مسألة صعوبة تحديد مفهوم واضح للحرب وذلك لأن الحرب يجب أن تُعرف في علاقة بما هو سياسي وإقتصادي وثقافي.⁷ حسب كلاوزفيتز الحرب تغير من شكلها كل مرة فهو يقول " الحرب ليست فقط حرباء حقيقية، لأنها تغير طبيعتها بشكل طفيف في كل حالة ملموسة، لكنها أيضا تُغير مظهرها العام"⁸. فسّر كلاوزفيتز الحرب في ميولها المتأصلة برسم نموذج سماه الثالوث العجيب. يتكون ثالوث كلاوزفيتز من العنف والكراهية والعداوة. مكونات هذا النموذج تشكل الطبيعة العمياء للحرب.⁹

¹ Bruce D. Berkowitz, *The New Face of War: How War Will Be Fought in the 21st Century* (New York: The Free Press, 2003), p 1.

² Azar Gat, *The Changing Character of War*, in: Hew Strachan & Sibylle Scheipers (eds.), *The Changing Character of War* (New York: Oxford University press, 2011), p 39.

³ Stephen Graham, *Cities Under Siege: The New Military Urbanism* (New York: Verso, 2010), pp. 1-153.

⁴ Ibid.

⁵ Michael Handel, *Masters of War Classical Strategic Thought*, (London: Taylor & Francis, 2005), p.22.

⁶ تزو، ص 22.

⁷ Herfried, Munkler, *The New Wars*, 4th ed, (Hamburg: Rowohlt Taschenbuch Verlag, 2010), p4.

⁸ Clausewitz, p 30.

⁹ راجع كتاب كلاوزفيتز عن الحرب

تجدد الإشارة هنا إلى أن طبيعة الحرب تختلف عن طابعها. فطبيعة الحرب ثابتة أما طابعها فمتغير بتغير العوامل والظروف التي تدار فيها الحرب. كأى ظاهرة اجتماعية، للحرب صفات تميزها من ذلك "الخطر والمجهود الجسدي و الاحتكاك"¹ هذه الصفات "أبدية" كما كتب رون هيركسن². فكلما وُفِّتْرت تحدث عن الشكل والجوهر. لذلك يمكن أن نعرف طابع الحرب بأنه تمظهر الحرب على أرض الواقع أي ببساطة كيف تخاض الحرب.

تختلف مظاهر الحرب باختلاف نوع الحرب وأطرافها وأهدافها. فأنواع الحروب عديدة كالحروب بين الدول والحروب التقليدية والصراعات منخفضة الحدّة والصراعات غير المتناظرة والحروب الهجينة وغيرها. تدرس هذه الورقة نوع مُعيّن من الحروب وهو الحرب غير النظامية (أو غير التقليدية) والحرب الهجينة. بينما تُعرّف الحرب التقليدية بمواجهة مباشرة بين وحدات مسلحة نظامية وغير نظامية، تُعرّف الحرب غير النظامية بكونها "صراع عنيف بين الدولة وتنظيمات مسلحة ما دون الدولة حول الشرعية وحول التأثير في السكان." "الحرب غير النظامية يفضل فيها مقاربات غير مباشرة وغير متناظرة ويمكن توظيف مجموعة كاملة من القدرات العسكرية وغيرها من أجل تقليص قوة الخصم وتأثيره وإرادته"³. بالنسبة للحرب الهجينة فهي مزيج بين الحرب التقليدية والحرب غير التقليدية.⁴

تعتمد الورقة على المقاربة النظرية للحروب الجديدة لفهم كيفية قتال تنظيم الدولة في العراق وسوريا وعلاقة ذلك بتغير طابع الحرب. تستخدم ماري كالدور مصطلح الحروب الجديدة لتصف العنف المنظّم الذي تطور خلال العشرية الأخيرة من القرن العشرين خاصة في إفريقيا وشرق أوروبا كمظهر من مظاهر العولمة. تشدد كالدور على أن هذه الحروب أصبحت تدور حول الهوية السياسية على عكس ما كانت عليه الحروب السابقة والتي كانت تخاض بسبب الأهداف الجيوسياسية والأيدولوجية.⁵ الهوية السياسية هي ميزة أساسية للحروب الجديدة وهي تعني طلب السلطة على أسس قومية ودينية ولغوية. تقول ماري كالدور إن هذه الهويات ترتبط بأفكار سياسية أو اجتماعية وتنزع إلى إقامة صلة مع الحنين لثلاث الماضي المثالي.⁶ الميزة الثانية لهذه النوعية من الحروب هي طريقة الحرب، والمقصود بالطريقة هنا الأدوات التي تخاض بها الحرب.

إن كانت الحرب التقليدية تهدف إلى احتلال الأرض فإنّ الحرب الجديدة تهدف للسيطرة على السكان. لتحقيق هذا الهدف يعتمد في الحروب الجديدة على العديد من التكتيكات أبرزها حرب الشوارع وتفجير العبوات النافسة والاعتقالات والإرهاب. تشهد منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا عدد من الحروب الهجينة التي وُظِّفت فيها العديد من التكتيكات العسكرية التي زادت في تعقيد مقارنة الحرب الهجينة فروبرت جونسون يطلق عليها تسميات عديدة مثل "الحرب الخاصة" و "الحرب الغامضة" والعمليات الرمادية".⁷

¹ Carl von Clausewitz, *On War*, Michael Howard & Peter Paret (trans.), 1st ed. (New York: Oxford University Press, 2008), p. 88.

² Rune Heriksen, *The Character of War and the Nature of Combat* in Caroline Homqvist-Jonsater & Christopher Coker (eds.), *The Character of War in the 21st Century* (New York: Routledge, 2010).

³ United States Department of Defense, *Irregular Warfare: Countering Irregular Threats: Joint Operating Concept (IWJOC)*, V 2.0 (May 17, 2010), 9.

⁴ Robert Johnson, "Hybrid War and its Countermeasures: A Critique of the Literature", *Small Wars & Insurgencies* (22 December 2017), pp.141-163.

⁵ Mary Kaldor, *New & Old Wars: Organized Violence in a Global Era*, 3rd ed (USA: Sandford University Press, 2012), pp 7.

⁶ Ibid, p 8.

⁷ Robert Johnson, "Hybrid War and Its Countermeasures: A Critique of the Literature", *Small Wars and Insurgencies*, vol 29, no 1, (2018), pp 141-163.

المنهجية: يفترض هذا البحث أن التكتيكات العسكرية لتنظيم الدولة غيرت من طابع الحرب. يتم اختبار هذه الفرضية من خلال المنهج التحليلي لدراسة حالة تكتيكات تنظيم الدولة. يعتمد هذا البحث على المنهج الكمي في دراسة التكتيكات العسكرية وذلك من خلال فحص بعض الإحصائيات والبيانات الواردة في الأدبيات. كما يوظف البحث المنهج الكيفي لفهم وتحليل المصادر. يوجد أيضا جزء وصفي في الورقة ضمن اللوحة التاريخية لتنظيم الدولة من أجل تحديد إطار واضح لدراسة الحالة.

الأدبيات التحفيزية

تقدم لنا الأدبيات تفسيرات بخصوص تغير طابع الحرب وتتمحور أغلب هذه الأدبيات حول عاملين أساسيين هما التكنولوجيا والوسط الحضري. بالنسبة للتكنولوجيا فلا شك في تأثيرها المباشر وغير المباشر على كل أنواع الحروب. يُشير فولر إلى ثلاث موجات كبرى في مجال التكنولوجيا العسكرية. الأولى خلال الثورة الصناعية حيث أحدث المحرك البخاري ثورة في التنقل الاستراتيجي واللوجستي للجيش¹. الموجة الثانية بدأت سنة 1880 وتميزت بظهور الطاقة الكهربائية ومحرك الاحتراق الداخلي الذي جعل من الطيران ممكن كما برز الراديو للاتصالات. الموجة الأخيرة كانت بظهور الصواريخ والتلفاز والكهروضوئية والصواريخ الموجهة بالليزر وهو ما أحدث ثورة في ميدان القتال في الجو والأرض². يُبين أزر قاد أيضا أن الأسلحة الدقيقة وأسلحة الدمار الشامل لم تعد حكرا على الدول بل أصبحت متاحة للتنظيمات المسلحة ما دون الدولة. حسب الكاتب فإن التكنولوجيا غيرت من طابع الحرب إذ أصبحت الحرب تتخذ شكل مغاير بدخول التكنولوجيا التي أتاحت طرق جديدة للقتال في البر والبحر والجو.

في كتابه من الجبال برهن ديفد كيلكولن على أن التكنولوجيا عامل أساسي في تغير طابع الحرب. أشار كيلكولن إلى استعمال التكنولوجيا للقتال عن بعد. سنة 2002 وخلال حرب أفغانستان حلق عملاء المخابرات المركزية الأمريكية في لانغي، فرجينيا، بطائرة بريداتور موجهة عن بعد ومسلحة بصواريخ هيلفاير ضد أهداف طالبان³. يتبين لنا من خلال هذا المثال قدرة التكنولوجيا على إحداث تغير في طابع الحرب حيث يمكن أن يتم إستهداف الخصم دون مواجهة وعن بعد.

بالإضافة إلى التكنولوجيا يرى العديد من الباحثين بأن الجغرافيا وبالأخص المناطق الحضرية تساهم في تغير طابع الحرب. يؤكد ستيفن غراهام أن العسكرة أصبحت موجودة في الحياة الحضرية لمحاربة الإرهاب والمخدرات والجريمة. يُشير الكاتب إلى القتال داخل المحلات التجارية والأبراج وأنفاق الميتر والمناطق الصناعية بدل الحقول المفتوحة والأدغال والصحاري⁴. يتوقع ديفد كيلكولن أن المدن في المستقبل سوف توفر غطاء للتنظيمات المسلحة ما دون الدولة وذلك لكثافة العمران أين يمكن لهذه التنظيمات الوصول للتكنولوجيا المتقدمة⁵.

¹ Azar Gat, *The Changing Character of War*, in: Hew Strachan & Sibylle Scheipers (eds.), *The Changing Character of War* (New York: Oxford University press, 2011), p 39

² Ibid.

³ David Kilcullen, *Out of the Mountains: The Coming Age of the Urban Guerrilla*, (New York, Oxford University Press, 2013), p.172.

⁴ Stephen Graham, *Cities Under Siege: The New Military Urbanism* (New York: Verso, 2010), pp. 1-153.

⁵ Kilcullen, p 104

ساهمت التكنولوجيا والجغرافيا وخاصة المناطق الحضرية وسط المدن في خلق تكتيكات عسكرية تتلاءم مع ميدان المعركة وظروفها. هذه التكتيكات استخدمتها كل أطراف الصراع من جيوش نظامية وتنظيمات مسلحة ما دون الدولة. لفهم طبيعة هذه التكتيكات لابد من تقديم تعريف لها. جاء في كتاب كيف يقاتل تنظيم الدولة: التكتيكات العسكرية في العراق وسوريا وليبيا ومصر لعمر عاشور أن التكتيكات تعني " فنّ وعلم استخدام وتنظيم القوة على أرض المعركة خلال الاشتباكات مع الطرف الآخر أو على مقربة منه (منهم) بهدف ترجمة المهارات القتالية والموارد إلى موقع متميز أو انتصار صريح"¹. بتقديم تعريف للتكتيكات ربما نعطينا لمحة تاريخية لتكتيكات تنظيم الدولة صورة أوضح عن تطور الأساليب العسكرية والقدرة القتالية لهذا التنظيم منذ نشأته وحتى سقوطه ككيان سياسي واجتماعي ممتد بين العراق وسوريا.

لمحة تاريخية

نجد في الأدبيات الغربية مفهوم "طريقة الحرب الجهادية" ويرجع مفهوم "طريقة الحرب" إلى فترة ما بين الحربين العالميتين عندما لاحظ الاستراتيجي والمفكر البريطاني باسيل ليدل هارت أنه هناك طريقة معينة للحرب عند الجيش البريطاني.² ثم أصبح هذا المفهوم يطبق على عدد من القوميات مثل طريقة الحرب الأمريكية وطريقة الحرب الروسية وطريقة الحرب الألمانية وغيرها من الجنسيات. وفي تسعينيات القرن الماضي ظهرت دراسات تطرقت لطريقة الحرب العربية والإسلامية. مع تصاعد العمليات المسلحة لتنظيمات تعرف نفسها بالإسلامية والجهادية استخدمت الأدبيات والدراسات الغربية مصطلح طريقة الحرب الجهادية. ترتبط طريقة الحرب الجهادية أساسا بالإرهاب كأسلوب وتكتيك لتحقيق أهداف سياسية.

لكن يبدو أن مفهوم طريقة الحرب الجهادية لا يعكس المعنى الحقيقي للجهاد ولا يأخذ في الاعتبار تعدد التفاسير والتعاريف لهذا المصطلح. فحسب عزمي بشارة مصطلح الجهاد استخدم للدلالة على الصراع مع المستعمر ولم تكن له دلالة دينية.³ بل أن الرئيس الحبيب بورقيبة في تونس العلمانية كان يُسعى بالمجاهد الأكبر لأنه قاد الصراع ضدّ المستعمر، ثم لأنه باني الدولة الحديثة بعد الاستقلال. يؤكد بشارة أن الدلالة الدينية للجهاد ظهرت خلال الثمانينيات مع حرب أفغانستان إثر الاجتياح السوفياتي.⁴

كان الغزو الأمريكي للعراق سنة 2003 نقطة تحول مهمة في تاريخ التكتيكات العسكرية للتنظيمات المسلحة. برز تنظيم القاعدة كأكثر التنظيمات قدرة على قتال الجيش الأمريكي. ساهم الإخفاق السياسي والعسكري الأمريكي الذي "ارتكز على القصف العشوائي"⁵ في تلقي شبكة الزرقاوي دعم من المجتمع السني ومن فرق الموت الطائفية. فأعلن الزرقاوي عن تأسيس تنظيم الجهاد والتوحيد في سبتمبر 2003. أعلن أبو مصعب الزرقاوي على مقاربة " الحرب غير

¹ Omar Ashour, How ISIS Fights: Military Tactics in Iraq, Syria, Libya and Egypt, (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2021), p 23.

² Hew Strachan, "The British Way in Warfare Revisited," *Historical Journal*, vol.26, no.2 (June 1983), pp. 447-461.

³ عزمي بشارة، تنظيم الدولة المكنى " داعش": إطار عام ومساهمة نقدية في فهم الظاهرة، ج 1، ط 1 (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)، ص 96.

⁴ نقس المرجع السابق

⁵ حسن أبو هنية، الجهادية العربية اندماج الأبعاد: النكاية والتمكين بين "الدولة الإسلامية" و "قاعدة الجهاد"، (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)، ص 117.

المقيدة"¹. أراد الزرقاوي استغلال كل الموارد والوسائل من أجل تحقيق أهداف التنظيم. تميزت تلك الفترة بالاستخدام المكثف للعبوات الناسفة والسيارات المفخخة والعمليات الانتحارية. استهدفت عمليات الزرقاوي المدنيين والعسكريين والسياسيين وزرعت العبوات الناسفة في كل مكان: في الطرقات وفي السيارات وحاولات النفايات وملابس الأشخاص وجثث الحيوانات. بعد أن أسس الزرقاوي قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين في أكتوبر 2004، تم الإعلان على مجلس شورى المجاهدين سنة 2006 لتوحيد جماعات التمرد السنية في العراق.² كان هذا المجلس تمهيد للإعلان عن ولادة تنظيم الدولة الإسلامية الذي كان يخطط له الزرقاوي قبل اغتياله في غارة أمريكية.³

بعد مقتل الزرقاوي ببضعة أشهر أعلن مجلس شورى المجاهدين عن نشأة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق.⁴ عانى التنظيم في بداياته من عمليات قطع الرؤوس، إذ تم اغتيال 40 قيادي في التنظيم وهو ما يمثل 80 بالمئة من قيادة التنظيم. سنة 2018 ومن بين هذه القيادات أبو حمزة المهاجر وأبو عمر البغدادي.⁵ مع وصول الربيع العربي إلى سوريا وجد التنظيم موطن قدم هناك فأرسل أبو بكر البغدادي، الزعيم الجديد لتنظيم الدولة، محمد الجولاني إلى سوريا سنة 2011 والذي أسس تنظيم يتبع القاعدة وهو جبهة النصرة. بينما أعلن البغدادي على دمج جبهة النصرة مع تنظيم الدولة في العراق، رفض الجولاني هذا الدمج وهو ما أدى إلى صراع مسلح بين التنظيمين.

اعتمد تنظيم الدولة على أسلوب الإرهاب في كل من العراق وسوريا، وفي سنة 2012 بدأ التنظيم في حملات تمرد مكثفة. سميت الحملة الأولى بـ"كسر الجدران" وقد استهدفت هذه الحملة السجون من أجل تحرير المساجين. الحملة الثانية كانت في سنة 2013 وسميت بـ"حصاد الجنود"، استهدفت القوات الأمنية.⁶ إضافة إلى الإرهاب برزت تكتيكات عسكرية واستخباراتية فائقة الدقة في المعارك مع الجيش العراقي والجيش السوري وكذلك في المعارك ضدّ التنظيمات المسلحة الأخرى.

التكتيكات العسكرية لتنظيم الدولة

تتراوح تكتيكات تنظيم الدولة من الكمائن مروراً بالعبوات الناسفة إلى العمليات الانتحارية. تزيد الكمائن عادة من عنصر المفاجأة ويمكن أن يوظف فيها إطلاق النار المباشر كاستعمال الرشاشات والمسدسات والرمانات اليدوية، أما التوظيف غير المباشر للكمائن فيتمثل في استخدام الصواريخ وقذائف الهاون.⁷ يمتلك تنظيم الدولة فرقة مشاة

¹ Ahmed Hashim, *The Caliphate at War: Operational Realities and Innovations of the Islamic State*, (New York: Oxford University Press, 2018), p. 184.

² Michael Ryan, *"ISIS: The Terrorist Group that would be a State,"* (Newport: U.S Naval war college Center for Irregular Warfare and Armed Groups, 2015), p 12.

³ Hashimi, pp 90-95.

⁴ Ibid.

⁵ Ibid, p121.

⁶ Ahmed Hashim, "The Islamic State's Way of War in Iraq and Syria: From its Origins to its Post Caliphate Era", *Terrorism Research Initiative*, vol 13, no 1, (February 2019), p.27.

⁷ Seth Jones, *Waging Insurgent Warfare: Lessons from the Vietcong to the Islamic State*, (New York: Oxford University Press, 2017) p 59.

تتكون من محلّين عراقيين وسوريين بالإضافة إلى أجنب. ¹ اتبع التنظيم في العراق و سوريا أسلوب الألبن ²، و هو أسلوب قتال مستوحى من تسلق الجبال ويتمثل في التحرك بسرعة لضرب الهدف ثم المرور للهدف التالي. باستخدام هذا التكتيك سيطر التنظيم على ثلث العراق وسوريا.³

يقاتل التنظيم في شكل مجموعات ويبقى المقاتلون متلاصقين لتوفير الحماية لبعضهم البعض. كما يتحرك مقاتلو تنظيم الدولة في طوابير لسيارات طويوطا حتى لا تصيهم المدفعية.⁴ تستخدم المركبات لحمل المتفجرات ثم تفجيرها في أماكن عسكرية أو مدنية. كما تستخدم السيارات المفخخة لعمليات انتحارية. بصعود تنظيم الدولة شهد استخدام المركبات المفخخة قفزة نوعية إذ استخدم التنظيم أنواع عديدة من المركبات، عسكرية ومدنية مثل م همفي 113 وم 35 وم 1152 وكات بيلر 789، بالإضافة إلى تفخيخ حاملات الصهاريج وسيارات الإسعاف وغيرها.⁵ استخدم تنظيم الدولة المركبات المفخخة كسلاح خط أمامي ضدّ التحالف في العراق وسوريا.⁶

عُرف التنظيم منذ نشأته باستخدامه المفرط للعمليات الانتحارية. يختار التنظيم رجال ونساء وأطفال لينفذوا عمليات انتحارية ضدّ أهداف ثابتة ومُنقلة عسكرية كانت أو مدنية. يُجهز التنظيم انتحاريه بالسيارات والعبوات الناسفة من أجل قتل أنفسهم وقتل آخرين. فهو يستعملهم كأسلحة بشرية في أرض المعركة.⁷ كما تستخدم العمليات الانتحارية لتحطيم تحصينات القوات العسكرية والأمنية والأسلاك الشائكة وكذلك يوظف الانتحاريين للقيام بالكماثن.⁸ كمثال على ذلك، أرسل التنظيم في سنة 2015 إلى الرمادي رطل يتكون من عدة جرافات البلدوزر لإزالة حواجز حتى تتمكن ثلاثون سيارة انتحارية من الولوج إلى مواقع الجيش العراقي.⁹

يجيد تنظيم الدولة حرب الأنفاق ويعتمد على الأنفاق من أجل الخداع والمفاجأة خلال المعركة فيقوم بشن عمليات انتحارية مكثفة من داخل الأنفاق حتى ينسف دفاعات العدو.¹⁰ بالإضافة إلى العمليات الانتحارية يستخدم تنظيم الدولة العبوات الناسفة كتكتيك دفاعي. استطاع مقاتلو التنظيم في سنة 2015 في تكريت إبطاء تقدم القوات العراقية بزرع خطّ عبوات ناسفة يمتد على مسافة أكثر من كيلومتر.¹¹

¹ Loveday Morris & Mustafa Salim, "A File on Islamic State's Problem Foreign Fighters Shows Some are Refusing to Fight", *Washington Post*, (February 7, 2017), accessed on 11/02/2021 at: https://www.washingtonpost.com/world/middle-east/a-file-on-islamic-states-problem-foreign-fighters-shows-some-are-refusing-to-fight/2017/02/06/694cdaa0-e664-11e6-903d-9b11ed7d8d2a_story.html

² Malcom Nance, *Defeating ISIS: Who they are, how they Fight, what they Believe* (New York: Skyhorse, 2016), pp. 347.

³ Ibid.

⁴ Ibid, pp 347-348.

⁵ Nance, pp.326-328.

⁶ Aron Mehta, "General: ISIL Using IEDs as Guide Munition," *Defense News*, 19/06/2015, accessed on 31/01/20121 at <https://www.defensenews.com/land/2015/06/19/general-isil-using-ieds-as-guided-munitions/>

⁷ Nance, pp.326-328

⁸ Ibid.

⁹ "The devastating Islamic State Suicide Strategy", The Soufan Group. 29/05/2015 accessed on 01/02/2020 at <https://thesoufancenter.org/tsg-intelbrief-the-devastating-islamic-state-suicide-strategy/>

¹⁰ Ibid, p 351.

¹¹ Ibid, p 352.

ما كان يشغل عناصر التنظيم هو القوة الجوية. لذلك اتبع مقاتلو التنظيم تكتيك التخفي والخداع لتجنب استهدافهم من قبل سلاح الجو. فجاءت عدّة توصيات نشرت في مجلة النبأ التابعة لتنظيم الدولة تحت على التخفي والخداع.¹ من بين التكتيكات الأخرى المتبعة نجد تكتيك التخريب والإرهاب. التخريب هو تكتيك يعتمد عادة لضرب قدرات القوات العسكرية. سنة 2014 سيطر تنظيم الدولة على سدود في الفلوجة والموصل وسامراء والرمادي، واستعملت هذه السدود كسلاح حرب. قام التنظيم بقطع توصيل المياه على المناطق الشيعية وتم تسميم المياه وفي مراحل أخرى قام التنظيم بإغراق مناطق بأكملها مستخدماً مياه السدود.² أغرق التنظيم تسع قرى حتى يعيق تقدم الجيش العراقي ويجبره على القتال في الوحل.³ وللتشويش على سلاح الطيران قام عناصر التنظيم بحرق آبار النفط.⁴

من أهم وحدات فرقة المشاة نجد وحدة الإنغماسين وهي وحدة عسكرية تتكون من محلّين وأجانب. تقوم الوحدة بضرب المواقع الدفاعية للعدو وكذلك بتأمين حماية لعناصر التنظيم عند الانسحاب.⁵ الإنغماسيون هي فرقة انتحارية تتميز بفعالية قتالية عالية. لعل أشهر تكتيكات التنظيم هو الإرهاب. الإرهاب يستخدم كاستراتيجية وأيضاً كتكتيك. يؤكد جيلبرت رامسي بأن الإرهاب يفهم أولاً ودائماً كنوع خاص من التكتيك.⁶ الغاية من استخدام الإرهاب هو خلق حالة الخوف وفي الغالب يوظف الإرهاب لتبليغ رسالة. حتى أن أبو بكر ناجي في كتابه إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة اعتبر أن الجهاد يعني الإرهاب.⁷ استخدام عناصر التنظيم تقريبا كل أنواع الإرهاب من ذبح واغتصاب وحرق ناس أحياء واستعباد وتفجير مناطق مأهولة وخطف واغتيالات وغيرها من أساليب الإرهاب. ولفهم تكتيكات تنظيم الدولة أرفق الجدول التالي:

الجدول رقم 1: تكتيكات تنظيم الدولة في العراق وسوريا سنة 2014

التكتيكات	عدد العمليات خلال سنة 2014
سيارات مفخخة، استشهادية مركوبة	615
أحزمة ناسفة	160
دراجات مفخخة مركوبة	14
عبوات ناسفة	4465
اقتحام	336
اغتيالات	1083

¹ "كيف تقاتل تحت عيون الطيران الصليبي"، النبأ 2017/09/24 شوهدي في 2021/02/12 في <https://home.archive.org/bookmarks/Hui65>

² Peter H Gleick, "Water as a Weapon and Casualty of Armed Conflict: A Review of Recent Water-Related Violence in Iraq, Syria, and Yemen." Wiley Online Library. John Wiley & Sons, Ltd, June 4, 2019. <https://onlinelibrary.wiley.com/doi/abs/10.1002/wat2.1351>

³ Ibid.

⁴ Ben Wedeman & Hamdi Alkshhal, "Life under ISIS: Iraqis Choke as Sabotaged Oil Wells Blaze", CNN, 13/10/2016 accessed on 10/02/2021 at : <https://edition.cnn.com/2016/10/12/world/burning-oil-wells-isis-iraq/index.html>

⁵ Stephane Mantoux & Mathieu Morant, "L'Emploi des chars par Daesh", JForum , 09/02/2017 accessed on 30/01/2021 at : <https://www.jforum.fr/%20emploi-des-chars-par-daesh.html>

⁶ Gilbert Ramsy, "Why Terrorism Can, but should not be Defined?", Routledge, vol 8, no 2, (Feb 2015), pp 211-228.

⁷ أبو بكر ناجي، إدارة التوحش : أخطر مرحلة تمر بها الأمة، (سوريا: دار التمرد، 2011)

607	قصف الهاون والصواريخ
1015	تفجير وحرق
30	انتشار واستعراض
1047	قنص
8	سيطرة على مدن
100+	استهداف "مرتدين"
100+	تحرير سجناء
100+	إجلاء "روافض من مناطق المسلمين"
7681	المجموع

Institute for the Study of War, *ISIS Annual Reports Reveal Metrics-Driven Military Command* (Washington D.C: 2015), p 2.

تشير المعطيات الواردة في الجدول إلى أن تنظيم الدولة يعول بدرجة أولى على العبوات الناسفة كتكتيك عسكري. ثم السيارات المفخخة والعمليات الانتحارية ويمكن تفسير ذلك بالتفوق العددي للجيش النظامية وهو ما جعل تنظيم الدولة يتبع تكتيكات تمكنه من القتال غير المباشر. ويمكن تلخيص التكتيكات العسكرية لتنظيم الدولة وحربه الهجينة ما بين سنة 2014 و 2015 في الجدول التالي:

الجدول رقم 2: التكتيكات العسكرية لتنظيم الدولة وحربه الهجينة ما بين سنة 2014 و 2015

سيارات مفخخة، عبوات ناسفة، انتحاريين، أسلحة خفيفة، دروع،	مهاجمة العدو مباشرة من أجل تدمير الخطر العسكري وافتكاك الأرض	حرب المناورة التقليدية
عبوات ناسفة، انتحاريين، سيارات مفخخة، أسلحة خفيفة، اغتيلات، عمليات نفسية	مهاجمة العدو بطريقة غير مباشرة من أجل الحطّ من شأنه وإزعاجه والتسلّل، عزل السكان وتعبئتهم	حرب الشوارع
عمليات انتحارية، عبوات ناسفة، أسلحة خفيفة، إرهاب تصويري	ترهيب القوات الأمنية وزرع الخوف والرعب في السكان	إرهاب

Institute for the Study of War, *the ISIS Defense in Iraq and Syria: Countering an Adaptive Enemy* (Washington D.C: 2015), p 17.

تنظيم الدولة وتغير طابع الحرب

لا شك من أن الجغرافيا كانت من أبرز الأسباب التي دفعت بمقاتلي تنظيم الدولة إلى تبني تكتيكات قتالية معينة كحرب الشوارع وتكتيك أضرب وأهرب واستخدام مكثف للعبوات الناسفة والعمليات الانتحارية. بما أن النواة الأولى لتنظيم الدولة تكونت من مقاتلين شاركوا في حروب أخرى أهمها حرب أفغانستان وحرب الشيشان، فإنهم وجدوا ميدان قتال مختلف عما عهده وهو ما أقرّ به الزرقاوي عندما ذكر: "أرض الجهاد في العراق تختلف عن أفغانستان والشيشان. الإخوة في هاتين الدولتين تساعدكم إما الغابات أو الجبال العالية حيث يمكنهم الاختباء من العدو ومنعه

من الوصول إليهم. العراق منبسطة لا جبال ولا وديان ولا غابات فيه.¹ رغم اختلاف أرض العراق عن الجغرافيا التي قاتل فيها كثير من منتسبي التنظيم خاصة الأجانب، فإنه نجح بفضل فاعلته القتالية وتكتيكاته العسكرية في السيطرة على 20.000 ميل مربع من الأراضي العراقية والأراضي السورية.² هذا النجاح يعود أساساً للتكتيكات المذكورة سابقاً والتي أثرت بشكل واضح في طابع الحرب.

تأثر طابع الحرب بقدرة التنظيم على المروحة بين أسلوب الحرب التقليدية والحروب الهجينة. أي المواجهة المباشرة، مثل ما حدث في الموصل، ونصب الكمائن والغارات التي تليها قوة نارية أو هجمات انتحارية. وهنا يمكن ملاحظة دمج تكتيكات متعددة للقتال في معركة واحدة. كما استخدم التنظيم تكتيك التخريب للضغط على السكان والسلطة السياسية. هذا التكتيك قديم، فقد استعمل على سبيل المثال في الحرب العالمية الأولى عندما وظفت ألمانيا عملاء في الولايات المتحدة الأمريكية لتخريب مصانع الذخيرة التي كانت سوف تشحن للحلفاء.³ اليوم أصبح التخريب تكتيك تستخدمه التنظيمات الإرهابية ضد أهداف عسكرية ومدنية على حدّ السواء. ولعل تنظيم الدول من بين أكثر التنظيمات التي تلجأ إلى هذا التكتيك. أهم تكتيك عسكري وظفه تنظيم الدولة هو استعمال العبوات الناسفة. هذا التكتيك استخدمه تنظيم الدولة في الحالة الهجومية وفي الحالة الدفاعية. وهو ما شكل نقلة نوعية في استخدام هذا التكتيك. العبوات الناسفة وظفت بطريقة معقدة مع الهجمات الانتحارية.

أغلب التنظيمات المسلحة ما دون الدولة بمختلف انتماءاتها الإيديولوجية عرفت توظيف العمليات الانتحارية. من أبرز التنظيمات التي نفذت عمليات انتحارية نجد حزب الله ضد الاحتلال الإسرائيلي للبنان وحركة المقاومة الإسلامية حماس في فلسطين وحركة نمور التاميل (العلمانية) وتنظيم القاعدة. يبين الرسم البياني بعده تطور العمليات الانتحارية ما بين 1981 و 2010.

نلاحظ من خلال معطيات المبيان إياه أن الهجمات الانتحارية في تصاعد منذ 1981 وبلغت ذروتها بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة الأمريكية. فمجموع الهجمات الانتحارية ما بين 1982 و 2001 أي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بلغ 220 عملية بينما بلغ 4594 عملية ما بين 2002 و 2015، بعد هجمات سبتمبر. هذا يدل على بروز الهجمات الانتحارية كسلاح حرب وتكتيك مهم تلجأ إليه التنظيمات المسلحة ما دون الدولة وهو ما أعطى شكلاً جديداً للحرب مغايراً لما كانت عليه الصراعات المسلحة السابقة. حسب محمد حسن الهجمات الانتحارية هي تكتيك عسكري رئيسي بالنسبة للقاعدة وتنظيم الدولة لأنها متقنة وتوفر مميزات عملياتية واقتصادية وتحدث عدد كبير من الضحايا بأقل قوة بشرية.⁴ استعمل تنظيم الدولة العمليات الانتحارية بطرق مختلفة كتكتيك لفتح منافذ

¹ Institutional Scholarship, "Zarqawi Interview Part One; Zarqawi Interview Part Two; Zarqawi Interview Part Three", *Jihad Unspun*, accessed on 01/02/2021 at: <https://scholarship.tricolib.brynmawr.edu/handle/10066/5124>

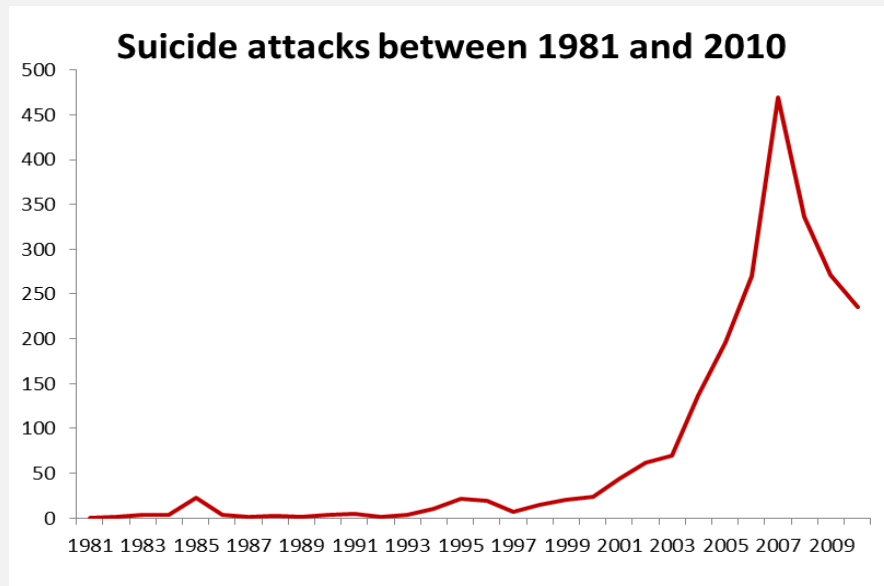
² Brian Williams, "Who Defeated ISIS? The Pentagon's War Maps", *Middle East Policy*, (Fall 2020), vol 23, no 3, pp.152-193.

³ NPR, "During World War I, Germany Unleashed Terrorist Cells in America", *NPR* (February 25 2014), accessed on 20/2/2021 at: <https://www.npr.org/2014/02/25/282439233/during-world-war-i-germany-unleashed-terrorist-cell-in-america>

⁴ Muhammed Haniff Hassan, "A Rebuttal of Al-Qaeda and IS' Theological Justification of Suicide Bombing", *International Centre for Political Violence and Terrorism Research*, vol.9, no.7 (July 2017), p.3.

وسط المعركة كتدمير جسور أو هجمات ضدّ نقاط التفتيش والمراقبة حتى يتمكن المشاة والوحدات العسكرية الخاصة من ضرب العدو.

المبيان رقم 1: تطور العمليات الانتحارية ما بين 1981 و2010



University of Chicago, "Suicide attacks between 1981 and 2010", accessed on 21/2/2021 at:

https://cpost.uchicago.edu/research/suicide_attacks/database_on_suicide_attacks

في حالة تنظيم الدولة الإسلامية تلتحم التكنولوجيا بالتكتيكات العسكرية من خلال ابتكار أساليب قتالية تراعي التفوق العددي والعتادي للعدو، ومن أجل التكيف مع الجغرافيا والبنية السكانية لميدان المعركة لتحقيق انتصارات ميدانية. فمقاتلو التنظيم أدخلوا تعديلات على الآلات العسكرية والمدنية وتحويلها لأسلحة حربية. لذلك يمكن القول بأن هذا التمشي التكتيكي لتنظيم الدولة في العراق وسوريا غيّر من طابع الحرب.

الخلاصة

قامت الورقة بفحص التكتيكات العسكرية لتنظيم الدولة من خلال ما هو موجود في المصادر الأولية والثانوية. يعطينا التقييم الكيفي للتكتيكات العسكرية فكرة عامة عن مدى تغير طابع الحرب. ويتيح لنا أيضا فرصة لفحص كيفية تغير طابع الحرب في علاقة بالتكتيكات العسكرية مع تثبيت المتغيرات الأخرى كالتكنولوجيا والجغرافيا. أما على المستوى النظري تبين هذه الورقة أهمية دراسة التكتيكات العسكرية للتنظيمات المسلحة ما دون الدولة ودورها في حسم المعارك ويساعدنا ذلك في فهم الحرب وطابعها وكيفية تطورها عبر الزمن كمفهوم وممارسة. وقد أعطانا المنهج الكمي من خلال البيانات فكرة واضحة عن أهم التكتيكات العسكرية المستخدمة من قبل تنظيم الدولة ونجاحاتها أثناء معارك خاضها التنظيم في كل من العراق وسوريا.

الورقة هي محاولة لدراسة تغير طابع الحرب في علاقة مع التكتيكات العسكرية لتنظيم الدولة في كل من العراق وسوريا. دراسة التكتيكات العسكرية لتنظيم الدولة تساعدنا على فهم كيفية انتصار الطرف الأضعف على الطرف الأقوى. وكذلك فهم قدرة تنظيم الدولة على الاستمرارية لمدة زمنية طويلة نسبيا. تستنتج الورقة أن نجاعة القدرة

القتالية لتنظيم الدولة وتحقيقه انتصارات عسكرية مهمة يرجع إلى التكتيكات العسكرية التي أتقنها التنظيم وكثف من استخدامها. أهم هذه التكتيكات تدخل في إطار الحرب الهجينة مثل تفجير العبوات الناسفة والسيارات المفخخة والعمليات الانتحارية وإقامة الكمائن وغيرها من تكتيكات. كما تمكنا الدراسة من استيعاب تصورات جديدة للحرب وفهم أدق للطابع المتغير لها. فشك الحروب التي اندلعت في العراق وسوريا بين الجيوش النظامية وتنظيم الدولة هو مواجهة غير تقليدية. فالصراع المسلح شهد استخدام جميع أساليب القتال المباشر وغير المباشر وهو ما جعل الصورة النمطية للحرب تتغير. عرفت حروب تنظيم الدولة استخدام تكتيك الإرهاب بصفة مكثفة ضد مدنيين وعسكريين مما غير طابع الحرب.

المراجع

بالعربية:

- ✓ أبوهنية حسن ، الجهادية العربية اندماج الأبعاد : النكاية والتمكين بين "الدولة الإسلامية" و "قاعدة الجهاد"، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018
- ✓ بشارة عزمي، تنظيم الدولة المكثي " داعش": إطار عام ومساهمة نقدية في فهم الظاهرة، ج 1، ط 1 بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.
- ✓ تزو سون، فن الحرب، ترجمة ودراسة علي شيري، مراجعة علاء الحلي، ط 3، بيروت: دار الرافدين، 2017.
- ✓ خلف عمار صبيحي & ماهر حسن محمد، "المباني الأثرية التي تعرضت للتخريب على يد تنظيم داعش في محافظة صلاح الدين"، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 25، العدد 2 (ديسمبر 2018).
- ✓ "كيف تقاتل تحت عيون الطيران الصليبي"، النبأ 2017/09/24 شوهد في 2021/02/12 في <https://home.archive.org/bookmarks/Hui65>
- ✓ سوريا: دار التمرد، 2011 ناجي أبو بكر، ادارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة،

بالإنكليزية:

- ✓ Adams Paul, 'Jordan Hostage Moaz al-Kasasbeh 'burned alive'', *BBC*, 3 February 2015, accessed on 07/02/2021 at: <https://www.bbc.com/news/world-middle-east-31121160>
- ✓ Arquilla John, "The End of War as We Knew it? Insurgency, Counterinsurgency and Lessons from the Forgotten History of Early Terror Networks" *Third World Quarterly*, vol.28, no.2 (Spring, 2007), pp 3-5.
- ✓ Arreguín-Tof Ivan, "How the weak win wars: A theory of asymmetric conflict", *International Security*, vol. 26, no.1, Summer 2001, pp. 93-128.
- ✓ Ashour Omar, "Punching Above Weights: Combat Effectiveness of Armed Non-State Actors in the Arab World and Beyond," Arab Center for Research and Policy Studies, 17/08/2020, accessed on 21/08/2020, at : <https://www.dohainstitute.org/en/PoliticalStudies/Pages/Combat-Effectiveness-of-Armed-Nonstate-Actors-in-the-Arab-World-and-Beyond.aspx>

- ✓ Ashour Omar, *How ISIS Fights: Military Tactics in Iraq, Syria, Libya and Egypt*, Edinburgh: Edinburgh University Press, 2021
- ✓ Ayadinli Ersel, *Violent Non-State Actors: From Anarchists to Jihadists*, New York: Routledge, 2016
- ✓ Benmelech Efraim & Esteban F. Klor, "What Explains the Flow of Foreign ISIS to Join ISIS?", *Terrorism and Political Violence*, vol. 32, no.7, 2020, pp. 1458-1481.
- ✓ Berkowitz Bruce D., *The New Face of War: How War Will Be Fought in the 21st Century*, New York: The Free Press, 2003.
- ✓ Blannin Patrick, "Islamic State Financing Sources, Methods and Utilization", *International Center for Political Violence and Terrorism*, May 2017, vol 9, no 5, pp 13-22
- ✓ Briggs Barry Bruce, *Supergenius: The Megaworlds of Herman Kahn*, New York: American Policy Press, 2000.
- ✓ British Defense Doctrine, *JWP0-01* (London: HMSO, 1996), P. 2.12 **qt in** Rod Thornton
Asymmetric Warfare: Threat and Response in the Twenty-First Century (Cambridge: Polity Press, 2007) pp 19-20.
- ✓ Carr Caleb, "Terrorism as Warfare: The Lessons of Military History", *World Policy Journal*, vol 13, no, 4 (Winter 1997), pp 3-12
- ✓ Clausewitz Carl von, *On War*, Michael Howard & Peter Paret (trans.), 1st ed. New York: Oxford University Press, 2008.
- ✓ Crevelde Martin Van Crevelde, *The Transformation of War: The Most Radical Reinterpretation of Armed Conflict Since Clausewitz*, New York: The Free Press, 1991.
- ✓ Dalla Ahmad I, *The Political Theology of ISIS: Prophets, Messiahs, and "the Extinction of the Grayzone"* Washington DC: Tadween Publishing, 2017.
- ✓ Fearon James & David Laitin, "Ethnicity, Insurgency and Civil War", *The American Political Science Review*, vol. 97, no. 1, (February 2003), pp.75-90.
- ✓ Freedman Lawrence, *Strategy: A History* New York: Oxford University Press, 2013
- ✓ Gat Azar, *The Changing Character of War*, in: Hew Strachan & Sibylle Scheipers (eds.), *The Changing Character of War* (New York: Oxford University press, 2011).
- ✓ Gleick Peter H. "Water as a Weapon and Casualty of Armed Conflict: A Review of Recent Water-Related Violence in Iraq, Syria, and Yemen." Wiley Online Library. John Wiley & Sons, Ltd, June 4, 2019. <https://onlinelibrary.wiley.com/doi/abs/10.1002/wat2.1351>
- ✓ Graham Stephen, *Cities Under Siege: The New Military Urbanism*, New York: Verso, 2010.
- ✓ Hansen Emmanuel, "Freedom and revolution in the thought of Frantz Fanon", *Africa Development*, vol 45, no 1 (Spring 2020), pp 17-41.
- ✓ Hashim Ahmed, *The Caliphate at War: Operational Realities and Innovations of the Islamic State*, New York: Oxford University Press, 2018.
- ✓ "The Islamic State's Way of War in Iraq and Syria: From its Origins to its Post Caliphate Era", *Terrorism Research Initiative*, vol 13, no 1, February 2019.
- ✓ Hassan Muhammed Haniff, "A Rebuttal of Al-Qaeda and IS' Theological Justification of Suicide Bombing", *International Centre for Political Violence and Terrorism Research*, vol.9, no.7 (July 2017), p.3.
- ✓ Hoffman Bruce, *Anonymous Soldiers: The Struggle for Israel, 1917-1947*, New York: Alfred Knopf, 2015.
- ✓ Hosltic Kalevi J, *The State, War, and the State of War*, Cambridge: Cambridge University Press, 2004.

- ✓ Hughes Brian & Fergus Robson (eds.), *Unconventional Warfare from Antiquity to the Present* Day, Switzerland: The Palgrave Macmillan, 2017.
- ✓ Hunter Robert, "Terrorism and War" in: Julian Lindley-French & Yves Boyer (eds.), *The Oxford Handbook of War*, New York: Oxford University Press, 2012.
- ✓ Institute for the Study of War, *The ISIS Defense in Iraq and Syria: Countering an Adaptive Enemy* Washington D.C: 2015.
- ✓ ISIS Annual Reports Reveal Metrics-Driven Military Command (Washington D.C: 2015).
- ✓ Institutional Scholarship, "Zarqawi Interview Part One; Zarqawi Interview Part Two; Zarqawi Interview Part Three", Jihad Unspun, accessed on 01/02/2021 at: <https://scholarship.tricolib.brynmawr.edu/handle/10066/5124>
- ✓ Jackson Brian, "Technology Acquisition by Terrorist Groups: Threat Assessment Informed by Lessons from Private Sector Technology Adoption", RAND Corporation (2001).
- ✓ Johnson Frank, "The Principles of War", Naval War College, vol2 4, no. 2, (October, 1951), pp. 1-26. accessed on 15/02/2021 at: <https://www.airuniversity.af.edu/Portals/10/ASPI/journals/Chronicles/Litton.pdf>
- ✓ Johnson Robert, "Hybrid War and its Countermeasures: A Critique of the Literature", *Small Wars & Insurgencies* (22 December 2017), pp.141-163.
- ✓ Jones Sam, "Iraqi Crisis: Sophisticated Tactics key to ISIS Strength", *Financial Times*, June 26, 2014, accessed on 20/02/2021 at: <https://www.ft.com/content/6436f754-fd18-11e3-bc93-00144feab7de>
- ✓ Jones Seth, *Waging Insurgent Warfare: Lessons from the Vietcong to the Islamic State*, New York: Oxford University Press, 2017.
- ✓ Katagiri Noriyuki, *Adapting to Win: How Insurgents Fight and Defeat Foreign States in War*, Philadelphia: Pennsylvania University Press, 2015.
- ✓ Kilcullen David, *Out of the Mountains: The Coming Age of the Urban Guerrilla*, New York, Oxford University Press, 2013.
- ✓ Kaldor Mary, *New & Old Wars: Organized Violence in a Global Era*, 3rd ed, USA: Sandford University Press, 2012.
- ✓ Laffey Mark & Suthadaran, "Postcolonialism" in: Alan Collins (ed.), *Contemporary Security Studies*, 4th ed (New York: Oxford University Press, 2016), pp. 123-138.
- ✓ Litton Maj Leonard, "The Information-base RAM and the Principles of War" Air University, 2010 accessed on 15/02/2021 at: <https://www.airuniversity.af.edu/Portals/10/ASPI/journals/Chronicles/Litton.pdf>
- ✓ Lyall Jason & Isaiah Wilson, "Rage against the Machines: Explaining Outcomes in Counterinsurgency Wars.", *International Organization*, vol. 63, no.1, (Winter 2009), pp.67-106.
- ✓ Mack Andrew, "Why Big Nations Lose Small Wars: The Politics of Asymmetric Conflicts", *World Politics*, vol 27, no 2 (1975), pp. 175-200
- ✓ Mackinlay John, *Globalization and Insurgency*, New York: The international Institute for Strategic Studies, 2017.
- ✓ Majumdar Dave, "Russia's Lethal T-90 Tank vs. ISIS' captured M1 Abrams: Who Wins?", *The National Interest*, (September 15, 2015) accessed on 02/02/2021 at: <https://nationalinterest.org>
- ✓ Maoz Zeev, Azar Gat, (eds.), *War in a Changing World*, Michigan: The University of Michigan Press, 2001

- ✓ Marchesi Aldo, *Latin America's Radical Left: Rebellion and Cold War in the Global 1960s*, Laura Carrara (trans.), New York: Cambridge University Press, 2018.
- ✓ Mehta Aron, "General: ISIL Using IEDs as Guide Munition," *Defense News*, 19/06/2015, accessed on 31/01/2021 at <https://www.defensenews.com/land/2015/06/19/general-isil-using-ieds-as-guided-munitions/>
- ✓ Miodowink Dan & Oren Barak (eds.), *Nonstate Actors in Intrastate Conflicts*, Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2014.
- ✓ Morris Loveday & Mustafa Salim, "A File on Islamic State's Problem Foreign Fighters Shows Some are Refusing to Fight", *Washington Post*, (February 7, 2017), accessed on 11/02/2021 at: https://www.washingtonpost.com/world/middle_east/a-file-on-islamic-states-problem-foreign-fighters-shows-some-are-refusing-to-fight/2017/02/06/694cdaa0-e664-11e6-903d-9b11ed7d8d2a_story.html
- ✓ Mouchantaf Chirine, "The ISIS Tactics that Left Iraqi Special Forces Weakened", *Defense News*, 8/5/2018, accessed on 10/2/2021 at: <https://www.defensenews.com/digital-show-dailies/sofex/2018/05/08/the-isis-tactics-that-have-left-iraqi-special-forces-weakened/>
- ✓ Nance Malcom, *Defeating ISIS: Who they are, how they Fight, what they Believe*, New York: Skyhorse, 2016.
- ✓ NPR, "During World War I, Germany Unleashed Terrorist Cells in America", NPR (February 25 2014), accessed on 20/2/2021 at: <https://www.npr.org/2014/02/25/282439233/during-world-war-i-germany-unleashed-terrorist-cell-in-america>
- ✓ Overton Iain, "A Short History of Suicide Bombing", *Action on Armed Violence*, 23 August 2019 accessed on 20/02/2021 at: <https://aoav.org.uk/2019/a-short-history-of-suicide-bombings/>
- ✓ Pape Robert and James Feldman, *Cutting the Fuse: The Explosion of Global Suicide Terrorism and how to Stop it* Chicago: University Press, 2010.
- ✓ Ramsey Gilbert, "Why Terrorism Can, but should not be Defined?", *Routledge*, vol 8, no 2, Feb 2015.
- ✓ Rogers Paul, *Irregular War: ISIS and the New Threat from the Margins* New York: I.B Tauris, 2016, pp.134-135.
- ✓ Rosiny Stephan, "The Rise and Demise of the IS Caliphate", *Middle East Policy*, vol. 17, no. 2, (Summer 2015), pp. 94-107.
- ✓ Ryan Michael, "ISIS: The Terrorist Group that would be a State," Newport: U.S Naval war college Center for Irregular Warfare and Armed Groups, 2015.
- ✓ Schneckner Ulrich, *Fragile Statehood: Armed Nonstate Actors and Security Governance*, in: Alan Bryden & Marina Caparini (eds.), (Geneva: Geneva Center for the Democratic Control of Armed Forces, 2006), pp. 23-41.
- ✓ Sheehan Michael, "The Evolution of Modern Warfare," in: John Baylis, James Wirtz & Colin Gray (eds.), *Strategy in the Contemporary World*, 6th ed, Oxford: Oxford Press University, 2019.
- ✓ Simpson Emile, *War from the Ground up: Twenty-First-Century Combat as Politics*, London: Hurst & Company, 2012.
- ✓ Singe Peter, "The Evolution of Improvised Explosive Devices", *Brookings*, (Feb 7 2012), accessed on 21/02/2021, at: <https://www.brookings.edu/articles/the-evolution-of-improvised-explosive-devices-ieds/>

- ✓ Singer P.W, "Robots at War: The New Battlefield", in The Changing Character of War, ed. Hew Strachan & Sibylle Scheipers New York, Oxford University Press, 2011.
- ✓ Speier Hans, "The Effect of War on the Social order", The American Academy of Political and Social Sciences, vol 2018, November 1941.
- ✓ Strachan Hew, "The British Way in Warfare Revisited," Historical Journal, vol.26, no.2, June 1983, pp. 447-461.
- ✓ Stern Jessica & J. M Berger, ISIS: The State of Terror, New York: HarperCollins, 2015.
- ✓ "The devastating Islamic State Suicide Strategy", The Soufan Group. 29/05/2015 accessed on 01/02/2020 at <https://thesoufancenter.org/tsg-intelbrief-the-devastating-islamic-state-suicide-strategy/>
- ✓ Thompson Peter, Armed Groups: The 21st Century Threat, London: Rowman & Littlefield, 2014.
- ✓ "Understanding War's Enduring Nature Alongside Its Changing Character." War on the Rocks, January 28, 2014. <https://warontherocks.com/2014/01/understanding-wars-enduring-nature-alongside-its-changing-character/>.
- ✓ United States Department of Defense, Irregular Warfare: Countering Irregular Threats: Joint Operating Concept (IW JOC), V 2.0, May 17. 2010.
- ✓ Uppsala University, Conflict Data Program: Number of Conflicts 1975-2019, (2019), distributed by Department of Peace and Conflict Research, <https://ucdp.uu.se/>
- ✓ Weise Michael & Hassan Hassan, Inside the Army of Terror, New York: Regan Arts, 2015.
- ✓ Williams Brian, "Who Defeated ISIS? The Pentagon's War Maps", Middle East Policy, (Fall 2020), vol 23, no 3, pp.152-193.
- ✓ Williams Phil, "Violent Non-state Actors and National and International Security," International Relations and Security Network, 2008, accessed on 03/01/2021 at: <https://www.files.ethz.ch/isn/93880/vnsas.pdf>
- ✓ Wriht Robin t et.al, "The Jihadi Threat ISIS, al-Qaeda, and Beyond", Institute of Peace & Wilson Center, December 2016/January 2017 accessed on 15/02/2021 at: <https://www.usip.org/sites/default/files/The-Jihadi-Threat-ISIS-Al-Qaeda-and-Beyond.pdf>

بالفرنسية:

- ✓ Mantoux Stephane, "Bataille de Raqqa : les inghimasyi les troupes de choc de l'Etat Islamique", France Soir, 30/06/2017 accessed on 31/01/2021 at : <http://www.francesoir.fr/politique-monde/bataille-raqqa.inghi>
- ✓ Mantoux Stephane & Mathieu Morant, "L'Emploi des chars par Daesh", JForum , 09/02/2017 accessed on 30/01/2021 at : <https://www.jforum.fr/%20emploi-des-chars-par-daesh.html>

علاقة التربية بالديمقراطية عند جون ديوي

عبدالحق الخيروني: أستاذ التعليم الثانوي، وباحث في سلك الدكتوراه (شعبة الفلسفة) كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، المغرب

Abdelhak.elkhayrouni@gmail.com

المستخلص

تسعى هاته المساهمة المعرفية إلى مقارنة مسألة محورية تهتم العلاقة بين التربية والديمقراطية عند جون ديوي، باعتبارها من ضمن الإشكالات التي بحث فيها فلاسفة التربية. وقد خلصنا في رصدنا لهاته العلاقة إلى كونها مبنية على التكامل، بحيث تشكل التربية الأساس النظري في استفحال الخيوط النازمة لمفهوم الديمقراطية، بينما يشكل المتدريس الوسيلة التي يتم بها تبليغ كل القيم التربوية والديمقراطية للمجتمع، ومن ثم جعل هاته القيم المتغيرة والمتطورة أساسا للتعايش بين سائر الأفراد والمجتمعات.

الكلمات المفتاحية: التربية، الديمقراطية، المدرس، المتدريس.

The relationship of education to democracy according to John Dewey

Abstract

This knowledge contribution seeks to put the spotlight on the fundamental relationship between education and democracy according to John Dewey, as it is one of the problematic issues that was argued by prominent philosophers of education. While dealing with this relationship, we concluded that it forms the theoretical basis in deepening the threads that governs the concepts of democracy. And that, the learner is considered as the means by which all the educational and democratic values are communicated to society, then making all this changeable and developed values the basic elements for the coexistence among individuals and society.

Keywords: education, democracy, Educators, learners.

تمهيد

نادرا ما كانت الديمقراطية موضوعا مطروحا للنقاش عبر سيرة الفكر الفلسفي التربوي والسياسي، باعتبارها من ضمن الإشكالات المثيرة للجدل والتي تم إعادة طرحها من جديد في المرحلة الحديثة بهدف تعديلها وتحوير معناها. لذلك، تأتي هاته المساهمة المعرفية من أجل الكشف عن معنى الديمقراطية مع أحد الفلاسفة الأكثر شهرة في الفكر الفلسفي الحديث، بحيث إذا كانت أغلب التنظيرات الفلسفية قد تركزت اهتمامها في مقارنة النظام السياسي الديمقراطي على ضرورة توفير بعض الحقوق الضرورية للأفراد كشرط لتحقيق الاستقرار داخل أي مجتمع، فإن جون

ديوي يتساءل مع هؤلاء عن مدى نجاعة الوسيلة المتبعة في الولوج لهذه الحقوق، على اعتبار أن تحقيقها يظل مرتبطاً بما إذا كان هناك وعي كامل بها لدى الأفراد.

من هنا جاء جون ديوي للكشف عن ملابسات الوهم الفلسفي الذي توارثته التصورات الفلسفية عبر مرور الزمن في مسألة الديمقراطية، ليقر بطرح بديل يتجلى في ضرورة التنظير لها من داخل الأنظمة التعليمية. فلا حديث عن وجود ديمقراطية، ما لم يتم التعريف بمعالمها لدى الناشئة من داخل المؤسسات التعليمية. ولما كان المت مدرس جزءاً لا يتجزأ داخل العملية التربوية، فإن الأمر يقتضي أن يقوم على ضرورة تحقيق مجموعة من الشروط الديمقراطية لهما داخل الفصل الدراسي حتى يكون لذلك انعكاس إيجابي على العلاقات الانسانية. ولتسليط الضوء على معالم الديمقراطية التي نادى بها جون ديوي، فإننا سنركز مجال مناقشتنا وتحليلنا على طبيعة العلاقة بين التربية والديمقراطية، وكذا نوع التربية التي يقصدها جون ديوي. كما أننا سنتوقف على المواصفات الأساسية التي يشترطها في المت مدرس: سواء كان طالبا أو تلميذا حتى يكون لذلك تأثير في التعاملات خارج المؤسسات الدراسية، ومن ثم تشييد النظام السياسي الديمقراطي.

وليستقيم الحديث عن هاته المحطات الفلسفية، لا بد من إثارة الإشكال الرئيسي الذي يفترض أننا سنجيب عنه بالمتن الفلسفي، هو كالتالي: ما علاقة الديمقراطية بالتربية عند جون ديوي؟

لتقويض بنية هذا الإشكال الفلسفي، سنثير بعض التساؤلات الفرعية الأخرى التي تعمل على تجويد النقاش الفلسفي حول طبيعة هاته العلاقة، وهي كالتالي:

- ما طبيعة العلاقة بين المدرس والمت مدرس؟
- هل هي علاقة مبنية على التعاون في بناء محتوى الدرس أم ماذا؟
- ما الذي يشكل تهديدا للديمقراطية؟
- الأهم من هذا وذاك، ما الشروط الواجب توفيرها للمت مدرس في المنظومة التربوية حتى يكون لذلك أثر إيجابي على مقاصد الديمقراطية في الواقع المعيش؟

الجانب النظري:

الديمقراطية: democracy

تعد الديمقراطية من بين المفاهيم المركزية داخل هذا المتن الفلسفي، والتي يقتضي أن نتوقف على معانيها ودلالاتها بالتحليل والتدليل، إذ سنعمد منهجا تحليليا في إبراز علاقة التربية بالديمقراطية. لذلك يمكن القول إن "الديمقراطية عادات اجتماعية تسود الدولة في الصحافة والاندية السياسية والاجتماعات العامة القائمة على الشورى وتبادل الرأي"¹

¹-ديوي، جون "نوابغ الفكر الغربي" بقلم أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، ط. الثالثة، ص 54.

المدرس: Educators

يعتبر المدرس من بين الحلقات الأساسية التي لا يمكن للعملية التربوية أن تستقيم بدونها، لأنه هو من ينسج معانيها (التربية) لينقلها إلى المتعلم في صيغ سهلة وقابلة للفهم والادراك. لذلك فهو "معلم متخصص في مجال محدد، يقوم بتدريس مادة معينة كالرياضيات أو مجموعة من المواد المتصلة ببعضها، مثل مواد اللغة العربية، المواد الدينية"¹

التربية: education

تختلف معانيها وتتعدد وتنوع بتنوع الاتجاهات الفلسفية التي تقاربها، وعبر مرور الزمن، بل إن الاختلاف والتنوع قد يشمل حتى الاتجاه الفلسفي الواحد. لذلك يمكن إعطاء تعريف مقتضب لها كأن نقول إنها "عبارة عن استعمال وسائل خاصة لتكوين وتنمية الطفل أو المراهق جسدياً ووجدانياً وعقلياً واجتماعياً، وأخلاقياً، من خلال استغلال إمكاناته وتوجيهها وتقويمها"²

المتعلم: learners

يشكل المتعلم أحد الأجزاء الأساسية المساهمة في نسج خيوط العملية التربوية، فمنه تبدأ وعنده تنتهي مقاصدها وأهدافها، إذ يشير المتعلم إلى ذلك الباحث عن العلم والمعرفة في مؤسسة تربوية معينة، فهو "طالب علم، يتلقى العلم بصورة مباشرة"³

لكن، ما عمق هاته البنية المفاهيمية في المتن الفلسفي؟

ظلت جل التصورات الفلسفية في الفكر الفلسفي السياسي الكلاسيكي تقارب مسألة الديمقراطية من منطلق ضرورة توفير الحقوق الاقتصادية للأفراد، ومن تم الإقرار بوجود نظام سياسي ديمقراطي، لكن يبدو أن هذا الأمر قد حجب الرؤيا عن مجموعة من القضايا المختلفة الأخرى التي يستقيم فيها البعد العلائقي بين الأغيار. ومقتضى هذا الاختلاف في مقاربة الديمقراطية راجع إلى وجود عدة نماذج من الديمقراطيات، حيث يقول ديفيد هيلد عن هذا التعدد "إن تعدد نماذج الديمقراطية آت من الخلاف حول ما إذا كان على الديمقراطية أن تعني شكلاً من أشكال السلطة الشعبية ينخرط فيه الناس في حكم أنفسهم بأنفسهم؟ أو أن تكون وسيلة تساعد على اتخاذ القرارات من قبل المنتخبين لتمثيل الشعب"⁴

بيد أنه لا يجب أن ننظر إلى هذا الاختلاف بأنه عرقلة أمام تحقيق الائتلاف، بل هو توسيع لزوايا النظر في مسألة الديمقراطية. والحق أن تأدية المنتخبين لمهامهم على أحسن وجه، لا يمكن أن ينفصل عن الشق الثقافي، باعتباره أساس التفكير في التدبير المعقلن والأمثل لكل المعاملات الداخلية والخارجية لكل دولة في علاقتها بأفراد مجتمعها أو باقي

¹- عبدالحق، الخيروني "دور الفلسفة في تكوين المدرسين" مجلة العلوم الانسانية والطبيعية، المجلد 2، العدد 2، سبتمبر 2021، ص 03.

²- المرجع السابق، ص 03.

³- المرجع السابق، ص 03.

⁵- نعيم، حبيب جعيني "الفلسفة وتطبيقاتها التربوية" دار وائل للنشر والتوزيع، ط. الأولى 2004، ص 77.

الدول الأخرى. فسواء كانت الديمقراطية تمثيلية أو تشاركية لا يمكن فصلها عن الشق الثقافي، لأنه الركن المحوري الذي يساهم في تنظيم عملية استدلال الافراد وتداولهم حول كل القضايا الاجتماعية المتأرجح عنها.

ضمن هذا الإطار يعتبر جون ديوي من بين الفلاسفة الذين قعدوا الديمقراطية من منطلق تجسير العلاقة بينما هو تربوي وما هو سياسي، إذ لا يمكن فصل الديموقراطية عن القيم الفلسفية التربوية التي تكون أساسا محوريا في استفحال الخطوط العريضة لها (للمدعمراطية).

إن الحديث عن الديمقراطية هو حديث عن طبيعة البيداغوجيات المستعملة في تكريس قيمها والتعريف بمقاصدها. فلو أخذنا مثلا المدرس الذي يمارس السلطة على المتدريس من داخل حجرة الدرس بدعوى أنه هو من يمتلك المعرفة، فإننا نجده هنا قد اعتمد على بيداغوجيا تسلطية تجعل المتدريس خاضعا لسلطة المدرس، وهو الأمر الذي يكون له انعكاس على كيفية بناء شخصية المتدريس، وهذا شق من بين أمور أخرى تكون عائقا أمام تحقق الديمقراطية في العلاقات الانسانية خارج أسوار المؤسسات التربوية.

لكن، هل يقصد جون ديوي مثل هذا النوع من الأسس الفلسفية الواجب توفيرها في تحقيق الديمقراطية؟ وما عمق ذلك في علاقة الفكر التربوي بالديمقراطية؟

يشكل كتاب " الديمقراطية والتربية" عند جون ديوي محط نقاش فلسفي لمجموعة من الدعامات الأساسية التي ينهل منها مفهوم الديمقراطية، نظرا لكون معناها له ارتباط وثيق مع التربية. فالحديث عن غايات التربية هو حديث عن طموحات الديموقراطية، باعتبار التربية تشكل الموطن الأصلي الذي يتم العودة إليه في إرساء قواعد الديموقراطية، وأي مشاكل قد تعترض بلوغ مرامي التربية، سينعكس ذلك سلبا على الولوج إلى الديمقراطية. لذلك "تعتبر التربية أساس كل نمو ديمقراطي، وبذلك تكون مشاكل التربية نفسها مشاكل الديمقراطية"¹ ذلك أن الفصل بينهما سيؤدي إلى غياب معنى العيش المشترك "لأن الديمقراطية تتجلى في مواقف بنى الانسان المختلفة، وتقوم وتقدر بما تحدثه في حياتهم من آثار ونتائج"²

وقد وسع جون ديوي هذا الارتباط الوثيق بين التربية والديمقراطية حينما دعا إلى تحاشي استعمال العنف والاكراه، واعتماد المناقشة العامة. وعليه، فأحسن طريق لترسيخ الديمقراطية، ليس هو العنف أو الإلزام والإجبار، وإنما "بواسطة المناقشة العامة، لا في المجالس التشريعية وحدها، فحسب، بل في الصحف والمجلات، وفي المحادثات الشخصية"³ معنى هذا الكلام، أن تشييد صرح الديمقراطية عند جون ديوي قد انبنى على تظافر وتضامن عدة إسهامات معرفية تنبثق من وجود تضامن آلي بين عدة متدخلين، ليجعل بذلك التربية هي الخيط الناظم لهاته الاسهامات، وعن هذا الخيط الناظم يقال بأن "العلاقة بين الديمقراطية والتربية علاقة تبادلية دائرية يتوقف كل

¹- Dewey's dream" Universities and Democracies in an Age of Education Reformo "Civil Society, Public Schools and Democratic Citizenship. Lee Benson, Ira Harkavy, and John Pockett, Temple University Press, Philadelphia 2007, p:16.

²-ديوي، جون "نوابع الفكر الغربي" مرجع سبق ذكره، ص 146.

³- المرجع السابق، 151.

منهما على الآخر ويتأثر به، فالديمقراطية الحق لا تتطور إلا في ظل مجتمع متعلم فهي شرط أساسي لتخصيب التربة ونمو الزرع الديمقراطي"¹

ما دامت التربية تشكل جوهر الديمقراطية، وما دامت التربية عند جون ديوي تنبني على الحرية في الاختيار، فإن الأفكار التي تكتسب بالوسط المدرسي هي القادرة على بناء الديمقراطية في أدهان الناشئة "وإنما تعطي اهتماما للحاضر والمستقبل، ويعكس المنهاج الواقع الاجتماعي ويصبح أداة من خلال طرائقه لحل المشكلات الفردية، كما يهيئ الفرد لممارسة المثل الديمقراطية مركزا حول أوجه النشاط المختلفة ويوفر الوسائل الخلاقة لتنمية المهارات الجديدة"²

بهذا الشكل، تظهر الديمقراطية كطريقة للحياة، ونموذج للارتباط الاجتماعي المتناسك "إن الحياة الحديثة تعني الديمقراطية، والديمقراطية معناها تحرير الذكاء تلقاء الفعالية الاستقلالية وتحرير العقل كجهاز مفرد لكي يؤدي وظيفته"³ وهذا النموذج في الارتباط لا يقوم على حصر معناها وجعله صالحا لكل الأزمنة، بل إن ذلك يتعارض مع القيم المؤسسة لها، على أساس أن دلالاتها تتغير وتطور الفكر البشري. إن "الديمقراطية بمثابة تجربة مستمرة مفتوحة على إمكانات التحسين والتعديل"⁴ فهي لا تخضع لمفهوم صالح لكل الأزمنة، بل يتم تعديلها وفقا لما يفرزه الإنسان في تعاملاته اليومية، ومن مهام التعليم والتربية مواكبة هذا التعديل بدمقرطة المجتمعات، وللمقرطة ثلاثة خصائص يمكن الإشارة إليها وفق الشكل التالي⁵:

- المجتمع الديمقراطي هو الذي يشجع الفردية في مقابل الفردانية.
- تلتزم المجتمعات الديمقراطية بالعديد من المثل التوليدية، وأهمها الحرية والمساواة. والمساواة عند جون ديوي تشير إلى الاعتراف بالتميز وعدم الاستغناء عن كل إنسان، ويتحقق ذلك عن طريق تنمية القدرات الانسانية التي لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال الحياة الاجتماعية.
- يتم تحقيق الحياة الديمقراطية عن طريق التجمعات المختلفة التي يتكون منها المجتمع، وذلك وفق مصالح مشتركة"

ويعتبر قطاع التعليم من بين أهم القطاعات التي تلعب دورا طلائعيا في تحقيق التنمية الشاملة للمجتمعات، إذ يظهر ذلك من خلال تربية الناشئة على قيم الصدق والوفاء وأخذ القرار بمسؤولية. ولما كان الأمر كذلك، فإنه لا يمكن الوصول إلى مثل هاته القيم، إلا إذا تحلى بها المدرس أولا، ومن ثم كرسها في المتدريس في إطار العلاقات التفاعلية داخل الحصص الدراسية، على اعتبار أن المتدريس ينظر إلى المدرس بأنه قدوة له، وبالتالي يجب اتباعه في طريقة تعامله وتعاطيه مع القضايا الداخلية للمؤسسة التي يدرس فيها.

⁹-نعيم جيب جعيني "الفلسفة وتطبيقاتها التربوية" مرجع سبق ذكره، ص 65.

²-المرجع السابق، ص 205.

¹¹- رالف، ن. وين "قاموس جون ديوي للتربية مختارات من مؤلفاته" ترجمة محمد علي العريان، مكتبة الانجلو المصرية، 1964، ص ص 104-105.

⁴- John, dewey " Rethinking our time" Raymond D. Boisvert, published by state university of new york press, albany 1998, p : 105.

⁵ - ibid, p : 106.

بُنيت العلاقة التفاعلية بين المدرس والمتمدرس في الفكر التربوي التقليدي، على وسائل غير ديمقراطية كان لها الأثر على البعد العلائقي للإنسان. فحينما نجد التصورات التقليدية قد شيدت هاته العلاقة على رؤية تراتبية مقامها المتمدرس وبسطها المدرس، فإن توحيد هذه الرؤية لم يكن إلا مع التصورات الحديثة التي عملت على تغذية هاته العلاقة بعدة قيم إنسانية تفتح الأفق للتعايش بين الأغيار، ومقتضى هذا التعايش هو تأسيس التعلم على عدة دعائم فلسفية، نذكرها وفق المنحى التالي¹:

- ينبغي أن يثق المدرسون بالطلبة، ويسمحوا لهم باتخاذ كثير من قراراتهم بأنفسهم، ويجب عليهم أن يركزوا التعليم على المتعلم.
- على للمدرسين أن يظهروا إخلاصهم وشعورهم نحو الطلبة وحساسيتهم لمشكلاتهم.
- من المفروض الكشف عن الجوانب العاطفية في موقف المتمدرس.
- يطور الطلبة مشاعر عن أنفسهم بتأثير الطريقة التي تعلموا بها.
- يجب على المدرسين أن يشجعوا المتمدرسين لاكتشاف مشاعرهم.
- ينبغي استبدال نظام العلامات التقليدي في اجراءات التقويم.
- ينبغي على المدرسين أن يستخدموا أسلوبا في توضيح القيم، لأن القيم الواضحة والمتسقة والمختارة بعناية تساعد الفرد على الشعور بالإشباع والرضا، وتجعل للحياة معنى

الملاحظ أن هاته العناصر المؤسسة للتعلم الجيد، تهدف إلى تقريب المدرس من المتمدرس، وجعل قيم من قبيل: الثقة، الوفاء، استكشاف الجوانب العاطفية في المتمدرس، هي الخيط الناظم عند المدرس في الامام بحياة وظروف عيش المتمدرس. إنها سمة إنسانية قد تقود المدرس إلى البحث في أسباب الفوارق المعرفية الموجودة بين المتمدرسين، ومن تم اقتراح حلول ممكنة لها.

بيد أن المتأمل في هاته العناصر سيجدها قد تركزت على طبيعة العلاقة الواجب توافرها بين المدرس والمتمدرس، في حين أن الأمر يقتضي أن يتسع ذلك ليشمل بعض الجوانب الأخرى مثل: الأنشطة داخل المحيط الدراسي، باعتبارها (الأنشطة) تساهم في تكريس القيم الديمقراطية (قواعد الحوار، قبول الآخر المختلف..). بين الأغيار. كما أنها تساهم في تحقيق الإشعاع الثقافي لمبادئ الديمقراطية السليمة، وفي هذا الصدد، يمكن إدراج بعض الخطوات الأساسية التي تعزز معالم تعلم المبادئ الديمقراطية القويمة وفق الشكل التالي²:

- أن يتسم المدرس بالدفء والإيجابية والقبول، وأن يخلق جوا صفيا متجانسا.
- على المدرس أن يكون واقعيا ويظهر رضاه تجاه المواقف الإيجابية، وعدم رضاه عن السلوك غير المرغوب فيه، ويوضح للطلبة أنه لا يتقبل السلوك الخاطئ، ولكنه لا يكره الشخص الذي قام بسلوك خاطئ.

¹ - حنان، عبد الحميد العناني "علم النفس التربوي" دار صفاء للنشر والتوزيع-عمان- ط. الخامسة 2014، ص 214.

² - المرجع السابق، ص 215.

- على المدرس أن يشجع الطلبة على القيام بأنشطة تساعد على التعلم غير المباشر؛ مثل الألعاب الدرامية...
- ينبغي على المدرس أن يساعد الطلبة على تكوين مفهوم إيجابي عن أنفسهم، لأن ذلك يساعد على التعلم.
- على المدرس أن يعمل بصدق وإخلاص، وأن يكون نموذجاً يحتذى به.
- على المدرس أن يوضح القيم؛ حتى يساعد الطلاب على اختيار قيم المجتمع البناء وحتى لا يعانون من صراع القيم، الذي يمكن أن يؤدي بهم للتوتر والفشل.
- ينبغي على المدرس أن يزود الطلاب بخبرات تساعد على تطوير اتجاهات وعادات مرغوبة يريد تنميتها لديهم".

انسجاماً مع هذه الخطوات الأساسية، يمكن الاستشهاد بمثال توضيحي وتدعيمي لكل هاته العناصر، فحينما يطمح المدرس مثلاً إلى استهداف قدرة تكوين متمدرس قادر على الترافع عن جل القضايا السياسية والاجتماعية، فإن الأمر يقتضي منحه عدة قيم أساسية داخل الفصل الدراسي حتى يتعرع عليها؛ كقيمة حرية التعبير داخل حجرة الدرس، باعتبارها الفضاء الخاص (المؤسسة التربوية) الذي يتم فيه نقل قدراته المستهدفة إلى الفضاء العام (المجتمع)؛ أي أن عملية الانتقال من الخاص إلى العام تساهم في تكوين فرد قادر على الترافع عن جل الأمور الاجتماعية، ومن ثم تكوين مجتمع ديمقراطي. لذلك يمكن القول "إن بناء فلسفة للتربية على أسس ديمقراطية يتطلب إعادة بناء وصياغة أسسها انطلاقاً من التأكيد على مبادئ الحرية والمساواة والعدل"¹ لكن، كيف يمكن الحكم على المجتمعات بأنها ديمقراطية؟ بمعنى ما المعيار الذي يمكن اتباعه في الحكم على مجتمع ما بأنه مجتمع ديمقراطي؟

كثيراً ما يتم توجيه الرأي العام عن طريق عدة وسائل إعلامية، إلى وجود مجتمع ديمقراطي، ليصبح هذا الرأي ضحية أقوال إعلامية تبعد كل البعد عن واقع الواقع وعن قواعد الديمقراطية. والحق أن الحكم على مجتمع ما بأنه ديمقراطي، لا يقتضي أن ينطلق من القول بكلمات مبهمه وغامضة لا تجد أساسها في الواقع، بل من خلال الطريقة التي يوجد بها التفاعل بين أفراد المجتمع. فهناك المثل الأعلى للديمقراطية هو أن يتم استثمار وتوجيه الطاقات البشرية التي تتوفر عليها المجتمع في اتجاهات مختلفة، لذلك فالمجتمع الديمقراطي "يدل على مجتمع يكون فيه كل شخص مشغولاً بما يُصنع في حياة الآخرين، واقتباس ما هو جدير للعيش به، وهذا ما يجعل الروابط التي تربط الأشخاص معا أكثر قابلية للإدراك، مما يكسر حواجز المسافة بين هاته الروابط"²

بيد أنه، إذا كان جون ديوي قد أقر بضرورة احترام خصوصية الطفل داخل سلك معين في المنظومة التعليمية، فإن هذا الاهتمام لم يتوقف عند هذا المستوى الدراسي، بل استمر ذلك لينفتح على الطالب من داخل الجامعة، باعتباره كائن عاقل وراشد يساهم في تشكيل بني الديمقراطية. فالطالب داخل الجامعة يشكل محور الأنشطة الثقافية التي تنظم داخلها. وهذا يعني أن الطالب يقتضي الاهتمام به وفسح المجال أمامه للمساهمة من موقعه في الدفع بعجلة

¹-نعيم جيب جعيني " الفلسفة وتطبيقاتها التربوية" مرجع سبق ذكره، ص 90.

²-John dewey " Rethinking our time" op, cit, p : 107.

القيم الديمقراطية، وليس وضع عقبات تعجيزية أمامه. فكيف يمكن النظر إلى الطالب داخل الجامعة؟ وما هي الأدوار التي يمكنه الاضطلاع بها؟

ضمن هذا الإطار، يعمق جون ديوي النقاش الفلسفي في مميزات الديمقراطية ليشمل الطالب، بكونه أحد الحلقات الضرورية التي تعرف بقيمة الديمقراطية في استتباب العيش المشترك بين الأفراد، والحال أنه عندما نتحدث عن نظرة جون ديوي للطالب في الجامعة، فإننا نجد أنه ينظر إليه نظرة الباحث عن العلم والمعرفة، لأن جون ديوي يدرك إدراكا تاما أنه بواسطة العلم والمعرفة يمكن ديمقراطية المجتمع. لذلك نجد جون ديوي يرفض كل الأشكال التي قد تؤدي إلى التوتر بين طالب العلم ومدرسه، حيث يقول في هذا الصدد "إن هاجس الطالب يقتضي أن يكون مرتبطا بالالتزام والاستكشاف وكسب المعرفة"¹

انسجاما مع هذا المعطى الفلسفي، نجد جون ديوي يطور ويستبدل مفاهيم التحكم والتسلط التي سادت مع الفلسفات التربوية التقليدية، بالتوجيه والإرشاد واكتساب المعرفة، لأن هذا الاستبدال هو ما يجعل الديمقراطية التي ينادي بها أمرا قابلا للتحقق. فمثلا قد يجادل أحدهم في هذا الإطار، فيقول إن الطالب الراشد لا يحتاج إلى توجيه بفعل بلوغه سن الرشد، ومن ثم قدرته على التمييز بين الجميل والقبيح، وبين العدل والجور. من هنا يرد جون ديوي على مثل هاته الادعاءات والتكهنات بقوله "إنه بالرغم من وجود تأثيرات على الطالب البالغ، فإنه في الأخير يختار أفعاله وتصرفاته"²

معنى هذا الكلام، إنه مهما كانت العوامل التي قد تؤثر في الطالب، فإنه لا يجب تشويه وتحريف حقيقة الانسان؛ تلك الحقيقة التي توجد في طبيعته. لذلك، يكتب جون ديوي قائلا "إن التعليم يشكل الشخصية والعقلية الأخلاقية، لكن التنشئة الاجتماعية يبقى مصدرها الاختيار والتنسيق"³ وللتعليم في المجتمع الديمقراطي أهداف متعددة، نذكر منها:⁴

- يجب الاعتراف بالقيمة المتأصلة لكل فرد، وأن يكون التعليم في خدمة الحاضر،
- يجب أن يوسع التعليم اهتمامات الطلاب، بتكوينهم لعلاقات متعددة ومتنوعة فيما يخدم الرفاهية الاجتماعية،
- يجب أن يربط التعليم الطلاب للحياة المجتمعية، وذلك بتعويدهم على اتخاذ القرار بشكل فردي ومسؤول

لكن، ينبثق لنا سؤال آخر في ظل هذا التحليل هو كالتالي: كيف يصبح الطالب ناجحا في عطائه المعرفي؟ أو بالأحرى ما هي الفرص التي يمكن أن يمنحها إياه التعليم؟

¹- David. T. Hansen " John dewy and our educational prospect A critical Engagement with dewey's Democracy and education" published by state university of new york press , Albany 2006 , p: 99.

²- ibid ; p: 99.

³- ibid ; p:100.

⁴- John dewey " Rethinking our time" op, cit , p :114.

كثيرة ومتعددة هي الفرص التي يمكن أن يحققها التعليم في وسط اجتماعي ديمقراطي، لأن الغاية المثلى من إرساء مجتمع ديمقراطي هو تحقيق الازدهار لأفراده، لذلك ينظر جون ديوي إلى أن " الديمقراطية والتعليم يشكلان الأرض، بينما يشكل الطالب الشكل، لأن الديمقراطية والتعليم يفتحان الكثير من الفرص لتوسيع إمكانيات الإنسان وازدهاره"¹ إذ أن التربية هي المشتل الرئيسي الذي يساهم في بناء القيم الحضارية والديمقراطية، لذلك إن " التربية توفر المقومات للديمقراطية من أجل أن يعيش الطفل والجيل الصاعد بشكل أحسن، وهذا يساهم في نمو الشخصية الإنسانية نموًا متكاملًا من جميع الجوانب، فالفرق بين الناس خلقها المجتمع- مع عدم إنكار وجود الاستعدادات- فالناس ولدوا أحرارًا ومتساوين"²

وما دامت المدرسة جزءًا من المنظومة التعليمية بكونها تساهم في التوعية بقضايا المجتمع، فإنه يمكن النظر إليها باعتبارها "واحدة من المجتمعات التي تشكل المجتمع، إنها العالم المصغر الذي يجب أن يعكس العالم الكبير، إذ يشجع أنواع العادات التي من شأنها تحسين الفرص لحياة ديمقراطية مزدهرة"³ وهذا إن دل، فإنما يدل على كون الديمقراطية والتعليم يرفعان مكانة الطالب ويشجعانه على الاستمرار قدما فيما يخدم رخاء المجتمع وتقدمه، لأنه هو الرافعة الأساسية (الطالب) التي سيستفيد منها المجتمع في المستقبل. وبالتالي فإن أي "نهج في التعليم يقلل من اهتمامات المتدريس، سيفسد قيم الديمقراطية والتعليم"⁴ يُقصد بذلك، إن التقليل من قيمة الطالب داخل الميدان التربوي ستكون له انعكاسات سلبية على نظرتة للحياة والمحيط. وعليه، فمادامت المسألة تقوم على ترك حرية الاختيار للطلاب في أن يختار ما يتماشى وطموحاته، فإن ذلك ينسجم وقواعد الديمقراطية المثلى. يكتب جون ديوي في هذا الصدد قائلا "إن العملية التعليمية هي عملية نمو مستمرة، وهدفها في كل مرحلة هو الزيادة في قدرة النمو"⁵

وانطلاقًا من كون التربية تلعب دورًا مهمًا في تعزيز قيم الديمقراطية، فإنه يمكن تقديم بعض التوجيهات الإضافية لتثمين وإثراء مقتضيات التعليم، هي كالاتي⁶:

- يجب ألا يكون نظام التعليم في مجتمع ديمقراطي مفتوحًا لجميع مواطنيه فحسب، بل يجب أن يجعل تظافر الجهود للنجاح في تثقيفهم بشكل جيد.

- يجب أن يساعد النظام التعليمي على زيادة الحرية كقوة لاختيار وإنجاز مشاريع الحياة المناسبة. كما عليه أن يعزز الفردية، وذلك عن طريق هيكلة المدرسة على هذا الهدف مع التركيز على الأهداف المشتركة والمشاريع الجماعية.

¹- David. T. Hansen " jhon dewy and our educational prospect A critical Engagement with dewey's Democracy and education" op,cit, p:102.

²-نعيم، حبيب جعيني " الفلسفة وتطبيقاتها التربوية" مرجع سبق ذكره، ص ص 65-66.

³- John dewey " Rethinking our time" op, cit, p :113.

⁴ - David. T. Hansen " jhon dewy and our educational prospect A critical Engagement with dewey's Democracy and education" op,cit, p:102.

⁵ - ibid, p :130.

⁶- John dewey " Rethinking our time" op, cit , p p :108-109.

- يجب أن يوسع التعليم الديمقراطي نطاق اهتمامات الطلاب، وذلك بفهم التاريخ والعلوم والرسم والموسيقى والأدب، باعتبارها متطلبات أساسية تعمل على تكسير الحواجز بين الطبقات وإنشاء سياق لمصالح مشتركة وموسعة"

وفقا لهذا المنحى، يتجلى أن المهارات والقدرات التي يتم تزويد الطالب بها، لا تعطى دفعة واحدة، بقدر ما أنها تعطى عبارة عن جرعات ودفعات، وهاته الأخيرة هي ما تكون وتبني التجربة الانسانية، يقول جون ديوي في ظل تطويره لفكرة التعليم كإعادة بناء مستمرة للتجربة" إن إعادة بناء أو تنظيم التجربة يساهم في إرساء الخبرة والتي تزيد من القدرة على توجيه مسار الخبرات اللاحقة"¹

هكذا يتضح، إن جون ديوي يربط في العملية التعليمية التعلمية بين الوسائل والغايات، وبين الماضي والحاضر والمستقبل، لأنهما يساهمان في التوسيع من قاعدة الفهم الانساني لجل القضايا والمشاكل التي تعترض حياة الانسان. لذلك فإن "التفاعل المستمر للأفعال والأفكار يؤدي إلى الزيادة في الفهم مع مرور الوقت"² فمثلا، باكتشافنا للأفعال وعواقبها، وللأسباب ونتائجها؛ أي باكتشافنا لقيمة العمل في سد بعض الحاجيات الانسانية، واكتشافنا لقيمة البنزين في تحريك السيارة، نستطيع أنداك إدراك أهمية هاته الروابط في تشكيل معنى الحياة. وعليه، يذهب جون ديوي إلى الاقرار بأن "مفتاح اكتساب المعرفة هو رؤية العلاقات بين الأفعال والعواقب، وذلك من خلال إدراك الروابط والاحتفاظ بدروس الخبرة التي توسع فهمنا وسيطرتنا على التجارب المستقبلية"³

والحال أن المجتمعات المعاصرة لا تتكون من أفراد منعزلين؛ أي أن لكل فرد عالمه الخاص، بل من أفراد مرتبطين فيما بينهم، وهذا الترابط يقوم على قواسم مشتركة تراعي مصالح جميع الأفراد. وحتى يكون هذا الترابط ممكنا ومعقولا، فعلى التعليم أن يعمل على تقريب نمط التفكير بين الأفراد حتى تكون مسائل من قبيل الفهم والإفهام في التعاملات محققة بين الجميع؛ بمعنى أن تكون هناك درجة من التشابه في التفكير، لأنه (التفكير) بمثابة "عملية تقوم على التغير المستمر طالما يعتقد الانسان ويفكر وي طرح مشاكل، ويقترح حلولاً ممكنة لها"⁴ ذلك أنه لا يمكن فصل عملية التفكير عن عدة آليات أخرى؛ كالتأمل، النقد، السؤال الفلسفي...، لأنها بمثابة قواعد منطقية في التفكير السليم "إن الوصول إلى حياة ديمقراطية صحيحة يحتاج إلى وعي اجتماعي وسياسي متقدم ومتطور، لأن ممارستها بشكل صحيح يحتاج إلى تدريب وممارسة"⁵

ما دامت هناك غاية متمثلة في تحقيق العيش المشترك بين الناس وفق قيم مثلى، فإن الأمر يجب أن يكون هناك وعي متنامي بكل المخاطر التي تحدق بالإنسان، ومن ثم التصدي لها وتحقيق كل ما يطمح له الانسان. وعليه،

¹ - David. T. Hansen "Jhon dewey and our educational prospect A critical Engagement with dewey's Democracy and education" op,cit, p:133.

² - ibid, p: 133.

³ - ibid, p: 133.

⁴ - Jhon dewey "How we Think A Restatement of the Relation of Reflective thinking To The educative process " printed in The united States of america , 1993, p: 72.

⁵ - نعيم، حبيب جعيني " الفلسفة وتطبيقاتها التربوية" مرجع سبق ذكره، ص 66.

"فالمجتمع هو عدد من الأشخاص المجتمعين معا، لأنهم يعملون وفقا لأهداف مشتركة أساسها تلبية الاحتياجات والتبادل المتزايد للفكر والوحدة المتنامية للمشاعر الودية"¹

هكذا يتضح، إن إدراك قيمة الروابط المتينة بين الافراد، سيقود إلى التنبؤ والتوقع والاستعداد للتجارب اللاحقة. كل هذه الصفات منبعها التفكير السليم الذي يقول عنه جون ديوي "إنه تقديم صريح للعنصر الذكي في تجربتنا، وهو عملية استقصاء ودراسة واكتشاف شيء ما"² لكن كيف ينشأ التفكير السليم؟ بمعنى ما هي الشروط الضرورية الواجب توافرها حتى يستطيع الانسان التفكير بشكل مريح؟

لا يمكن للتفكير السليم أن يبلغ أوجه وعطاءه في مقاربة القضايا الاجتماعية، ما لم تتوفر مجموعة من الشروط الأساسية؛ لعل أبرزها تلك المرتبطة بالحرية وقبول رأي الآخر. فوجود الحرية في التعبير بالمجتمعات الديمقراطية يجعلها تتخلص -إن جاز التعبير من السداجة الفكرية- ومن تم تشيد الوعي الجماعي الذي يجعل المجتمعات في رخاء وتقدم. "فللوصول إلى وعي ديمقراطي متقدم لا بد من توفير مناخ من الحرية والتسامح وقبول رأي الآخر والتفكير العلمي والابتعاد عن فكرة الحقيقة المطلقة، وهذا يحتاج إلى تربية صحيحة وتغيير في المفاهيم القديمة المتحجرة التي تعيق تطور الحياة وتقدمها"³ كما أن التفكير السليم ينشأ من مجموعة من القواعد الإضافية الأخرى، والتي يمكن حصرها في الشك، السؤال الفلسفي، الذكاء، وغيرها من القواعد التي يمكن أن تعزز التعلم الذي "إن التعلم بالممارسة لم يكن تعلمًا فقط عن طريق العمل، بل عن طريق العمل والقراءة والتأمل والتذكر"⁴ غير أنه، إذا كنا قد تحدثنا عن قيمة التربية كشرط لتحقيق الديمقراطية مبرزين إيجابياتها (الديمقراطية)، فإن هناك عدة سلبيات ومخاطر تعيق بلوغ هذا الصرح، والتي يمكن إثارتها (المخاطر) من منطلق طرح السؤال التالي: ما هي أهم المخاطر التي تقف عائقا أمام تحقق الديمقراطية؟ بعبارة أخرى ما الذي يهدد وجود الديمقراطية؟

ما دمنا قد عالجتنا مسألة تشكل الديمقراطية من داخل بيت التربية، فإن العوائق الاستمولوجية التي يفترض أنها ستكون عقبة أمام تحقيق الديمقراطية، لن تخرج عن هذا البيت. وبالتالي، فإن أكبر خطر يهدد الديمقراطية ليس هو ذلك المرتبط بنمط التعليم الواجب توفيره لأفراد المجتمع وفقط، بل إن الخطر ينبع حينما يصبح التعليم يعمل على تكريس الفوارق الاجتماعية ويدافع عنها باسم توفير الحاجيات الغذائية للمجتمع أو أي شيء من هذا القبيل، ذلك أن منطق السيد في مقابل العبد، لا يكرس سوى الهشاشة داخل النسيج الاجتماعي. وعليه، فإن "أكبر عدو للممارسة الديمقراطية هو حينما يصبح التعليم المدرسي للنخبة، بينما التكوين المهني للجماهير" ⁵ the masses

¹ - John dewey " Rethinking our time" op, cit , p:108.

² - David. T. Hansen " jhon dewy and our educational prospect A critical Engagement with dewey's Democracy and education" op,cit, p:134.

³ - نعيم، حبيب جعيني " الفلسفة وتطبيقاتها التربوية" مرجع سبق ذكره، ص ص 66-67.

⁴ - David. T. Hansen " jhon dewy and our educational prospect A critical Engagement with dewey's Democracy and education" op,cit, p: 135 .

⁵ - John dewey " Rethinking our time" op, cit , p:109 .

يوضح هذا القول الفلسفي أن "الديمقراطية ما هي إلا إطار اجتماعي معين تنمو التربية فيه، مما يؤكد على العلاقة القوية بين الديمقراطية والتربية، ويؤسس بنية وقاعدة فلسفة التربية الديمقراطية التي أصبحت مطلباً لأوسع جماهير الشعوب"¹

إن الممارسة السليمة للديمقراطية، يقتضي أن ينتج عنها مواطنًا صالحًا، والمواطن الصالح ليس هو ذلك الذي يتخلّى عن حقوقه الاجتماعية، لأنّ تخليه عنها سيؤدي -ولا محالة في ذلك- إلى التراجع الوظيفي الذي دأبت المنظومة التربوية على الدفاع عنه والتوعية بمقاصده. فوجود الشخص على قيد الحياة مرتبط بالعيش في حياة كريمة، وليس بالتعب الذي يكون في خدمة فئة خاصة. من هنا يمكن القول، إنه على الشخص الاستمتاع بملذات الحياة وملئ أوقات فراغه فيما يفيد رخاء وتقدم البشرية جمعاء. لذلك على "الشخص أن يستمتع بالحياة ويوظف وقت فراغه فيما يفيد المجتمع"² فمثلاً قد نجد مواطناً له فن الرسم ويؤدي وظيفة أخرى داخل المجتمع، إذ بإمكانه أن يستثمر فن الرسم فيما يفيد المجتمع.

يستفاد من كل ما قيل سابقاً، إن علاقة التربية بالديمقراطية هي علاقة تكامل لا يمكن الفصل بينهما. فالتربية هي السماء التي تمطر الأفكار التي تنير الطريق للمتمدرس من أجل أن ينشروا ويكرس القيم الديمقراطية في تعاملاته مع الأغيار؛ سواء داخل أو خارج أسوار المؤسسات التربوية، بينما الديمقراطية فهي الأرض التي تنبت الأفكار وتفسح المجال لأن تكون متغيرة مع مرور الزمن ووفقاً للخبرات الإنسانية التي يراكمها الإنسان مع مرور الزمن.

المراجع والمصادر

- نعيم، حبيب جعيني "الفلسفة وتطبيقاتها التربوية" دار وائل للنشر والتوزيع، ط. الأولى 2004.
- ديوي، جون "نوابع الفكر الغربي" بقلم أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، ط. الثالثة.
- رالف، ن، وين "قاموس جون ديوي للتربية مختارات من مؤلفاته" ترجمة محمد علي العريان، مكتبة الانجلو المصرية، 1964.

- حنان، عبدالحميد العناني "علم النفس التربوي" دار صفاء للنشر والتوزيع-عمان- ط. الخامسة 2014.
- عبد الحق، الخيروني "دور الفلسفة في تكوين المدرسين" مجلة العلوم الانسانية والطبيعية، المجلد 2، العدد 2، سبتمبر 2021.

-Dewey's dream" Universities and Democracies in an Age of Education Reformo "Civil Society, Public Schools and Democratic Citizenship. Lee Benson, Ira Harkavy ,and John Pockett , Temple University Press, Philadelphia 2007.

-John, dewey " Rethinking our time" Raymond D. Boisvert, published by state university of new york press, albany 1998.

¹- نعيم، حبيب جعيني "الفلسفة وتطبيقاتها التربوية" مرجع سبق ذكره، ص 90.

² - John dewey " Rethinking our time" op, cit , p : 110.

-David. T. Hansen" jhon dewy and our educational prospect A critical Engagement with dewey's Democracy and education" published by state university of new york press , Albany 2006.

-jhon dewey "How we Think A Restatement of the Relation of Reflective thinking To The educative process" printed in The united States of America , 1993.

الإرهاب والحرب بالوكالة في الشرق الأوسط

أحمد أهل السعيد، طالب باحث بسلك الدكتوراه في العلاقات الدولية، جامعة محمد الخامس.

ahmedahlessaid@gmail.com

ملخص

يسعى المقال إلى تسليط الضوء على المسار التاريخي لنشأة وتطور الجماعات الإرهابية في الشرق الأوسط، وعلى الأدوار التي تقوم بها الجماعات الإرهابية بالوكالة عن القوى الإقليمية والدولية، والصراع القائم بينهم، وتأثيرات ذلك على الشرق الأوسط والقوى الدولية والإقليمية التي فازت وأخفقت في حربها بالوكالة. كلمات مفتاحية: الإرهاب، الشرق الأوسط، الصراع الدولي، الصراع الإقليمي.

Terrorism and proxy war in the Middle East

Abstract

The article seeks to shed light on the historical course of the emergence and development of terrorist groups in the Middle East, the roles played by terrorist groups on behalf of regional and international powers, the conflict between them, and the effects of this on the Middle East and the international and regional powers that won and failed in their proxy war.

Keywords : terrorism, the Middle East, international conflict, regional conflict.

مقدمة

خلف إسقاط النظام العراقي حلّ مؤسساته؛ خاصة: الجيش، والأمن، والمخابرات. ترتباً على ذلك؛ تم اعتقال معظم قيادات هذه المؤسسات بالسجون الأمريكية وسط العراق. أصبحت هذه السجون فضاءً تجمع العديد من قيادات حزب البعث مع تنظيم القاعدة. يتزعم هذا الأخير البغدادي الذي اعتقلته الولايات المتحدة ووضعت في سجن بوكا سنة 2005. خرج منه سنة 2009 وبوادر التخطيط لتأسيس الدولة الإسلامية قائمة؛ فبحروجه كان التنظيم قد استوى عوده، وتهيأت له أسباب البزوغ: أفكار وموارد بشرية، ولا ينقصه إلا التنفيذ.

في خضمّ هذه الأحداث، تجرأ أبو مصعب الزرقاوي وانتكح حرمة الأماكن الدينية الشيعية المقدسة؛ فنقم عليه أسامة بن لادن صنيعة هذا؛ الأمر الذي لم يرضه الزرقاوي؛ فاعتزل تنظيم القاعدة، وأوى إلى مجلس شورى المجاهدين فتزعمه. إلا أن اغتياله حال دون لزومه السيادة. فخلفه أبو عمر البغدادي. أعقب هذه الخلافة إعلانه قيام الدولة الإسلامية بالعراق وترأسها سنة 2006، إلا أن مقتله أبده، على رئاسة التنظيم، أبا بكر البغدادي سنة 2010.

لما انسحبت الولايات المتحدة من العراق سنة 2011، فتحت السجون الأمريكية على مصراعها؛ فخرج الإرهابيون الذين يتوفرون على شبكة علاقات مع العشائر والسياسيين والجيش ومخابرات النظام السابق. أصبح هذا التنظيم يحتاج إلى دعم مالي وعسكري، ولم يكن له بديل من مساعدة الدول الإقليمية وإمداده. كان له ما أراد فدخلت هذه الدول على الخط لدعم داعش تحديداً. ودعماً له؛ بعث "سعود فيصل"، وزير الخارجية السعودي، رسالة إلى رئيس

مجلس الوزراء السعودية: "أتشرف أن أبلغ سيادتكم أن الأمير تركي الفيصل قد تلقى رسالة من محمد النجيفي، شقيق أسامة النجيفي، يشير فيها إلى تطور الأوضاع الخطيرة في العراق، في ظل سعي إيران للسيطرة على العراق من خلال موقع رئاسة الحكومة المتمثل في نوري المالكي. أقترح مشروعاً للتصدي للهيمنة الإيرانية التي تهدد السعودية والدول العربية".

لقد غدا الربيع العربي في العراق سبيلاً لنشاط الجماعات الإرهابية المناهضة للحكومة العراقية، حليفة الدولة الإيرانية، وأصبح فرصة لإسقاط أغلب المدن العراقية بواسطة الجماعات الإرهابية، وذلك بتواطؤ القوى الدولية والإقليمية. دخلت إيران الصراع في العراق، من بابه الواسع، بكل إمكانياتها: المادية، والبشرية، والدينية والعسكرية؛ لمساندة الحكومة العراقية ضد الجماعات الإرهابية، فأنشأت العديد من الميليشيات العسكرية التابعة لها، وتحولت الحرب بين إيران، من جهة، والسعودية وحلفائها، من جهة أخرى، إلى حرب طائفية بالوكالة.

أدى تعارض المصالح بين القوى الدولية والإقليمية إلى العديد من الصراعات في الشرق الأوسط، ورغم هذا التعارض، فقد أجمعوا أمرهم على توظيف الجماعات الإرهابية لتحقيق مصالحهم. وعليه، فقد بات الشرق الأوسط فضاء حرب بالوكالة بين هذه القوى. وسعياً لدراسة مدى تأثير الصراعات الدولية والإقليمية بالوكالة في تشكيل الشرق الأوسط، ارتأينا إلقاء الإشكالية التالية:

كيف تساهم الصراعات الدولية والإقليمية بالوكالة في تشكيل الشرق الأوسط؟

للإجابة على هذه الإشكالية سنقسم هذه الدراسة إلى مطلبين:

المطلب الأول: تطور الجماعات الإرهابية في الشرق الأوسط

المطلب الثاني: الإرهاب والحرب بالوكالة لبناء الشرق الأوسط الجديد

المطلب الأول: تطور الجماعات الإرهابية في الشرق الأوسط

شكلت الثورات العربية بيئة مناسبة لنشأة وتطور الجماعات الإرهابية في الشرق الأوسط (الفقرة الأولى)، مما دفع الولايات المتحدة إلى إدارة الجماعات الإرهابية لتحقيق مشروعها في الشرق الأوسط (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: ظروف نشأة الجماعات الإرهابية في الشرق الأوسط

أدى تحول الخطاب، بشأن العراق، إلى تغيير في طموحات داعش الإقليمية؛ فانصب تركيز التنظيم على بلاد الشام؛ سوريا أساساً؛ يتجلى هذا التحول في إشارة المتحدث السابق باسم داعش، أبو محمد العدناني، إلى حديث ذكر فيه أن "الرسول ﷺ قد اختار بلاد الشام لنا". تماشيًا مع هذا الخطاب واستغلالاً للفوضى التي أحدثها الربيع العربي، دخلت الدولة الإسلامية سوريا عام 2011¹. ولّد هذا الدخول تشكيل جبهة النصرة بسوريا يوم 23 يناير 2012، فأضحت الجبهة فرعاً عن تنظيم القاعدة وتبعاً له. في 8 أبريل 2013 أعلن البغدادي عن دمج جبهة النصرة وداعش في تنظيم

¹ -Pasar Sherko, How Islamic State Ideology Contributes to Its Resilience, Jul 1, 2021, on the following site:

<https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/how-islamic-state-ideology-contributes-its-resilience>

واحد تحت قيادته يدعى: "الدولة الإسلامية في العراق والشام". قُبِلَ هذا الإعلان بالرفض من طرف الجولاني، واعتبر جمع جبهة النصرة وداعش تحت مسمى واحد أمر مردود.

سنة 2014 انفصلت داعش عن القاعدة، وأصبحت داعش تنظيمًا قائمًا بذاته: "الدولة الإسلامية في العراق والشام". وعليه؛ أعلن أبو بكر البغدادي الخلافة يوم 29 يونيو 2014.

في ظل هذا التقلبات، لم يُرَأَ لموقف القوى الدولية والإقليمية تجاه هذه السيطرة على المدن العراقية، بل كان موقفهم غامضاً؛ لأنهم لم يدعموا الحكومة العراقية، قال جون كيري: "أرسلنا رسالة للمالكي مفادها أنه من غير المرجح أن يأتي الدعم المستمر الذي يحتاجون إليه في ظل تولي المالكي زمام الأمور"¹. قال رئيس الوزراء العراقي على قناة آفاق العراقية: "إن سقوط الموصل مؤامرة اشترك فيها أكثر من طرف محلي وإقليمي ودولي"². وقد فصل جون كيري في مذكراته الأطراف الإقليمية قائلا: "هناك الآن ما لا يقل عن حربين يتم خوضهما بنفس القدر من الوحشية: الحرب الأهلية السورية بين الأسد والمعارضة، إلى جانب القتال بالوكالة بين رعاة الأسد في طهران وموسكو والدول السنية، وتوغل الإرهابيين الأجانب المتزايد في سوريا والعراق. أصبح قتال الأسد في سوريا سبباً مثيراً للجهاديين الطموحين من المنطقة ومن أوروبا؛ بتحريض من بعض أصدقائنا السنة، الذين كانوا سعداء برؤية الشباب الغاضب يقاتلون النظام الشيعي المرتد"³.

وبحسب تقرير للجنة تقصي الحقائق العراقية: حول سقوط الموصل، أشارت اللجنة إلى تقرير للمخابرات العراقية يقول: "في 29 يناير 2019 تم اجتماع في مدينة نينوى، لأعضاء حزب البعث السابق، في دار الشيخ غازي الحميش، أمير قبيلة طيف، وقد حضر الاجتماع: شيخ سهيب واو- طاء، عضو فرقة حزب البعث، وهو المنسق بين تنظيم داعش وحزب البعث، دار الاجتماع حول المواضيع التالية:

- تشكيل المجلس العسكري للعشائر أسوة بالمجلس العسكري في الأنبار؛
- البحث عن إمكانية التنسيق بين حزب البعث والدولة الإسلامية لتوحيد الصفوف، وزيادة القوة المؤثرة؛
- إمكانية خروج المجاميع المسلحة، المنطوية تحت اسم: المجلس العسكري لثوار العشائر، إلى الشارع لضرب الجيش والشرطة؛
- في حالة نزول المجاميع إلى الشارع، لن يكون هناك تدخل من أعضاء مجلس محافظة نينوى؛
- لن يكون للشرطة أي دور في صد هجوم من قبل المجاميع المسلحة؛
- يجب أن يكون هناك اتفاق مع إقليم كردستان بعدم استهداف قوات "البشمركة"؛ لاجتناب إثارتهم؛
- ضرب قوات الشرطة والجيش المتواجدة في الموصل لا غير.

يبين هذا التقرير أن سقوط الموصل كان بتواطؤ بين محافظة الموصل وداعش وحزب البعث السابق وشيوخ من العشائر، هذا التكالب أدى إلى سقوط الموصل بيد داعش دون أي قتال في 12 يونيو 2014؛ وهذا الذي يفسر استقبال

¹ - John Kerry, Every day is Extra, Simon Schuster, New York, 2018, p 595.

² - مقابلة تليفزيونية لنوري المالكي، قناة آفاق العراقية، 2020، على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=XirtcKAJ4oU>

³ - John Kerry, Ibid , p 594.

الناس لداعش بالتصفيق والتهافتات، وكل ذلك بدعم من القوى الإقليمية. يتعارض هذا الدعم والقانون الدولي، نصت المادة 2 من قرار الجمعية العامة رقم 2131 الصادر بتاريخ 21 دجنبر 1965 على: "امتناع كافة الدول عن القيام بتنظيم أو مساعدة أو تمويل أو تشجيع النشاطات التخريبية المسلحة أو الإرهابية والموجهة لتغيير نظام دولة بعنف، وكذا التدخل في النزاعات الداخلية لدولة أخرى". بالإضافة إلى قرار الجمعية العامة رقم 2625 الصادر بتاريخ 24 أكتوبر 1970، الذي أكد أن "الحرب العدوانية تعتبر جريمة ضد السلام وسببا لقيام المسؤولية الدولية طبقا للقانون الدولي، أوجب على الدول الامتناع عن القيام...تنظيم أو تشجيع القوات غير النظامية أو العصابات المسلحة والمرتزقة، للهجوم على أراضي دولة أخرى. تنظيم وتشجيع الحرب الأهلية أو الأعمال الإرهابية داخل أراضي دولة أخرى أو المساعدة أو المشاركة أو التسامح مع أنشطة كهذه عندما تنطوي هذه الأخيرة على استعمال القوة أو التهديد بها".

قامت داعش بعد سيطرتها على تكريت، بالإبادة الجماعية في حادثة "سبايكر" التي راح ضحيتها 17000 شخص في 12 يونيو 2014، وذلك أمام مرأى ومسمع العالم. خلفت حادثة سبايكر ردة فعل داخلية في العراق؛ أدت إلى إصدار فتوى "السيستاني" بالجهاد لمحاربة داعش. بموجب هذه الفتوى تم إنشاء الحشد الشعبي. ولما قتلت داعش 1000 من الأقلية اليزيدية، بالإضافة إلى تهجير 10 آلاف منهم؛ آنذاك تدخلت الولايات المتحدة وأعلنت عن تشكيل التحالف الدولي ضد داعش يتكون من 83 دولة في 7 أغسطس 2014.

قامت الجماعات الإرهابية، خلال هذه الفترة، بالاستيلاء على آبار البترول والمصانع وسرقة الآثار وبيعها للخارج وتصدير النفط إلى تركيا بـ 8 إلى 10 دولار؛ فداعش تسيطر على 20 من حقول النفط في سوريا والعراق. استولت داعش على حقل نفط سوري ينتج 7500 برميل يوميا. كذلك استولت على حقل نفط في بيبي بالعراق. فكانت الجباية تمثل 70 إلى 80 في المائة من إيرادات داعش، واكتسب عام 2016 نحو 260 مليون دولار من مبيعات النفط غير المشروعة التي تتم أساسا من حقول النفط في محافظة دير الزور بسوريا مقابل 500 مليون دولار اكتسبها في عام 2015¹.

وتقدر إيرادات داعش من النفط عام 2015 بين 400 مليون و500 مليون دولار. وقد جنى داعش أموالا نقدية من المصارف العراقية (90 فرعا) التي استولى عليها، وتقدر هذه الأموال بليون دولار (675 مليون دولار من الموصل فقط). إلى جانب هذا، فإن الضريبة التي تقدر بـ 2.5 من الأموال المكتسبة جراء الأعمال التجارية والسلع والزراعة، قد شكلت دخلا ماليا للتنظيم. زيادة على ذلك، فإن الضريبة على الشاحنات والتي تقدر بـ 900 مليون دولار للسنة قد شكلت، بدورها، موردا هاما. وتبعا لذلك، فإن المواقع الأثرية في سوريا، أيضا، قد طالتها النهب والسلب؛ فوفقا لمنظمة اليونيسكو فإن حوالي 25 في المائة من هذه المواقع قد شملها الاختلاس.

أحيط التنظيم بعدة قرارات (مجلس الأمن) تحث على ضرورة وفق المعاملات المالية والاقتصادية معه؛ ورغم ما قيل، فإن داعش يبيع النفط السوري والعراقي لتركيا، فيحصل، مقابل ذلك، على كل ما يحتاجه من الأخيرة.

الفقرة الثانية: دور الولايات المتحدة في دعم الجماعات الإرهابية

¹ - مجلس الأمن، التقرير الثاني للأمين العام، رقم 154، الصادر بتاريخ 12 مارس 2012، ص 15.

إن الصراع بين جناح المعتدلين الذي تدعمه الولايات المتحدة، ومعسكر المقاومة، قد أخلى السبيل لحرب بالوكالة ذات نزعة طائفية متعاطمة، تدور رحاها في حلبة إقليمية واسعة. وتنظر الرياض وطهران إلى الصراعات الدائرة في العراق وسورية باعتبارها صراعات إقليمية بينهما، حتى وإن كانت تلك الروابط، في أحسن حالاتها، غير واضحة المعالم. وقد أضاف التوتر بين الدولتين بعدا جيوسياسيا إلى صراعات كانت محلية أول الأمر، ما فاقم تعقيد الجهود المبذولة للتخفيف منها أو حلها¹.

صورت قنوات الإعلام العالمية والإقليمية، خلال بداية الحرب بالوكالة، المنظمات الإرهابية المقاتلة في سوريا على أنهم ثوار، يطالبون بالديمقراطية؛ وذلك بسبب ارتباط هذه الدول بهذه المنظمات الإرهابية. وهذا الطرح أكده شارلز شوبريدج ضابط سابق في المخابرات البريطانية قائلا 2: "أكدت تقارير المخابرات البريطانية والأمريكية تورط البعض في تدفق الجهاديين والأسلحة من ليبيا إلى سوريا؛ فتكون بذلك المخابرات البريطانية مساهمة في تأجيج وإشعال شرارة الثورة في سوريا، كما تكون مرتبطة بتنظيم داعش وجبهة النصرة في كل من سوريا والعراق، حيث يقدر مجاهدو بريطانيا بـ 2000، يحاربون إلى جانب النصرة أو داعش، وخلال السنوات الثلاث الماضية، كان الجهاديون يتنقلون بحرية إلى سوريا؛ المخابرات البريطانية والأمريكية والممولون العرب مسؤولون عن ظهور داعش، والأمر قد لا يكون له علاقة بسوريا بشكل مباشر، بل بالشرق الأوسط ككل وبالصراع بين السنة والشيعة، والذي تم استغلاله من قبل الغرب بالإضافة إلى السعودية التي لعبت دورا كبيرا في تمويل ودعم داعش. فبريطانيا والولايات المتحدة لعبتا دورا مهما في دعم تلك المجموعات بشكل غير مباشر، وتجلى ذلك بالتسامح في دعمهم. وأما هذه الجماعات فقد كانت تستخدم للضغط على دول صديقة: كالأردن. إضافة، فهم يشكلون تهديدا لحلفاء إيران وبالأخص سوريا. إن ظهور داعش وأهدافها متوافقة والسياسة البريطانية والأمريكية والسعودية في الشرق الأوسط".

في الوقت الذي أُعلن فيه التحالف لمحاربة داعش أسقطت الطائرات الأمريكية شحنات من الأسلحة في محافظة صلاح الدين، وادعت الولايات المتحدة، من خلالها، أنها وقعت منها بالخطأ! كما أسقطت القوات العراقية طائرة أمريكية وبريطانية تحمل الأسلحة إلى داعش. كان القصف الجوي للتحالف يقف فقط عند المناطق الكردية ولا يتجاوزه، وذلك حماية لداعش، أما في المناطق السورية والعراقية فقد كانت لداعش حرية الحركة؛ لأنه لم يكن هناك قصف مشدد. إن القضاء على داعش في سوريا والعراق لا يخدم المصالح الأمريكية والإسرائيلية؛ لأنه سيقوي النظامين السوري والعراقي، وهذا لا تريده إسرائيل وأمريكا. لذلك يريدان استمرار قتال داعش وباقي المنظمات الإرهابية الأخرى مع الحكومة السورية والعراقية؛ لاستنزافهما وتدميرهما تدريجيا، لإبقائهما ضعفاء، لكي لا يشكل أي خطر على إسرائيل والولايات المتحدة.

مما يؤكد تواطؤ الولايات المتحدة مع داعش هي تصريحات الإدارة الأمريكية الجديدة، قال ترامب في مهرجان خطابي انتخابي: "أوباما هو مؤسس تنظيم داعش، وشريكه في تأسيس هذا التنظيم هيلاري كلينتون"³. أما جون بولتن

¹ - **بيري كاماك** وآخرون، انكسارات عربية: مواطنون، دول، وعقود اجتماعية، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 2016، على الرابط التالي: <https://carnegie-mec.org/2017/01/18/ar-pub-67650>

² - مقابلة تلفزيونية، برنامج قصارى القول، قناة روسيا اليوم، 2014، على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=v41GLU2Mn0>

³ - تصريح الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في مهرجان انتخابي، 2016، على الرابط التالي:

فقد قال: "بدأت في عهد أوباما، الذي ساهمت سياساته المضللة في العراق بشكل كبير في ظهور تنظيم الدولة الإسلامية وخلافته في البداية، وكان الهجوم على وشك النجاح في نهاية المطاف"¹.

يعتبر السياسي الأمريكي ماكين مخرج مسرحية دعم الثورة السورية، حيث ذهب سرا إلى سوريا وأجرى فيها لقاءات مع أبي بكر البغدادي. مادامت المنظمات الإرهابية تقوم بنشر الإرهاب في العراق وسوريا وتخريبهما وتدميرهما، فهذه هي الأهداف نفسها التي تسعى الولايات المتحدة وإسرائيل إلى تحقيقها. لذلك ليس غريبا أن تدعم المنظمات الإرهابية لتحقيق أهدافها بالوكالة عنهما.

لذلك ليس من مصالح الدول الغربية القضاء على الجماعات الإرهابية، مادامت هذه الأخيرة تحقق الأهداف التي عجزت عنها هذه الدول، مثل تدمير آثار العراق وسوريا، وتحويلهما إلى رقعة للصراعات الإثنية والدينية، تمهيدا لتقسيمهما إلى عدة طوائف. قال قائد الجيش الحر السابق محمد خير صالح الحزبات إن "المخابرات الأمريكية وغيرها جاءوا بأبي محمد الجولاني رئيس جبهة النصرة من الشمال إلى الجنوب ودخل إلى الأردن ثم نقلوه من الحدود في سيارة مصفحة إلى أحد الفنادق، وكان المكان خاليا من الجميع، إلا فريق المخابرات الأمريكية فقط. العالم كله يعرف أننا مستعدون أن نحط أيدينا بيد الشيطان للقضاء على النظام، نحن ليس عملا إسرائيل بل سوريا، نحن بعيديون كل البعد عن إسرائيل"².

صور الإعلام الأمريكي سوريا، كأنها مستنقع من الفرق الدينية المتحاربة في ما بينها منذ قرون عديدة، لكن الواقع مختلف عن ذلك تماما، فقد عاش السوريون معا بسلام لسنين طويلة تحت حكم علماني، ولكن الناس عموما لم يكونوا مكترئين للاختلافات الدينية³.

حاولت الإدارة الأمريكية الاستفادة من الصراع بين القوى الإقليمية الصاعدة، بوضع استراتيجية لتقسيم المنطقة على أساس طائفي، بين كيانات متناحرة، يستنزف بعضها بعضا، حتى تتمكن داعش من تكريس وجودها الإقليمي عبر كل أراضي كل من العراق وسورية، لتشكل منطقة عازلة أمام النفوذ الإيراني، لتنتقل الاستراتيجية الأمريكية في إدارة الصراع إلى حالة تأسيس نظام أمني دوره تأمين التقسيم⁴.

المطلب الثاني: الإرهاب والحرب بالوكالة لبناء الشرق الأوسط الجديد

أصبحت الجماعات الإرهابية في العصر الحالي (المطلب الأول)، أفضل وسيلة لدى إسرائيل (الفقرة الأول) ودول إقليمية أخرى لخوض حروب بالوكالة لبناء الشرق الأوسط الجديد (الفقرة الثانية).

<https://www.youtube.com/watch?v=XirtcKAJ4oU>

¹ - John Bolton, the room where it happened, Simon - Schuster, New York, 2020, p 176.

² - وثائقي لقناة الميادين حول موضوع الجنوب السوري لهيب الإقليم، 2016، على الرابط

التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=e5eNYGE1pTM>

³ - ريز إرليخ، داخل سوريا، المرجع السابق، ص 13.

⁴ - علي موسى الددا، إدارة ترامب للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 477، بيروت، 2018، ص

الفقرة الأولى: دور إسرائيل في إدارة الجماعات الإرهابية في الحرب بالوكالة

إن تنامي ظاهرة الحروب بالوكالة لا يقتصر استخدامها اليوم على الدول الكبرى، وإنما يأخذ أحجاماً أكبر عند الدول الإقليمية التي تطمح إلى الحلول محلها، واحتلال مواقع نفوذها السابقة، فلا تقلل هذه الحروب من التكاليف المادية والبشرية للقوى الدولية والإقليمية المتنازعة فحسب، ولكنها تخفف عنها المسؤولية في الجرائم المرتكبة، كما تساهم في توسيع دائرة انتشارها من دون رادع. والأهم أنها تجعل أغلبها حروباً بلا نهاية، أي حروباً مستحيلة وصفرية، حصيلتها الوحيدة الموت والخسارة المتبادلة، ولا يحسمها، في أفضل الحالات، إلا الإنهاك والخراب المتبادل ومنطق الحد من الخسائر وتوفير التضحيات الإضافية المجانية¹.

هدف إسرائيل إبقاء الوضع في سوريا والعراق على ما هو عليه تخبط وتخلف. وهذا الوضع محققٌ مأربٍ إسرائيل في سوريا، وقد أكد وزير الدفاع الإسرائيلي موشيه يعالون سنة 2013 ذلك، فقد صرح في معهد واشنطن لدراسات الشرق الأقصى بواشنطن قائلاً: "أسوء وضع قد يصيب سوريا هو الفوضى، لكن يمكننا إدارته، الفوضى تشكل أرضية، حيث تأتي عناصر القاعدة وجماعات إرهابية لتتحدانا، وتتحدى استقرار المنطقة، أعتقد أنه يمكننا إدارتها، وأنا أؤمن أكثر بإدارة الأزمة في حال لم نتمكن من حلها". يقصد بإدارة الفوضى هي دعم الجماعات المسلحة لإسقاط النظام السوري.

لقد كشفت قناة الكنيست في تليفزيون الإسرائيلي عن لقاء سري تم بين النائب من حزب شاس متدين يعقوب ماركي ومندي صفدي المسؤول عن التنسيق بين إسرائيل والأطراف المعارضة الليبرالية ومسؤول عن المقاتلين السوريين يدعى أبا عدنان في تركيا بتنسيق مع المخابرات الإسرائيلية. قال المعارض السوري كمال اللبواني في الكنيست الإسرائيلي: "هناك شعب سوري معتدل قادر على أن يكون شريكاً في هذا التحالف وهو الخيار الحقيقي".

أكد رولان ديما (Roland Dumas) وزير خارجية فرنسا السابق (1984-1986) قائلاً "قبل عامين من اندلاع العنف في سوريا التقيت سنة 2014 باثنين من كبار المسؤولين البريطانيين الذين اعترفوا لي أنهم كانوا يعدون شيئاً حول سوريا، كانت بريطانيا تحضر متمردين لاجتياح سوريا. من أجل الإطاحة بالحكومة السورية، إن هذا النظام لديه موقف معاد لإسرائيل. وكل شيء في تلك المنطقة يدور حول إسرائيل، وأنا أثق في ما قاله لي رئيس وزراء إسرائيل: سنحاول أن نقف مع الدول المجاورة لنا، وسنسقط من لن يقبل الاتفاق معنا"².

ذكرت صحيفة جلف ديلي نيوز أن "إدوارد سنودن" كشف أن المخابرات البريطانية والأمريكية والموساد عملوا معاً لإنشاء داعش. وفق هذه الخطة فإن تنظيم داعش ليس إلا نتاج خطة أمريكية وإسرائيلية وبريطانية، منتهجة استراتيجية تدعى عش الدبابير، التي تهدف إلى جمع أغلبية مجاهدي العالم المتطرفين في مكان واحد، واستخدامهم في مهمات أمنية؛ لنشر الفوضى في الشرق الأوسط³.

¹ - برهان غليون، القضية السورية، في مواجهة الرهانات الدولية، الجديد العربي، على الرابط التالي:

[/https://www.alaraby.co.uk/opinion](https://www.alaraby.co.uk/opinion)

² - مقابلة تليفزيونية، برنامج الضيف للصحفي باتريك سيمونين، قناة فرنسية، على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=GjjoaKujetc>

³ - Who Thinks ISIS Is a Zionist Plot?, on the following site:

الحملة الإعلامية التي شنتها المنابر الدولية والإقليمية ساهمت في استقطاب الإرهابيين من جميع دول العالم، ليس لتحرير القدس، وإنما من أجل إسقاط النظام السوري. لكن الإرهابيين لم يطلقوا رصاصة واحدة تجاه إسرائيل. بل العكس من ذلك قدمت إسرائيل المساعدات الطبية والعسكرية واللوجستية للجماعات الإرهابية وعلى رأسها جبهة النصرة في القنيطرة. كما قامت إسرائيل ببناء مستشفيات لاستقبال المصابين من الجماعات المسلحة، المصنفة على أنها إرهابية بموجب قرارات مجلس الأمن. قام رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو وأعضاء حكومته بزيارة رسمية وعلنية لمستشفى إسرائيلي مخصص لمقاتلي الجماعات الإرهابية، كما أسست إسرائيل إدارة تدعى حسن الجوار، دورها تقديم كل ما تحتاجه الجماعات الإرهابية.

علاقة المنظمات الإرهابية بإسرائيل، تطرح العديد من التساؤلات حول حقيقة هذه الجماعات الإرهابية التي جاءت من جميع دول العالم، وعبرت كل الحدود الدولية والإقليمية بدون أي مراقبة و تحت أنظار المخابرات الإقليمية والدولية. سبق للحكومة السورية أن عثرت على أسلحة وأدوية إسرائيلية عند إرهابي داعش. يقول إيال زيسير¹: " أقامت إسرائيل علاقات مع عدد من المجموعات المسلحة التي كانت تعمل عند المعبر السوري للحدود قرب الجولان، وقدمت المساعدات اللوجستية والمالية بل وزودتها بالأسلحة، استغلت إسرائيل الوضع الضعيف لبشار، وبدأت بالعمل على الأراضي السورية من أجل إحباط عمليات نقل الأسلحة المتطورة من إيران لأيدي حزب الله، بل وإحباط محاولة إيران القيام بتطوير عملية إنتاج سلاح صاروخي دقيق الإصابة في الأراضي السورية واللبنانية².

كان محور المقاومة يعني جيداً المؤامرة التي تحاك ضد سوريا. لذلك تدخل حزب الله في الصراع السوري سنة 2013، يقدر عدد مقاتلي حزب الله المشاركين في سوريا بحوالي 3000 إلى 4000 مقاتل، وما بين 15000 و 20000 مقاتل احتياطي³ تدخل حزب الله في سوريا شكل ذريعة لإسرائيل، لشن عدوانها على سوريا في 30 يناير 2013 ثم في 30 ماي 2013. أهداف العدوان الإسرائيلي على سوريا هي:

- توفير غطاء جوي للإرهابيين؛
- الرفع من معنويات الإرهابيين؛
- إشغال سوريا عن الإرهابيين؛
- إضعاف الجيش السوري.

أول شيء قامت به الجماعات الإرهابية تدمير بطريات الصواريخ المضادة للطيران التي تستخدم فقط لصد عدوان خارجي وكانت الإرهابيون غير معنيين بها، لكن ضمروها. وكانت إسرائيل هي المستفيد الأول من ذلك.

<https://www.thedailybeast.com/who-thinks-isis-is-a-zionist-plot>

¹ - أستاذ في جامعة تل أبيب، وفي مركز ديان للدراسات الاستراتيجية، وفي معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي.

² - إيال زيسير، بشار الأسد وإسرائيل والعودة إلى الماضي، معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، 2018، على الرابط التالي:

[/https://www.inss.org.il/he/publication/bashar-al-assad-and-israel-back-to-the-past](https://www.inss.org.il/he/publication/bashar-al-assad-and-israel-back-to-the-past)

³ - [Benedetta Berti and Yoram Schweitzer](#) , Hizbollah and the Next War with Israel: Experience from Syria and Gaza, ins, 2014, on the following site:

<https://www.inss.org.il/publication/hizbollah-and-the-next-war-with-israel-experience-from-syria-and-gaza/>

جميع تقارير مراكز دراسات الأمنية والاستخباراتية الإسرائيلية التي تقدم استشارات للحكومة الإسرائيلية، تؤكد أن إسقاط الرئيس بشار الأسد فيه مصلحة استراتيجية لإسرائيل. وهو ما أكدته وثيقة "استراحة نظيفة: استراتيجية جديدة لتأمين العالم"1، نذكر أهم ما جاء فيها:

- ضرب أهداف عسكرية سورية في لبنان، وإذا ثبت أن ذلك غير كافٍ، فإنه يجب ضرب أهداف محددة في سوريا؛
- يمكن لإسرائيل أن تفتنم هذه الفرصة لتذكير العالم بطبيعة النظام السوري؛
- يمكن لإسرائيل أن تشكل بيئتها الاستراتيجية، بالتعاون مع تركيا والأردن، عن طريق إضعاف سوريا واحتوائها. وهو ما أكدته أيضا أمي أيلون رئيس الموساد السابق2 قائلا: إن ما يجب أن يكون عليه واقع الشرق الأوسط عشر سنوات من الآن، هو أن مفاهيم الأمن والاستقرار يجب أن تعتمد على عدة عوامل:
- علينا قبول خلق تحالف سني بقيادة تركيا؛
- قبول إسرائيل لاعبا شرعيا يعتمد على فكرة انتصار القرار العربي، هذا يعني أنه علينا قبول إسرائيل ضمن حدود 1967، وتبديل المناطق. وأن الصراع العربي الإسرائيلي ليس الصراع الرئيس، وأن الصراع الرئيس في المنطقة هو الصراع السني الشيعي؛
- إيران تشكل لنا تهديد كبيرا، لا يمكننا أن نتعايش معها تملك قوة عسكرية نووية، وليس علينا القبول بالفكرة، بالنسبة لي أعتقد أن عنصر الوقت مرتبط بالذي علينا فعله، لأنه إذا تصرفنا لوحدها بدون أي دعم أمريكي أو دولي، وبدون تكوين المناخ المناسب في الشرق الأوسط ذلك لا يعني مواجهة رد فعل، ربما يكون الوقت متأخرا كل ما بإمكاننا تحقيقه بقواتنا العسكرية هو تأخير البرنامج النووي الإيراني؛
- إننا جزء من تحالف يعتمد على نوع من التحالفات السنية، أقصد بالتحالف السني: تركيا، مصر، الأردن، السعودية، إن الصراع الرئيس هو مع شيعة إيران، فهم سيشكلون هذا التحالف، كما ذكرت سابقا لمواجهة إيران.

الفقرة الثانية: دور القوى الإقليمية في إدارة الجماعات الإرهابية في الحرب بالوكالة

فتحت القنوات الإقليمية منابرها الإعلامية لشيخو الدين الذين دعوا إلى الجهاد في سوريا من أجل إسقاط النظام السوري. نظم بالقاهرة مؤتمر الأمة المصرية لدعم الثورة المصرية في 15 يونيو 2013 حضره 500 عالم ينتمون إلى 70 منظمة، أفتى هؤلاء العلماء على أن الجهاد في سوريا واجب بالنفس والمال والسلاح. أما شيوخ الفتنة الذين أفتوا بالجهاد في سوريا، فلم يذهبوا إليها، لأن الفتوى بالنسبة لهم تنطبق فقط على شباب الأمة وليس عليهم. أما ثورة

¹ هذه وثيقة رسمية قدمها معهد الدراسات الاستراتيجية والسياسية المتقدمة التابع لمعهد الدراسات الاستراتيجية الإسرائيلية سنة 1996، بناء على طلب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو. كخطة استراتيجية ستعمل إسرائيل على تنفيذها حتى سنة 2000.

² مقابلة تليفزيونية لصحفي تشارلي مع أمي أيلون، قناة أمريكية، 2012، على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=PxlN5NKv8so>

البحرين فقد كانت مستثناة من الفتوى، لأن البحرين دولة حليفة للسعودية والإمارات، لذلك أرسلت هاتان الدولتان قواتهما لإجهاض الثورة في البحرين.

شن الإعلام الدولي والإقليمي، حرباً دعائية تصور الرئيس الأسد على أنه ديكتاتور يقتل شعبه. كما خرج العديد من المسؤولين العرب والغربيين يطالبون برحيل الأسد، كيف يعقل لدولة أجنبية أن تقرر مصير دولة أخرى؟، إن الشعب وحده من يملك هذا الحق وليس الدول الأجنبية. بل إن السعودية طالبت سوريا بتطبيق الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان!

عندما يصل الإرهابيون إلى داعش يخضعون لدروس دينية تدعو إلى قتال الحكومتين السورية والعراقية "الكافرتين" من أجل التقرب إلى الله والدخول إلى الجنة، ومن يبايع داعش يعتبر "مسلمًا"، أما من يقف مع الحكومة السورية والعراقية فيعتبر "كافراً"، لذلك يجب قتله. كان هذا هو الفكر التكفيري الذي تدرسه داعش لما يسعى أشبال الخلافة، الذين كانت تستقطبهم بالمال والزواج، واستطاعت داعش بفضل الدعاية غسيل دماغ الشباب، وزرع أفكارها التكفيرية فيهم ثم تحويلهم إلى قتال موقوتة.

اعترف وزير خارجية قطر السابق حمد بن جاسم بتاريخ 25 أكتوبر 2017 على قناة قطر¹، قائلاً "... أول ما بدأ موضوع سوريا توجّهت للسعودية وقابلت الملك عبد الله بناء على تعليمات من أمير قطر، قال لي نحن معكم، أنتم امشوا في هذا الموضوع ونحن ننسق معكم، كان أي شيء يذهب إلى سوريا يتم عبر تركيا بتنسيق مع القوات الأمريكية، وكان توزيع أي شيء يتم عن طريق القوات الأمريكية والأتراك ونحن والسعوديين، يمكن قد حصل خطأ في تدعيم فصيل معين في فترة معينة، يمكن أن تكون لنا علاقة بالنصرة، لكن عندما تبين أن تصرفات النصر غير مقبولة توقف الدعم الذي كنا نقدمه لها....". وقال أيضاً في مقابلة أخرى مع الصحفي الأمريكي تشارلي روز² "... عندما بدأت الحرب في سوريا، كلنا عملنا من خلال غرفتين للعمليات واحدة في الأردن والثانية في تركيا....".

هو يقصد غرفة العمليات المشتركة في الأردن وتركيا، التي تقوم بقيادة العمليات العسكرية في سوريا والعراق. فقد كان هناك توزيع للأدوار: بالنسبة للأردن وتركيا كان دورهم هو تدريب واستقبال الجماعات المسلحة وتوفير المعابر الآمنة لهم للدخول إلى سوريا والعراق، وبالنسبة لقطر والسعودية والإمارات دورهم توفير الدعم المالي والبشري والإعلامي. أما الولايات المتحدة دورها قيادة غرفة العمليات المشتركة، من خلال توفير الغطاء الجوي للإرهابيين ضد الجيش السوري والعراقي باسم التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب، وتنسيق العمليات لكي لا تخرج عن الأهداف المحددة لها. وهو ما أكدته هيلاري كلينتون قائلة "التقيت الأمير سعود، وتطرقنا إلى الحاجة إلى القيام بالمزيد لدعم الثوار في سوريا. توجّهت في نفس وقت إلى إسطنبول حيث التقيت ممثلين عن تركيا والسعودية والإمارات وقطر وسمعت الرسائل

¹ - مقابلة تليفزيونية لحمد بن جاسم، قناة قطر، 2017، على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=bBZph3LVs5g>

² - مقابلة تليفزيونية لحمد بن جاسم، مع الصحفي تشارلي روز، قناة أمريكية، 2017، على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=MogZprmokb8>

نفسها، عن ضرورة تسليح الثوار. قلت لهم ثمة دول ستكثف جهودها لتمير الأسلحة، بينما تلجأ دول أخرى إلى تلبية الحاجات الإنسانية¹.

كما سبق لنائب الرئيس الأمريكي بايدن أن قال بصريح العبارة: "إن حلفاءنا هم المشكلة الكبيرة في سوريا: الأتراك والسعوديين والقطريين... الخ. الذين كانوا مصممين على الإطاحة بالأسد وتدرجياً على إثارة حرب سنية شيعية بالوكالة، قاموا بتسخير مئات الملايين من الدولارات وعشرات الآلاف من أطنان الأسلحة في خدمة أي شخص يرغب في قتال الأسد، غير أن الأشخاص الذين تم تجهيزهم هم النصرة والقاعدة والعناصر الجهادية المتطرفة القادمة من جميع أنحاء العالم"².

قال جوليان أسانج في مقابلة تليفزيونية مع قناة روسيا اليوم بالإنجليزية: "إن هيلاري كلينتون اعترفت في رسائلها أن كل من قطر والسعودية دعمت لوجستياً ومالياً سرا تنظيم داعش وتنظيمات أخرى متطرفة في المنطقة"³.

إن اختلاف التوجهات الأيديولوجية والسياسية بين الدول المتحالفة في سوريا أثرت على العمليات العسكرية، كانت كل جماعة مسلحة تابعة لدولة معينة. وتعدد المتدخلين عوض أن يكون مصدر قوتهم، كان مصدر فشلهم، خاصة بين قطر والسعودية، الأولى تريد الجماعات الإخوانية هي التي تسيطر، بينما الثانية تريد الجماعات السلفية هي التي تسيطر. هذا الصراع كان في صالح الحكومة السورية. وهو ما أكدته تصريح المعارض السوري مشيل كيلو لقناة الحدث قائلاً "إن الأزمة الحقيقية موجودة في الائتلاف بنيته وتركيبته وعلاقات قواه بعضها ببعض وب عقلية الذين يديرونه، وبالسياسات المرسومة له، هنا توجد الأزمة الحقيقية وليس في أمور أخرى، جاء السفراء يترجونني من أجل أن أدخل الائتلاف، لكن عملوا صفقة معي، تتمثل في أن أوافق على الشخصيات التي يختارها السفراء، وإذا لم أوافق لن أدخل الائتلاف"⁴.

عندما أراد العراق شراء الأسلحة من الولايات المتحدة لمحاربة داعش رفضت هذه الأخيرة، لذلك لجأ العراق إلى روسيا وإيران اللتين وافقتا على طلب العراق. أما إيران ذهبت أبعد من ذلك، حيث قدمت الدعم المالي والبشري والعسكري للحشد الشعبي. كما دخلت روسيا وإيران وحزب الله في الصراع السوري، وأنشأوا العديد من الميليشيات العسكرية لتحرير سوريا من الإرهاب. يتشابك دور روسيا الآخذ في الاتساع في الشرق الأوسط مع علاقتها بمحور المقاومة، الذي تقوده إيران والذي يمتد الآن من لبنان إلى إيران. يربط هذا المحور حزب الله وسوريا، وكذلك قوات الميليشيات العراقية. تمت صياغة شراكة روسيا مع هذه الجهات الفاعلة في الصراع السوري، حيث وحدوا قواهم وراء الهدف الناجح المتمثل في ضمان بقاء نظام الأسد⁵.

¹ - هيلاري كلينتون، خيارات صعبة، المرجع السابق، بيروت، ص 439.

² - تصريح باين، 2015، على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=78AiavW6Xd4>

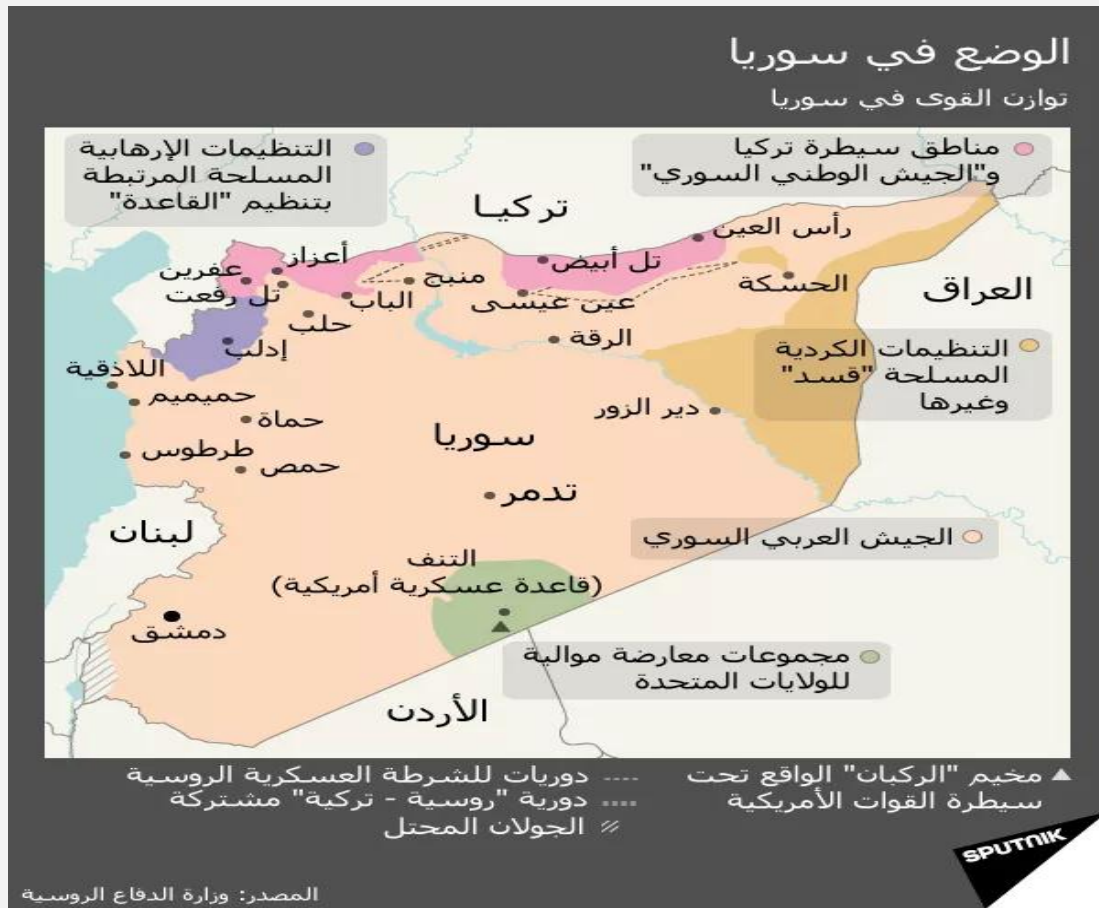
³ - مقابلة جوليان أسانج، مع صحفي جون بيلجر، قناة روسيا اليوم بالإنجليزية، 2016، على الرابط التالي:

https://www.youtube.com/watch?v=_sbT3_9dJY4

⁴ - تصريح ميشيل كيلو، 2015، على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=tv3O2uwHTBg>

⁵ - Julien Barnes Dacey, Russia and the resistance axis, Institute for Security Studies, Chaillot Papers, Luxembourg, 2018, p 1.



يتضح لنا من خلال الخريطة أعلاه، مناطق سيطرة داعش في سوريا المتمثلة في: الرقة ودير الزور وحمص وحماة والحسكة. أما مناطق سيطرة النصرة فقد انحصرت في منطقتي إدلب والقنيطرة. كما تبين لنا الخريطة مناطق سيطرة الأكراد مع القوات الأمريكية في الشمال الشرقي الغني بالنفط. في مقابل سيطرة تركيا على الجزء الشمالي، كما يحتل الأمريكيون منطقة التنف الحدودية بين العراق وسوريا، لمنع أي تنسيق بين الجيش السوري والعراقي. الأهمية الاستراتيجية للتنف أشار إليها جون بولتن قائلاً " أدت السيطرة على التنف إلى تحييد نقطة عبور حدودية رئيسة على الطريق بين بغداد ودمشق، مما أجبر إيران وآخرين على العبور من العراق إلى سوريا عند معبر حدودي أبعد إلى الشمال"¹.

بالنظر إلى احتمال وقوع الحوادث والخطأ في التقدير وغياب منتدى وظيفي للنقاش وتسوية الصراعات، ثمة مخاطر حقيقية، وإن كانت محدودة، بأن صراعا في سوريا بين وكلاء أو حلفاء الولايات المتحدة وروسيا، قد يتصاعد إلى صراعات إقليمية أو عامة بين الولايات المتحدة وروسيا.²

استعاد الجيش السوري أغلب المناطق التي كانت تحت سيطرة الجماعات الإرهابية، في المقابل لم يبق تحت سيطرة الجماعات المسلحة إلا منطقة إدلب الحدودية مع تركيا. كلما اقتربت الحكومة السورية من حسم المعركة

¹ - John Bolton, the room where it happened, Op.cit p179 .

² - تعزيز الاستقرار الاستراتيجي مع روسيا، مؤسسة راند، كاليفورنيا، 2017، ص 6.

عسكريا، كلما تمت عرقلة هذه الجهود، من خلال فبركة مسرحية الكيمياء أو من خلال توفير غطاء للمسلحين عن طريق التحالف الدولي.

لو لم يتدخل حزب الله في سوريا وكسبه معركة القلمون والتلال، التي أمنت الحدود السورية اللبنانية سنة 2013، لسيطرت داعش على لبنان، وأصبح هذا الأخير الإمارة الثالثة لداعش. كما أن دعم إيران للحشد الشعبي ساهم في تحرير المدن العراقية من داعش سنة 2017.

إن إطالة الصراع في سوريا، وبعد تجريدتها من السلاح الكيميائي، غيرت الاستراتيجية الإسرائيلية إزاء سوريا، ولم تعد هذه الأخيرة تشكل تهديدا لإسرائيل بعدما أصبح جيشها منهكا ومنشغلا بالصراع الداخلي. وأصبح العدو الجديد لإسرائيل هو إيران وحزب الله، خوفا من أن يشكل أي وجود عسكري لهما قرب الحدود السورية الإسرائيلية.

بعد فشل الحرب بالوكالة في سوريا، أعلنت الولايات المتحدة وحلفاؤها عن اتخاذ إجراءات قسرية أحادية الجانب خارج مجلس الأمن، هدفها شن حرب اقتصادية ضد سوريا، رغم مخالفة القانون الدولي، حيث حسب المادة الثانية من قرار الجمعية العامة رقم 2131 الصادر بتاريخ 21 دجنبر 1965: "لا يمكن لأي دولة أن تطبق أو تشجع استعمال التدابير الاقتصادية أو السياسية، أو كيفما كان شكلها لإجبار دولة أخرى ودفعها إلى التنازل عن ممارسة حقها من الحقوق السيادية أو الحصول منها على مزايا من أي نوع كانت. بالإضافة إلى قرار الجمعية العامة رقم 3201 الصادر بتاريخ 1 ماي 1974، الذي نص على أنه "لا يمكن إخضاع أي دولة لإكراه اقتصادي أو سياسي أو أي كان، بهدف منعها من الممارسة الحرة والكاملة لهذا الحق غير القابل للتصرف".

طالت الحرب الاقتصادية الغربية ضد سوريا قطاع الطاقة، لكي لا تصبح سوريا مركزا للطاقة بحكم موقعها الجيوسياسي. وهذا من الأسباب التي تفسر الحرب الكونية على سوريا. يرجع ذلك إلى سنة 2008 عندما توجه الرئيس الأسد إلى فرنسا للقاء الرئيس ساركوزي وعرض هذا الأخير على الرئيس الأسد أن يمر من سوريا الغاز القطري عبر تركيا إلى أوروبا في مقابل حصوله على 30 % من الأرباح، لكن الأسد رفض العرض، وهنا ساركوزي هدد الأسد بتحويل بلاده إلى دمار. كما عرضت قطر سنة 2009 على سوريا مرور غازها منها لكي يصل إلى أوروبا عن طريق تركيا، لكن سوريا رفضت العرض، لأن ذلك سيلحق ضررا بروسيا، لأن الطاقة الروسية تمثل مصدرا مهما لدول الاتحاد الأوروبي، لهذه الاعتبارات رفضت سوريا مشروع قطر، حماية لمصالح حليفتها روسيا. في المقابل قامت سوريا بالتوقيع على اتفاقية مع إيران، ليمر غاز هذه الأخيرة من سوريا مروراً بتركيا إلى أوروبا، لكن هذا المشروع لم ير النور بسبب الحرب السورية.

هدف الغرب من الحرب الاقتصادية على سوريا هو تدمير اقتصادها وعملتها، لكي يعيش الشعب في الفقر والمجاعة، وهذه الحرب الاقتصادية تشن من قبل من يدعون أنهم جاءوا لمساعدة الشعب السوري، والذين يطلقون على أنفسهم لقب أصدقاء سوريا. إذا كان الإدارة الأمريكية تدعي أنها تدخلت في سورية من أجل مساعدة الشعب السوري، فلماذا قامت بهذا الإرهاب الاقتصادي ضد سوريا، ألن يتضرر منه الشعب السوري الذي تدعي الولايات المتحدة مساعدته؟

بسبب الصراع في سوريا شرد ما يقرب 100 ألف شخص، وقتل 191 ألف شخص، بينهم 20 ألف طفل، و31.1 مليون شخص في سوريا في حاجة إلى المساعدة الإنسانية العاجلة، ومن بينهم 6.1 ملايين من المتشردين داخليا، و2.9

ملايين من الأشخاص يعيشون في مناطق يصعب الوصول إليها. و5.4 ملايين لاجئ فروا من سوريا، منهم أكثر من 3.9 ملايين امرأة وطفل.¹ تفيد منظمة الصحة العالمية أن 20% من المستشفيات العامة قد دمرت وأن 36% منها خارج الخدمة. انخفض الإنتاج المحلي من الأدوية بنسبة 90 %، وصل عدد النازحين داخليا إلى أكثر من 300 ألف سنة 2013. وتعرضت خمس مدارس البلاد التي يصل عددها إلى 22 ألف للدمار أو الخسائر. وتوقف الكثير من المعلمين عن الذهاب إلى العمل. وفي إدلب يذهب 55% فقط من المعلمين إلى العمل. أفادت اليونيسيف أن معدل ذهاب الأطفال إلى المدارس في حلب قد انخفض إلى 6%². وفي العراق بسبب الصراع العسكري بين الحكومة العراقية وداعش أبلغت الأمم المتحدة سنة 2014 عن مقتل 14947 مدنيا وجرح 29189 فردا³. يوجد 2.9 ملايين شخص من أصل 6 ملايين نازح عراقي منذ ظهور داعش في حالة تشرد خارج ديارهم. هناك 86 مخيما للمتشردين، منها 19 مخيما بالقرب من الموصل. بسبب الأعمال العسكرية ضد داعش نزح 12500 شخص إلى مخيمات في محافظات الأنبار وصالح الدين ونيوى⁴. تفيد المفوضية العليا لشؤون اللاجئين أنه حتى 13 مارس 2013، كان هناك عدد إضافي بلغ 67.715 من اللاجئين من العراق في سوريا⁵.

خاتمة

وبالتالي، فإن ما يسمى بالثورة السورية قد أعادت سوريا إلى وضع أسوأ من الوضع الذي كانت المعارضة السورية تنتقده وترفضه. أما الآن فأبسط مقومات الحياة لا توجد في سوريا، هذه هي الديمقراطية التي حققها الثورة السورية بدعم من القوى الدولية والإقليمية. اعترف زعيم المعارضة السوري برهان غليون بفشل الثورة السورية قائلا "طعنت الثورة السورية في ظهرها من القوى السياسية السورية التي تعلقت بأوهام وأحلام كاذبة، وانتهجت سياسات لا وطنية، بعضها طائفية ورجعية، كالتعويل على الخارج، واعتبار المجموعات الجهادية والأصولية مكونا رئيسا من مكونات الثورة السورية، هذه السياسات التي تتناقض مع منطلقات الثورة السورية ذاتها، والتي بنيت على أوهام ومصالح فئوية ضيقة، ومصالح الداعمين الإقليميين والدوليين⁶.

المراجع

- تعزيز الاستقرار الاستراتيجي مع روسيا، مؤسسة راند، كاليفورنيا، 2017.
- ريز إرليخ، داخل سوريا، قصة الحرب الأهلية وما على العالم أن يتوقع، ترجمة رامي طوقان، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2015.
- علي موسى الددا، إدارة ترامب للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 477، بيروت، 2018.

¹ - مجلس الأمن، تقرير الأمين العام، رقم 339، الصادر بتاريخ 19 أبريل 2017، ص 2.

² - تقرير الأوتشا، العدد 21، الصادر بتاريخ 18 مارس 2013، ص 2.

³ - مجلس الأمن، تقرير الأمين العام عن الأطفال والنزاع المسلح في العراق، رقم 852، الصادر بتاريخ 9 نوفمبر 2015، ص 8.

⁴ - مجلس الأمن، تقرير الأمين العام عملا بقرار 2367، رقم 42، الصادر بتاريخ 17 يناير 2017، ص 14.

⁵ - تقرير الأوتشا، العدد 21، الصادر بتاريخ 18 مارس 2013، ص 2.

⁶ - برهان غليون، أخطاء من الثورة السورية، جريدة العربي الجديد، على الرابط التالي:

- هيلاري كلينتون، خيارات صعبة، ترجمة ميراي يونس، الطبعة الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،

2015.

- John Bolton, the room where it happened, Simon - Schuster, New York, 2020.

- Julien Barnes Dacey , Russia and the resistance axis, Institute for Security Studies , Chaillot Papers, Luxembourg, 2018.

- John Kerry, Every day is Extra, Simon Schuster, New York, 2018.

- Raffaella A. Del Sarto et autres, Interrègne: L'ordre régional du Moyen-Orient et de l'Afrique du nord après 2011, Menara Final Reports, 2019.

- <https://www.alaraby.co.uk/opinion/>

- https://www.youtube.com/watch?v=_sbT3_9dJY4

- <https://www.youtube.com/watch?v=tv3O2uwHTBg>

- <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/how-islamic-state-ideology-contributes-its-resilienc>

اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا بالمتوسط ومدى تأثيره على الاتفاق الليبي التركي والمصري القبرصي واليوناني

فتحي فتنى جادالله الحوشي، دكتوراه في القانون الدولي العام، كلية الحقوق جامعة المنصورة، والباحث في النزاعات الدولية

drfathygad@gmail.com

الملخص

منذ بداية هذا القرن سعت إسرائيل لترسيم حدودها الاقتصادية البحرية والبحث عن حقول غاز متوقعة في منطقتها البحرية الاقتصادية المفترضة. فقد أثارت الجهود الإسرائيلية اهتمام دول شرق المتوسط الأخرى بما في ذلك تركيا وقبرص، واليونان، ومصر، وسوريا، ولبنان. وفي 2003 تم توقيع اتفاقيات ثنائية من أجل ترسيم الحدود الاقتصادية بين مصر وقبرص وفي 2005 وُقِّعت اتفاقية مشابهة بين مصر وإسرائيل. وقد تلاهاتين الاتفاقيتين، توقيع اتفاقية ترسيم بين قبرص ولبنان في 2007، وبين قبرص وإسرائيل في 2010. وفي 2009، اكتشفت إسرائيل حقلاً ضخماً للغاز في منطقتها الاقتصادية، وأصبح الصراع، من ثم، على ثروات شرق المتوسط أكثر حدة وإلحاحاً. ومنذ أن وُقِّعت تركيا، ورئيس حكومة الوفاق الليبية، فايز السراج، في 27 نوفمبر/تشرين الثاني 2019، اتفاقيتي التفاهم الأولى: تتعلق بترسيم الحدود البحرية الاقتصادية شرق المتوسط والثانية: تخص التعاون العسكري والأمني بين البلدين. وليس ثمة شك في أن الاتفاقيتين حتى إن أخذت كل واحدة منهما على حدة، تمثلان انقلاباً جوهرياً في التدافع الاقتصادي على ثروات شرق المتوسط، من جهة، وفي توازنات الصراع على مستقبل ليبيا، من جهة أخرى. ولذا، وكما كان متوقعاً، أثارت الاتفاقيتان ردود فعل متباينة من دول الجوار البحري للدولتين، بما في ذلك اليونان ومصر، ونظراً لوجود مشاكل ونزاعات قديمة ومستمرة بين اليونان وتركيا، فقد سعت اليونان سعياً حثيثاً ومن خلال عدة تحالفات مع بعض الدول المناوئة لتركيا، والموجودة بالمتوسط، وذلك لمواجهة اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين تركيا وليبيا بعقد العديد من اتفاقات ترسيم الحدود البحرية بين مصر وإيطاليا، وصاحب تلك الاتفاقات ضجة اعلامية كبيرة جدا من قبل اليونان واعتباره نصراً مؤزراً على تركيا، وانه جعل الاتفاق الليبي التركي حبرا على ورق.

لذا وجب علينا أن نتناول الموضوع بشكل علمي، بعيداً عن المباحكات السياسية، والضجة الاعلامية، وذلك من خلال البحث عن أثر ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا على الاتفاق الليبي التركي، أثر ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا على الاتفاق المصري القبرصي اليوناني، وعن تأثير الاتفاقية على مصالح مصر وتركيا.

الكلمات المفتاحية: ترسيم الحدود، اليونان، تركيا، البحرية، إيطاليا، البحر الأبيض.

The maritime border demarcation agreement between Greece and Italy in the Mediterranean and the extent of its impact on the Libyan-Turkish, Egyptian-Cypriot and Greek agreement

Abstract

Since the beginning of this century, Israel has sought to demarcate its maritime economic borders and search for expected gas fields in its supposed economic maritime zone. The Israeli efforts have aroused the interest of other eastern Mediterranean countries, including Turkey,

Cyprus, Greece, Egypt, Syria, and Lebanon. In 2003, bilateral agreements were signed to demarcate the economic borders between Egypt and Cyprus, and in 2005 a similar agreement was signed between Egypt and Israel. These two agreements were followed by the signing of a demarcation agreement between Cyprus and Lebanon in 2007, and between Cyprus and Israel in 2010. In 2009, Israel discovered a huge gas field in its economic zone, and the struggle over the wealth of the eastern Mediterranean became more intense and urgent. Since Turkey and the head of the Libyan Government of National Accord, Fayez al-Sarraj, signed on November 27, 2019, two agreements of understanding: the first related to demarcating the economic maritime borders in the eastern Mediterranean and the second: related to military and security cooperation between the two countries. There is no doubt that the two agreements, even if taken separately, represent a fundamental reversal in the economic scramble for the wealth of the eastern Mediterranean, on the one hand, and in the balance of conflict over the future of Libya, on the other hand. Therefore, as expected, the two agreements provoked different reactions from the two countries' maritime neighbors, including Greece and Egypt, and due to the existence of old and continuing problems and conflicts between Greece and Turkey, Greece has sought vigorously and through several alliances with some countries hostile to Turkey, which are present in the Mediterranean. In order to confront the maritime border demarcation agreement between Turkey and Libya by concluding many agreements delineating the maritime borders between Egypt and Italy, and the owner of these agreements was a very big media fanfare by Greece and considered it a supportive victory over Turkey, and that he made the Libyan-Turkish agreement a dead letter.

Therefore, we must approach the subject scientifically, away from political quarrels and media hype, by researching the effect of demarcating the maritime borders between Greece and Italy on the Libyan-Turkish agreement, the effect of demarcating the maritime borders between Greece and Italy on the Egyptian-Cypriot-Greek agreement, and on the impact of the agreement. On the interests of Egypt and Turkey.

Key words: border demarcation, Greece, Turkey, navy, Italy, the Ionian Sea.

مقدمة

يعود الاهتمام بثروات شرق المتوسط إلى السنوات الأولى من هذا القرن عندما بدأت إسرائيل مساعي ترسيم حدودها الاقتصادية البحرية والبحث عن حقول غاز متوقعة في منطقتها البحرية الاقتصادية المفترضة. فقد أثارت الجهود الإسرائيلية اهتمام دول شرق المتوسط الأخرى، بما في ذلك تركيا وقبرص، واليونان، ومصر، وسوريا، ولبنان. وفي 2003، تم توقيع اتفاقيات ثنائية من أجل ترسيم الحدود الاقتصادية بين مصر وقبرص؛ وفي 2005 وُقِّعت اتفاقية مشابهة بين مصر وإسرائيل. وقد تلاهاتين الاتفاقيتين، توقيع اتفاقية ترسيم بين قبرص ولبنان في 2007، وبين قبرص وإسرائيل في 2010. وفي 2009، اكتشفت إسرائيل حقلاً ضخماً للغاز في منطقتها الاقتصادية، وأصبح الصراع، من ثم، على ثروات شرق المتوسط أكثر حدة وإلحاحاً. وكانت أنقرة قد اقتربت بالفعل من مصر وليبيا عام 2008 لترسيم الحدود البحرية الاقتصادية، ولكن هذه الخطوات لم تصل إلى نتيجة لاندلاع الثورات العربية في 2011.

مشكلة البحث: منذ أن وقَّعت تركيا، ورئيس حكومة الوفاق الليبية، فايز السراج، في 27 نوفمبر/تشرين الثاني 2019، اتفاقيتي التفاهم الأولى: تتعلق بترسيم الحدود البحرية الاقتصادية شرق المتوسط والثانية: تخص التعاون

العسكري والأمني بين البلدين. وليس ثمة شك في أن الاتفاقيتين حتى إن أخذت كل واحدة منهما على حدة، تمثلان انقلاباً جوهرياً في التدافع الاقتصادي على ثروات شرق المتوسط، من جهة، وفي توازنات الصراع على مستقبل ليبيا، من جهة أخرى. ولذا، وكما كان متوقعاً، أثارت الاتفاقيتان ردود فعل متباينة من دول الجوار البحري للدولتين، بما في ذلك اليونان ومصر، ونظراً لوجود مشاكل ونزاعات قديمة ومستمرة بين اليونان وتركيا، فقد مرت العلاقات بين أنقرة وأثينا بمراحل صعبة، بعدد من الملفات التاريخية المتعلقة بالحدود البرية والبحرية والمياه الإقليمية والفضاء الجوي وجزيرة قبرص، وزاد من تأزمها محاولات التنقيب عن النفط والغاز في البحر المتوسط، وملف اللاجئين، واستضافة اليونان عدداً من الأتراك المرتبطين بمحاولة الانقلاب، والخلاف حول "آيا صوفيا"⁽¹⁾..الخ.

فقد سعت اليونان سعياً حثيثاً ومن خلال عدة تحالفات مع بعض الدول المناوئة لتركيا، والموجودة بالمتوسط، لمواجهة اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين تركيا وليبيا بعقد العديد من اتفاقات ترسيم الحدود البحرية بين مصر وإيطاليا وغيرهما وصاحب تلك الاتفاقات ضجة اعلامية كبيرة جداً من قبل اليونان واعتباره نصراً مؤزراً على تركيا، وانه جعل الاتفاق الليبي التركي حبراً على ورق.

هدف البحث: لذا وجب علينا أن نتناول الموضوع بشكل علمي، بعيداً عن المماحكات السياسية، والضجة الاعلامية، وذلك من خلال البحث عن أثر ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا على الاتفاق الليبي التركي، أثر ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا على الاتفاق المصري القبرصي اليوناني، وعن تأثير الاتفاقية على مصالح مصر وتركيا.

منهج البحث: المنهج الوصفي الاستقرائي

والذي من خلاله سيتم تناول الاتفاق اليوناني الايطالي من عدة أوجه: الوجه الأول نتناول فيه أثر الاتفاق على الاتفاق الليبي التركي، وأثره على الاتفاق المصري القبرصي، والمصري اليوناني، وأثر الاتفاق على مصالح مصر وتركيا. وذلك من خلال خطة البحث التالية:

خطة البحث

مبحث تمهيدي: التعريف بالمنطقة الاقتصادية الخالصة.

المبحث الأول: اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا بالمتوسط.

المبحث الثاني: مدى تأثير ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا على الاتفاق الليبي التركي.

المبحث الثالث: مدى تأثير ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا على الاتفاق المصري القبرصي والمصري اليوناني.

الخاتمة: والتوصيات: مراجع البحث:

مبحث تمهيدي: التعريف بالمنطقة الاقتصادية الخالصة

(1) <https://cutt.us/7ilrH> أبعاد الخلاف التركي اليوناني ومآلاته، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، بتاريخ 08 سبتمبر 2020 على الرابط التالي / 1

نصت المادة (55) من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار على أنها "المنطقة الواقعة وراء البحر الإقليمي للدولة وملاصقة له ويحكمها النظام القانوني المميز والمقرر في اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، والذي تخضع بموجبه حقوق الدولة الساحلية وولايتها، وحقوق الدول الأخرى وحرياتها، للأحكام ذات الصلة من هذه الاتفاقية"⁽¹⁾.

ويعد هذا التعريف الذي أورده المادة (55) بمثابة تحديد واضح وصريح لما للدولة الساحلية من حقوق على المنطقة الاقتصادية وفقاً للوضع القانوني الخاص الذي أضفته عليها اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982، وبالتالي فإن المنطقة الاقتصادية الخالصة هي منطقة ذات طابع قانوني خاص فهي ليست مياهًا إقليمية، ولا هي مياه من أعالي البحار⁽²⁾، وهي بمثابة منطقة انتقالية بين البحار الإقليمية التي تتمتع عليها الدول الساحلية بسيادة كاملة لا يحدها سوى "المرور البريء" وبين أعالي البحار التي لا ولاية لأحد عليها، حيث الحريات المطلقة لكافة الدول، وتُعتبر المنطقة الاقتصادية الخالصة على هذا النحو بمثابة نقطة التقاء بين اتجاه الدول الساحلية نحو بسط ولايتها الإقليمية على أجزاء كبيرة من أعالي البحار والافراد بثرواتها وحماية بيئتها البحرية، والحفاظ على أمنها وبين اتجاه الدول البحرية الكبرى في مواجهة هذا الاتجاه ومحاولة قصره على أقل امتداد ممكن وأقل قدر من السلطات والاختصاصات في تلك المنطقة⁽³⁾.

وقد كان هناك خللاً كبيراً بين الدول البحرية الكبرى والدول النامية في هذا الخصوص. حيث تمسكت الدول البحرية الكبرى باعتبار المنطقة الاقتصادية الخالصة جزءاً من أعالي البحار، وهو ما ظهر جلياً في أبريل 1982 في نهاية الدورة الحادية عشرة من مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار، وذلك عندما عارضت كل من الولايات المتحدة وإسرائيل وتركيا وفنزويلا وغيرهم مشروع اتفاقية قانون البحار، وامتنعت سبع عشرة دولة عن التصويت عليها، كان من بينهم ألمانيا والاتحاد السوفيتي وإسبانيا وإيطاليا وغيرهم ولعل موقف الدول الكبرى هنا يعكس حجم طموحاتهم ورغبتهم التوسعية على حساب الدول النامية.

ولعل هذا بين أيضاً حجم الصعوبات الكبيرة التي واجهتها اللجنة التحضيرية للمؤتمر بسبب موقف الولايات المتحدة الأمريكية، والدول الصناعية الكبرى من الجزء الحادي عشر من الاتفاقية والخاص بمنطقة "التراث المشترك للإنسانية"، من أبرز الدلائل على موقف الدول الكبرى في هذا الصدد⁽⁴⁾.

على أن نجاح دول العالم الثالث في إقرار الجزء الحادي عشر من الاتفاقية من جانب الجمعية العامة للأمم المتحدة، ودخول الاتفاقية حيز النفاذ في 16 نوفمبر 1994 كان بمثابة إنجاز كبير لها في مواجهة الدول البحرية الكبرى،

(1) راجع / المادة 55 من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار 1989، الجزء الخامس المنطقة الاقتصادية الخالصة، ص 40، على هذا الرابط / <https://cutt.us/jSExV>

(2) د. صلاح الدين عامر: "القانون الدولي للبحار: دراسة لأهم أحكام اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982"، القاهرة، دار النهضة العربية، 2009، ص 13-25_258.

(3) د. إبراهيم محمد الدغمة: أحكام القانون الدولي لقاع البحار والمحيطات وباطن أرضها خارج حدود الولاية الوطنية، القاهرة، دار النهضة العربية، 1987، ص 116-119.

(4) د. محمد شوقي عبد العال: اتفاق مسبق: ترسيم حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة بين مصر وقبرص، المركز العربي للبحوث والدراسات، بتاريخ الأربعاء 29/أكتوبر/2014، على الرابط التالي / <https://cutt.us/4FYkK>

وموقفها المتعنت من الاتفاقية ومن أحكامها التي تحوي قدرًا من العدالة من قبيل تلك المتعلقة بالمنطقة الاقتصادية الخالصة، ولا سيما تلك المتعلقة بمنطقة التراث المشترك للإنسانية^(١).

وتتلخص اهتمامات الدول النامية في المنطقة الاقتصادية الخالصة في ثلاثة موضوعات هامة هي: أولاً، الولاية الخالصة على الموارد الحية وغير الحية بما فيها الصيد وثروات الامتداد القاري (الجرف القاري)، ثانيًا، الولاية في العمل على منع التلوث البحري والسيطرة على العوامل المسببة له، وثالثًا، حق الدولة الساحلية في السيطرة على مرور السفن الأجنبية في المنطق^(٢).

وما يهمننا في هذا المجال، هو الولاية الخالصة المتعلقة بالموارد الطبيعية الحية وغير الحية، ولعل الموارد الغير الحية هي محل البحث وهي التي تباشر الدولة حقوقها في شأنها من خلال الاستكشاف، والاستغلال، وإقامة المنشآت والتركيبات، والجزر الصناعية اللازمة لذلك، وهو ما ساعد عليه إلى حد بعيد التطور العلمي والتكنولوجي الكبير في هذا المجال^(٣).

ويتم ترسيم حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة يعني تعيين النطاق الخارجي لها مقاسًا من خط الأساس، على ألا يتجاوز 200 ميل بحري في حده الأقصى (المادة 57)، وسواءً أكان ذلك على خرائط، أو قوائم إحداثيات، مع الأخذ بعين الاعتبار المحددات الجغرافية، والاعتبارات القانونية المتفق عليها على أساس قواعد القانون الدولي ذات الصلة^(٤).

وحقوق الولاية التي للدولة الساحلية في المنطقة، هي حقوق إشراف ورقابة وتنظيم فحسب^(٥). وبالتالي فهي تغاير حقوق السيادة. ذلك أن ثمة تباينًا كبيرًا بين مفهومي الولاية والسيادة. فالسيادة هي السلطة العليا لإدارة شئون الدولة دون سواها، أما الولاية فلا تتجاوز الاختصاص بالإشراف والرقابة والتنظيم^(٦).

وتأتي رغبة الدولة الساحلية في تنظيم ومباشرة أنشطتها المختلفة على امتداداتها البحرية وتحقيق أقصى استفادة منها، سيما وأن هذه المناطق تحوي الكثير من الموارد والثروات المعدنية التي تؤثر فيها أعمال التنقيب والاستغلال بما يستدعي تحديد الحدود بينها حتى لا تتداخل ادعاءات الدول في شأنها ولا تثور المنازعات^(٧). وفي حال

(١) أحمد محمد رفعت، "الأوقاف الدولية في القانون الدولي الجديد للبحار: التأصيل القانوني لمبدأ التراث المشترك للإنسانية في اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار عام 1982"، (القاهرة: المعهد العالي للدراسات الإسلامية، 2013)، ص 105 وما بعدها؛ وكذلك د. أحمد أبو الوفا، "القانون الدولي للبحار في ضوء أحكام المحاكم الدولية والوطنية وسلوك الدول واتفاقية 1982"، ط 2، (القاهرة: دار النهضة العربية، 2006)، ص 396-398.

(٢) أحمد نبيل حسن العسال، ترسيم حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة بين مصر واليونان وتركيا في ضوء أحكام اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2013، ص 40-53، وإيضاً د. محمد شوقي عبد العال، مرجع سابق.

(٣) رفعت محمد عبد المجيد، "المنطقة الاقتصادية الخالصة في البحار"، رسالة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة: كلية الحقوق، 1982)، ص 249-255؛ وكذلك د. عبد المنعم محمد داود، "القانون الدولي للبحار، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 1999)، ص 81-85.

(٤) عبد المعز عبد الغفار نجم، تحديد الحدود البحرية وفقاً للاتفاقية الجديدة لقانون البحار، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، 2007، ص 14. وإيضاً ÷ (57) من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار بتحديد لنطاق المنطقة الاقتصادية الخالصة، التي نصت على أن "لا تمتد المنطقة الاقتصادية الخالصة إلى أكثر من 200 ميل بحري من خطوط الأساس التي يقاس منها عرض البحر الإقليمي". راجع / المادة 57 من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار 1989، الجزء الخامس المنطقة الاقتصادية الخالصة ص 41، على هذا الرابط <https://cutt.us/JSExV>

(٥) Francisco Orregovicuna, "The Exclusive Economic Zone; Regime and Legal Nature Under International Law", (New York: Cambridge U. P., 1989), pp. 68-71

(٦) محمد شوقي عبد العال : مرجع سابق.

(٧) أ. د. عبد المعز عبد الغفار نجم، مرجع سابق، ص 8-11؛ وإيضاً،

Alex G. Oude, The Law of the Maritime Tract, Int. Journal of Marine and Costal Law, Vol. 9, 1994, pp. 235 – 246

قيام نزاع حول المنطقة الاقتصادية بين الدول المتقابلة أو المتلاصقة تقضي المادة (74) من الاتفاقية بأن يكون "تحديد حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة بين الدول ذات السواحل المتقابلة أو المتلاصقة عن طريق الاتفاق على أساس القانون الدولي، طبقاً للمادة (38) من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، من أجل التوصل إلى حل منصف"، وإذا تعذر التوصل إلى اتفاق خلال فترة معقولة من الزمن، لجأت الدول المعنية إلى الإجراءات المنصوص عليها في الجزء الخامس عشر، وفي انتظار التوصل إلى اتفاق تبذل الدول المعنية بروح من التفاهم والتعاون قصارى جهدها للدخول في ترتيبات مؤقتة ذات طابع عملي وعدم تعريض التوصل إلى الاتفاق النهائي للخطر أو إعاقته ولا تنطوي هذه الترتيبات على أي مساس بأمر تعيين الحدود النهائي⁽¹⁾.

المبحث الأول: اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا بالمتوسط

سعت اليونان بكل الطرق إلى مواجهة الاتفاق الليبي التركي الذي لا يعترف بالمياه الاقتصادية للجزر اليونانية وقد أسفرت جهودها إلى توقيع اتفاق بترسيم الحدود البحرية بالمتوسط بينها وبين إيطاليا يوم الثلاثاء الموافق 9 يونيو 2020 بشأن الحدود البحرية، والذي يُقيم منطقة اقتصادية حصرية بين البلدين ويحل مشاكل كانت عالقة بشأن حقوق الصيد في البحر الأيوني.

يأتي الاتفاق الذي وقع خلال زيارة وزير الخارجية الإيطالي "لويجي دي مايو" إلى أثينا، بعد توتر على مدى أشهر في منطقة شرق البحر المتوسط بسبب نزاعات على الموارد الطبيعية، حيث نشبت مواجهة دبلوماسية معقدة بين تركيا واليونان وقبرص. ولم تتوفر بعد تفاصيل عن الاتفاق، الذي يمدد اتفاقاً أبرم عام 1977 بين البلدين بشأن الجرف القاري في البحر الأيوني.

وقال وزير الخارجية اليوناني نيكوس دندياس إن الاتفاق أكد حق الجزر اليونانية في المناطق البحرية، وحسم القضايا المتعلقة بحقوق الصيد، مضيفاً أن أثينا تسعى لإقامة مناطق اقتصادية حصرية مع كل جيرانها.

كما أعلن رئيس الوزراء اليوناني كيرياكوس ميتسوتاكيس، أن تعيين الحدود البحرية الموقعة بين اليونان وإيطاليا يعد نموذجاً للتعاون وعلاقات حسن الجوار. وأضاف في حديثه أمام البرلمان أن "الاتفاقية تساهم في السلام والاستقرار في منطقتنا، حيث أظهرت اليونان وإيطاليا كيف يمكن لجارين تحويل البحر من حولهما إلى مياه هادئة للتقدم والتنمية، وأتمنى أن يتم التوصل إلى اتفاقيات مماثلة في المنطقة بين دول أخرى أيضاً".

وأشار إلى أن "الاتفاق بين أثينا وروما بشأن تعيين المناطق الاقتصادية الخالصة يحل قضية معلقة منذ 40 عاماً، ويتوافق تماماً مع قواعد القانون الدولي واتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار"⁽²⁾.

ويأتي الاتفاق اليوناني الإيطالي بعد أن وقعت تركيا والحكومة الليبية المعترف بها دولياً برئاسة فائز السراج في طرابلس قبل أشهر اتفاقاً بشأن الحدود البحرية أثار غضب اليونان التي اعتبرت الخطوة تعدياً على حقوقها السيادية. وتري اليونان والمؤيدين لها، أن الاتفاق اليوناني الإيطالي ضربة للمصالح التركية في مياه شرق المتوسط، حيث يُقدم

(1) راجع نص المادة 74 من الاتفاقية سابق الإشارة إليها مرجع سابق، ص 53.

(2) ترسيم الحدود بين اليونان وإيطاليا يحل قضية معلقة منذ 40 عاماً ومصر تسعى لاتفاقية جديدة، موقع أر تي أون لاين بتاريخ 11 يونيو 2020م على الرابط

التالي / <https://2u.pw/kUIF7>

الدعم للمطالب اليونانية باعتبار الاتفاق بين حكومة اردوغان والسراج لاغيا وغير قانوني في حال لجأت اليونان للأمم المتحدة.

وتداولت وسائل اعلام أوروبية خارطة لما يقال انها ترسيم الحدود بين اليونان وإيطاليا، حيث اضافت اليونان للخرائط حدودها البحرية بما يشمل الجزر اليونانية في المتوسط⁽¹⁾.



يُمثل توقيع إيطاليا واليونان اتفاقية لترسيم الحدود البحرية بين الدولتين، بالبحر الأيوني جزء من البحر المتوسط الذي يفصل البلدين المجاورين خطوة مهمة سيكون لها تداعيات كبيرة على منطقة شرق البحر المتوسط، التي تسعى تركيا إلى السيطرة عليها بالقوة طمعا في حقول النفط والغاز، وفق محللين. ويشمل الاتفاق بين الدولتين أن يكون للجزر اليونانية⁽²⁾ في البحر المتوسط مناطق اقتصادية خالصة، وهذا يعني قطع الطريق على تركيا التي حاولت ابتلاع مناطق هذه الجزر في الاتفاق الذي أبرمته مع رئيس حكومة الوفاق في طرابلس الليبية فائز السراج في نوفمبر 2019، لإنشاء منطقة اقتصادية خالصة تمتد من ساحل تركيا الجنوبي على المتوسط إلى الساحل الشمالي الشرقي الليبي.

ويكتسب هذا الأمر أهمية بالنسبة إلى أثينا التي تواجه أنقرة الطامعة في حقول النفط بالمنطقة، وخصوصاً حق قبرص في القيام بأي عملية استكشاف للموارد النفطية في المنطقة الاقتصادية الخالصة القبرصية. ومنذ العام الماضي، تقوم أنقرة بعرض قوة عبر إرسالها سفن تنقيب إلى المياه القبرصية، رغم تحذيرات واشنطن والاتحاد الأوروبي ومصر، الأمر الذي قد يكون له تداعيات سياسية كبيرة، ويرى الأستاذ في القانون الدولي، أيمن سلامة، إن "الاتفاقية بين اليونان

(1) خريطة اتفاق الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا.. ضربة جديدة لأردوغان موقع أجناد عربية بتاريخ 2020/6/9 م على الرابط التالي <https://2u.pw/UPYWU>
(2) وإذا كانت معاهدة لوزان، في 24 يوليو/تموز 1923، قد عملت على تسوية الخلاف بين تركيا والدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، فإن ملفات عدة بقيت تشكل خلافاً في الاتفاق، كالجزر المتنازع عليها، حيث تنازلت تركيا بموجب الاتفاقية عن 12 جزيرة لإيطاليا، و150 جزيرة في بحر إيجة كذلك، وقد سلمتها إيطاليا لليونان، وأصبحت تمثل حصاراً بحرياً لتركيا. راجع/ أبعاد الخلاف التركي اليوناني ومآلاته، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، بتاريخ 08 سبتمبر 2020 على الرابط التالي <https://cutt.us/7ilrH>

وإيطاليا قطعت الطريق على تركيا في شرق البحر المتوسط بتعيين حدودهما البحرية، لأن هذه الاتفاقية تؤكد يونانية الجزر في المناطق البحرية التي تخضع لسيادة اليونان". وبحسب سلامة، تعد الاتفاقية رد فعل حاسم من جانب الدولتين على "الاتفاق بين تركيا وحكومة السراج في ليبيا"⁽¹⁾.

وقال وزير الخارجية اليونان في تصريحات صحفية إن الاتفاقية المبرمة مع إيطاليا التزمت بمبادئ القانون الدولي للبحار واتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار التي أبرمت عام 1982. ولم تنضم إلى هذه الاتفاقية الدولية كل من إسرائيل وتركيا وسوريا، وهي دول تطل على دول حوض شرق المتوسط، بحسب سلامة.

وأضاف سلامة: "بات أردوغان يفكر مرتين قبل أن يقدم على أي مغامرة جديدة في شرق المتوسط، بعد الواقع القانوني والمادي الذي تمثل في إحدى صوره بالاتفاقية الجديدة بين إيطاليا واليونان"، بحسب سلامة. وأشار إلى أن أردوغان" الذي أخذ دول شرق متوسط على حين غرة في نوفمبر، بات في مأزق لم يستطيع مجرد التعقيب عليه فوراً".

ويري الأستاذ "كليانثيس كيرياكيديس" الأكاديمي اليوناني، والأستاذ المساعد في العلوم السياسية بالجامعة الأميركية بالإمارات، في حديث إلى موقع "سكاي نيوز عربية"، إن هناك تداعيات سياسية كبيرة للاتفاقية، ولا سيما التوقيت. وأوضح أن الاتفاقية تظهر أن أثينا تبني علاقات تعاون بين دول البحر المتوسط التي تحترم الوضع الراهن والقانون الدولي، كما تبني علاقات مع الدول التي تدين السلوك التركي في شرق المتوسط، مثل مصر وقبرص وفرنسا وغيرهم. ولفت إلى أن الخطوة الجديدة أضافت دولة جديدة إلى القائمة وهي إيطاليا، التي تكتسب أهمية كبيرة لكونها قريبة من ليبيا، مشيراً إلى "أهمية التصدي للسلوك العدواني التركي في المنطقة، الذي لا يشمل النفط والغاز في المتوسط فحسب، بل يمتد إلى دعم جماعات إرهابية والتدخلات العسكرية في سوريا وليبيا، وهو الأمر الذي يجب التعامل معه"⁽²⁾. ورأى كيرياكيديس أن الاتفاقية اليونانية الإيطالية تبعث رسالة مفادها أن السياسات غير المسؤولة وغير المنطقية والتعسفية لم يتم التسامح معها من جانب تحالف يضم دولاً قوية.

ولفت إلى أن "الاتفاقية تسعى لكبح جماح أنقرة، التي أصبحت عدوانية في عهد أدوغان المتغطرس بشكل متزايد"، مشيراً إلى سلوك تركيا التي تحاول في السنوات الأخيرة إلغاء معاهدات دولية وتوسعت بشكل علني في تدخلاتها العسكرية، ودعمت جماعات إرهابية. وقال إنه "من الواضح أن تركيا تحاول الابتزاز والتهديد أو حتى استخدام القوة بأن تصبح القوة الإقليمية المهيمنة في الشرق الأوسط، فهذا حلم أدوغان". ورأى أن هناك حاجة إلى رد فعل منظم من الدول التي تعارض سياسة أدوغان، "فهو السبيل لعزلة تركيا، وممارسة الضغوط عليها واتخاذ تدابير أشد إن لزم الأمر، من أجل احترام سيادة الدول الأخرى والقانون الدولي". وقال كيرياكيديس إن الاتفاق المبرم بين أدوغان والسراج غير القانوني تجاهل اليونان، وحاول عملياً سرقة مواردها من خلال اغتصاب المنطقة الاقتصادية الخاصة بها، بما يشكل تهديداً مباشراً للسيادة اليونانية، وذلك بتجريد جزر كبيرة من حقوقها، مثل جزيرة كريت (خامس أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط). وتابع: "من الواضح أن اليونان والمجتمع الدولي لن يقبلوا باتفاقية السراج وأردوغان"⁽³⁾.

(1) اليونان وإيطاليا.. اتفاقية تقطع الطريق أمام "أطماع أدوغان" سكاي نيوز العربية بتاريخ 11/ يونيو 2020 م على الرابط التالي / <https://2u.pw/JG11f>

(2) كليانثيس كيرياكيديس مرجع سابق.

(3) نفسه .

ويعتبر "سلامة" إن اتفاقية تعيين الحدود البحرية بين إيطاليا واليونان هي ولادة لمخاض عسير دام 4 عقود من المفاوضات والمشاورات الفنية لم تفلح في تحقيق نتيجة إلا اليوم. وأضاف سلامة أن أهمية تعيين الحدود البحرية بين الدول تكمن في تحديد الخط الفاصل بين سيادة الدول المتجاورة، سواء أكانت دول متقابلة مثل مصر وقبرص أو دول متجاورة جوار ساحلي مثل ليبيا ومصر. وقال إن اتفاقيات تعيين الحدود البحرية تحدد أيضا وتؤطر المسؤوليات المختلفة لحماية السيادة والمصلحة الوطنية من النواحي السياسية والاقتصادية وغيرها، مثل تحديد المناطق التي يمكن فيها لكل الدول من التنقيب عن الغاز والبتروال والثروات الطبيعية وغيرها من الأنشطة الاقتصادية مثل الصيد ومد الكابلات وبناء الجزر الصناعية (1).

ويري البعض أن توقيع اليونان وإيطاليا، اتفاقية ترسيم للحدود البحرية بين البلدين في المنطقة الاقتصادية الخالصة في البحر الأبيض المتوسط، سجل "صفعة" لتركيا، في خطوة مهمة لليونان التي تواجه توترا متصاعدا مع تركيا الطامعة في حقول النفط شرق المتوسط (2). وبتعبير وزير الخارجية اليوناني نيكوس ديندياس، بعد توقيع الاتفاق الثنائي الذي يتناول حقوق الصيد البحري المشتركة، "اليوم، يوم تاريخي"، بحسب وكالة "فرانس برس".

بدوره، اعتبر نظيره الإيطالي لويجي دي مايو "أنها نتيجة مهمة" مضيفاً: "لسنا فقط جارين، نحن متمسكان بمنطقتنا المشتركة، البحر المتوسط".

واغتتم الوزير الإيطالي الفرصة للإشارة إلى التعاون بين أثينا وروما في ملف الهجرة في البحر المتوسط.

وقال: "نتعاون مع بعضنا البعض"، معتبراً أنه "خلال هذه المرحلة" الصحية الطارئة، "ينبغي على كل بلد أوروبي التعاون على صعيد الهجرة. تضامن وتقاسم المسؤوليات"، وهذه أول زيارة لمسؤول أجنبي كبير إلى اليونان منذ انتهاء العزل في البلاد في الرابع من مايو.

ويهدف الاتفاق الثنائي إلى تحديد مناطق الصيد البحري بين البلدين. وأشار ديندياس إلى أن الاتفاق الجديد يؤكد اتفاقا سابقا موقعا عام 1977 مع روما يضمن "حق الجزر في أن تكون لديها مناطق بحرية".

وأضاف ديندياس "وفق القانون الدولي، فإن ترسيم حدود المناطق البحرية يُقام بموجب اتفاقات قانونية ولا يكون من دون أساس مثل الاتفاق بين تركيا ورئيس حكومة السراج اللبية"، مشيراً إلى "تصاعد انتهاكات القانون من جانب تركيا" مقابل اليونان.

من جانبه، قال الدكتور بشير عبد الفتاح، المتخصص في الشأن التركي بمركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، إن توقيع اليونان وإيطاليا اتفاقية ترسيم حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة في البحر الأيوني، سجل صفقة جديدة لتركيا، لأنها كانت تحاول فرض وضع قانوني بمرجعتهما في شرق المتوسط لتوسيع حدودها البحرية والمنطقة الاقتصادية على حساب الدول المجاورة.

(1) اليونان وإيطاليا.. اتفاقية تقطع الطريق أمام "أطماع أردوغان" سكاي نيوز بتاريخ 11 يونيو 2020 م على الرابط التالي: <https://cutt.us/fhljC>

(2) بشير عبد الفتاح : خبير يوضح تأثير اتفاقية ترسيم الحدود بين اليونان وإيطاليا على تركيا ، جريد الوطن بتاريخ الأربعاء 10 يونيو 2020 على الرابط التالي /

<https://cutt.us/IEJzj>

وأضاف "عبد الفتاح"، في اتصال هاتفي لـ"الوطن"، أن كانت توجد مشكلة حقيقية بين تركيا واليونان، لكن لجوء اليونان إلى توقيع هذه الاتفاقية مع إيطاليا أتاح لباقي دول جنوب المتوسط والاتحاد الأوروبي الإشراف مع اليونان لضمان الحقوق الاقتصادية والبحرية في البحر المتوسط.

وتابع الباحث في الشأن التركي، أن هذا الاتفاق يقوي الموقف القانوني لليونان في مواجهة تركيا، وذلك يزيد من الدعم الأوروبي والمتوسطي، وفي حالة أي تصعيد بين تركيا واليونان سيقف الاتحاد الأوروبي لليونان التي هي عضو خلاف تركيا^(١).

وقال نائب وزير الدفاع اليوناني، ألكيفاديس ستيفانيس، إن بلاده مستعدة لجميع أنواع السيناريوهات السيئة، مؤكداً أن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لو كانت لديه الإمكانيات للوقوف خلف تصريحاته حول الأبحاث الهيدروكربونية، فإن أثينا هي الأخرى يمكنها أن تحسن الإمكانيات التي لديها بكل سهولة.

وقال "ستيفانيس"، خلال تصريحات تلفزيونية: "يجرى وضع الخطة بناءً على أسوأ سيناريو. ونعمل على هذا، نضع أمام أعيننا الاحتمالات المختلفة التي طورناها في حالة حدوث أسوأ سيناريو. نبدأ من أبسط مستوى من أجل زيادة موقفنا الاستعدادي ونتحرك في هذا الاتجاه"، وأضاف: "ينبغي أن نراقب بهدوء ما يحدث عندما تكون متأكداً من مدى قوتك".

وهذه النقطة مهمة بالنسبة لأثينا التي تواجه توتراً شديداً مع تركيا المجاورة الطامعة في حقول النفط في المنطقة وخصوصاً حق قبرص في القيام بأي عملية استكشاف للموارد النفطية في المنطقة الاقتصادية الخالصة القبرصية، ومنذ العام الماضي، تقوم أنقرة بعرض قوة عبر إرسالها سفن تنقيب إلى المياه القبرصية، رغم تحذيرات واشنطن والاتحاد الأوروبي وحتى مصر.

ولتعزيز موقعها القانوني في المنطقة، وقعت تركيا في نوفمبر اتفاقاً بحرياً مثيراً للجدل مع حكومة السراج الليبية، يهدف إلى توسيع المنطقة التي تقوم الدولتان فيها بعمليات استكشاف مشتركة، وللتصدي لمحاولات أنقرة فرض نفسها في المنطقة، وقعت اليونان وقبرص وإسرائيل في يناير اتفاقاً حول أنبوب غاز "إيستمد" لإمدادات الطاقة إلى دول أوروبا الشرقية.

بعد أن استعرضنا اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا شرق المتوسط والهدف الذي بسببه قامت اليونان بإبرام اتفاق ترسيم الحدود البحرية مع إيطاليا، وعلمنا أنه هدف الاتفاق الثنائي بين اليونان وإيطاليا هو تحديد مناطق الصيد البحري بين البلدين في جزء من البحر المتوسط بين البلدين هو منطقة البحر الأيوني. وكما صرح الوزير الإيطالي إلى أن الاتفاق فرصة للإشارة إلى التعاون بين أثينا وروما في ملف الهجرة في البحر المتوسط، وأن الاتفاق يؤكد اتفاقاً سابقاً موقعاً عام 1977 مع روما يضمن "حق الجزر في أن تكون لديها مناطق بحرية خالصة.

لذا، علينا أن نبحث عن حقيقة أثر ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا على الاتفاق الليبي التركي، وذلك من خلال المبحث التالي.

(١) بشير عبد الفتاح: مرجع سابق.

المبحث الثاني: مدى تأثير ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا على الاتفاق الليبي التركي

أثار إعلان اليونان وإيطاليا توقيع اتفاق وصفه البعض بالتاريخي لترسيم الحدود البحرية بينهما وقيم منطقة اقتصادية حصرية كثيراً من الجدل، رغم أن تفاصيل تلك الاتفاقية لم يتم كشفها، فماذا تعني تلك الاتفاقية بالنسبة للصراع الدائر في منطقة شرق المتوسط؟ وما الانعكاسات المحتملة على اتفاقية الحدود البحرية بين تركيا وليبيا؟

حقيقة الموضوع

بتاريخ الثلاثاء 9 يونيو/حزيران، وقّعت اليونان وإيطاليا اتفاقاً بشأن الحدود البحرية يقيم منطقة اقتصادية حصرية بين البلدين ويحل مشاكل كانت عالقة منذ فترة طويلة بشأن حقوق الصيد في البحر الأيوني، وجاء التوقيع خلال زيارة وزير الخارجية الإيطالي لويجي دي مايو.

وبحسب رويترز، لم تتوفر بعد تفاصيل عن الاتفاق، الذي يمدد فعلياً اتفاقاً أبرم عام 1977 بين البلدين بشأن الجرف القاري في البحر الأيوني.

وكل ما نعرفه عن الاتفاق هو مجرد تصريحات صادرة من وزير خارجية الدولتين، غالبيتها للوزير اليوناني، نيكوس دندياس الذي صرح بأن الاتفاق أكد حق الجزر اليونانية في المناطق البحرية وحسم القضايا المتعلقة بحقوق الصيد، وأشار إلى أن "هذا يوم تاريخي"، مضيفاً أن اليونان تسعى لإقامة مناطق اقتصادية حصرية مع كل جيرانها.

والحقيقة، أن الاتفاق بخصوص تلك المنطقة هي تمديد لاتفاق كان سارياً منذ أكثر من أربعة عقود بين البلدين بخصوص مجموعة من الجزر لم تكن لها أهمية كبيرة بالنسبة للبلدين قبل اكتشافات الغاز الطبيعي الأخيرة في منطقة شرق المتوسط ونشوب توتر على مدى أشهر في المنطقة بسبب نزاعات على الموارد الطبيعية.

وبالتالي يأتي الجدل المصاحب للإعلان عن تلك الاتفاقية في إطار المواجهة الدبلوماسية المعقدة بين دول شرق المتوسط، وبخاصة بين تركيا واليونان وقبرص، ليس فقط بسبب التوترات الأخيرة ولكن أيضاً بسبب الصراع بين اليونان وتركيا وبينهما قبرص المقسمة حالياً إلى قبرص اليونانية وقبرص التركية⁽¹⁾.

كما يأتي الاتفاق اليوناني الإيطالي في أعقاب توقيع تركيا والحكومة الليبية، المعترف بها دولياً برئاسة فائز السراج في طرابلس، قبل أشهر اتفاقاً بشأن الحدود البحرية، وهو الاتفاق الذي أثار غضب اليونان التي اعتبرت الخطوة تعدياً على حقوقها السيادية. ولنا أن نتساءل عن أثر الاتفاق بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط؟

ماذا يعني ذلك بالنسبة لشرق المتوسط؟

اليونان- من جانبها- ترى أن اتفاقها لترسيم الحدود البحرية مع إيطاليا "شرعي" بينما تصف الاتفاق التركي مع الحكومة الليبية بغير الشرعي، وهذا الموقف طبيعي من الجانب اليوناني، ويقابله موقف تركي أيضاً يتمسك بشرعية اتفاه مع ليبيا وقام بإرسال الاتفاقيات الموقعة للأمم المتحدة لتوثيقها دولياً.

(1) راجع/ أبعاد الخلاف التركي اليوناني ومآلاته، مرجع سابق.

والواقع، إن الإعلان عن توقيع الاتفاقية بين اليونان وإيطاليا- في حقيقة الأمر- لا يمثل تغييراً من أي نوع على الوضع في منطقة شرق المتوسط، لأنها تركز على ما يعرف بالمنطقة الاقتصادية الحصرية بين البلدين، وهي تركز أكثر على حقوق الصيد في المناطق البحرية المشتركة بين الدولتين، وخصوصاً حينما تتداخل مسافة الـ 12 ميلاً بحرياً (المياه الإقليمية لكل دولة)، وذلك بحسب قانون البحار الدولي.

وفي ظل غياب تفاصيل دقيقة عن الاتفاق الموقع بين اليونان وإيطاليا يصبح من الصعب أو بالأحرى من المستحيل تقديم معلومات دقيقة، وبالتالي قراءة التداعيات المتوقعة للاتفاقية على شكل المعركة الدبلوماسية الخشنة الدائرة حالياً في شرق المتوسط، لكن هناك مؤشرات يمكن التوقف عندها!! أول تلك المؤشرات هو أن جميع التصريحات بشأن الاتفاقية جاءت على لسان وزير الخارجية اليوناني دندياس، ومنها وصف الاتفاقية بالتاريخية، والتأكيد على "حق الجزر اليونانية في المناطق البحرية، وحسم القضايا المتعلقة بحقوق الصيد"، بينما لم يصدر عن نظيره الإيطالي دي مايو أي شيء تقريباً، وهو ما يعني توظيفاً يونانياً للحدث، خصوصاً أن دندياس استطرد بالقول إن بلاده تخطط لتوقيع "مناطق اقتصادية حصرية" مع كل جيرانها مثل ألبانيا ومصر.

وبما أن مصر واليونان قد وقّعتا بالفعل اتفاقاً لترسيم الحدود البحرية بينهما، فالواضح إذاً أن الاتفاق البحري بين إيطاليا واليونان عبارة عن "منطقة اقتصادية حصرية" في منطقة البحر الأيوني- وهي جزء من البحر المتوسط بين البلدين- وليس ترسيماً للحدود البحرية في شرق المتوسط بالصورة التي تصورها البعض، وزعموا أنها تقطع الطريق على تنفيذ الاتفاق بين أنقرة وطرابلس.

والحقيقة، إن قضية الصراع في شرق المتوسط حول الغاز الطبيعي تشمل أطرافاً كثيرة كإسرائيل واليونان وقبرص وتركيا وليبيا ومصر وفرنسا وإيطاليا، والمؤكد أنه لن يتم حل تلك القضية بمعزل عن القضايا الأخرى في المنطقة سواء الصراع في ليبيا أو سوريا، وهو ما يعني وجود روسيا والولايات المتحدة أيضاً في الصورة، ولا يمكن استبعاد قضايا كصفقة القرن والتهديد الروسي لخاصرة أوروبا الجنوبية وحلف الناتو وغيرها؛ باختصار الخيوط متشابكة والمصالح متداخلة بصورة تضمن استبعاد خيار الحسم العسكري على الأرجح من أي طرف، وبالتالي اللجوء للمفاوضات، وحتى يتم ذلك ستظل المعركة إعلامية أكثر منها أي شيء آخر، وهو ما يمكن قراءته في استقبال الإعلان عن الاتفاق اليوناني - الإيطالي على منصات التواصل الاجتماعي، بحسب المراقبين⁽¹⁾. والحقيقة أيضاً، إن هذا الاتفاق يُعد حلقة في مسلسل التوتر الذي تشهده العلاقات التركية اليونانية طيلة السنوات الماضية، جراء الخلافات التاريخية بشأن الحدود البرية والبحرية والمياه الإقليمية والمجال الجوي، بجانب عدد من الملفات الأخرى كالتنقيب عن النفط والغاز في المتوسط وملفي قبرص واللاجئين، بخلاف استضافة الأراضي اليونانية لمعارضين للحكومة التركية...⁽²⁾ الخ.

وبعيداً عن حالة الاستقطاب الشديدة التي تخيم على المشهد وتدفع أنصار الأطراف المتنازعة في المنطقة إلى تسطيح قراءتها لهذا الاتفاق في محاولة كل طرف التوهم بتوجيه ضربة مؤلمة لخصمه، بحثاً عن انتصار زائف هنا

(¹) ماذا يعني توقيع اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين إيطاليا واليونان بالنسبة لتركيا ومصر؟ عربي بوست بتاريخ / 10/06/2020 على الرابط التالي/ <https://2u.pw/x59DM>

(²) راجع/ أبعاد الخلاف التركي اليوناني ومآلاته، مرجع سابق.

وهناك، فإننا أمام عدة تساؤلات عامة تكشف النقاب عن مضمون الاتفاق وتداعياته الإقليمية وتأثيراته الإيجابية والسلبية على كل من مصر وتركيا على وجه التحديد، كونهما الأكثر تأثراً به.

تاريخ هذا الاتفاق ولماذا الاعلان عنه الآن؟

كما أشار الموقع اليوناني فإن المنطقة التي شملتها الاتفاقية التي تعد امتداداً لأخرى تم توقيعها قبل أربعة عقود تتعلق بعدد من الجزر التي ما كان لها أهمية بالنسبة لليونان وتركيا قبل اكتشافات الغاز الطبيعي في منطقة شرق المتوسط خلال الفترة الأخيرة، غير أن هذا التطور الاقتصادي الملحوظ أدى إلى نشوب التوتر بين البلدين، تنازعا على الموارد الطبيعية في تلك المنطقة.

وعلى الجانب الآخر فإن توقيت الاتفاق مثير لتساؤل لدى البعض، وهو ما يحمل بُعداً سياسياً أكثر منه اقتصادياً، أو على الأرجح توافر البعدين في مثل تلك التحركات، كونها جاءت في أعقاب الاتفاق الموقع بين تركيا والحكومة الليبية المعترف بها دولياً، وهو ما يعطي الشرعية القانونية للأتراك بالتنقيب عن الغاز في المتوسط، الأمر الذي أغضب اليونانيين بصورة كبيرة. وعليه فإن الجدل الذي صاحب إعلان هذه الاتفاقية رغم أنها ليست جديدة ولا وليدة اليوم يمكن قراءته في ضوء حالة التوتر المتصاعد بين دول شرق المتوسط خلال الأعوام الثلاث الأخيرة، مع الوضع في الاعتبار الصراع التاريخي بين اليونان وتركيا ومن بينهما قبرص المقسمة حالياً إلى قسمين، قبرص اليونانية وقبرص التركية⁽¹⁾.

حتى كتابة هذه السطور لم تصدر أي تفاصيل عن الاتفاق، ومن ثم ليس هناك سبيل لقراءة ما بين السطور أو أعمال استراتيجيات التخمين للتعويل عليها في تقديم رؤى مستقبلية حيال مآلات هذه الخطوة على دول المنطقة كما تسرعت بعض الوسائل الإعلامية لخدمة أجندات بعينها هنا أو هناك.

غير أن هناك بعض المؤشرات التي من الممكن أن تقودنا لقراءة موضوعية نسبياً لما تم فعلياً، أولها غياب رد الفعل الرسمي الإيطالي، إعلامياً وسياسياً، حال توقيع الاتفاقية، على اعتبار أنها لم تقدم جديداً، وإنما كل التصريحات الصادرة التي تناقلتها وسائل الإعلام جاءت على لسان وزير الخارجية اليوناني دندياس الذي وصف يوم توقيع الاتفاق بـ"اليوم التاريخي"، مؤكداً حق بلاده في الجزر اليونانية وحسم القضايا المتعلقة بحقوق الصيد، وفي المقابل لم تصدر أي تصريحات عن نظيره الإيطالي، وهو وبحسب متابعين يعني توظيفاً يونانياً للحدث، خاصة أن وزير الخارجية اليوناني أوضح أن بلاده تنوي تعميم مثل هذه الاتفاقيات مع جيرانها مثل ألبانيا ومصر.

وذهب البعض إلى إعادة توصيف الاتفاق، كونها ليست ترسيماً للحدود كما تردد بعض وسائل الإعلام، نظراً لأن مصر واليونان قد وقعتا بالفعل اتفاقاً سابقاً لترسيم الحدود بينهما، وعليه فإن التوصيف الحقيقي لهذا الاتفاق أنه عبارة عن "منطقة اقتصادية حصرية" في منطقة البحر الأيوني، كما جاء على لسان دندياس.

ووفق تلك المؤشرات فإن الاتفاقية لا تشكل تهديداً بالمعنى القانوني أو السياسي للاتفاق الليبي التركي الموقع مؤخراً، فقط من الممكن أن توفر أداة ضغط سياسية مستقبلاً لكن هذا ربما يكون أمراً مستبعداً في ظل التعقيدات

(1) مرجع سابق.

الجيوسياسية في المنطقة، وأن قراءتها يجب أن تأتي في إطار المعركة الدبلوماسية الخشنة التي تدور رحاها الآن في شرق المتوسط. ولنا أن نتساءل: ما الذي تغير في خريطة مياه شرق المتوسط؟

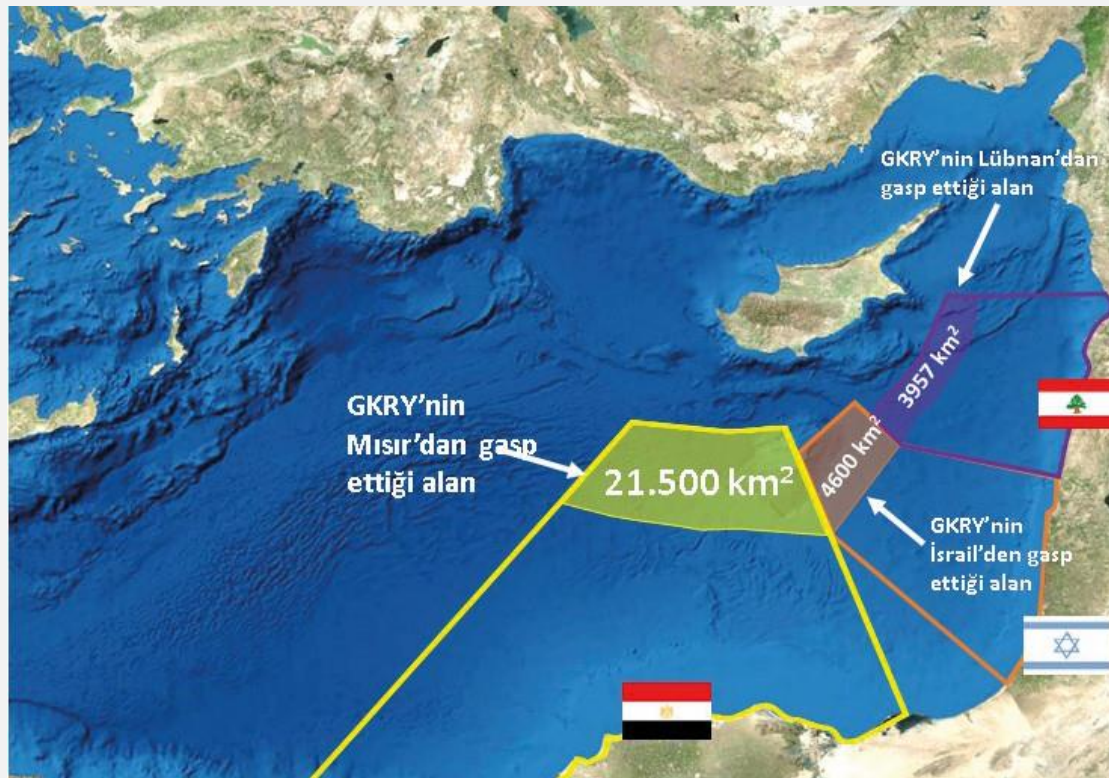
في نظرة سريعة على منطقة شرق المتوسط المتنازع عليها الآن من العديد من القوى يلاحظ أنه حتى الآن هناك 4 اتفاقيات فقط تطرقت إلى ترسيم الحدود البحرية وتحديد المناطق الاقتصادية الخالصة (EEZ) بين دول الإقليم، كانت قبرص عاملاً مشتركاً في ثلاثة منها، البداية كانت 2003 حين تم توقع اتفاقية بينها وبين مصر. وبعدها بأربعة أعوام فقط أبرمت اتفاقاً آخر لترسيم الحدود البحرية مع لبنان في 2007، ثم في 2010 تم توقيع اتفاقية مشابهة مع "إسرائيل". وظلت مياه الشرق الأوسط بعيدة عن أطماع الكثير من الدول، سواء التي لها حق فيها أم الساعية للانتفاع من ورائها عبر اتفاقيات قانونية مع دول لها حقوق بها، حتى جاءت الاتفاقية الأخيرة بين تركيا وليبيا لتعيد رسم خريطة شرق المتوسط مجدداً، وتلهب الأجواء للتسارع في إبرام اتفاقيات مشابهة بعدما تحول هذه المنطقة إلى كثر اقتصادي كبير.

ما مصلحة مصر في الاتفاق التركي الليبي؟

منذ توقيع الاتفاق الليبي التركي كثر الحديث عن الإيجابيات والسلبيات التي تضمنتها تلك الخطوة على الجانب المصري على وجه التحديد، وبات السؤال الأكثر انتشاراً على ألسنة المؤيدين والمعارضين للاتفاق: ما مصلحة المصريين من وراء هذه الخطوة؟ فبينما كان فريق يرى فيها تهديداً للأمن القومي المصري وسلباً لثروات المتوسط، ذهب فريق آخر إلى أنها قدمت للجانب المصري العديد من المكتسبات على طبق من ذهب. لكن كيف؟

النقطة الأولى وفق ما أشار متابعون إلى أن تلك الاتفاقية ستعرق وبشكل كبير المخطط الإسرائيلي القبرصي اليوناني المدعوم أوروبياً لتدشين خط غاز (East Med) في المياه العميقة للبحر المتوسط، الذي بدوره سينقل الغاز من تلك الدول إلى أوروبا، وهو ما يهدد مساعي مصر لتحويلها مستقبلياً إلى منصة إقليمية لتصدير الغاز الطبيعي في شرق المتوسط وهو الحلم الذي يراودها منذ سنوات طويلة وبذلت لأجله الكثير من الخطط والدراسات، فضلاً عن المشروعات العديدة التي دشنتها لهذا الغرض في دمياط وادكو وغيرهم.

أما النقطة الأخرى التي تصب في صالح الجانب المصري فتتعلق بتجنيبها خسارة مساحة كبيرة من المناطق الاقتصادية الخالصة حال إبرامها لاتفاق مع اليونان، فتركيا باتفاقها مع طرابلس حافظت لمصر على تلك المساحة التي تحتوي على كميات كبيرة من احتياطات غاز محتملة في هذه المياه يمكن أن توفر مكاسب اقتصادية عظيمة للقاهرة، بالإضافة إلى مزيد من الأهمية الجيوسياسية في شرق المتوسط.



والحقيقة، أنه يتنافس في هذه المنطقة كذلك مشروعات اقتصاديان كيران، يسعى كلٌّ منهما لمد خط أنبوب شرق المتوسط يصل إلى أوروبا، الأول يحظى بموافقة إسرائيلية، ويسعى لنقل الغاز إلى أوروبا عبر قبرص واليونان، ويستبعد مصر ويبلغ طوله 1900 كم، واسمه (إيس ت ميد)، ويتقاطع خط المشروع مع المنطقة الموقع عليها بين تركيا وليبيا، أي انه من مصلحة مصر الوقوف مع الاتفاق الليبي التركي ، لأنه يعيد اليها مساحات كبيرة من منطقتها الاقتصادية تجعلها فاعل اساسي لأى مشروعات مستقبلية خاصة تلك المتعلقة بخطوط الغاز والتي تعلق مصر عليها امال كبيرة وأعدت تجهيزات كبيرة لها بدمياط وادكو.

إن هناك نية جادة لإسرائيل وقبرص واليونان واهتمام من الاتحاد الاوروي بإنشاء خط غاز (East Med) في المياه العميقة للبحر المتوسط والذي سينقل الغاز من اسرائيل وقبرص الى اليونان ومنه الى اوروا ليصبح أحد البدائل التي تسعى اليها اوروا في محاولة لتقليل اعتمادها على الغاز الروسي الذي يسيطر على أكثر من ثلث السوق الاوروبية. وخلاصة الحديث عن هذا الخط انه باختصار إذا تحول الى حيز التنفيذ فسيعني خسارة مصر لدورها المستقبلي كمنصة اقليمية لتصدير الغاز الطبيعي في شرق المتوسط، ومن هنا نستطع ان نفهم بسهولة انه ليس من مصلحة مصر ابدا انشاء وانجاز خط East Med ويترتب على ذلك ان اي ترسيم حدود يقطع الطريق على الخط ويعيق انشاء هذا المشروع فهو يتماشى بشكل مباشر مع المصلحة المصرية ويعضد من تحقيق مصر لحلمها بان تصبح منصة اقليمية لنقل وتصدير الغاز المسال الى اوروا. وبالتالي تمثل الاتفاقية التركية الليبية مصلحة لمصر في وقف ومنع انشاء خط East Med.

والخط الثاني يحمل اسم (ترك ستريم)، وهو خط روسي تركي لنقل الغاز الروسي إلى تركيا ثم إلى أوروبا الغربية وجنوبها، وهذا المشروع ترفضه أمريكا والكيان الإسرائيلي.

وتمثل وروسيا قطعة أخرى في الأحجية. ففي حين أنها على خلاف مع تركيا بشأن سوريا وليبيا، لكن الاتفاق بين تركيا وليبيا يضعهما أيضا على طرفي نقيض في ليبيا، حيث تميل روسيا إلى جانب اللواء خليفة حفتر. ورغم ذلك

فإن البلدين ينسقان فيما يتعلق بسياسات الطاقة وموسكو حريصة على أن تكون تركيا نقطة عبور لإمدادات الطاقة⁽¹⁾. أما إسرائيل فهي أكثر حذراً إزاء الخطوة التركية-الليبية. ويشير محللون إلى أن أحد أسباب ذلك هو أنه إذا أصبح خط الأنابيب بين إسرائيل وقبرص واليونان وإيطاليا غير قابل للتنفيذ، فإنها قد تضطر للبحث عن سبل لتصدير الغاز عبر تركيا بدلاً منه⁽²⁾ فالعالم وعلاقات الدول لا تعرف إلا مصالحها فقط، وعلى مصر أن تبحث عن مصالحها أيضاً فقط، وأن تعمل مع الطرف المحقق لتلك المصالح.

لقد أصبحت هذه المنطقة محل تنافس دولي، ومنطقة صراع بين تركيا واليونان وقبرص ومصر والكيان الإسرائيلي، وتنافس فيها كبرى شركات الطاقة العالمية مثل: إيني الإيطالية، وتوتال الفرنسية، وإكسون الأمريكية، وتركيا تدرك أنها صاحبة أطول ساحل في شرق المتوسط؛ وإبعادها عن التأثير في هذا الملف ستكون له تداعيات استراتيجية على مكانة تركيا ومصادرها⁽³⁾

وعلى مصر أن تدرك جيداً أهمية مصالحها أكثر من تركيا، وتنظر إلى أي جانب تكون مصالحها، وتقف معه كما تفعل روسيا، وستفعل إسرائيل، بغض النظر عن المباحكات السياسية والتي قد تضر مصر في ظل الأزمة الاقتصادية التي تعيشها والقروض وفوائدها وكيفية سدادها.. الخ ، والتي تجعل الدفاع عن حقوقها بمثابة حياة أو موت؟ أكثر من تركيا نفسها، خاصة وأن سواحلنا تجاوز الألف كم على البحر المتوسط، حيث أن الساحل الشمالي هو الشريط الواقع في أقصى شمال مصر والممتد على مسافة 1050 كم من مدينة رفح في شرق سيناء إلى السلوم في أقصى غرب مصر على الحدود الليبية على ساحل البحر الأبيض المتوسط⁽⁴⁾.

لكن يبقى السؤال: لماذا إذاً ترفض مصر الاتفاق الليبي التركي؟

من الناحية الاقتصادية لا يمكن تفهم الموقف الرسمي الراض لهذا الاتفاق في ضوء ما يحققه من مصالح كما تم ذكرها، لكن في الجهة الأخرى يمكن تفسير اعتراض القاهرة الذي أتى كونه "نكاية سياسية" من خلال القراءة الجيدة لخريطة التحالفات الإقليمية في المنطقة، فمصر تنتمي تحالفياً إلى الجانب الذي يضم اليونان وقبرص وحلفاؤهما، ومن ثم لا يمكنها الموافقة على مثل هذه الاتفاقيات التي تضر بمصالحهم، رغم أنه يضر أيضاً بمصالحها. في ظل التوتر الشديد الذي ينتاب العلاقات بين البلدين منذ 2013، الذي يتعزز يوماً تلو الآخر بسبب تباين وجهات نظر الدولتين حيال العديد من الملفات لا سيما الملف الليبي، وبالطبع مصر محقة في تخوفاتها من وجود تركيا على الحدود الغربية، الأمر الذي قد يُشكل تهديداً لأمنها القومي.

لكن في النهاية يمكن القول إن الاتفاق التركي الليبي يراعي وبشكل كبير المصالح المصرية وسواء كان ذلك بقصد أم دون قصد، إلا أن مصلحة البلدين تطابقتا بشأنه، بعيداً عن التنافر السياسي بين البلدين، الذي رغم شدته بين الحين والآخر، فإنه لم يستطع التأثير بالشكل المتوقع على العلاقات الاقتصادية بين الجانبين، ويبدو أن هناك تفاهات

(1) ماذا يعني اتفاق تركيا وليبيا لـ"غاز شرق المتوسط" وما "الانعكاسات الأوسع" المتوقعة، موقع سيوتنيك عربي بتاريخ 31 سبتمبر 2020 م على الرابط التالي/

<https://cutt.us/FKuVtE>

(2) مرجع سابق.

(3) راجع/ أبعاد الخلاف التركي اليوناني ومآلاته ، مرجع سابق.

(4) موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة على الرابط التالي/ <https://cutt.us/rINbW>

وتنسيق يتم بين البلدين غير معلن عنها، ننتهي من الله ان تعود بالنفع لمصرنا الحبيبة الغالية وعلى شعها الطيب المعطاء.

ولنا أن نتساءل عن أثر ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا على الاتفاق المصري القبرصي والمصري اليوناني وهذا هو موضوع المبحث الثالث.

المبحث الثالث: مدى تأثير ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا على الاتفاق المصري القبرصي والمصري اليوناني

ماذا عن تأثير الاتفاقية على مصالح مصر وتركيا؟

كما أشرنا سابقاً فإن المناطق الاقتصادية التي تضمها الاتفاق المبرم بين إيطاليا واليونان والمستند قانوناً إلى اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار الموقعة عام 1982 لا علاقة لها بالمنطقة المحددة في الاتفاق التركي الليبي، لكن في الوقت ذاته فإنها تمثل دعماً دبلوماسياً لأثينا في معركتها التاريخية مع أنقرة بشأن ترسيم الحدود.

ويقر هذا الاتفاق اعترافاً ضمنياً من كل من إيطاليا واليونان بحقوق الجزر اليونانية في حدودها البحرية، وهي المسألة التي تمثل خلافاً تاريخياً بين الجارتين، تركيا واليونان، لا سيما جزيرة كاستيلوريزو الواقعة مباشرة أمام السواحل التركية وتهدد مساحات كبيرة من حقوق الدولة التركية في المناطق الاقتصادية الخاصة.

وعلى الجانب المصري، وعكس ما يتوقع البعض بشأن خدمة تلك الاتفاقية للمصالح المصرية فإنها ربما تمثل تهديداً حال توظيفها دبلوماسياً لإلغاء الاتفاق التركي الليبي، الأمر الذي يفقد مصر مساحات كبيرة في المياه الاقتصادية في شرق المتوسط، ويجهض كما أشرنا سابقاً حلمها في أن تصبح منصة إقليمية لتصدير الغاز.

والملاحظ بالنسبة للاتفاق الليبي التركي فإنه لا يضر بمصالح وحقوق مصر الاقتصادية، كما صرح وزير الخارجية المصري، ولكنه يعقد الأمور بالمنطقة والتي لا بد من حل شامل وجذري تجنباً لمزيد من النزاعات بالمنطقة. والواقع، إن الاتفاق يُعطي لمصر مساحات بحرية إضافية وتعبير أدق ووفق الخريطة فإن مصر قد خسرت 11,500 كم مربع بالترسيم مع قبرص. ومساحة 15,000 كم مربع بالاتفاق مع اليونان. وقد لجأت اليونان للمناورة السياسية بغية تعطيل الاتفاق الليبي التركي وذلك من خلال ترسيم الحدود البحرية مع إيطاليا أولاً، ثم الترسيم بينها وبين مصر لاحقاً في 8 أغسطس 2020م رغم كل المناشدات بعدم التوقيع على هذا الاتفاق.

فماذا يعني ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا؟

هذا الترسيم يحدد المناطق الاقتصادية الخالصة بين اليونان وإيطاليا في مياه البحر الأيوني (Ionian Sea) وهو امتداد لبحر المتوسط بين الدولتين ويستند الترسيم إلى اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار 1982 والتي تضع ضوابط لتحديد المناطق الاقتصادية الخالصة. وفقاً لاتفاقية ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا فإن المناطق المتفق عليها بين البلدين لا علاقة لها بالمنطقة التي رسمتها تركيا وليبيا ولكن الاتفاقية تقدم دعماً دبلوماسياً لليونان في معركتها مع تركيا في ترسيم الحدود البحرية بينهم حيث إن الاتفاقية بين اليونان وإيطاليا موقعة وفقاً لقانون البحار وهذا القانون هو الذي يعترف بالمناطق الاقتصادية الخالصة للجزر وبالتالي، تعني الاتفاقية بين اليونان وإيطاليا اعتراف الطرفين بحقوق الجزر اليونانية في حدودها البحرية، وتمثل الحدود البحرية للجزر مسار الخلاف الرئيسي بين تركيا

واليونان حيث ترى تركيا انه من غير المنطقي ان تحتسب المناطق الاقتصادية الخالصة لليونان وضمنها جزيرة كاستيلوريزو وهي جزيرة يونانية تقع مباشرة امام السواحل التركية والتي تهدر بهذه الطريقة مساحات واسعة من حق تركيا في المناطق الاقتصادية الخالصة وبالتالي اجمالاً الاتفاقية اليونانية الايطالية لا تقترب من الاتفاق التركي الليبي ولكنها توفر ادوات قانونية ودبلوماسية لليونان في مسار خلافها مع تركيا على ترسيم الحدود البحرية بينهم وهو امر لا يمكن التعويل عليه كثيراً في منطقة غير مستقرة جيو سياسياً وتعتمد الاوضاع فيها على نفوذ القوى الاقليمية الموجودة في شرق المتوسط .

أما من ناحية المصلحة المصرية لا يقدم الاتفاق بين اليونان وإيطاليا اي مصلحة تذكر لمصر غير انه يمكن ان يمثل تهديد لمصر في حال تم استخدام هذا الاتفاق في اثناء او الغاء الاتفاق التركي الليبي وهو ما يعني خسارة مصر لمساحات من المياه الاقتصادية الخالصة وما تحويه من احتياطات غاز محتملة، مع وجود تهديد محتمل بخسارة مصر لموقعها كمنصة اقليمية للغاز.

والحقيقة، والتي لا يجب اغفالها هي أن الموقف المصري من أقرب المواقف العربية وأكثرها صلة بالقضية، ومن أوائل المتأثرين بتداعياتها سلباً أو إيجاباً؛ للحدود البحرية التي تربطها بها ولهذا كانت مصر ومنذ زمن تدرك جيداً الوضع المعقد شرق المتوسط، ولم ترسم حدودها البحرية إلا مع قبرص في 2003، بخلاف الكيان الإسرائيلي واليونان، وعلى الرغم من طلب اليونان المتكرر؛ لكنها كانت تتحاشى الدخول في اتفاق مع اليونان قبل ترسيم الحدود التركية اليونانية، إضافة إلى أن مصر كانت تدرك أن أي اتفاق مع اليونان فهو في حدود الرؤية اليونانية، وهذا يعني خسارة مصر مساحات من مياهها الاقتصادية، إذ إن مصر لو وقعت اتفاقاً مع تركيا فإن ذلك سيعزز من مساحتها، وسيوفر لها نحو (26500) كم² إضافي، حسب دراسة للمركز العربي للدراسات، وما حدث مع الأسف مؤخراً من توافق بين أثينا والقاهرة هو تغليب ربما للمصالح الآنية مع استبعاد المصالح الاستراتيجية التي كانت تدركها القيادة المصرية منذ مدة طويلة ، لكن مصر إلى الآن والدول العربية المؤيدة لها، ربما عليهم أن يدركوا خطوط للتراجع في حال توصلت تركيا واليونان إلى صفقة سياسية جديدة، كما أنه عليهم أن يدركوا أبعاد الصراع والتحالفات التي تتشكل⁽¹⁾.

والحقيقة، انه يجب أن ينتبه من يتناول الاتفاق اليوناني الايطالي وفق منطق التراس مشجعي الكرة ان السياسة لا يوجد فيها اصدقاء دائمون ولا اعداء دائمون ولكن يوجد فيها مصالح دائمة ووفق تلك المصالح يمكن ان تقيم الاتفاقيات⁽²⁾.

ومع الأسف ايضا فقد قامت مصر بالاتفاق مع اليونان على ترسيم الحدود البحرية في 8 اغسطس 2020م رغم مناشدات عدة بالتروي وعدم ابرام هذا الاتفاق والذي يضع حقوق مصر بحقول الغاز والكثير من الثروات البحرية بشرق المتوسط ؟

(1) راجع: أبعاد الخلاف التركي اليوناني ومآلاته ، مرجع سابق.

(2) راجع: خالد فودة : ما اثر ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وايطاليا على مصر؟؟ بتاريخ ١٠ يونيو ٢٠٢٠ على الرابط التالي: <https://2u.pw/aMIFT>



وفي المجمل وفي ضوء المستجدات التي أحلت بالخريطة الجيوسياسية للمنطقة، من السابق لأوانه إن لم يكن من المستبعد التعويل على اتفاقية كهذه في تحقيق مكاسب سياسية أو اقتصادية ميدانيًا كما ذهب البعض، فالأمر أكثر تعقيدًا من ذلك، إذ إن قضية الصراع في شرق المتوسط تشمل أطرافًا عدة ولا يمكن حلها بمعزل عن قضايا أخرى تسير معها في إطار متوازٍ خاصة في ليبيا وسوريا.

مع الوضع في الاعتبار قضايا أخرى كصفقة القرن وهو ما يعني دخول قوى أخرى ربما تكون بعيدة من الناحية الجغرافية عن الملف وعلى رأسها الولايات المتحدة وروسيا، الأمر الذي يجعل الذهاب للخيار العسكري مغامرة مستبعدة، ليظل الجلوس على مائدة المفاوضات والتفاهم السياسي والقانوني أمام المنظمات الدولية قد يكون هو الخيار الأقرب للواقع، وإلى أن يتحقق ذلك لن تغادر الأزمة ساحة المعركة الإعلامية بين الأطراف المختلفة لحين إشعار آخر⁽¹⁾.

(1) اتفاق ترسيم الحدود بين اليونان وإيطاليا.. المآلات على تركيا ومصر، موقع نون بوست، فريق التحرير بتاريخ 11 يونيو 2020م على الرابط التالي/

<https://2u.pw/kLtdZ>

الخاتمة

مما سبق يتبين لنا أن الاتفاق الخاص بترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا هو اتفاق خاص بترسيم حدود المناطق الاقتصادية الخالصة بين اليونان وإيطاليا في مياه البحر الأيوني (Ionian Sea) وهو امتداد لبحر المتوسط بين الدولتين ويستند الترسيم الى اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار 1982 والتي تضع ضوابط لتحديد المناطق الاقتصادية الخالصة. وفقاً لاتفاقية ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا فإن المناطق المتفق عليها بين البلدين لا علاقة لها بالمنطقة التي رسمتها تركيا وليبيا ولكن الاتفاقية تقدر دوماً دبلوماسياً لليونان في معركتها مع تركيا في ترسيم الحدود البحرية بينهم حيث أن الاتفاقية قديمة منذ أربعة عقود بين البلدين. وعليه فإن التوصيف الحقيقي لهذا الاتفاق أنه عبارة عن "منطقة اقتصادية حصرية" في منطقة البحر الأيوني. ووفق تلك المؤشرات فإن الاتفاقية لا تشكل تهديداً بالمعنى القانوني أو السياسي للاتفاق الليبي التركي الموقع مؤخراً، فقط من الممكن أن توفر أداة ضغط سياسية مستقبلاً لكن هذا ربما يكون أمراً مستبعداً في ظل التعقيدات الجيوسياسية في المنطقة، وأن قراءتها يجب أن تأتي في إطار المعركة الدبلوماسية الخشنة التي تدور رحاها الآن في شرق المتوسط.

والحقيقة، إن قضية الصراع في شرق المتوسط حول الغاز الطبيعي تشمل أطرافاً كثيرة كإسرائيل واليونان وقبرص وتركيا وليبيا ومصر وفرنسا وإيطاليا والمؤكد أنه لن يتم حل تلك القضية بمعزل عن القضايا الأخرى في المنطقة سواء الصراع في ليبيا أو سوريا، وهو ما يعني وجود روسيا والولايات المتحدة أيضاً في الصورة، ولا يمكن استبعاد قضايا كصفقة القرن والتهديد الروسي لخاصرة أوروبا الجنوبية وحلف الناتو وغيرها؛ باختصار الخيوط متشابكة والمصالح متداخلة بصورة تضمن استبعاد خيار الحسم العسكري على الأرجح من أي طرف، وبالتالي اللجوء للمفاوضات يظل الخيار الأوفر حظاً، وحتى يتم ذلك ستظل المعركة إعلامية أكثر منها أي شيء آخر، وهو ما يمكن قراءته في استقبال الإعلان عن الاتفاق اليوناني-الإيطالي.

والحقيقة أيضاً، إن هذا الاتفاق يُعد حلقة في مسلسل التوتر الذي تشهده العلاقات التركية اليونانية طيلة السنوات الماضية، جراء الخلافات التاريخية بشأن الحدود البرية والبحرية والمياه الإقليمية والمجال الجوي، بجانب عدد من الملفات الأخرى كالتنقيب عن النفط والغاز في المتوسط وملفي قبرص واللاجئين، بخلاف استضافة الأراضي اليونانية لمعارضين للحكومة التركية.

التوصيات

- _ نوصي دول شرق المتوسط خاصة أن تبحث عن الحلول الجزئية والصفقة المحدودة، سواء بالتفاوض أو بالتحكيم الدولي، طالما من الصعب الوصول الى حل شامل للمنطقة.
- _ على جميع الدول أن تتوصل الى توافق باقتسام تلك الثروات لاستفادة الجميع منها بدل التنافر والحروب وضياعها.
- _ على كل دول المتوسط أن تدرك جيداً أن كلفة الحروب والصراعات حول تلك الثروات قد تجاوزت تلك الثروات ويجعلها عديمة الفائدة.

_ أن المفاوضات في ضوء القانون الدولي للبحار والتحكيم الدولي قد يساعد في حل معظم الأمور العالقة، أو تلك التي علمها خلاف بين الدول المتنازعة.

مراجع البحث

- ✓ إبراهيم محمد الدغمة: أحكام القانون الدولي لقاع البحار والمحيطات وباطن أرضها خارج حدود الولاية الوطنية، القاهرة، دار النهضة العربية، 1987.
- ✓ اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار 1989، الجزء الخامس المنطقة الاقتصادية الخالصة
- ✓ أحمد أبو الوفا: "القانون الدولي للبحار في ضوء أحكام المحاكم الدولية والوطنية وسلوك الدول واتفاقية 1982"، ط2، (القاهرة: دار النهضة العربية، 2006.
- ✓ أحمد محمد رفعت: "الأوقاف الدولية في القانون الدولي الجديد للبحار: التأصيل القانوني لمبدأ التراث المشترك للإنسانية في اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار عام 1982"، (القاهرة: المعهد العالي للدراسات الإسلامية.
- ✓ أحمد نبيل حسن العسال: ترسيم حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة بين مصر واليونان وتركيا في ضوء أحكام اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.
- ✓ بشير عبد الفتاح: خبير يوضح تأثير اتفاقية ترسيم الحدود بين اليونان وإيطاليا على تركيا، جريد الوطن بتاريخ الأربعاء 10 يونيو 2020.
- ✓ خالد فودة: ما أثر ترسيم الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا على مصر؟؟ بتاريخ ١٠ يونيو ٢٠٢٠.
- ✓ خريطة اتفاق الحدود البحرية بين اليونان وإيطاليا. ضربة جديدة لأرد وغان موقع أجناد عربية بتاريخ 2020/6/9م.
- ✓ رفعت محمد عبد المجيد: "المنطقة الاقتصادية الخالصة في البحار"، رسالة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة: كلية الحقوق، 1982).
- ✓ صلاح الدين عامر: "القانون الدولي للبحار: دراسة لأهم أحكام اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار ل عام 1982"، القاهرة، دار النهضة العربية، 2009م.
- ✓ عبد المعز عبد الغفار نجم: تحديد الحدود البحرية وفقاً للاتفاقية الجديدة لقانون البحار، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، 2007، ص 14.
- ✓ عبد المنعم محمد داود: "القانون الدولي للبحار، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1999.
- ✓ محمد شوقي عبد العال: اتفاق مسبق: ترسيم حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة بين مصر وقبرص، المركز العربي للبحوث والدراسات بتاريخ الأربعاء 29/أكتوبر/2014.

مراجع أجنبية:

- ✓ Alex G. Oude, The Law of the Maritime Tract, Int. Journal of Marine and Costal Law, Vol. 9, 1994, pp. 235 – 246.
- ✓ Francisco Orregovicuna, "The Exclusive Economic Zone; Regime and Legal Nature under International Law", (New York: Cambridge U. P., 1989), pp. 68 - 71.

مواقع تمت زيارتها على شبكة الانترنت

- <https://cutt.us/7ilrH>
- <https://2u.pw/kLtdZ>
- <https://cutt.us/JSExV>
- <https://2u.pw/JG11f>
- <https://cutt.us/IEJzj>
- <https://2u.pw/kUIF7>
- <https://2u.pw/aMIFT>
- <https://2u.pw/UPYWU>
- <https://2u.pw/x59DM>
- <https://cutt.us/FKuvE>
- <https://cutt.us/rINbW>
- <https://cutt.us/4FYkK>

أمازونيّات شمال إفريقيا (بين الميثولوجيا والواقع)

حسيبة باحمان، دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر

hassibabahman@gmail.com

الملخص

ارتبطت الإشارة إلى الدور العسكري للمرأة في شمال إفريقيا القديم بعالم الميثولوجيا، حيث أشارت المصادر اللاتينية إلى وجود شعب تحكمه النساء أطلق عليهم اسم "الأمازونيّات"، وهن من كن يتكفلن بالأمر السياسية، ويقدن الجيوش ويخضن المعارك، كما أن منهن من أسسن الممالك وعقدن المعاهدات.

وفي محاولة منا لاسقاط الميثولوجيا على الواقع، فإننا تتبعنا دراسة دور نساء المنطقة في العهود اللاحقة، خاصة وأن المنطقة كانت محط أنظار الكثير من القوى العالمية آنذاك، حيث استنتجنا أن المرأة لعبت بالفعل دور هام في المجال العسكري، كملكة الكاهنة التي لمع اسمها في الفترة الإسلامية، ومن هنا فالاشكالية المحورية التي يجيب عنها المقال هي: من هم الأمازونيّات؟ وهل نجد لاسطورة أمازونيّات شمال إفريقيا ما يقابلها في الواقع؟

الكلمات المفتاحية: الأمازونيّات؛ شمال أفريقيا؛ الغرغونات؛ الاسطورة؛ ديهيا.

The Amazons of North Africa (Between Mythology and Reality)

Abstract

Reference was associated with women's military role in North Africa, where Latin sources indicated that the nation of people had been reigned by the name of the Amazonians.

In an attempt to project mythology onto reality, we followed the study of the role of women in the region in the later eras, where we concluded that women actually played an important role in the military field, such as the priestess queen whose name rose to prominence in the Islamic period.

Keywords: Amazonians; North Africa; Gergons; Myths; Dihia.

مقدمة

تُعد الكتابة النسائية في حقل التاريخ بشكل عام ظاهرة ثقافية وفكرية جديدة، وخصوصاً تلك التي تختص بدراسة المرأة في العصور القديمة، إذ يُعد البحث في هذا المجال بمثابة تجديد للرؤى والنظريات، التي تهدف إلى إغناء المشهد التاريخي بنظرة جديدة ترصد انجازات النساء العظيمات في التاريخ باعتبارهن مركز للحدث، وعنصر فاعل ومؤثر في التاريخ، وليس عنصر ثانوي فرضت الأحداث ذكره، والدارس لتاريخ المرأة المغربية يجد أنها اكتسحت مجال البحث التاريخي في الحقب التاريخية الوسيطة والحديثة والمعاصرة، لكنها ظلت مهمشة في تخصص التاريخ القديم ربما لشح الإشارات المصدريّة لها، أو لارتباط ذكرها بعالم الميثولوجيا البعيد عن الواقع.

إشكالية البحث

الحقيقة أن عالم الميثولوجيا ما هو إلا حلقة من حلقات العالم الواقعي، ولو حللناه لوجدنا أنه أيضاً إبداع انساني، وجزء من الانتاج الثقافي والبشري، وبالتالي جزء من تاريخ البشرية، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن ننكر دور وأهمية الأساطير في ربط تلك الصور الخرافية بواقع معين، ومن هنا فإن الإشكالية المحورية للدراسة هي:

هل كان للمرأة المغاربية القديمة دور عسكري في عالم الميثولوجيا فقط، أم أن لها إسقاطاتها في العهود اللاحقة اين لا يصدم الباحث بشح المادة الخيرية؟

أهداف البحث ومنهجيته

تهدف الدراسة إلى تبيان دور المرأة المغاربية القديمة انطلاقاً من أسطورة الأمازוניات نساء شمال إفريقيا القديم المحاربات، ومحاولة إسقاط ذلك الدور في العهود اللاحقة، خاصة وأن المنطقة تعرضت لتدخلات أجنبية عديدة خلال العصور القديمة، ما فرض حتمية الصراع وتصادم المصالح واندلاع الثورات، وقد اعتمدت خلال هذه الدراسة على المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي المناسب لمثل هذه الدراسات.

1. التعريف بالأمازוניات

ورد في الموسوعة العربية أن الأمازוניات (Amazons) هم شعب النساء المحاربات اللواتي كن يرتدين الخوذة، ويتسلحن بالرمح والنبال والفؤوس ذات الحدين، ودروعهن ذات شكل مميز هلالتي تدعى بالإغريقية بيلتا (pelta)، وقد عمدن إلى كي الثدي الأيمن لهن حتى لا ينمو فتُعيّقهن في شد الفؤوس أو رمي الرماح، ومن هنا جاءت تسميتهم بالأمازוניات وتعني منزوعة الثدي¹.

ومن أهم المصادر التي تحدثت عن أسطورة الأمازוניات هو المؤرخ الإغريقي ديودور الصقلي الذي ذكر في كتابه "المكتبة التاريخية" أن الأمازוניات سُمين بهذا الاسم لأنهن كن يعمدن إلى أطفالهن من الإناث فيقمن بتجفيف ثديهن بالكي حتى لا تنموان عندما يصلن سن البلوغ لأنها ستشكل عائقاً لهن في القتال، وهذا هو السبب الذي جعل اليونانيون يطلقون عليهم اسم الأمازוניات²، أما هيرودوت فيذكر أن قبيلة السكيثيين الليبية أطلقوا عليهم اسم "أويرباتا" وتعني قتلة الرجال.

إذاً فالأمازוניات جنس أسطوري لنساء سجلن وقائعهن الحربية مع عدد من القادة الإغريقين، وموطنهم الأصلي كان في أدغال وادي ثرمودون (Thermodon) في سهول تيميسيسير (Thémiscyre)³ على ساحل أيوكسن (Euscine)، وهو البحر الأسود الذي كان مُحرمًا على الرجال دخوله إلا مرة في السنة يسمح فيها بالزيارة قصد الزواج⁴.

ويذكر هيرودوت أنهم لما هُزموا من طرف الإغريق استطاعوا الهروب بعد قتل من أسروهم في عرض البحر، ولقطة معرفتهم بالبحر فان الرياح ساقتهم إلى بلاد السكيثيين وعاشوا بجوارهم وتزوجوا منهم، فلما أراد السكيثيون العودة إلى ذويهم كان رد الأمازוניات "أسلوبنا في الحياة يختلف عنكم، فنحن نركب الخيول والعربات، وعملنا بالقوس

¹ أسامة نوفل، الموسوعة العربية، مج2، متوفر على الرابط: <http://arab-ency.com.sy/artifacts/overview/166060>

² Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, Trad: L'Abbé Terrasson, Libraire Hachette, Paris, liv: III, LIII.

³ Justin, Histoire Universelle, liv: II, II, IV. <http://remacle.org/bloodwolf/historiens/justin/livre1.htm>.

⁴ سمير عطا، أمازونيا والأمازוניات، مجلة الفيصل، الع: 314، 2002، ص52

والرماح، ولا نعرف شيئاً عن أعمال النساء، وليس في بلادكم امرأة ذات دراية بهذه الأمور، فارجعوا إلى ذويكم، وسنعيش نحن حياتنا الخاصة وان شئتم أن تتخذونا زوجات لكم فإن من الأجدر أن نترك هذه الأرض، وبالفعل مضوا حيث أمروهم¹، وقد ظلوا موجودين حتى الغزو الفارسي، وهن أمازونيات أوروبا.

2. أمازونيات شمال إفريقيا

يلمس الباحث في التاريخ القديم أن التواجد الأجنبي والاحتلال في شمال إفريقيا القديم كان مقترن بالأساطير والروايات، فقد امتزجت قصة وصول الإغريق إلى ليبيا بالأساطير، وكذلك كانت قصة التواجد الأول للمرأة الإغريقية على الساحل الليبي مختلط بأسطورة اقتران الإله الإغريقي "أبوللو" بالهورية "كيريني"، التي شاهدها لأول مرة في غابات "تساليا" اليونانية فطار بها إلى ليبيا، حيث تزوجها هناك، وكأنها تقدم مبرراً للاحتلال الإغريقي²، كما كان الوجود القرطاجي بالمنطقة أيضاً ممتزج بروايات وأساطير تأسيس مدينة قرطاجة على يد مؤسسها الأميرة عليسة³.

وقد كان للمرأة المحلية (شمال إفريقيا) أيضاً نصيبها من تلك الأساطير فقد تركت لنا المصادر الكتابية تفاصيل عن وجود شعب في ليبيا تحكمه النساء هم الأمازونيات كما أسلفنا، ويُرجح أنهم أقدم عهد من أمازونيات الإغريق، وقد يكون أصلهم من شمال إفريقيا، وفي هذا الصدد يذكر ديودور الصقلي "أن الأمازونيات كن في بلاد ليبيا في سالف الأيام، وأنهن أقدم عهداً من الأمازونيات اللواتي عشن قرب نهر ثرمودون، وأن الأخيرات كن أكثر شهرة من أمازونيات شمال إفريقيا لما ورثوه عنهم من شهرة وخبرة"⁴.

وإذا سلمنا بصحة هذا الرأي فإن موطن الأمازونيات كان على جزيرة تدعى هيسبيريا (Hesperia) وربما هي مدينة بنغازي اليوم لأنها كانت تقع في الغرب، وبالقرب من سبخة تريتونيس (Tritonis) وهي سبخة السليمان بجوار الأوقيانوس الذي يحيط الأرض، ويسمى عند اليونانيون بجبل أطلس، ويتميز هذا الموطن بأشجار متنوعة ومثمرة كانوا يعتمدون عليها في غذائهم بالإضافة إلى قطعان الأغنام والماشية⁵.

تولى أمازونيات شمال إفريقيا الدفاع عن موطنهم فكن يتصددين للأعداء دون مساعدة من الرجال، كما كن يعتنين بتربية أطفالهن من الإناث ويعلمن ركوب الخيل والصيد واستخدام القوس، وعندما يكبرن يطلبن لأداء الخدمة العسكرية لفترة معينة يتعلمن فيها الفروسية والمبارزة.

عمل الأمازونيات على إقامة دولة خاصة بهن ثم أخذوا يتوسعون على حساب المناطق المجاورة، وقد برزت منهن ملكتان هما الملكة لامبيدو (Lampedo) والملكة مورينا أو ماريسيا (Marpesia)، وقد تكفلت الأولى بالدفاع عن البلاد، بينما الثانية فتكفلت بالحروب الخارجية وتوسيع رقعة الدولة.

¹ هيروdot، تاريخ هيروdot، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبوظبي الامارات، 2001م، ص334

² الصديق بودوارة، المرأة في قورينا وسؤال الهوية، مجلة جامعة ابن رشد في هولندا، الع:8، هولندا، 2013، (ص)، (115، 128)

³ Marcus Justinus, Histoires Philippiques de Trogue Pompée, Trad: Marie Pierre Arnaud-Lindet, liv: XVIII, (p.p)(20.23).

⁴ علي فهي خسيم، نصوص ليبية، تامغناست للنشر، دت، ص119.

⁵ نفسه، ص121.

على هذا الأساس انطلقت مورينا بجيش قوامه ثلاثون ألف من المشاة وثلاثة آلاف من الفرسان، فبدأت بإخضاع القبائل الليبية المجاورة وقبائل البدو الرحل، وشيدت مملكة عظيمة هناك هي مملكة خرونيوسوس¹ وتعني شبه الجزيرة.

وقد استطاعت الأمازוניات تسجيل عدة انتصارات في حروبهن تلك فهزمن بلاد الأطلنطين (كيريني أوقورينة)، فقتلن رجالها وأخذن نساءهم وأطفالهم كأسرى ودمروها بالكامل²، كما احتلوا جزءاً كبيراً من آسيا مثل سوريا والقيليقيون (Cliciens) -وهم سكان جنوب آسيا الصغرى قرب جبال طوروس - وعينت الملكة على رأس كل مدينة سيطرت عليها واحدة من جندياتها الماهرات مثل: كومي (Cyme)، وهي الآن اسم لمدينة في أبونيا، وبيتانا (Pitane) وهو اليوم اسم لميناء على الساحل الغربي من موسيا، وبريني (Priene) وهي مدينة بأبونيا إلى اليوم.

كما استولت الأمازוניات على بعض الجزر مثل جزيرة ليسبوس (Lisbos) بغرب آسيا الصغرى، وأنشأن بها مدينة حملت اسم ميتولين، وهي أختها التي قادت تلك الحملة³. وما كاد ينتهي القرن الخامس قبل الميلاد حتى أصبح البحر الأسود يسمى ببحر الأمازون⁴.

يذكر ديودور الصقلي أن الملكة مورينا كانت تعقد المعاهدات مع رؤساء القبائل والبلدان أيضاً حتى بلغت شهرتها الأفاق ووصل إلى مسامع هرقل، الذي أرسل لها جيشاً قوامه تسعة سفن يركبها نخبة من محاربيه لإلقاء القبض على الملكة مورينا الليبية التي لا تقهر، فواجهتهم بمدینتها الملكة أورتي (Orithye) وشقيقتها أنتيوب (Antiope)، ولسوء الحظ لم يكن معهما بالمدينة سوى جنديات صغيرات، لأن الملكة مورينا كانت منشغلة حينها بالحروب الخارجية، فوقع أورتي وشقيقتها في الأسر وتم التخلص من الكثير من الجنديات اللواتي كن معهما.

لما سمعت مورينا بخبر الهزيمة تلك وهي بعيدة عن إمبراطورتها طلبت المساعدة من ساغيلوس ملك سيكتيا لكن محاولة التحالف تلك فشلت من بدايتها، وبذلك عادت إلى مملكتها واكتفت بصد الهجمات التي تعرضت لها من طرف أعدائها، وظلت كذلك حتى زمن الإسكندر الأكبر أين ماتت ومات معها اسم الأمازוניات والإمبراطورية الأمازونية التي أسستها⁵.

في أقصى غرب بلاد ليبيا، وبالقرب من الحداثق المحاذية لجبل الأطلنيس كان يعيش شعب آخر لا يختلف في نمط حياته عن الأمازونات يسمون بالغرغونات (Les Gorgonnes)، غير أن الإشارة إليهن في المصادر التاريخية كانت قليلة، وقد اشتهر هؤلاء النسوة أيضاً بشجاعتهم وبسالتهن، إذ اشتهرن بقصة صراعهن مع برسي أحد الوجوه البطولية المؤلمة عند الإغريق.

¹ هي رأس الطين اليوم بليبيا بجليج بومبة والتي كان ينوا فيها نبات السلفيوم الذي انقرض. أنظر: عبد المنعم المحجوبي، معجم تانيت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص 128.

² Diodore de Sicile, op.cit, liv: III, LIV.

³ Justin, op.cit, liv: II, IV., liv: III, XXXVIII

⁴ سميح عطا، المرجع السابق، ص 52.

⁵ Justin, op.cit, liv: II, IV

دخل الغرغونات في صراع مع جيرانهم ومنهم الأمازونيّات اللواتي انتصرن عليهن فآخذن الغرغونات كأسيرات، وتذكر الروايات أن أولئك الأسيرات استغلين إهمال الأمازونيّات لحراستهن في الليل فرفعن سيوفهن وانقضضن عليهن، غير أنهن لم ينجحن في محاولتهن تلك فأمرت الملكة الأمازونية جُندها بذبح الغرغونات، وكرمت البطلات اللواتي كن سبباً في تحقيق ذلك الانتصار، ولا زالت تلك المناطق إلى اليوم تعرف بروابي الأمازونات، وشن عليهم برسيوس وابن زيوس الأعظم حروباً عديدة في عهد الملكة الغرغونية (ميدوسا)، وكانت نهايتهن على يد هرقل¹.

رغم أن قصة الأمازونيّات والغرغونات ترتبط في النصوص التاريخية بعالم الميثولوجيا إلا أننا نعثّر على نصوص تاريخية تسرد هي الأخرى معارف لها صلة بتلك الأساطير ومنها وثيقة (ديرل بيرك التي تعود إلى العصر الوسيط الأعلى، والتي تحدثت عن رحلة قام بها أميرال قرطاجي يدعى حانون على السواحل الغربية أين اكتشف جزيرة بها نساء يسمون ب(الكوريلات أو كوركون)، وأن حانون قام بسلب جلد امرأتين وأخذهما معه إلى معبد جينا بقرطاجة حتى تكون شاهدة على صدق معلوماته حول غرب ليبيا.

وفي ذات السياق يشير بلين الكبير إلى وجود الكركونات في القرن الغربي المواجه لجزر الكناري²، وفي القرن 11 ق.م قام المغامر أودكس دوسينزكس بالسواحل المغربية الأطلسية بالجنوب فأعلن عن وجود جزيرة يقطنها النسوة ويلدن دون حاجة للرجال³!!!

والغريب في الأمر أن نجد لهذه الروايات ذكر في المصادر العربية والإسلامية، فالمسعودي في كتابه الاستبصار في عجائب الأمصار أشار إلى وجود جزيرة في المحيط الأطلسي يسكنها النساء اللواتي يلدن دون حاجة للذكور، وتحدث الإدريسي عن جزيرة السعالي وبها خلق من النساء كثير لهم أنياب وعيونهم زرق وسيقاتهم مثل الخشب المحترق ويتكلمون كلام غير مفهوم⁴.

وما يدعو للريبة أكثر هو أن نجد تطابق بين ما ورد في تلك الأسطورة والحقيقة التاريخية المثبتة بالمصادر الكتابية والمادية، فمثلاً أثناء سرد الوسائل الحربية ذكر في الأسطورة أن الأمازونيّات كن يستعملن في حروبهن الدروع المصنوعة من جلود الأفاعي الضخمة التي كانت منتشرة بكثرة في بلاد ليبيا، وفي هذا الصدد ننقل رواية هيرودوت في كتابه التواريخ "أن الأفاعي الضخمة توجد في ليبيا التي تقع غرب نهر تريتون في ليبيا"، وديودور الصقلي الذي يورد أنها كانت متنوعة ومختلفة الأحجام، وأنها كانت سبباً في خراب جزء كبير من إقليم مصر الذي يجاور الليبيين في الجنوب.

وكان أفراد قبيلة المارماريدي الليبية بارعين في ترويض الثعابين، ومن استخداماتها في الحروب يُذكر أن حنبعل كان قد حمل معه في حروبه جرار مليئة بالثعابين لقصف الأساطيل البحرية، وربما خصص لذلك أشخاص ليبيين لخبرتهم في التعامل معها واساليب حياتها للبقاء على قيد الحياة لفترة طويلة واستعمالها وقت الحاجة⁵.

¹ علي فهد خشم، نصوص ليبية، المرجع السابق، ص 125.

² عبد المنعم المحجوب، رحلة حنون والطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل، مجلة لسان العرب، دار تانيت للنشر والدراسات، 2016م، ص 56.

³ أحمد سراج، صورة المرأة في الأسطورة القديمة، مجلة أمل، الع: 13-14، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، جوان 1998، ص 22.

⁴ نفسه، ص 22.

⁵ الناجي منصور الحربي، الليبيون في جيش قرطاجة، مجلس الثقافة العام، ليبيا، 2005م، ص 163.

كما تذكر الرواية أن الأمازוניات كن يفضلن استعمال الجياد في الحروب، واستعمال الرماح كسلاح من أسلحة الهجوم، وهذا ما أثبتته المصادر الأثرية والنصوص التاريخية التي أشارت إلى شغف الليبيين بركوب الخيل والفروسية واستعمال الرماح في الحروب.

الحقيقة أن تاريخ شمال إفريقيا الحربي بشكل عام ارتبط بأساطير الربات المحاربات، فقد كان الليبيون يرسمون فوق ذراعهم وشماً للربة المحاربة تانيت التي ذكرها هيرودوت باسم أثينا التي لعبت دور الوسيط بين المحاربين وبين الآلهة، كما تذكر الأساطير أن الربة فينوس (آلهة الحب) هي التي اضعفت المقاومة القرطاجية، ودفعت بالجنود نحو الهزيمة النكراء إبان حروبها الطاحنة مع روما الصاعدة في حوض المتوسط.

ومن الآثار المادية ما يثبت فعلاً علاقة الربات بالحروب التي كانت شمال إفريقيا مسرحاً لها، فقد عثر بموقع مكثرتونس على تمثال من الطين لربة الحرب تغطي رأسها بخوذة حربية كحامية للمدينة ومحاربة في نفس الوقت¹.

ونقرأ في المصادر الأدبية أن نساء قبائل الزويس الليبية كن يقدن العربات في الحروب، وامتنطى الموريات الجياد صحبة أزواجهن، كما تكفلن إبان الحروب البيزنطية في القرن 6م بواجبات جمّة في ساحة الحرب كنصب الخيام وتضميد الجرحى ومساعدة الجنود، وإعداد الطعام، وتكفلت الاثيوبيات بحمل السلاح عوض الرجل في فترات معينة من السنة.

ومن مظاهر تدخل النساء في السياسة نجد الأميرة صفونيزب زوجة سيفاكس التي كان لها تأثير على القرارات السياسية لزوجها، بل ويرى البعض أنها رافقته في ساحة الحرب²، ووالدة ماسينيسا التي كانت تتدخل في تسيير أمور المملكة النوميديّة، ونفس الشيء ينطبق على الملكة كليوباترا سلمي مع زوجها يوبا الثاني.

كان النسوة ضمن الاستراتيجيات والخطط العسكرية والسياسية أيضاً، فارتباط ابنة القائد هملكار بالجنرال القرطاجي أسدربعل نتج عنه توطد العلاقات بين الرجلين، وبالتالي ضمان ولائه، كما كانت المصاهرات السياسية قائمة بين الأسر النوميديّة والأسر الاستقرطاجية، فقد تزوجت ابنة القائد هملكار بنافاروس (Navaros) إبان حرب المرتزقة، كما تزوج أوزالكس (Oezalces) عم ماسينيسا من ابنة أخت القائد العسكري حنبعل.

وضربت زوجة أسدربعل (Hasadrabaal) مثلاً في التضحية والتفاني وقوة الشخصية في خضم الحروب الرومانية القرطاجية الأخيرة بأن تحصنت في معبد الإله أسكولاب في قرطاج، وحتى عندما القي عليها القبض رفضت الإهانة وفضلت الموت بكرامة بأن رمت بنفسها مع طفلها في النار³.

وفي المجال العسكري نسجل الملكة أسبوني القورينية الليبية التي شاركت في الحروب البونية ضد روما إلى جانب القرطاجيين، وكيريا اخت فيرموس التي تمكنت من تجنيد الحلفاء لإعانة أخيها في حربه ضد روما⁴، والملكة دهميا الكاهنة التي كانت زعيمة قبيلتها، إذ ذكر صاحب البيان المغرب أن حسان بن النعمان لما دخل القيروان سأل أهلها

¹ نضار الأندلسي، شخصيات من نساء شمال إفريقيا القديم، ط1، مطبعة الخليج العربي، المغرب، 2013، ص33.

² خديجة منصوري، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال الآثار المادية والمصادر الأدبية، الع:25، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2008، ص277.

³ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص50.

⁴ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص270.

عمن بقي من أعظم ملوك إفريقية ليسير إليها فيبيده فدلوه على امرأة بجبل تدعى الكاهنة، وأن جميع من بإفريقية من الروم منها خائفون وجميع البربر لها مطيعون، وقد كان قتالها مع حسان بن النعمان عويصاً ولم يسمع بمثله، وأنها سجلت عليه انتصارات عديدة فأسرت من جيشه ثمانون ألف رجل من أعيان الصحابة¹.

فقصة الكاهنة تبين لنا أنها كانت ملكة، وفي الوقت نفسه تخطط للمعارك وتنفذ الاستراتيجيات وتتولى القيادة العسكرية وتحمل مصاريف الحرب، وبالتالي فقد أعادت الكاهنة من خلال أعمالها هذه مجدداً غابراً للمرأة الليبية التي وثقتها المصادر الأدبية.

ومن النساء أيضاً نجد تينينان الملكة البربرية التي يرجع إليها أصل الطوارق، وقد اقترن ذكرها بأسطورة مميزة حيث خرجت هذه الأميرة من تافلايت بالمغرب واتجهت شرقاً حتى وصلت إلى منطقة الهقار، وبها مكان يسمى ابالسة الذي اختارته كمكان لاستقرارها مع قومها، فتزوجت هي وخدامتها تاكمت وانجبت الأولى بنت سميت كيلة ومنها انحدرت قبيلة كيل ريلة وانجبت الثانية صبيتين انحدرت منهما القبيلتين التابعتين لكيل ريلة وهي قبيلتا داق والي وآيت لوايين.

ورغم عدم توفر الأدلة الأثرية على صدق هذه الرواية إلا أن الإيمان بوجود واستقرار هذه الأميرة حقيقي، فقد عثر الآثاريون على قبر هذه الأميرة إلى جانب إحدى عشر قبراً من قومها، كما وجد بداخل قبرها بالإضافة إلى هيكلها العظمي مجموعة من أدوات الزينة التي كانت تتحلى بها ونساء قبيلتها من أساور ومناجد ذهبية وفضية وعقيق².

خاتمة

من خلال ورقتنا البحثية التي تمحورت حول موضوع الأمازونيات بين الأسطورة والواقع استنتجنا:

- 1- على الرغم من ارتباط الدور العسكري للمرأة المغربية في العصور القديمة بالأمازونيات والغرغونات المرتبط أكثر بعالم الميثولوجيا، إلا أن المتتبع لنشاط المرأة على مر العصور القديمة يدرك أن ما نسجته تلك الأساطير القديمة لم يكن خيلاً فحسب إذ يسجل الباحث حضوراً للمرأة المغربية القديمة في الفترة القرطاجية والرومانية والبيزنطية فكانت الملكة والمستشارة الرئيسية للملك والقائدة العسكرية والمساعدة العسكرية
- 2- إن الكتابة حول موضوع المرأة المغربية القديمة تعتبر مجالاً خصباً للبحث من حيث الجدة والتميز، وكتابة التاريخ من زاوية جديدة تجعل من المرأة عنصر رئيسي وليس ثانوي كما جرت العادة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- 1.Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique , Trad:L'Abbé Terrasson, Libraire Hachette, Paris, liv: III, LIII.
2. Justin,Histoire Universelle,liv:II,II,IV,
<http://remacle.org/bloodwolf/historiens/justin/livre1.htm>
- 3.Marcus Justinus, Histoires Philippiques de Trogue Pompée, Trad:Marie Pierre Arnaud-Lindet, liv:XVIII.
- 4.هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح ، المجمع الثقافي، أبوظبي الامارات ، 2001م.

¹المراكشي ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار المغرب، ج1، ليدن، مطبعة بريل، 1818، ص30

²خديجة منصوري، المرجع السابق، (ص، ص) (275،276).

5. المراكشي ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، ج1، ليدن ، مطبعة بريل، 1818م

ثانياً: المراجع

الكتب:

- 1- عبد المنعم المحجوب، رحلة حنون والطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل، مجلة لسان العرب، دار تانيت للنشر والدراسات، 2016م.
- 2- عبد المنعم المحجوبي، معجم تانيت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.
- 3- الناجي منصور الحربي، الليبيون في جيش قرطاج، مجلس الثقافة العام، ليبيا، 2005م.

المقالات:

- 1- أحمد سراج، صورة المرأة في الأسطورة القديمة، مجلة أمل، الع:13-14، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، جوان 1998.
- 2- أسامة نوفل، الموسوعة العربية، مج2، متوفر على الرابط:
<http://arabency.com.sy/artifacts/overview/166060>
- 3- خديجة منصوري ، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال الآثار المادية والمصادر الأدبية ، الع:25، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة ، 2008م.
- 4- سمير عطا، أمازونيا والأمازونيات ، مجلة الفيصل ، الع:314، المملكة العربية السعودية، 2002م.
- 5- الصديق بودوارة ، المرأة في قورينا وسؤال الهوية ، مجلة جامعة ابن رشد في هولندا، الع:8، هولندا، 2013.

البيئة وإشكالية الضغط السكاني بالناظور

محمد الحسني، صليحة رشيد، الزفري طارق

مختبر: دينامية الأوساط الجافة، الإعداد والتنمية الجهوية، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة-المغرب

Medelhassani.geo@gmail.com; Saliharachid20@gmail.com;
zoufri.tarek1990@gmail.com

ملخص

تتوفر مدينة الناظور على مقومات طبيعية واقتصادية مهمة، جعلت منها مركزا لجذب السكان، فالمجال الحضري شهد نموا سريعا ارتبط بعوامل مختلفة، من نمو ديمغرافي وهجرة، غير ان هذا النمو لم يكن مؤطرا بوثائق التعمير التي لم تأت إلا في مرحلة متأخرة، فاتخذ التوسع العمراني طابعا عشوائيا كانت له انعكاسات وخيمة على مختلف الأصعدة، خاصة تدهور البيئة الحضرية جراء استهلاك المجالات الخضراء والإكراهات المرتبطة بجمع النفايات الصلبة وتصريف المياه العادمة ومعالجتها.

تم الاعتماد في هذا البحث بداية على العمل البيبليوغرافي والاطلاع على الكتابات السابقة حول الموضوع، ثم العمل الميداني وتجميع المعطيات قصد التصنيف والتحليل في أفق استخلاص مواصفات الظاهرة واستجلاء الأسباب الكامنة وراءها والخروج باستنتاجات، كما تم الاعتماد على العمل الخرائطي باعتباره وسيلة أساسية من وسائل التعبير الجغرافي.

من أهم النتائج التي تم التوصل إليها في هذا البحث أن الدولة والفاعلين قاموا بمجهودات كبيرة من أجل حماية البيئة الحضرية لمدينة الناظور سواء من خلال مشروع تدبير النفايات المنزلية الصلبة حيث تمت إقامة مطرح ولاد ستوت الذي تبين لاحقا أن موقعه غير ملائم، فضلا عن النقص الذي يشوب عمليات تصنيف وطمر النفايات به، أما بخصوص تدبير المياه العادمة، ورغم الشوط الكبير الذي عبره هذا القطاع فإنه ما يزال دون تطلعات الساكنة.

في الأخير، يفرض علينا الحديث عن البيئة طرح تساؤلات حول الرهانات البيئية التي تفرضها المشاريع الجديدة ببحيرة مارشيكا، وغيرها من المشاريع الضخمة المبرمجة بالمجال، خاصة على مستوى الأمن المائي وتأثيرها على المساحات الخضراء والغطاء النباتي بمدينة الناظور.

الكلمات المفتاحية: البيئة الحضرية، التوسع العمراني، النفايات الصلبة، مطرح عمومي، مدينة الناظور.

The environment and the problem of demographic pressure in Nador

Abstract

The city of Nador has important natural and economic components, which have made it a pole of attraction for the inhabitants, the urban area has experienced rapid growth linked to various factors, such as population growth and migration.

However, this growth was not framed by the construction documents which came late, the urban expansion therefore took on a random character, it had severe repercussions at different levels, in particular the degradation of the urban environment due to the consumption of green spaces and the constraints related to the collection of solid waste, the evacuation and treatment of wastewater.

In this research, we relied initially on the bibliographic work and reviewing previous writings on the subject, then field work and data collection in order to classify and analyze in the horizon of extracting the specifications of the phenomenon and clarifying the reasons behind it and drawing conclusions, as it was relied on cartographic work as a basic means of geographical expression.

One of the most important results that has been achieved in this research is that the State and through the project of management of household solid waste, where the ‘ ‘Oueld Stout’’ landfill was located, which later proved to be inappropriate, in addition to the shortage of waste classification and landfilling operations As for waste water management, despite the great boom experienced by this sector, it still remains below the aspirations of the population.

Finally, talking about the environment makes it necessary to question the environmental issues imposed by the new projects at Lake ‘Marchica’, and other large-scale projects planned in the field, in particular on the level of water security and its impact on the spaces greenery and plant cover in the city of Nador.

Keywords: Urban environment, urbanization, solid waste, public dumping, Nador city

مقدمة

إن تفاعل الإنسان مع بيئته، قديم منذ ظهور الإنسان على وجه الكرة الأرضية، إلا أن هذا التفاعل أصبح يهددها ويعرضها للخطر نتيجة تدمير البيئة وأنظمتها، فوتيرة التفاعل السلبي تزداد حدته مع تزايدده على سطحها من جهة، وتطور أنشطته التي أصبحت أكثر فتكا مما كانت عليه من قبل من جهة ثانية، فالبديهي أنه كلما تزايد سكان المعمور كلما ارتفعت معه في المقابل حاجياته ومتطلباته على الموارد البيئية، وهو ما يولد ضغطا كبيرا على كل ما تتيحه الطبيعة غير آبه مما قد يسببه من ضرر آني أو مستقبلي يكون سببا في ظهور أزمات يصعب حلها أو تكلفه خسائر مادية وبشرية لا يمكن حصرها، فمن خلال ما نعاينه من مشاهد وتدخلات الإنسان في المجال الذي يستوطنه، نلاحظ بشكل جلي مدى الأثر المستمر الذي يحدثه لخلخلة النظم الإيكولوجية، سواء على الصعيد الدولي أو الوطني والمحلي، وأبرز تجليات هذا الأثر التوسع العمراني، الذي غزا وبشكل مستمر كوكب الأرض ماسحا معه المعالم الجغرافية الطبيعية، سواء المشاهد النباتية أو الطبغرافية، والهيدرولوجية والجيومورفولوجية...، ما نتج عنه ظهور مشاكل عديدة أضحت تشكل خطرا على الإنسان، الذي انتقل من حالة الهجوم على البيئة إلى حالة الدفاع عنها وعن بقائه، معلنا السلم والتساكن معا جنبا إلى جنب، وهذا ما تؤكد القوانين البيئية التي تم إصدارها، وكذا التظاهرات والمحافل البيئية الدولية والوطنية، فالمغرب كباقي الدول تعترضه العديد من المشكلات البيئية، من قبيل التلوث بمختلف أنواعه، والكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل، والحرائق والجفاف... الخ، وذلك في مختلف ربوع جهاته، كالجبهة الشرقية التي لا تخلو من ما تم ذكره، وعلى سبيل المثال لا الحصر إقليم الناظور، وبالضبط داخل الجماعة الحضرية للناظور التي تتميز بتنوع مقوماتها الطبيعية والاقتصادية والبشرية، كما تضم تراثا ثقافيا وتاريخيا، ومواقع

ذات أهمية بيولوجية وأركيولوجية، ويتعايش هذا التراث الطبيعي مع الأنشطة البشرية والاقتصادية الحديثة، التي تفضل الاستقرار على الساحل (الموانئ، الصناعات، المنشآت التجارية والسياحية والترفيهية والثقافية ...) ورافق ذلك تركيزات سكانية حضرية وقروية وأنشطة خدمتية مختلفة، وقد خضع هذا المجال منذ بداية القرن العشرين لتحولات عميقة، ارتبطت بظاهرة استقطاب الأنشطة الاقتصادية السابقة الذكر، رافقتها هجرة واسعة نتيجة التفاوتات المجالية، استقرت أساسا على خط الساحل، مما انعكس سلبا على التوازنات الطبيعية الهشة في المنظومة البيئية التابعة لمجال الناظور، وأدى إلى بروز مظاهر التدهور بفعل حدة الاستغلال من جهة، وضعف الحماية القانونية في المجال الساحلي من جهة ثانية، بعدما أطلق المغرب نموذج التنمية الجديد على أساس قاعدة استشارات وإنصات واسع مما مكن من نهج مقاربات متجددة وملائمة قضايا متعددة اقتصادية واجتماعية ومؤسسية مع تميز الورش بتحديد الفاعلين وتقوية أدوارهم.

وفي هذا الصدد سنحاول دراسة المشاكل البيئية المطروحة بالمدينة والمشاريع والإجراءات المتخذة لتدارك ما تم إحداثه في حق البيئة واستدامة التنمية بالناظور؟

مما لا شك فيه أن الدينامية السوسيو-مجالية والسوسيو-اقتصادية التي شهدتها مدينة الناظور منذ بداية القرن العشرين كان لها تأثير كبير على رسم مشهدها الحضري بمختلف أبعاده الاقتصادية والاجتماعية والبيئية...، ويتسم هذا المشهد بضعف التوافق الاجتماعي البيئي والعدالة الاجتماعية-الاقتصادية، واستدامة موارده الطبيعية، مما جعلها تعاني من اختلالات مجالية ومشهد حضري يطغى عليه التشوه وغياب الانسجام والترابط والجمالية والتنظيم، فنتيجة ما شهدته من دينامية عمرانية عشوائية وهيئة بعيدة كل البعد عن التخطيط الجيد والفهم الصائب لخصوصيات المجال كان سببا في جعل المدينة تعيش واقعا كارثيا بمختلف مقاييسه.

إن هذا الوضع الكارثي احتاج ويحتاج إلى تدخلات استعجالية من طرف جهات مختلفة لإصلاح وترميم ما يمكن ترميمه، لذلك تعرف المدينة مجموعة من المشاريع تهدف إلى إعادة هيكلة المدينة وتنميتها وإخراجها من مستنقع التدهور البيئي.

1. جاذبية مدينة الناظور، ودورها في تهديد المناطق ذات الأهمية الإيكولوجية

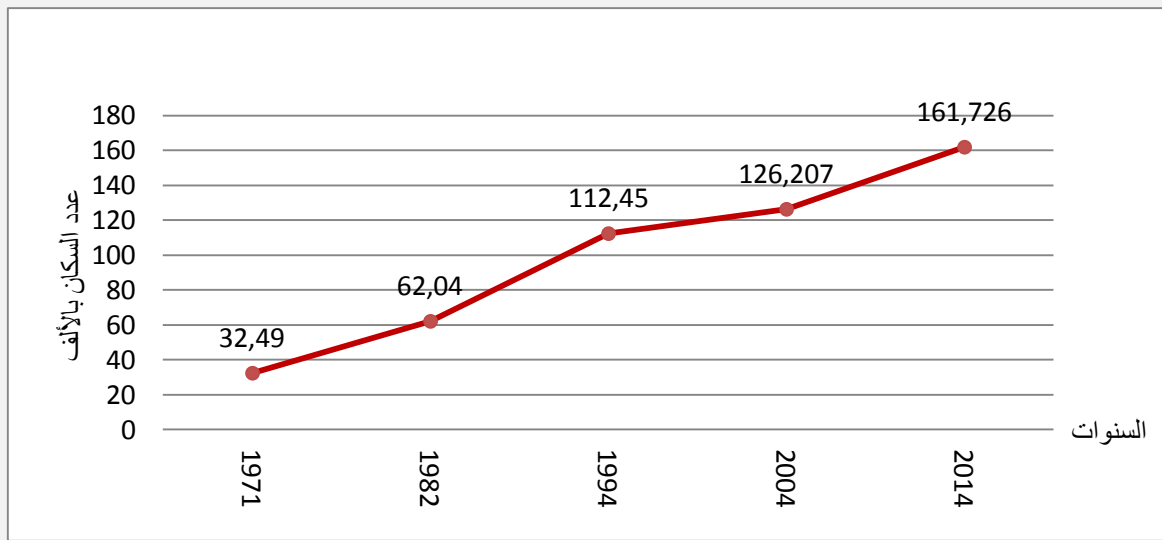
لعب الموقع دورا مهما في توسع مدينة الناظور التي تقع على بعد 140 كلم من مدينة وجدة، و130 كلم من مدينة الحسيمة. و25 كلم من مطار العروي و8 كلم من ميناء بني أنصار، بفضل موقعها الاستراتيجي الطبيعي المنفتح والمطل على سبخة بوعرك (بحيرة مارشيك)، ووجودها في قدم جبال كوروكو، جعلها موقعا إيكولوجيا خصبا واقتصاديا متنوعا. ولعل تنوع هذه المقومات الطبيعية والاقتصادية يجعل منها قبلة لاستقطاب العديد من السكان والأنشطة الاقتصادية.

وإذا كان التمدن عبارة عن عملية تركيز سكاني يتم إما بزيادة عدد أماكن التجمع أو بنمو التجمعات السكانية، فقد شهدت مدينة الناظور تزايدا سكانية منذ سنة 1930، فخلال الإحصاء العام للسكن والسكنى لسنة 2004 بلغ

عدد سكان مدينة الناظور 124915 نسمة ويشكلون 26961 وحدة سكانية، ويتوزع هذا العدد ما بين 50.5% من النساء و49.5% من الذكور، بينما سجل الإحصاء العام لسنة 1994 حوالي 112450 نسمة¹.

قدّرت ساكنة الناظور في الثلاثينات من القرن 20 م، بحوالي 4000 نسمة، وفي سنة 1948 ناهز العدد 24000 نسمة، ويعزى هذا التزايد السكاني إلى الهجرة القروية من القبائل المجاورة (مزوجة وبويفرور) من أجل ممارسة أنشطة مرتبطة بالتجارة.

تشير الإحصائيات الرسمية التي أجريت منذ 1971م إلى أن الساكنة الناظورية في نمو إيجابي مستمر، حيث يقدر عددهم 161726 نسمة حسب إحصاء سنة 2014م، وهذه الزيادة تمت بوتيرة ايجابية متباينة من فترة لأخرى.



المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى

مبيان رقم 1: يمثل التطور السكاني لمدينة الناظور ما بين 1971 – 2014م

يتضح من خلال المبيان رقم 1 أن الساكنة عرفت نموا سكانيًا متصاعداً من 1971م إلى 2014م، حيث انتقل عدد الساكنة من 32.49 ألف نسمة إلى 126.207 ألف نسمة، بزيادة بلغت 93717 نسمة بمعدل نمو 2.4 %، لكن يلاحظ أن وتيرة تزايد الساكنة تتباين من فترة إلى أخرى.

وتعتبر الهجرة القروية من بين العوامل الرئيسية لظاهرة التمدن في العالم بصفة عامة والمغرب بصفة خاصة، حيث عرفت نسبة التمدن تطوراً إيجابياً مستمراً منذ أول إحصاء تقوم به البلاد سنة 1960م، حيث انتقلت النسبة من 29.15 في المائة إلى أكثر من 65 في المائة سنة 2014م، فمدينة الناظور لم تخرج عن هذا السياق، فهي بدورها ظلت ومازالت تستقطب عدد مهم من الساكنة القروية التي أحدثت انفجاراً ديموغرافياً ساهم في امتداد المجال الجغرافي للمدينة وتوسعها وتضخم مجالها الحضري وتفاقم مشاكلها، وتعزى الهجرة القروية إلى عدة أسباب لا يمكن حصرها، لأنها تشكل خيوطاً معقدة أو تمثل جميع عوامل التحولات الاقتصادية والاجتماعية².

¹ - الإحصاء العام للسكان والسكنى 1994

² JEAN Pitie (1979). Exode rural : que sais-je? p:40.

وتتميز المناطق المجاورة لمدينة الناظور بظروف تضاريسية غير ملائمة تتمثل في وجود أراض جبلية وعرة غير صالحة للزراعة إذا ما استثنينا سهل بوعرك، وأمام هذه الظروف تبقى الهجرة أحسن وسيلة للبحث عن مورد دخل جديد قد يساهم في تحسين الوضعية الاجتماعية، كما أن الأراضي المستغلة لا تستجيب لطموحات السكان، هذا بالإضافة إلى كون عمليات استصلاحها تتطلب نفقات باهظة تفوق المستوى المادي للسكان، لهذا يبقى النشاط الزراعي جد محدود والنشاط الرعوي والصيد البحري هو السائد.

أضف إلى ذلك ما عرفته المنطقة من نكبات حيث استمالت مدينة الناظور سكان البوادي عقب مجاعة 1945، ذلك أن 22% من السكان استقروا بالمدينة بين 1931 و1956 وأن 78.8% من هؤلاء التحقوا بها بين 1945 و1956 م.¹

يتضح من خلال ما سبق أن البادية بإقليم الناظور تعتبر مناطق الطرد مما يخلق تفاوتات مجالية، وهذا راجع بالأساس إلى عدم وجود نشاطات اقتصادية محلية بالقرى لتثبيت السكان والتي من شأنها التخفيف من وتيرة البطالة ومن ثم ارتفاع نسبة العاطلين بهذه المناطق.

وأمام ارتفاع نسبة الكثافة السكانية وما يصاحبها من ضغط على السكن أصبحت مدينة الناظور تعرف خصاصا كبيرا في الوعاء العقاري المخصص للسكن، بحيث يلاحظ من خلال الصور الجوية والزيارات الميدانية أن المساحات الفارغة أصبحت جد محدودة، وهو ما يؤكد أيضا المد العمراني في المجالات الهامشية للمدينة الذي يكون أحيانا على حساب مساحات زراعية خصبة (حي عريض مثلا)، كما أن التوسع أصبح يشكل سلسلة متصلة ما بين الجماعات لا تفصلها إلا الحدود الإدارية، (امتداد السكن من النواة الأولى للناظور إلى غاية بلدية أرغنغان بدون انقطاع على مسافة تزيد عن أكثر من 7 كلم).

إن الإشكال العقاري المطروح، يرجع بالأساس إلى خصوصية الموضع الذي تتخذة المدينة، إذ أنها توجد بين مناطق حيوية إيكولوجية وبيولوجية، جبال كوروكو ومجاله الغابوي المحمي بمقتضى ظهير 1917 المعدل بمقتضى ظهير 1953 وقانون 90.56 الصادر بتنفيذه الظهير الشريف 194.90.1، ثم البحيرة وشريطها الساحلي المحمي بمقتضى اتفاقية رامسار والقوانين الوطنية كقانون الساحل، وسهل بوعرك أيضا المحمي بمقتضى قانون التعمير 90-12، وكنيجة لما سلف ذكره، وكذا التساهل من قبل السلطات المحلية تجاه البناء العشوائي وأحيانا بتزكية منها، ظهرت بالمدينة مجموعة من الخروقات التي راحت ضحيتها مساحات زراعية وغابوية جد مهمة.

2. تصاميم التهيئة بين ضعف التصور وصعوبة التنزيل على أرض الواقع

يشكل تصميم التهيئة، من حيث المبدأ، وسيلة فعالة لحماية البيئة نظرا لارتكازه على تقنية التنطيق القائم على أساس تقسيم المناطق حسب وظائف معينة بهدف ضمان توزيع أمثل لمختلف أوجه الاستعمالات على السطح، وضبط دينامية النمو العمراني العشوائي، ومواجهة الأنشطة الصناعية المضرة بالبيئة.

¹ - علال زروالي (2001) التحولات الريفية والتمدن في الريف الشرقي، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، الجزء 1 و2. جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، ص: 544.

تتجلى القيمة البيئية لهذه الوثيقة حسب المادة 19 من قانون التعمير 12-90 المتعلق بالتعمير في ارتباطها بالبعد البيئي من خلال التنصيص على إحداث المساحات الخضراء العامة وتحديد حدود الغابات والأراضي الزراعية والاعتناء بالأحياء والآثار والمواقع التاريخية أو الأثرية والمناطق الطبيعية كالمناطق الخضراء العامة أو الخاصة الواجب حمايتها أو إبراز قيمتها لأغراض جمالية أو تاريخية أو ثقافية مع فرض إحداث ارتفاعات لهذا الغرض. ويبقى المشكل المطروح بخصوص تصاميم التهيئة متمثلاً في غياب البعد الإلزامي لحماية البيئة وإعطاء أولوية لتشخيص الوضعية على حساب الحلول والمقترحات.

كما تعززت هذه الوثيقة بالقوانين التي توطر المسألة البيئية بصورة مباشرة، فعند إعدادها لابد من مراعاة النصوص التشريعية الرامية لحماية البيئة: كقانون الساحل الذي يفرض مسافة 100 متر كنطاق فاصل بين المنشآت السياحية وأقصى نقطة المد البحري¹، ثم قانون 11.03 المتعلق باستصلاح البيئة حيث جاء في المادة الخامسة منه: " تأخذ وثائق التعمير بعين الاعتبار متطلبات حماية البيئة ..."، وما تضمنه قانون رقم 13.03 بشأن مكافحة تلوث الهواء في مادته الخامسة التي ورد فيها: " تراعي حين وضع وثائق إعداد التراب الوطني والتعمير متطلبات حماية الهواء من التلوث ..."، إضافة إلى قانون 12.03 بشأن دراسة التأثير على البيئة باعتبارها دراسة قبلية تمكن من تقييم الآثار المباشرة وغير المباشرة التي يمكن أن تلحق البيئة على الأمد القصير والمتوسط والبعيد².

من خلال دراستنا لتصاميم التهيئة التي عرفتها مدينة الناظور وأجرائها على أرض الواقع، يتضح أنها كانت أداة عقيمة من الناحية العملية، بل يمكن اعتبارها وسيلة لتدمير المجال وخلخلة توازنه، خاصة عندما تترك فراغا قانونيا تغيب فيه روح مسؤولية الفاعلين المحليين بالالتزام بالنصوص القانونية الخاصة بالفترة التي لا يوجد فيها التصميم (تجدد الإشارة أنه سجل خرق مقتضيات التصميم حتى في حالة وجوده كما سبقت الإشارة إلى ذلك)، فالمسطرة التي تسلكها وثائق التعمير معقدة وطويلة، وطابعها غير الإلزامي يفقدها فعاليتها، حيث يستغلها بعض الممثلين ويوجهها لخدمة مصالحهم الذاتية عوض العامة، ثم إن تصميم التهيئة يجب أن يكون برؤية مستقبلية على المدى الطويل، ويجب أن يشمل الجماعات الأخرى، ولا يقتصر على مدينة الناظور فقط، بل لا بد أن يأخذ التصميم في اعتباره الجماعات المجاورة لجماعة الناظور بحكم أن المجال يمتد خارج الحدود الإدارية وأنه يشتغل وفق منظومة بيئية متصلة ومتوازنة، وبالتالي لا يمكن أن ندبر المجال تديرا جزئيا وإنما يتطلب نظرة متكاملة ومنسجمة وتديرا كليا.

فانطلاقا من التصاميم التي عرفتها مدينة الناظور والتي في مجملها لم يتم احترام مضامينها، يمكن أن نلمس حجم الاختلالات البيئية التي تعيشها المدينة، والتي استعصى على مختلف المسؤولين تجاوزها بسهولة، كما سيتبين من خلال التدابير المتخذة لهيكل المدينة وتحقيق التنمية المستدامة.

3. مشروع تدير النفایات المنزلية الصلبة والمماثلة لها بمدينة الناظور

عرفت مدينة الناظور خلال العقود الأخيرة تطورا ديموغرافيا كبيرا وتوسعا عمرانيا سريعا أدى إلى انتشار الأحياء الهامشية وارتفاع الطلب على الخدمات الأساسية، وظهور مشكل جمع النفایات المنزلية والمماثلة لها والتخلص

¹ المادة 15 من قانون 12.81 المتعلق بالساحل الصادر بتنفيذه ظهير رقم 1.15.87 بتاريخ 29 من رمضان 1436 / 16 يوليوز 2015.

² تجدد الإشارة إلى أن هناك قوانين أخرى لها صلة وطيدة بمجال البيئة والتي سبق أن أشرنا إليها في الفصل الأول.

منها، حيث وصلت كمية النفايات المنزلية المخلفة بالناظور ما معدله 53843.5 طن في السنة؛ أي ما يعادل 0.91 كلغ / فرد يوميا، هذه النفايات يتم التخلص منها في مطرح مراقب، وأحيانا في النقط السوداء وفي مجاري المياه وبدون أي معالجة أو مراقبة، مما يترتب عن ذلك عواقب وخيمة على الصحة العامة والبيئة وكذلك مستقبل الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية. وللحد من المشاكل الناجمة عن سوء تدبير النفايات المنزلية في المغرب، تم إعداد برنامج وطني للنفايات المنزلية من طرف قطاع البيئة ووزارة الداخلية بدعم من البنك الدولي الذي سطر مجموعة من الأهداف أبرزها، إنجاز مطراح مراقبة للنفايات المنزلية والمماثلة لها لكل المراكز الحضرية بنسبة 100% في 2020، وهو ما تمخض عنه ميلاد مطرح "تشاركا" بجماعة أولاد ستوت.

4. اختيار موقع المطرح العمومي للنفايات المراقب بأولاد ستوت لم يكن نتاج دراسة مسبقة

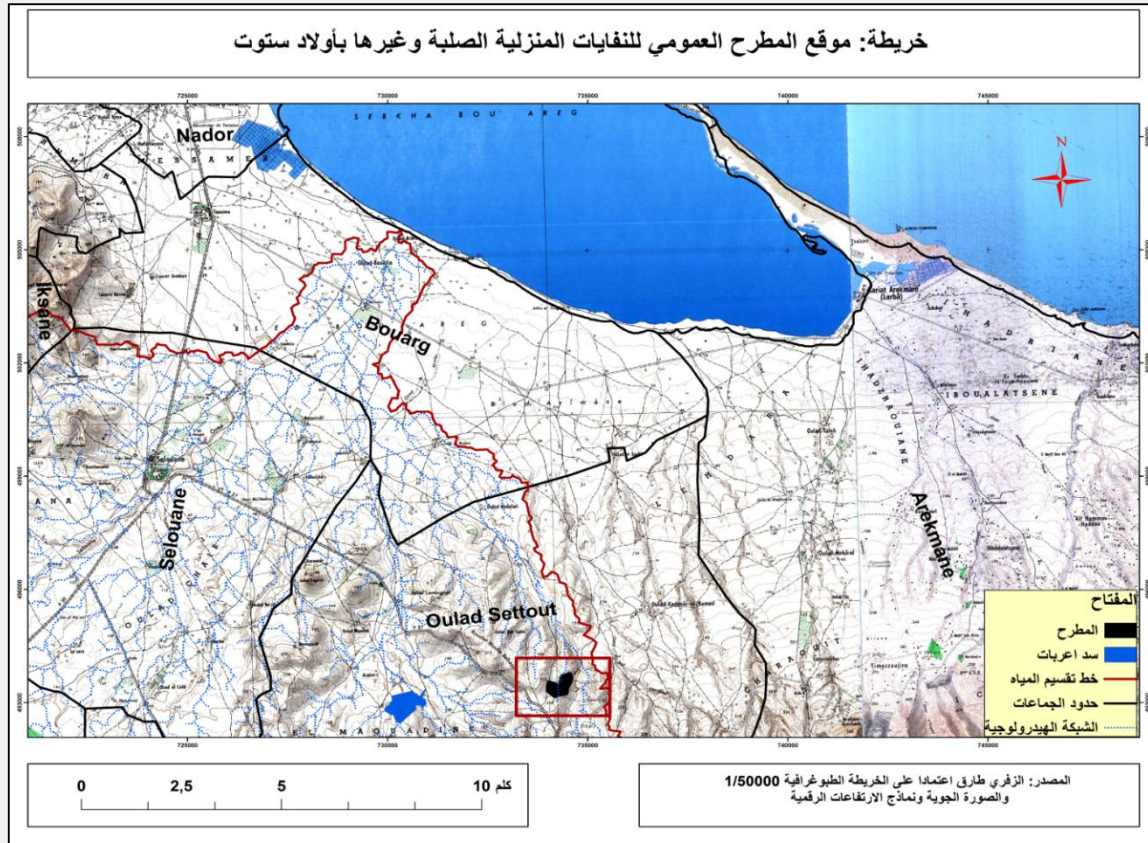
يندرج مطرح النفايات أولاد ستوت المراقب ضمن المشاريع المبرمجة في إطار البرنامج الوطني لتدبير النفايات المنزلية الصلبة والمماثلة والتخلص منها¹، ومثالا للتدبير التشاركي لمرفق النظافة بين الجماعات الترابية، حيث يستقبل النفايات لمجموعة من الجماعات، منها جماعات حضرية (الناظور، سلوان، زاو، العروي، بني أنصار، أزغنغان، الدريوش، رأس الماء) وجماعات قروية (أركمان، فرخانة، بني بويفرور، إحدادان، بوعرك، أكسان، بني سيدال وأولاد ستوت ...).

تم إحداث المطرح سنة 2010 م، وهو يمتد على مساحة تقدر بـ 20 هكتار، وتقدر كمية النفايات المعالجة اليومية ما بين 300 طن إلى 350 طن، ويتكون من خمسة مدرجات، المدرج 0 خصص لتجميع وطمر النفايات القديمة المتراكمة لمدة 20 عام، في حين خصصت المدرجات الأخرى لتجميع النفايات الحديثة، وقد تكلفت وزارة البيئة والطاقة والمعادن ببناء الشطر الأول من المشروع بقيمة بلغت 30 مليون درهم، في حين ستتكفل مجموعة الجماعات المحلية من أجل البيئة ببناء باقي الأشطر اعتمادا على إمكانياتها المحلية.

يبعد المطرح عن جماعة أولاد ستوت بـ 19 كلم، وبمسافة 25 كلم عن جماعة الناظور، و 14 كلم من جماعة بوعرك و 16 كلم من زاو، ويتموضع فوق كتلة كبدانة، التي تتكون بنيتها الجيولوجية من طبقات تعود لأزمنة جيولوجية مختلفة، طبقة شستية حثية تعود للزمن الأول تظهر بوضوح في قعور الأودية (واد عيفر، واد لخميس...)، ثم طبقة كلسية دولوميتية كتلية وكلسية صوانية تنتمي للزمن الجيولوجي الثاني، وسحنة كلسية صلصالية تعود إلى اللياسي الأعلى والجوراسي الأعلى، إضافة إلى سحنة فليشية تنتمي لحقبة الجوراسي الأعلى.

¹ برنامج اعتمدته كتابة الدولة لدى وزير الطاقة والمعادن والتنمية المستدامة المكلفة بالبيئة. يهدف البرنامج إلى تمكين 350 مدينة ومركز حضري من المطراح المراقبة، وإغلاق وتأهيل 220 مطرح عشوائي، وتحسين خدمات جمع النفايات والنظافة من خلال التدبير المفوض للفاعلين المهنيين.

خريطة رقم 1: موقع مطرح النفايات بأولاد ستوت



إن اختيار الموقع الحالي لإيداع النفايات لم يكن نتاج دراسة مسبقة تتيح اقتراح مجموعة من المواقع على أساس أن تتم المفاضلة بينها بناء على معايير مضبوطة (الخصائص الهيدرولوجية والجيولوجية، المسافة الفاصلة بين الموقع ومناطق جمع أو تحويل النفايات، كمية النفايات الممكن إيداعها بالموقع...) بل هو؛ أي الاختيار، تكريس لوضعية قائمة باعتبار أن مطرح الحالي كان مستغلا منذ عدة سنوات من طرف الجماعة الحضرية الناظور كمطرح عشوائي للنفايات¹.

5. مشاريع تدبير النفايات السائلة بين الماضي والحاضر

ظلت مدينة الناظور لمدة طويلة تعاني من مشكلة المياه العادمة رغم حدوثها، نتيجة لما عرفته من توسع عمراني سريع خلال العقود الأخيرة، الذي تم في معظمه بشكل عشوائي وسري، وظل يفتقر إلى التجهيزات الأساسية، خاصة تلك المرتبطة بشبكة الصرف الصحي، كما أن الموضوع زاد مسألة تدبير النفايات السائلة صعوبة، (توجد في منطقة محصورة بين كتل جبلية ومجال منخفض يشرف مباشرة على البحر)، وتستفحل الظاهرة مع تهطل الأمطار بشكل عنيف وانسداد قنوات الصرف الصحي وتوحيها والتي هي في الأصل لا ترقى إلى مستوى حجم الساكنة ومواكبة الانفجار الديموغرافي الذي عرفته المدينة، ويشكل هذا المشكل تهديدا على صحة وسلامة الإنسان وبيئته خاصة وأن نسبة مهمة من المياه المستعملة تصب في البحيرة بدون معالجة وحتى المعالجة منها تطرح العديد من التساؤلات،

¹ - المجلس الأعلى للحسابات

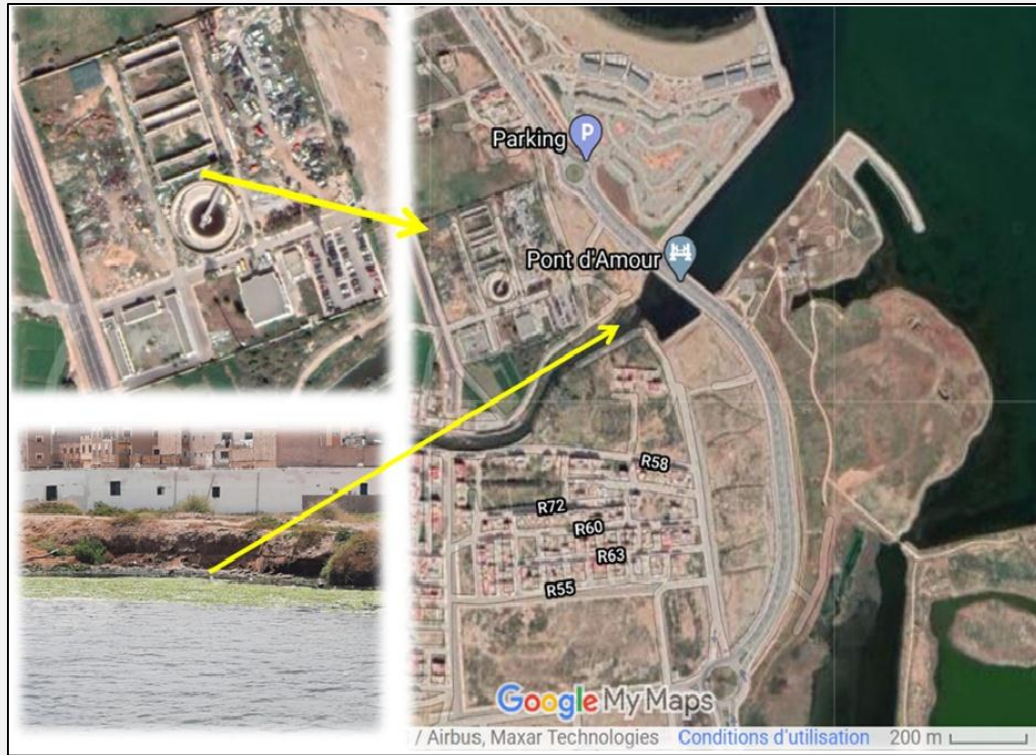
أبرزها، هل المحطات المخصصة لمعالجة المياه العادمة قادرة على استيعاب كمية النفايات السائلة التي تنتجها الساكنة خاصة في حالة الذروة؟ وهل الآلية التي تتم بها معالجة المياه العادمة ناجعة ترقى إلى مستوى إعادة استعمالها أو تفريغها في البحيرة؟ وهل تشكل النفايات السائلة الطبية والصيدلانية تهديدا لضرورة المعالجة داخل المحطات؟

1.5 تدير النفايات السائلة لا يساير التطور الديمغرافي والاقتصادي والتوسع العمراني إلى حدود 2010م

يعتبر مشروع التطهير السائل من بين أبرز المشاريع التي تهدف إلى حماية واحترام البيئة وضمان التنمية المستدامة، حيث يمكن القول إن هناك ارتباطا وثيقا بين مشاريع التطهير وباقي المشاريع الحيوية الأخرى كالسياحية والصناعية والتجارية...، فالأسواق مثلا أو الموانئ تتطلب الربط بشبكة التطهير وكذلك المصانع والمعامل، وكذا المرافق العمومية كالمستشفيات والمؤسسات التعليمية، والفنادق والمنتجعات السياحية، فضلا عن التجمعات السكنية...، وبالتالي أي سوء تدبير لهذا القطاع سيشكل خطرا على المشاريع الأخرى من جهة وبيئة الإنسان من جهة ثانية، فالناظور إلى حدود 2010 م لطالما اقترن اسمها بمدينة النفايات السائلة بحكم أن زائرها لا يمكن أن لا يلاحظ هذا المشكل، نظرا للرائحة النتنة التي كانت تنبعث من البحيرة جراء تصريف النفايات السائلة مباشرة فيها بدون معالجة، وهذا لم تعد تعيشه الساكنة بالحدة السابقة بفضل المشاريع المهيكلية التي حظيت بها المدينة، خاصة مشروع التطهير السائل.

عرفت مدينة الناظور قبل سنة 2010 قصورا على مستوى تطهير السائل، فكل ما كانت تتوفر عليه شبكة من نوع أحادي في معظم أجزائها، وتقتصر على الأحياء التالية: الحي المركزي، حي لعري الشيخ، حي الكندي، حي الخطابي، أولاد إبراهيم، المطار، كما أضيفت إليها قنوات حديثة نسبيا رغم ضعف القدرة الاستيعابية لمحطة المعالجة، وهي من نوع المعالجة بالأحواض، وذلك لتجميع جزئيا ما تطرحه أحياء: الشعبي، إشموي، أولاد ميمون، أولاد بوطيب، من مياه عادمة. وهذه المياه يتم جرها إلى المحطات الأربع المخصصة للضخ وهي: الريف، المحطة، لعراصي، شعالة والمنتشرة على طول سبخة مارتشيك، لتنتهي كلها في محطة المعالجة الوحيدة المشيدة سنة 1980 قرب مصب واد بوسردون في البحيرة. وتتم المعالجة عن طريق الأحواض الاصطناعية لاستخلاص المادة العضوية أولا، ثم تفريغ المياه المعالجة في مياه البحيرة، ومع توالي عملية التفريغ، والأعطاب المتكررة التي تعترى تجهيزات المحطة، وبالنظر إلى ضيق قناة بوقانا الوحيدة التي تغذي البحيرة بمياه البحر وترملها أحيانا، فإن الوضعية البيئية باتت تتدهور سنة بعد أخرى¹.

¹ - بناصر مصطفى: 2006 "التعمير بين العشوائية والتخطيط حالة مدينة الناظور"، أطروحة لنيل الدكتوراه في الحقوق، القانون العام وحدة العقار والتعمير والإسكان، كلية الحقوق الرباط، ص: 114.



بتصرف Google maps+ المصدر

صورة رقم 1: موضع محطة معالجة المياه العادمة لشعالة بالنسبة للبحر وواد أسردون والأحياء السكنية

أمام عجز المحطة لمسيرة التدفق الكبير للمياه العادمة، وعدم قدرتها على معالجتها، ونظرا للدينامية التعميرية الكبيرة التي عرفتتها مدينة الناظور منذ بداية السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن 20م، والتزايد الكبير في حجم المياه العادمة، قرر المجلس البلدي خلال إحدى دوراته لسنة 1990 برمجة مشروع توسيع المحطة بثنتيتها لتصل سعتها إلى 100000 معادل ساكن (Eq Habitant): أي 10000 م³ مع توسيع محطة الضخ بشعالة، وإنشاء حوض لتجميع مياه الأمطار الغزيرة والمركزة¹.

بالرغم من التدخلات والمجهودات المبذولة من طرف السلطات والمؤسسات العمومية فإن تدبير هذا القطاع ظل يعاني عجزا وقصورا على مستوى استيعاب ومعالجة ما يطرح من المياه العادمة، وذلك لاعتبارات عدة أبرزها استفحال السكن العشوائي الذي عرف خلال هذه الفترة خاصة التسعينيات انشارا واسعا (نتيجة الفراغ الحاصل في وثائق التعمير الناتج عن طول مسار إعداد تصميم 2002 كما سبقت الإشارة إلى ذلك سالفا)، مما خلق لنا بناء سابقا للتجهيزات الضرورية والبنية التحتية، ثم الضعف التقني والوظيفي لمحطة المعالجة، والمتمثلة في قدم الشبكة وطابعها التقليدي غير القادر على مسايرة الكمية المصروفة من المياه، حيث ظلت العديد من الأحياء غير مرتبطة ؛ كحي ترقاق وبوعرور وشعالة، إذ قدر المخطط التوجيهي للتطهير السائل للناظور سنة 2002 ، كمية الخصاص في 2237 متر من خط شبكة التطهير، كما رصدت نسبة 54% غير مرتبطة بشبكة التطهير السائل.

¹- ميمون بحكان(2016):"دينامية التعمير والهيئة للشريط الساحلي لبحيرة مارتشيكيا بإقليم الناظور"، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة، ص: 298

2.5. مرحلة التدبير المندمج للنفايات السائلة ما بعد 2010 م

في ظل استمرار الوضع البيئي الكارثي الناتج عن النقص الحاد في التدبير الكمي والنوعي للنفايات السائلة المطروحة بمجال مدينة الناظور، وفي إطار البرنامج الوطني للتطهير السائل ومعالجة المياه العادمة بشراكة بين وزارة الداخلية والوزارة المنتدبة المكلفة بالبيئة¹، ثم البرنامج الشامل لضمان حماية وتنمية مندمجة لبحيرة مارشيكا² الذي يعد أحد المكونات الرئيسية لمخطط التنمية الاقتصادية المستدامة والمندمجة لإقليم الناظور، والذي يتضمن إنجاز أورش كبرى خاصة بالبنيات التحتية والتنمية السياحية مع الحرص على ضمان المحافظة على البيئة، عرفت المدينة ميلاد مشروع مهم ساهم بشكل كبير في التخفيف وإنقاذ المدينة إلى حد ما من حدة مشكل المياه العادمة، وذلك من خلال تعزيز بنية شبكة التطهير بمحطة معالجة ذات تقنيات حديثة ومتطورة وقدرة استيعابية كبيرة جعلتها تصنف من بين المحطات الكبرى في جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط .



المصدر: عدسة الباحثين 2020 + Google My Maps

صورتان 2 و3: محطة تطهير المياه العادمة للناظور الكبير

يعد مشروع التطهير السائل للناظور الكبير واحدا من المشاريع الهامة التي أنجزت بالجهة الشرقية في إطار منظور شمولي يراهن على احترام البيئة وضمان التنمية المستدامة، حيث ساهم في تمويل مشروع التطهير السائل كل من المكتب الوطني للكهرباء والماء الصالح للشرب - قطاع الماء، والجماعات المحلية والوكالة الفرنسية للتنمية.

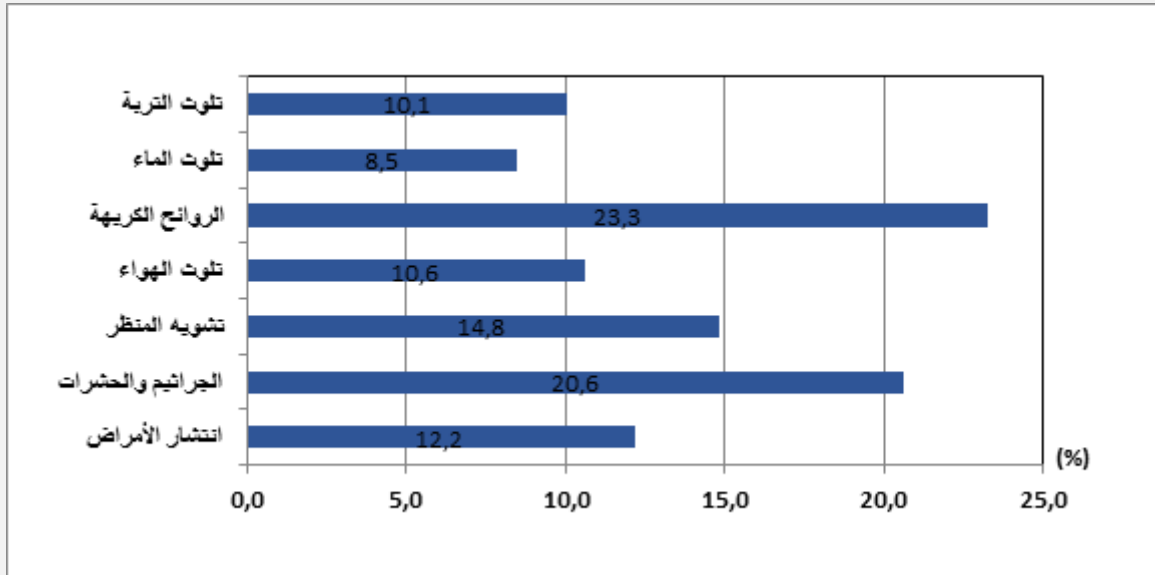
ويهدف هذا المشروع، الذي بلغت كلفته الإجمالية 841 مليون درهم، إلى الحد من تلوث المياه على مستوى الإقليم من خلال تحسين تصفية المياه العادمة وضمان الحماية المستدامة لبحيرة مارشيكا، وتلبية الحاجيات على مستوى التطهير السائل لسكان الجماعات والمراكز المكونة للناظور الكبير (الناظور، بني أنصار، ازغنغان، إحدادن، جعدر، سلوان، تاويمة وقرية أركمان). وتتم معالجة المياه المستعملة للمدن والمراكز المذكورة بتقنية حديثة ومتطورة تعتمد طريقة الوحل المنشط مع التخلص من الأزوت والفوسفور وتعقيم بالأشعة ما فوق البنفسجية، مما يمكن من الحفاظ على التوازن الطبيعي لحوض مارشيكا.

¹ - يهدف هذا البرنامج إلى: التوصل إلى ربط شامل لشبكة التطهير بنسبة تفوق 80% في الوسط الحضري في أفق 2020 و90% في أفق 2030؛ تقليص التلوث بنسبة 80% على الأقل في أفق 2020 و90% في أفق 2030؛ إعادة استعمال المياه العادمة المطهرة بنسبة 100% في أفق 2030

² - يهدف المشروع إلى تعميم تجميع المياه العادمة؛ تحسين الأنظمة المتواجدة وضمان أحسن الظروف الصحية للسكان وحماية الوسط المستقبل والمساهمة في تحسين جودة مياه بحيرة مارشيكا؛ إعادة استعمال المياه المعالجة.

3.5 تقييم خدمة تطهير المياه العادمة من قبل الساكنة

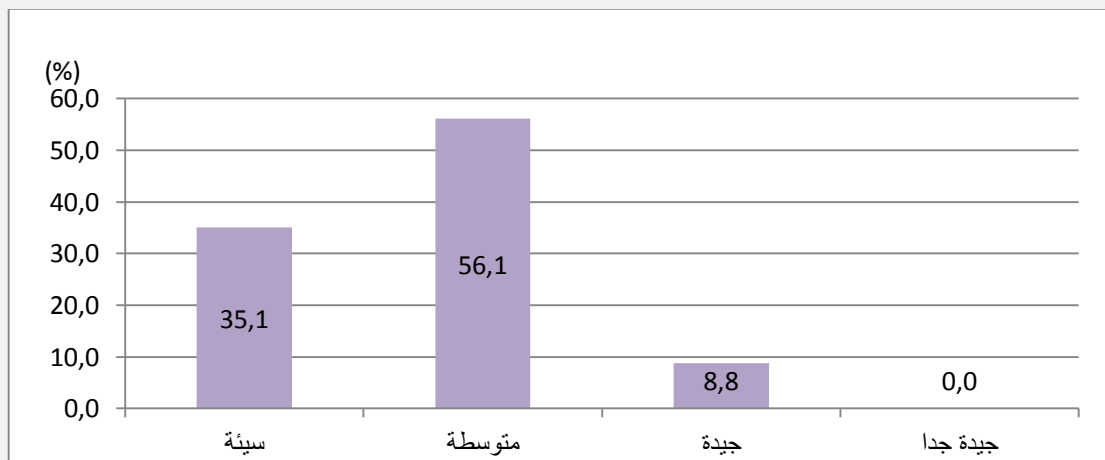
بالرغم من إحداث محطة تطهير المياه العادمة بالناظور الكبير مازالت مدينة الناظور خاصة والجماعات الأخرى عامة تعاني من إشكالية تدبير النفايات السائلة، حيث أبانت التحريات الميدانية والاستببانية عن معاناة الساكنة جراء سوء تدبير هذا القطاع، إذ يمكن إجمال هذه المعاناة فيما يلي:



مصدر المعطيات: استمارة البحث الميداني 2020م

مبيان رقم 2: توزيع الاضرار الناتجة عن المياه العادمة بمدينة الناظور 2020م

تشكل نفايات المياه العادمة مصدرا لانتشار العديد من الأمراض الناتجة عن التلوث البيئي بمختلف أشكاله، حيث أفادت الساكنة الناظورية على أنها ما زالت تواجه عدة إكراهات بيئية ترتبط بسوء تدبير قطاع التطهير السائل، ومن أهمها: الروائح الكريهة وما تسببه من أمراض نفسية وتنفسية وجلدية (23.3%)، ثم انتشار الحشرات والجراثيم بنسبة 20.6%، وتشويه المنظر بـ 14.8%، وتلوث التربة والهواء والماء مجتمعة بنسبة 41.3%.



مصدر المعطيات: استمارة البحث الميداني 2020م

مبيان رقم 3: تقييم الساكنة لخدمة تطهير السائل بالناظور

انطلاقاً من المقابلات الميدانية والاستبيان الذي أجري مع الساكنة نلاحظ أن مشاريع تدبير المياه العادمة بالناظور لم ترقَ إلى مستوى تطلعات الساكنة، حيث عبرت 56.1% منها أن خدمة التطهير السائل مازالت متوسطة، في حين اعتبرتها نسبة أخرى سيئة 35.1%، و 8.8% جيدة، ويعود هذا الاختلاف والتباين في الآراء إلى طبيعة السكن الذي تنتمي إليه الفئات المستجوبة ونوعية الأحياء السكنية، فجودة الخدمة تزداد سوءاً كلما اتجهنا نحو الأحياء العشوائية، وفي المقابل تزداد تحسناً في الأحياء المهيكلية (السكن الاقتصادي والتجزئات السكنية)، لكن أحيانا نجد أحياء مهيكلية تعاني من التلوث الناتج عن النفايات السائلة، ونخص بالذكر هنا الأحياء القريبة من البحيرة نتيجة استقباليها لكميات لا بأس بها من المياه العادمة التي يجهل مصدرها، وذلك إما بسبب ربط مجموعة من سكان الأحياء العشوائية مساكنهم (بطريقة سرية) بالقنوات الخاصة بتصريف مياه الأمطار، فضلاً عن تفريغ المياه العادمة التي عالجتها محطات تطهير السائل في البحر، والتي أحيانا نظراً للضغط الكبير التي تعرفه خلال أوقات الذروة أو نتيجة للأعطاب المتكررة في المحطات القديمة يتم تصريف مياه غير معالجة مما يزيد من حدة تلوث البحيرة، التي تعد مجالا خصبا لتكاثر الحشرات والأمراض المنقولة بواسطتها ومصدرا للروائح الكريهة ...

6. مشروع تهيئة المجال الساحلي للناظور وبعض انعكاساته على البيئة

عرف الشريط الساحلي التابع لبحيرة مارشيك إقامه العديد من المشاريع التنموية بصفة عامة والسياحية خاصة، حيث تم إحداث لهذا الغرض شركة مارشيك ميد (Marchica MED) وذلك بموجب المرسوم رقم 2-08-76 المؤرخ 5 مارس 2008، وذلك بناء على المادة 8 من القانون رقم 39-89 الذي يسمح بنقل المؤسسات العامة إلى القطاع الخاص، حيث فوض لهذه الشركة، بموجب المرسوم رقم 2-09316 المؤرخ 15 يونيو 2009، لإنشاء شركة تابعة تسمى " Atalayoun Golf Resort ".

وتقدر التكلفة الإجمالية لمشروع MARCHICA MED بنحو 46 مليار درهم، يقدم العديد منها فرص التنمية بالجهة الشرقية ومدينة الناظور ويعرض عددا من الخصائص المميزة، ولاسيما خدمة جيدة للمنطقة، وتعزيز التراث والاختيار البيئي.

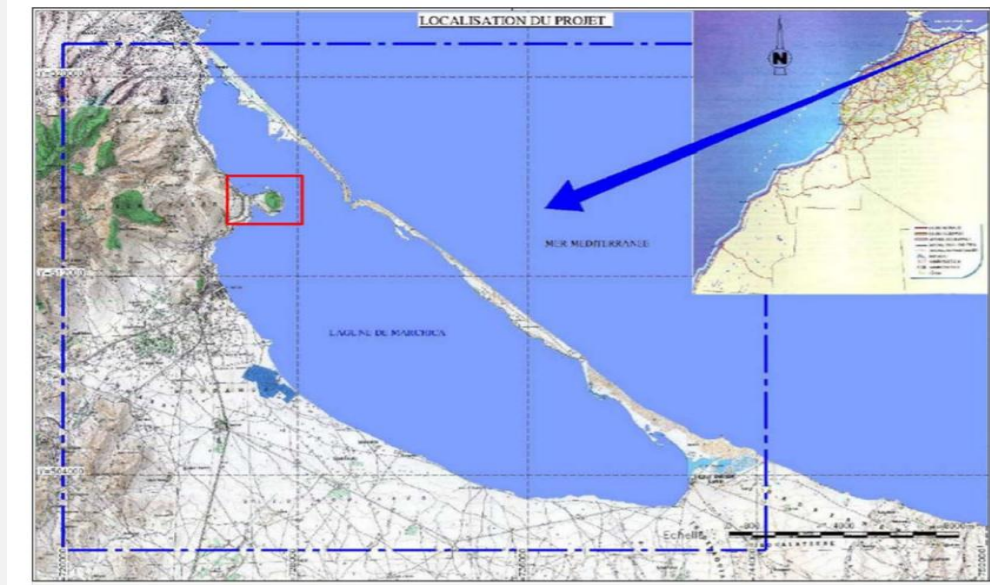
وقد تم إحداث مؤسسة عمومية¹ خاصة بتهيئة وتنمية موقع بحيرة مارشيك، وذلك وفق وضع برنامج يلتزم بمبدأ احترام الخصائص والمعطيات الإيكولوجية لمارشيك، إضافة إلى التدابير المتعلقة بخلق المشاريع السياحية الكبرى المبرمجة خلال الفترة الممتدة ما بين 2009 – 2025م، فضلاً عن إعداد مخطط – تصميم التهيئة الخاص بالموقع التابع لها والذي يعتبر المهمة الأساس المنوطة لها، كما تسعى الوكالة لخلق وتطبيق برنامج خاص يجعل من هذا المجال واجهة سياحية كبرى عبر أورش ومشاريع تهم 7 مواقع سياحية، أهمها موقع أطاليون ومحمية الطيور.

1.6 مشروع سياحي مهم بشبه جزيرة أطاليون أي تكلفة بيئية؟

تحولت شبه جزيرة أطاليون من أرض مهجورة إلى مجال عمراني سياحي، حيث أضحت محطة سياحية ذات موقع جغرافي مهم، والتي كانت عبارة عن أراضي قديمة تستغل لغسل خام الحديد، فتحولت بفضل هذا المشروع إلى

¹- تنص المادة 37 من القانون رقم 25.10 المتعلق بتهيئة واستثمار موقع بحيرة مارشيك على أن: "تحدث مؤسسة عمومية تسمى "وكالة تهيئة موقع بحيرة مارشيك" وتتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي...".

مساحة خضراء تمتد على 30 هكتارا، والتي تحتضن أحد أهم الأكاديميات للغولف بالمغرب، "كولف ريزورت"، بالإضافة إلى استوديو لتحسين تقنيات الغولف من الجيل الجديد، ويهدف المشروع الذي تقدر مساحته بـ 154 هكتار، إلى توفير مجموعة من الخدمات على مساحة مبنية تقدر 336000 م²، حيث سيتم إنشاء مجموعة من المنشآت منها: 650 فيلا و 2230 شقة، ومنطقة للرياضة والترفيه التي تقترح مجموعة من الأنشطة، ونادي شاطئي ومطعم للغولف، أما الإقامات العقارية للإنعاش السياحي خصص لها مساحة 52.690 م²، كما سيوفر المشروع ميناء ترفيهي يضم 144 فضاء للقوارب الشراعية أو ذات المحرك، كما سيتضمن موقع مارشيكا 3 فنادق، إثنين منهم من صفة 5 نجوم وواحد من صنف 4 نجوم، فضلا عن تجهيزات مختلفة.



المصدر: وكالة مارشيكا

خريطة رقم 2: موقع مشروع أطاليون

إن هذا التدخل الذي عرفه المجال ستكون له من دون شك انعكاسات وتبعات بيئية وخيمة على الغطاء النباتي للمنطقة، بالرغم من المساحات الخضراء التي تم إحداثها والتي يشكل فيها العشب Gazon نصيبا وافرا، مع العلم أن هذا الأخير يحتاج إلى كمية كبيرة من الماء، مما سيزيد الضغط على الموارد المائية، وتدهور المنظومة الإيكولوجية، خاصة وأن المجال ككل يعرف ضغطا كبيرا جراء النمو الديموغرافي الذي شهدته الجماعات الترابية التابعة لإقليم الناظور عامة ومدينة الناظور خاصة.



صور 4 و5 و6: التحول المجالي الذي عرفته شبه جزيرة أطاليون المصدر: اريفينو + صورة Google Earth 2007 و2020

تشير الصور إلى التطور المجالي الذي عرفته شبه جزيرة أطلاليون التي كانت غداة الاستعمار الإسباني عبارة عن معمل لتصفية معدن الحديد الذي كان يأتي من منجم إيكسان، لتتحول بعد إجلاء المعمرين إبان حصول المغرب على استقلاله إلى أراضي فارغة تكسوها تشكيلات نباتية مختلفة مع وجود مساحات جرداء تعلوها تربة حمراء ظلت شاهده على الاستغلال الاستعماري البشع الذي لحقها إلى حين استقرار شركة تربية السمك "ماروست"، ومع إحداث وكالة مارتشيكا لتنمية وتهيئة المجالات المحاذية لبحيرة مارتشيكا التي عملت على إقامة مجموعة من المشاريع السياحية بشبه جزيرة أطلاليون التي حولت الوسط إلى فضاء سياحي رائع تغطيه مساحات خضراء كما هو واضح في الصورة أسفله.



المصدر: عدسة باحث 2020/07/28

صورة رقم 7: ملعب الكولف بشبه جزيرة أطلاليون

تشير الصورة إلى أكاديمية الكولف بشبه جزيرة أطلاليون التي تم تشييدها في إطار تنمية وتهيئة المناطق المحاذية لبحيرة مارتشيكا، والتي ضمت إلى جانبه مجموعة من المنشآت السكنية والترفيهية والخدماتية، حيث مازالت المنطقة تشيد بها منشآت أخرى مبرمجة في تصميم التهيئة الخاص ببحيرة مارتشيكا.

2.6. الماء بالناظور: الواقع والرهانات المائية لمشروع أطلاليون

إن ما يميز منطقة الناظور من الناحية المائية، هو قلة وضعف هذه المادة الحيوية، نظرا للخصائص المناخية والطبوغرافية والهيدرولوجية التي تطبع هذا الوسط الذي يعتمد بالأساس على واد ملوية للتزود بالماء الصالح للشرب. فالموارد المائية المحلية المتاحة ضعيفة وهشة، وحتى إن وجدت فهي لا تكفي لتلبية متطلبات الساكنة وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية ...، إضافة إلى كونها تعاني من ارتفاع الملوحة، فالمناخ السائد (مناخ شبه جاف) يتسم بقلة التساقطات، والكمية المستقبلية لا يتم الاستفادة منها بحكم المشهد الطبوغرافي الجبلي الذي يشرف مباشرة على البحر، وهذه الخاصية تشكل تحديا بيئيا نتيجة تزايد الضغط على الموارد المائية، التي تزداد مع تزايد السكان والمشاريع الاقتصادية خاصة السياحية.

يراهن مشروع أطلاليون لتلبية حاجاته المائية على ما ينتجه الإقليم من المياه الصالحة للشرب التي يتولى المكتب الوطني للماء والكهرباء مسؤولية إدارتها، ومن البديهي أن يشكل هذا المشروع ضغطا على الموارد المائية المتاحة

بالمنطقة. ويتم تزويد منطقة المشروع بمياه الشرب انطلاقاً من النقطة المزودة للإقليم الناظور والذي ينشأ في محطة معالجة ONEP وتنتهي في خزانات 3x1000 متر مكعب في مدينة الناظور.

يتم عرض تقدير احتياجات مشروع ATALAYOUN حسب مكونات المشروع على النحو التالي:

- QMJ (متوسط التدفق اليومي): 1964 متر مكعب / يوم أو QPT (ذروة التدفق) 60.58 لتر / ثانية

- الحماية من الحريق: عمودان 17 لتر / s متزامن، أي معدل تدفق إجمالي يبلغ 34 لترًا / ثانية عند ضغط لا يقل عن 1 بار

- أكاديمية الجولف: 410 متر مكعب / يوم

- مساحة خضراء: 550 متر مكعب / يوم في الصيف.

سيتم تزويد حمامات السباحة التي سيتم بناؤها في الفيلات بمياه الشرب من الوصلات الخاصة، من أجل ضمان توفير مياه الشرب للمشروع موضوع هذه الدراسة، يخطط المكتب الوطني للماء والكهرباء لبناء خزان بسعة حوالي 5000 متر مكعب.

انطلاقاً مما سبق نلاحظ أن هذا المشروع يحتاج إلى كميات مهمة من الماء، وهو ما سيرفع من التحدي المائي بالمنطقة، وسيكون له انعكاسات سلبية على حصة الساكنة من المياه الصالحة للشرب، كما أن المشروع سيكون مرهوناً بتوفر هذه المادة الحيوية خاصة المساحات الخضراء التي تحتاج إلى السقي، ثم أحواض السباحة التي تتطلب كميات لا بأس بها من المياه لتغييرها وملئها، وهذا التحدي سيكون له تبعات سلبية على سكان المنطقة الذين يعانون في الوقت الحاضر من مشكلة نقص الماء خاصة في فصل الصيف، حيث تعرف مجموعة من الأحياء انقطاعاً دورياً لهذه المادة والتي غالباً ما تتوافق مع المواسم التي تعرف سيادة الجفاف، ومن المتوقع أن تزداد حدة هذا المشكل مع إقامة مشاريع سياحية تتطلب استعمال الماء، وبالتالي يشكل هذا المشروع تحدياً حقيقياً للتنمية المستدامة، مما سيفرض معه البحث عن بدائل أكثر استدامة وحفاظاً على الموارد الطبيعية بصفة عامة، وتبقى إمكانية الرفع من جودة تطهير السائل وإعادة استعمالها في السقي وفي مجالات أخرى الحل الأنسب للتخفيف من حدة هذا الإكراه الطبيعي.

7. مشاريع سكنية وهيكلية ما بين غياب المساحات الخضراء وتهديد الغطاء النباتي الطبيعي بمدينة الناظور

يعتبر الغطاء النباتي بالمجال المدروس دعامة وضمانة أساسية تمسك بخيوط توازن المجال الساحلي، فامتداده في مجال المحاذي للبحيرة يجعله موئلاً خصباً للتكاثر والتنوع البيولوجي لمختلف الكائنات الوافدة على المنطقة من جهة، حيث تتواجد تشكيلات نباتية مختلفة وراء الشاطئ، ومرشح قوي لمختلف النفايات والمواد الآتية من العالية، خاصة وأن البحيرة تصنف ضمن المناطق الرطبة.

عرفت مدينة الناظور توسعاً عمرانياً عشوائياً امتد طويلاً وعرضاً، تارة تم على حساب مساحات زراعية وتارة أخرى على حساب المساحات الخضراء الطبيعية، وأحياناً حتى المجاري المائية، والغريب في الأمر أن هذه التجاوزات

الخطيرة تمت في الفترة التي عرف فيها المغرب ظهور مجموعة من القوانين البيئية التي تدعو إلى مراعاة الحفاظ على البيئة وحمايتها والحد من الأخطار الطبيعية، وكمثال لهذه التجاوزات التوسع العمراني بحي المطار الذي لم يسلم بدوره من ظهور مجموعة من الخروقات البيئية، أبرزها اجتثاث الغطاء النباتي الأصلي وتعويضه بالإسمنت المسلح، ثم إقامة تجزئات سكنية على حساب المجاري المائية، ثم إنجاز بنيات سكنية وتحتية على حساب الأراضي الزراعية.



المصدر: عدسة باحث 2020/07/28 + google earth

صور رقم 8: انتشار السكن على حساب الغطاء النباتي بحي المطار الناظور

كما أن الإشكال العقاري المطروح بمدينة الناظور ساهم في انتشار البناء العشوائي في المناطق البيولوجية والايكولوجية، حيث ظهرت مجموعة من الخروقات التي راحت ضحيتها مساحات زراعية وغابوية جد مهمة والصورتان أسفله تعكسان هذا الاعتداء الصارخ على البيئة.



المصدر: Google My Maps

صورة رقم 10: انتشار السكن على حساب

الأراضي الزراعية بدوار أخندوق

صورة رقم 9: انتشار السكن بالمناطق الغابوية

بحي ترقاع

يتضح من خلال الصورتين أعلاه اكتساح البناء العشوائي للمجالات الغابوية كما تبينه الصورة حي ترقاع وزحفه نحو الغابة، والصورة الثانية لدوار أخندوق الذي يتمركز داخل المجالات الزراعية، ويشكل ثمن العقار بالنسبة للسكان عاملا محفزا للبناء في مناطق وكابح له في مناطق أخرى وذلك حسب القدرة المادية لكل أسرة.

خلاصة

من المؤكد أن المشاريع المنجزة بمدينة الناظور لها تأثير كبير على الإنسان والبيئة، إما أن تعود عليهما بالنفع أو بالضرر حسب نوع المشروع ومدى مراعاته لخصوصيات الوسط من جهة، ودراسة التأثير البيئي والتنموي من جهة ثانية، فما عرفتته المدينة من المشاريع انعكس على جودة الحياة الحضرية بالناظور، حيث استطاعت التخفيف من حدة التلوث الذي كان يطبعها، ولكن في المقابل كرس الهشاشة والتدهور البيئي للمنطقة، فالمشاريع التي تم إنجازها مازالت لا ترقى إلى مستوى تحقيق التنمية المستدامة والتقليص من التفاوتات المجالية، نظرا لسوء التخطيط وضعف التنسيق بين المؤسسات الفاعلة المحلية، وما بينها وبين المجتمع المدني والساكنة، حيث ظل التوازن مختلا بين الحاجيات الاقتصادية والاجتماعية من جهة والتدهور البيئي من جهة ثانية، فلا التصاميم استطاعت تنظيم المجال الحضري للمدينة وهيكله الأحياء العشوائية، ولا المشاريع المتعلقة بتدبير النفايات الصلبة وتطهير السائل تمكنا من التخلص من المشاكل المرتبطة بهما، وحتى المشاريع السياحية والمهيكلية لم تراعى الخصوصيات الطبيعية للمنطقة، بحكم أن ما تحتاجه من موارد طبيعية ضخمة يتناقض مع الإمكانيات المتوفرة، إضافة إلى توطنها في مجال شديد الحساسية والهشاشة. وعموما يمكن القول إن المشاريع التي سبق دراستها سالفًا يغلب عليها طابع العشوائية وغياب الدراسة المسبقة التي تحتاجها المشاريع قبل بلورتها على أرض الواقع، مع عدم احترام القوانين البيئية والتنظيمية للتدخل في التراب.

البibliوغرافيا

- بناصر مصطقاوي 2006: "التعمير بين العشوائية والتخطيط حالة مدينة الناظور"، أطروحة لنيل الدكتوراه في الحقوق، القانون العام وحدة العقار والتعمير والإسكان، كلية الحقوق الرباط، ص: 114.
- ميمون بحكان 2016: "دينامية التعمير والتهيئة للشريط الساحلي لبحيرة مارتشيكا بإقليم الناظور"، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة، ص: 298.
- علال زروالي 2001: التحولات الريفية والتمدد في الريف الشرقي/ الجزء 1 و2. جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، ص: 544.
- نتائج الإحصاءات العام للسكان والسكنى
- JEAN Pitie (1979). Exode rural : que sais-je? n° 1747, P.U.F

Le rôle des missions expéditionnaires françaises dans la préparation de la conquête des pays de l'Afrique du nord : l'exemple de la Tunisie.

Mighri Mounir

mounir.mighri@yahoo.fr

Docteur chercheur en Histoire Contemporaine à la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Sousse.

Laboratoire Centre de la Méditerranéen Moderne et Contemporaine. Université de Nice Sophia-Antipolis

Laboratoire d'Histoire des économies et des Sociétés Méditerranéennes.

Résumé

Dans le présent article, nous visons à démontrer l'importance du mouvement exploratoire dans le système colonial français. En effet, la multiplicité et la diversité des missions exploratoires dans la période qui précède l'invasion représentait une référence de base pour les parties coloniales, car elles leur fournissaient des données stratégiques sur la réalité de régence dans presque tous les domaines, qui ont ensuite été utilisées pour la préparation de la conquête.

Aussi, la question de l'exploration, avec ses diverses spécialisations, ne s'écarterait pas des perceptions qui prévalaient au XIXe siècle qui a été caractérisé par l'émergence de mouvements et courants intellectuels et politiques, tels que les saint-simonisme ou les sociétés géographiques, et ceux avec l'argent et l'influence des parlementaires et des politiciens qui ont contribué à encourager davantage cette question et à créer une opinion publique qui y était réceptive. Malgré le succès des missions exploratoires dans la connaissance de différents domaines de recherche, certains écrits de voyageurs et d'explorateurs ne sont pas dépourvus du caractère idéologique colonial chargé de l'idée de transcendance.

Mots clés: Missions expéditionnaires, conquête, invasion, politique coloniale, sociétés géographiques.

The role of the French expeditionary missions in the preparation of the conquest of the countries of North Africa: the example of Tunisia.

Abstract

In this manuscript, we aim to demonstrate the importance of the exploratory movement in the French colonial system. Indeed, the multiplicity and diversity of exploratory missions in the period preceding the invasion represented a basic reference for the colonial parties, since they provided them with strategic data on the reality of regency in almost all areas, which then were used for the preparation of the conquest.

Also, the question of exploration, with its various specializations, did not deviate from the perceptions that prevailed in the 19th century, which was characterized by the emergence of intellectual and political movements and currents, such as Saint-Simonism or the geographical societies, and those with the money and influence of parliamentarians and politicians who helped to further encourage this issue and create a receptive public opinion. Despite the success of exploratory missions in the knowledge of different areas of research, some writings of travelers and explorers are not devoid of the colonial ideological character charged with the idea of transcendence.

Key words : Expeditionary missions, conquest, invasion, colonial policy, geographical societies.

دور البعثات الاستكشافية الفرنسية في التحضير لغزو بلدان شمال إفريقيا: البلاد التونسية نموذجا

ملخص

يهدف هذا البحث إلى تبيان أهمية حركة الكشف في المنظومة الاستعمارية الفرنسية، ذلك أنّ تعدّد البعثات الاستكشافية وتوّعها في الفترة السابقة للحماية مثّلت مرجعا أساسيا للأطراف الاستعمارية بما وفّرت لها من معطيات إستراتيجية عن واقع الإيالة التونسية في جميع المجالات تقريبا، تمّ توظيفها لاحقا في التحضير لعملية الغزو.

كما أنّ مسألة الاستكشاف بمختلف اختصاصاتها لم تخرج عن التصورات التي سادت خلال القرن التاسع عشر والتي تميّزت بظهور حركات وتيارات فكرية وسياسية على غرار السانسيونية أو الجمعيات الجغرافية وأصحاب المال والنفوذ من برلمانيين وسياسيين ساهموا في مزيد التشجيع على هذه المسألة وخلق رأي عام متقبل لها. ورغم نجاح البعثات الاستكشافية في الإلمام بمختلف مجالات البحث فإنّ بعض كتابات الرحالة والمستكشفين لا تخلو من الطابع الإيديولوجي الاستعماري المشحون بفكرة التعالي.

الكلمات المفتاحية: مهمات استكشافية، غزو، احتلال، سياسة استعمارية، جمعيات جغرافية.

Introduction

L'exploration et l'étude du territoire tunisien n'ont, réellement, pas commencé au milieu du XIXe siècle, mais bien avant. Depuis des dates antérieures de nombreux voyageurs et explorateurs européens ont afflué en Tunisie.

Mais, cette opération n'est devenue fréquente et à caractère nouveau que depuis le milieu du XIXe siècle, après l'accentuation de la concurrence coloniale entre les grands pays capitalistes, après l'instauration du système capitaliste en Europe. La croissance des idées et des mouvements nationalistes dans ces pays les a amenés à adopter l'idée de "gloire nationale" par le biais d'une politique coloniale expansionniste dans les pays non développés.

C'est pour cela que ces pays s'étaient lancés à la recherche de nouvelles zones "vitales" partout dans le monde pour commercialiser leurs produits. C'est pourquoi des centaines d'explorateurs européens étaient envoyés dans ces pays, notamment dans le continent africain.

Les missions d'exploration étaient nombreuses et variées, avec des noms, des slogans et des arguments divers. Le but était de recueillir le maximum possible d'informations sur ce pays pour se préparer à les occuper. La concurrence entre la Grande-Bretagne et la France, sur le continent africain était féroce

L'occupation de l'Algérie en 1830, a donné un nouvel élan à l'opération exploratrice française. Depuis lors, l'administration française a envoyé de nombreuses missions d'exploration dans les régions d'Algérie dans le but d'étudier ces contons au niveau physique aussi bien qu'anthropologique (coutumes et traditions...etc.). En plus de l'exploration du territoire algérien, après l'occupation de l'Algérie, la France s'est orientée vers la Tunisie en intensifiant les missions et les voyages d'exploration dans cette province (qu'ils soient officiels ou officieux), pour effectuer des études de terrain précises avec l'aide de nombreux chercheurs, aventuriers, ecclésiastiques et militaires. Les rapports et les études de ces explorateurs et chercheurs ont permis aux Français de préparer la régence à l'occupation en 1881.

C'est dans ce contexte, qu'inscrit le thème de notre recherche, par lequel nous tenterons découvrir et analyser les caractéristiques et les origines des idées exploratoires et leur rôle dans l'opération coloniale, ainsi qu'étudier les missions exploratoires envoyées par la France à la Régence de Tunis dans le but de le préparer à l'invasion.

Quelles relations y'avait-il entre les idées d'exploration et la politique coloniale ? Et quel rôle avaient joué les expéditions exploratoires dans la préparation de la régence à l'invasion ?

I- La pensée exploratoire et sa relation avec la politique coloniale

1- Le rôle des sociétés géographiques

Les sociétés géographiques avaient joué un rôle central dans la préparation de l'exploration, dès le début du XIX^e siècle par certains chercheurs, politiciens et propriétaires d'argent dans le but de mener des études et des découvertes dans de nombreuses régions du monde. La France a connu, après sa défaite en 1871 contre l'Allemagne, une nouvelle vague d'implantation de sociétés géographiques dans de nombreuses villes françaises, qui allaient jouer un rôle primordial dans l'intensification du mouvement des découvertes géographiques. Ces associations ont vont soutenir de nombreux explorateurs et voyageurs, en leur attribuant des prix et des fonds et en leur fournissant les orientations et les instructions nécessaires pour accomplir leurs voyages. Les revues de ces associations allaient, par ailleurs, publier les rapports de voyages, de ces aventuriers, tels que "la Société de géographie de Paris", fondée en 1821, et qui a avait préparé et soutenu des expéditions en Afrique¹. Au début de l'occupation française de l'Algérie, le Comité d'exploration scientifique en Algérie, créé en 1837, depuis 1845, à publier des études sur la Régence de Tunis². Dès l'année 1842, la France accorda une attention particulière aux missions et voyages qui avaient, déjà, connu un développement progressif dès l'époque du Second Empire, où l'on décide d'envoyer des missions permanentes dans le cadre d'écoles de pensée comme l'École de Athènes, l'École de Rome et l'École du Caire³, pendant lesquelles la Régence de Tunis a été explorée. Parmi les voyageurs, on cite, par exemple, le diplomate français "Le Comte Philippe" et le diplomate britannique "Granville Temple" et le géographe français "Guérin", professeur au Collège de Lyon et l'un des membres actifs de l'Association des Géographes⁴. Les opérations d'exploration connaissent un développement remarquable avec le début de la Seconde République, d'autant plus qu'elle trouve un grand soutien auprès des principaux partis à vocation coloniale, principalement des membres des sociétés géographiques, quelques hommes politiques, militaires, administrateurs coloniaux, missionnaires et explorateurs⁵. Les membres des sociétés géographiques ont joué un rôle clé pour encourager l'exploration et la faire connaître au public. Charles Maunoir, qui a occupé le poste de secrétaire général de la Société de Géographie à Paris entre 1867 et 1896, est considéré comme l'un des plus éminents partisans de cette tendance. Ce dernier a établi ce qu'on appelle (Le diner Colonial), qui avait lieu tous les vendredis et réunissait des colons et des explorateurs français⁶ pour discuter de la question de l'exploration et de l'expansion coloniale en général. La Société de Géographie de Paris a assuré un soutien de grande importance à l'activité d'exploration en allouant de nombreuses subventions pour encourager

¹ Mechri Ben dana (Kmar), « Les missions scientifiques Françaises en Tunisie dans la deuxième moitié du XIX^{ème} siècle » in, Les Cahiers de Tunisie, N°157-158.1991.P.189

² -Ibid .p.199

³ Idem

⁴ - كرّيم (عبد المجيد)، مداخلة في ندوة بعنوان: "Réseaux d'échanges et mutations sociales en Méditerranée occidentale, 19^{ème} et 20^{ème} siècles." بتاريخ 26 - 27 نوفمبر 1999 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمنوبة. وردت في: الحمّاص (محمّد)، الاستعمار الفرنسي وقبائل الوسط والجنوب بالبلاد التونسية (1881-1950)، مركز النشر الجامعي 2007. ص 28.

⁵ Ageron (Charles - robert), *France coloniale ou parti colonial ?* P.U.F.1978.P.132.

⁶ -Ibid.P.133

les explorateurs. L'explorateur "Edme- François Jomard" fut le premier à recevoir la médaille d'or accordée par cette Société après avoir effectué un voyage à Tombouctou (Tombuctou) au Mali en 1826¹. En plus, Les revues et brochures qui paraissaient à cette époque allaient contribuer également à attirer un grand nombre de lecteurs, ce qui permit d'accorder plus d'attention à la question de l'exploration, notamment avec le doublement du nombre des sociétés géographiques entre 1871 et 1881. Durant cette période, la France a vu naître 12 nouvelles sociétés géographiques dans les villes françaises les plus importantes, et le nombre d'acteurs impliqués dans ces associations atteint 9500² adhérents.

D'une manière générale, on peut dire que les sociétés géographiques ont joué un rôle clé dans la théorisation des processus exploratoires et la diffusion de la pensée exploratoire auprès de l'opinion publique à travers la parution de nombreux magazines et publications qui ont contribué à attirer un grand nombre de lecteurs. Ces associations ont également veillé à établir des relations solides avec les politiciens, les élites intellectuelles, les parties prenantes et les capitaux qui ont financé et encouragé de nombreuses missions et contribué à diffuser et à faire connaître ces sociétés.

2- L'influence des courants intellectuels et politiques

Les courants intellectuels et philosophiques qui avaient prévalu au cours de la seconde moitié du XIXe siècle avaient représenté le domaine le plus important du colonialisme à travers la théorisation de ce phénomène. Parmi les idées les plus importantes qui ont connu une grande popularité à cette époque figuraient les idées du SAINTSIMONISME, qui visaient à établir un système social et économique «sur des valeurs autres que celles établies par le libéralisme économique»³. Saint-Simon et ses partisans visaient à mettre fin à l'état d'instabilité économique et sociale qui a résulté de la Révolution française, établir les fondements d'une nouvelle société fondée sur la science et l'industrie.⁴ Compte tenu des difficultés rencontrées par cette théorie en France, ses partisans ont été contraints de quitter le pays pour chercher des horizons plus spacieux pour mettre leurs idées en pratique, notamment parmi les militaires et certains hommes d'affaires et technocrates⁵.

Les voyageurs, les explorateurs et les missionnaires représentaient le principal outil de diffusion des idées et des valeurs de la civilisation occidentale dans les pays de l'Est et les musulmans pour les stagnations et les libérer de leur retard pour qu'ils soient en mesure de suivre le rythme du développement scientifique et industriel. Ces idées orientent ce qu'on appelle l'eurocentrisme, qui considère l'Europe comme le seule référent de civilisation humaine, niant, ainsi, le rôle des autres civilisations humaines. La stratégie occidentale visait à connaître l'autre, à le découvrir, puis à le contrôler⁶. La mentalité coloniale de l'époque a bénéficié de la littérature coloniale telle que la littérature de voyage, à travers laquelle les voyageurs ont pu fournir une grande quantité d'informations sur les milieux et les populations visités. Ces

¹ -Lejeune (Dominique), *Les Sociétés de géographie en France et L'expansion coloniale au XIXe siècle*. Editions Albin Michel .Paris .1993.P.36.

² - Ageron (Charles - robert), *France coloniale...*op.cit.P.132

³ المنصر (عدنان)، *الأهلي من منظور السانسيمونية، مشروع البحر الداخلي مثالا*: مقال من أعمال الندوة العلمية التي انتظمت أيام 3 و 4 بقابس ومدنين. المطبعة الرسمية. تونس 2008. ص 136.

⁴ Ibid.

⁵ Ibid.

⁶ المالكي (محمد)، *الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي*. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ط 2. 1993. ص 15

voyages ont permis aux voyageurs et aux intellectuels de confirmer, l'idée de supériorité de l'esprit européen. La Littérature exotique a également participé à l'installation de la théorie au de la supériorité de la race européenne et ce en présentant les autres cultures comme inférieures à celles européennes, et les hommes moins civilisés, arriérés dans le but de justifier la domination coloniale¹. En plus de ces idées légitimant les projets coloniaux, les hommes politiques, les journalistes et les géographes ont joué un grand rôle en encourageant l'exploration et en traçant ses grandes lignes. Le 30 octobre 1883, la Société de Géographie de colonisation a été formée par Forger, professeur à l'École Navale à Brest, cette association était dirigée à l'origine par le sénateur Fontrabie Milhet, puis sa présidence fut transférée en 1886 à Jules Ferry. Cette association a bénéficié d'un grand soutien moral et politique, puisqu'elle regroupe plus d'une centaine de parlementaires et sénateurs, et 800 adhérent². Cette pensée coloniale prend une tournure plus radicale après la convocation de la Conférence coloniale mondiale à Paris en 1889, qui fut l'occasion propice pour faire de la propagande des idées colonialistes expansionnistes, qui allaient trouver un large soutien auprès des républicains. L'un des résultats de cette conférence a été la mise en place d'un comité scientifique exploratoire dénommé « Le Comité de L'Afrique Française » par le journaliste Hippolyte Percher. Ce dernier a travaillé comme rédacteur en chef du journal des débats et secrétaire général de l'Union Libérale et a été l'un des partisans les plus dynamiques de l'idée d'expansion coloniale, notamment en Afrique, où il a réussi à financer de nombreux voyages d'exploration vers ce continent, notamment au Tchad et au Sahara³.

Les tendances politiques en Europe en général et en France en particulier ont joué le rôle le plus important pour encourager les opérations d'exploration et fournir le terrain favorable à leur diffusion dans de nombreuses régions du monde, notamment les continents africain et asiatique. Cette tendance a été soutenue par l'existence de courants idéologiques et intellectuels qui ont adopté le principe d'ouverture et d'exploration de l'autre monde sous les prétextes, de progrès, de rationalité et d'évangélisation. Dans ce contexte, les missionnaires ont formé, à cette époque, le noyau du travail de recherche et les efforts d'expansion. Les hommes d'affaires et d'influence ont également joué un rôle actif dans le financement des campagnes d'exploration, car ces campagnes restent leur objectif principal est d'exploiter la richesse des zones explorées.

L'alliance des forces politiques, des penseurs et des financiers ont constitué un véritable noyau pour soutenir et superviser les opérations d'exploration. Et, ces idées étaient mises en œuvre en France en 1883 avec Ferdinand de Lesseps, Paul Bert et Paul Fancain ont fondé l'alliance française, qui visait encourager l'adoption d'idées qui prônent et soutiennent les expéditions françaises dans de nombreuses régions du monde, dont la Tunisie.

II - Missions d'exploration

Les missions exploratoires, sous leurs différentes formes, avaient représenté l'un des outils principal du projet colonial français en Tunisie, car elles avaient fourni des informations et des données très importantes sur la régence tunisienne, qui ont, par la suite, facilité le processus de son occupation. Le voyage d'expédition est généralement soumis à des règles, des contrôles et des coutumes, où l'organisateur du voyage supervise sa préparation logistique et

¹ Starzak (Jean-François): *Qu'est-ce que l'exotisme*, département de géographie, université de Genève, 2008. p8

² - Ageron (Charles - robert), *France coloniale...* op.cit.P.133.

³ Idem .P.134.

financière. Ensuite, l'explorateur ou le voyageur effectue son voyage et est souvent accompagné de plusieurs assistants pour l'aider à accomplir son travail ou sécuriser son protection¹, ainsi que des peintres ou calligraphes pour les aider à documenter certaines scènes et images des lieux explorés, s'appuyant alors sur le guide, qui représente le maillon principal du processus d'exploration de par sa connaissance des mystères de la région².

En outre, il y a eu de nombreuses missions exploratoires avec des titres différents, certaines d'entre elles sont de nature officielle, et elles sont les plus importantes du fait qu'elles étaient sous la tutelle de structures officielles financées et organisées comme le ministère de la Guerre, le ministère de la Marine et le ministère des Travaux publics. Les non-officiels, c'est-à-dire celles qui n'étaient pas sous la supervision d'une structure officielle, mais elles étaient des initiatives individuelles financées par des hommes d'affaires et certaines associations géographiques, et où les voyageurs recherchent généralement l'aventure individuelle, mais ils, de même, fournissaient des informations importantes sur les lieux qu'ils ont découverts qui vont, par la suite, aider les autorités françaises dans leur conquête de la régence.

1- Missions officielles

Ces missions répondaient aux aspirations des décideurs de la Métropole de mener des explorations au sein de la province et de collecter le maximum d'informations sur le pays dans tous les domaines pour préparer sa conquête. Ces missions étaient nombreuses et variées pendant la période antérieure à l'occupation. On trouve, parmi ces missions celles qui portaient sur l'étude des tribus, de leurs relations entre elles, de leur zone de concentration, et de leurs capacités militaires. Dans ce contexte, l'expédition que le consul Tissot³ fit en 1857 dans la région d'Al-Jerid, lorsqu'il accompagnait le bey Mohammad Al-Sadiq, représentait un exemple singulier des missions qui montrent le lien fort entre les voyages scientifiques et diplomatiques et le projet colonial. Ce voyage a permis à Tissot d'examiner de plus près les faits de la régence sous ses divers aspects, notamment ceux liés à la nature des relations tribales.

A ce niveau, il a révélé la relation entre le Bey et les tribus tunisiennes les plus importantes (notamment entre les tribus montagnardes représentées par la tribu Humama, et les tribus du désert représentées par la tribu Bani Zaid (il les décrit comme les deux confédérations), ainsi que les relations entre les tribus tunisiennes entre elles et leurs capacités militaires. Sans oublier de parler des conflits qui existaient entre les tribus tunisiennes et les tribus algériennes⁴.

On retrouve également des missions exploratoires à dimension militaire qui ont été envoyées dans le but de préparer des cartes et d'identifier les grands axes routiers de la régence

¹ Le comte-Denis (Maurice), *La prospection et leurs mise en valeurs, guide et pratique*, Librairie Schleicher paris.P.4.

² Mechri Ben dana (Kmar), « *Les missions scientifiques...op.cit.P203*.

³ Charles Joseph "Tissot" (Charles Joseph), né à Paris en 1828 et mort en 1884, fut l'un des plus importants archéologues spécialisés dans l'histoire de l'Afrique du Nord. Il a également fait une importante carrière politique, au cours de laquelle il a occupé de nombreux postes diplomatiques, comme il a occupé le poste de vice-consul en Tunisie en 1852, puis consul à La Corogne, en Espagne, et a occupé plus tard le même poste à Salonique, puis est devenu Sous-directeur des Affaires politiques au Ministère français des Affaires étrangères, Ministre Plénipotentiaire au Maroc, puis ambassadeur en France à Istanbul. La dernière étape professionnelle de sa vie fut sa présidence du Comité d'Histoire au cœur de l'expédition scientifique officielle en 1883. pour plus d'informations voir. Broc(Numa), *Dictionnaire illustré des explorateurs et grands voyageurs Français du XIX^{ème} siècle*. Editions du C.T.H.S.Paris .1988.P.311-312.

⁴ Service Historique de l'armée de terre (SHAT), Bobine S247. Carton 2H1.Dossier 3. F 138. Rapport sur l'expédition de Tissot dans le sud tunisien en octobre 1857.

et sa topographie, les communautés résidentielles les plus importantes, et la détection des capacités défensives de la régence...etc. Ces tâches étaient confiées à un groupe d'officiers appartenant notamment à ce que l'on appelle la Direction de service de génie ou la Direction de service de renseignement. Dans ce contexte, les missions exploratoires se sont dépassées, et pour la plupart envoyées d'Algérie, elles visaient à étudier les villes les plus importantes de la régence et à se concentrer sur ses fortifications défensives et ses ressources naturelles. Toutefois, les dates et la durée de ces missions ont été soumises aux conditions internes de la Régence. Elles étaient longues au milieu du XIXe siècle, et ce, en raison de la situation politique appropriée qui a permis de les mener à bien, mais à partir du soulèvement de 1864, ces missions sont devenues limitées dans le temps et dans l'espace. La ville qui a été le plus ciblée dans la plupart des missions est la ville de Tunis, en tant que capitale de la province et centre de sa décision politique.

Immédiatement après son occupation de la ville de Constantine, les autorités françaises ont entrepris d'envoyer des missions militaires à la Régence pour effectuer des études sur les villes les plus importantes. La première de ces opérations fut effectuée par le capitaine (Pricot St Marie¹). Ce voyage s'était étendu du 20 février 1837 au 27 juillet 1837, et comprenait les villes de Tunis, Taboursouk, le Kef, Kairouan, Sousse, Sfax, Mahdia, Monastir, Hammamet et Bizerte. Dans son rapport, "Pricot" s'est concentré sur les capacités défensives de ces villes et la stratégie militaire à suivre pour les contrôler.

Le voyage du capitaine (Pellissier)², qu'il a entrepris en 1847, est plus l'un des plus importants puisqu'il couvrait la quasi-totalité de la Régence, à travers lequel il étudiait le pays en termes naturels, géographiques, topographiques et démographiques. Pellissier a compilé ses rapports dans un livre intitulé "Description de la Régence de Tunis". Dans ce voyage, il a essayé d'étudier les zones stratégiques les plus importantes de la régence et les fortifications défensives les plus importantes qu'elle possède. Sans oublier les tribus tunisiennes les plus importantes, la population de chacune d'elles, leurs capacités de combat, les relations entre les tribus, et le degré de loyauté de chacune d'entre elles envers l'autorité centrale.

La mission du général (François Perrier)³ qu'il entreprend en 1879 reste la plus importante, d'abord parce qu'elle vient juste deux ans avant l'occupation, ce qui indique que les informations fournies par ce général à l'établissement militaire français ont grandement aidé les

¹ Archives du ministère des affaires étrangères (A.M.A.E), Bobine A9. Carton 25H9. Dossier 9. FF 58-68.

² Le nom d'Edmond Pellissier de Reynaud a commencé à apparaître dès 1830 lorsqu'il participa à l'occupation de l'Algérie, où il commanda l'état-major général et participa à la campagne militaire sur les villes de Mascara et la ville de Tlemcen. À partir de 1837, elle obtint le poste de directeur du département des affaires arabes en Algérie et ne reste à la tête de ce département que deux ans avant de partir pour devenir membre du comité d'exploration scientifique en Algérie. En 1842, il fut nommé consul à Mogador dans l'Extrême-Maroc, mais le roi du Maroc Abd al-Rahman refusa d'entrer au Maroc, il fut donc nommé en Tunisie pour occuper le poste du Consul à Sousse, avec l'approbation du bey, et il continua cette mission de mai 1843 à avril 1848.

Pellissier (E), *Description de la Régence de Tunis*, éditions Bouslama, Tunis, 1980.

³ François Perrier est né le 18 avril 1833 dans la ville française de Valleraugue, et mort le 20 février 1888 dans la même ville. Sa carrière d'études débute dans la ville française de Nîmes, puis passe à l'École supérieure des sciences militaires, avant il rejoint en 1855 l'Ecole Supérieure d'Etat-Major de l'Armée de terre. En 1864, il est envoyé en Algérie pour superviser la restructuration du Département du Génie et de la Carte de l'Armée de terre. Il représente également la France dans de nombreux colloques et forums scientifiques internationaux. En 1873, il est élu membre de la Société de géographie de Paris. En 1875, il devient professeur d'ingénieur à l'École militaire, et est élu en 1880 membre de l'Académie des sciences, pour terminer sa carrière à la tête du Département de géographie de l'Armée.

Dictionnaire illustré des explorateurs et des voyageurs au XIXème siècle, Librairie la Roux, Paris, 1960.P.478.

commandants de terrain à percer les mystères de la région et de son relief avant son occupation. Deuxièmement, parce qu' il s'est concentré sur la région du nord et l'a, attentivement, étudiée, ce qui lui a permis par la suite de rédiger un rapport au ministère de la Guerre le 12 avril 1881 (c'est-à-dire 12 jours avant le début de l'invasion) contenant des données très importantes sur la zone s'étendant de Souk Ahras à Ghar al-Dama, et les routes principales les plus importantes, la liaison entre les deux villes, ainsi que les routes qui peuvent être suivies pour atteindre la ville de Tunis. Ses informations étaient complètes et précises, car il décrivait avec une grande précision la géographie et la topographie de la région. Certes, sa spécialisation, notamment dans le domaine du génie militaire et des sciences de la guerre, lui a permis d'écrire son rapport avec précision ce qui allait aider, plus tard, l'armée française à pénétrer dans la région et le contrôler.

Outre les missions exploratoires, la littérature militaire¹ a également apparu comme autre ressource d'exploration. En effet, il existe de nombreux écrits militaires écrits par des soldats et officiers français liés à la Tunisie, à travers lesquels, ils nous ont fourni une description précise de la plupart des villes du point de vue naturel et topographique, sur leurs capacités défensives, et les coutumes et traditions qui les distinguent, et ils ont également, souligné les relations entre les tribus et leur rapport au pouvoir, en plus de la relation entre les résidents locaux et les étrangers.

Peut-être ces écrits ont-ils tenté de dépasser cette image stéréotypée du rôle du soldat comme agent de l'homme politique, pour dire que le rôle cet agent n'est pas moins important que celui du géographe, du missionnaire, explorateur et homme politique dans la question coloniale en termes de théorisation, d'exploration et de désir de contrôle et de domination.

Cependant, les opérations d'exploration ne se limitent pas à l'aspect militaire ou à l'examen des tribus et à l'étude de leurs relations et de leur aptitude à établir des relations avec les forces françaises en cas d'invasion du pays. Le projet colonial reposait sur des mécanismes et des affluents nombreux et imbriqués qui interagissent pour garantir le contrôle de la régence dans tous les domaines. L'influence politique et économique française, dans la Régence, a favorisé les opérations d'exploration, et les Consuls ont joué un rôle important puisqu'ils ont facilité l'activité des explorateurs et ingénieurs français dans la régence pour effectuer des recherches et études scientifiques sur les ressources naturelles, le climat et de la qualité des sols.

Dans ce contexte, de nombreux documents d'archives conservés aux Archives nationales tunisiennes² témoignent la multiplicité des demandes de visites adressées au Bey par les explorateurs européens, notamment français, pour effectuer des opérations d'exploration en de nombreux endroits de l'Eyalet tunisien, dont divers domaines comme le zinc, des matériaux miniers de plomb, qui se trouvent principalement dans les régions septentrionales de la régence,

¹ En plus des rapports militaires officiels qui relatent l'exploration et la conquête de la Tunisie, on trouve de nombreuses notes prises par certains des soldats qui ont participé à l'invasion et à travers lesquelles ils ont tenté de nous faire part de ce dont ils ont été témoins lors de la campagne militaire d'affrontements avec les tribus et le déroulement des batailles, en plus de nombreuses autres impressions qu'ils l'ont gardé du pays en général et ont essayé de faire apparaître l'establishment militaire comme un contributeur à la propagation de la civilisation occidentale en Tunisie. Parmi celles-ci, on mentionne :

-Peyras (J) et Soumille (P), *Les souvenirs d'un soldat bas-Alpin sur la conquête de la Tunisie (1881-1882)*, in Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, N°34, 1982, PP 63-79

- Chevillet(G), *Scènes de la vie militaire en Tunisie*, Paris, Sanard et Derangean ,1986.

² Archives Nationales de Tunisie. Série Historique, carton 239, Dossier 573-574-579-585.

en plus de la recherche de d'or et d'argent, ainsi que les ressources souterraines et minérales, et l'étude des ressources en eau.

Les voyages et missions exploratoires officiels en Tunisie, , quelles que soient leurs formes, ont représenté une banque de données très riche pour les différents partis coloniaux et politiques qui seront très utiles sur terrain. Mais cela n'enlève rien au rôle d'explorateur officieux.

2-Missions officielles

Malgré l'intimité de ces missions en termes d'encadrement, de financement et d'accompagnement, elles se sont impliquées d'une manière ou d'une autre dans l'accompagnement du projet colonial français. Ces voyages n'ont pas été financés par l'État français et manquent pour la plupart d'un soutien politique et financier important. L'explorateur est tenu de connaître tous les détails de son voyage en termes de recherche de financement, qui provient généralement de sociétés géographiques ou de détenteurs d'argent, ou en termes de recherche de soutien politique et logistique pour faciliter son déplacement dans la zone à explorer.

De nombreux voyageurs et explorateurs européens, notamment français, ont visité la Tunisie avant l'occupation dans le cadre informel, ont collecté de nombreuses informations et données sur le pays dans divers domaines qu'ils ont conservées dans des notes, des articles ou des livres tels que le géologue et le géographe "Victor Guérin", qui est l'un des membres actifs de la Société des Géographes. Ce dernier est venu en Tunisie en 1860 et a tenté de pénétrer dans la région méridionale de la régence. La même année, l'explorateur et géographe" Henri Duveyrier ¹ a également fait un voyage en Tunisie et l'a documenté dans un livre sous le titre "La Tunisie"². Il est à noter qu'avant d'entrer dans la régence tunisienne, Duveyrier avait effectué des voyages d'exploration dans la colonie algérienne, où il visita de nombreuses villes algériennes, comme Skikda, qu'il visita en mai 1859, d'où il se rendit à Biskra puis à Constantine. En février 1860, ce dernier effectua un nouveau voyage à Skikda. De là, il se dirigea vers l'oued Souf, et de là il se dirigea vers la région du Jérid au sud de la Tunisie après avoir demandé à Ferdinand de Lesseps, le représentant de la France en Tunisie, les garanties nécessaires pour sécuriser son voyage dans le sud tunisien. En effet, il s'est rendu dans les villes de Gabès, Kébili, Douz, Gafsa et Tozeur³. Grâce à ce voyage, Duveyrier a fourni des informations très importantes sur la situation politique et militaire et tout ce qui concerne les relations tribales et la composition ethnique et religieuse de la société. En plus, il a accompli une tâche très importante qu'est le dénombrement de la population dans toutes les régions, quelles étaient des tribus ou des villes.

Il est à noter que ces missions officielles ne sont, généralement, pas suffisamment sécurisées, ce qui expose le voyageur à des risques de déplacement à l'intérieur de la province,

¹ Il a vécu entre 1840 et 1892. Il est géographe appartenant à l'Ecole Sansimonienne, où il a été membre du Comité des Missions Scientifiques et Exploratoires et du Comité d'Exploration du Désert. Il a également effectué plusieurs voyages d'exploration dans le désert algérien.

Les explorateurs géographiques aux 19^{ème} siècles, ouvrage généraux .s.d.Paris.1990. p127.

² Duveyrier Henri, *La Tunisie*, Hachette, paris, P9.

notamment avec sa méconnaissance de la topographie de la zone à explorer, et les explorateurs sont exposés à des raids par bandits.

Les voyages non officiels restent des tentatives individuelles régies par l'esprit d'aventure et le désir de découvrir et de connaître l'autre d'une part, et d'autre part pour rechercher des sources de richesse et d'argent. L'activité des sociétés géographiques et scientifiques a contribué à encourager les missions exploratoires. Le soutien intellectuel, politique et idéologique, a représenté le couvent de ce courant d'idées.

Conclusion

On peut affirmer dans la conclusion, que les courants politiques et intellectuels comme le saint-simonisme et l'activité des sociétés géographiques a largement contribué au développement de la pensée d'exploration en Europe en général et en France en particulier. Ce développement s'était manifesté dans la multiplicité et la diversité des missions exploratoires françaises dans la régence tunisienne, tant sous sa forme formelle qu'informelle. En fait, ces explorations n'étaient rien d'autre qu'une occasion d'explorer et les particularités de l'expérience française en Tunisie et les difficultés, les tendances et les contradictions qui l'entouraient, reflétant finalement le projet colonial français en Tunisie.

Les idées d'exploration ouvrent une porte pour comprendre une période importante de l'histoire de la pensée coloniale avec ses diverses caractéristiques et contradictions. Les écrits et les recherches des explorateurs, malgré les exagérations et les jugements inexacts qu'ils portent parfois, ont constitué des références fondamentales adoptées par la France pour envahir Régence de Tunis.

La pensée exploratoire a joué le rôle de serviteur du projet colonial dans une conjoncture internationale, métropolitaine et locale qui propice à l'expansion coloniale. Les missions exploratoires qui sont venues après l'installation du système de Protectorat inaugurerait un autre épisode de domination coloniale.

Bibliographie

- Ageron Charles – Robert, *France coloniale ou parti colonial?* P.U.F.1978.
- Broc Numa, *Dictionnaire illustré des explorateurs et grands voyageurs Français du XIX^{ème} siècle*. Editions du C.T.H.S.Paris .1988
- Chevillet G, *Scènes de la vie militaire en Tunisie*, Paris, Sanard et Derangean ,1986.
- *Dictionnaire illustré des explorateurs et des voyageurs au XIX^{ème} siècle*, Librairie la Roux, Paris, 1960.
- Le comte-Denis Maurice, *La prospection et leurs mise en valeurs, guide et pratique*, Librairie Schleicher paris 1993.
- Lejeune Dominique, *Les Sociétés de géographie en France et L'expansion coloniale au XIX^e siècle*. Editions Albin Michel .Paris .1993.
- *Les explorateurs géographiques aux 19^{ème} siècles, ouvrage généraux .s.d.Paris.1990.*
- 1 Duveyrier Henri, *La Tunisie*, Hachette, paris.1986.
- Mechri Ben dana Kmar, « Les missions scientifiques Françaises en Tunisie dans la deuxième moitié du XIX^{ème} siècle » .in, *Les Cahiers de Tunisie*, N°157-158.1991.
- Pellissier E, *Description de la Régence de Tunis*, éditions Bouslama, Tunis ,1980.

- Peyras J et Soumille P, *Les souvenirs d'un soldat bas-Alpin sur la conquête de la Tunisie (1881-1882)*, in Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, N°34, 1982, PP 63-79.
- Starzak Jean-François : *Qu'est-ce que l'exotisme*, département de géographie, université de Genève, 2008.
- كريم عبد المجيد، مداخلة في ندوة بعنوان: "Réseaux d'échanges et mutations sociales en Méditerranée occidentale, 19^{ème} et 20^{ème} siècles." 26-27 نوفمبر 1999 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمنوبة :
- المنصر عدنان، الأهلي من منظور السانسييمونية، مشروع البحر الداخلي مثالا: مقال من أعمال الندوة العلمية التي انتظمت أيام 3 و4 بقابس ومدنين. المطبعة الرسمية. تونس 2008.
- المالكي محمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العرب. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ط 2. 1993.

Fonds Archivistiques

- Service Historique de l'armée de terre (SHAT) (Fonds archivistiques conservés à l'institut supérieur de l'histoire de la Tunisie contemporaine), Bobine S247. Carton 2H1.Dossier 3.
- Archives du ministère des affaires étrangères (A.M.A.E), Bobine A9. Carton 25H9 .Dossier 9.
- Archives Nationales de Tunisie. Série Historique, carton 239, Dossier 573-574-579-585.

La communication digitale au service du développement du marketing digital

Zerouali Sanae. Laboratoire : Littérature Générale et Comparée : Imaginaires Textes et Cultures (LGCITC). Faculté des Lettres et des Sciences Humaines. Oujda

sanaezerouali@gmail.com

Résumé

Ce qui nous a vraiment poussés à travailler sur ce sujet est l'impression laissée après une étude sur la digitalisation du tourisme et les métiers annexes, suite à des enquêtes de terrain menées auprès des agences de voyages, des établissements hôteliers et auprès des touristes dans la région de l'oriental marocain.

Parmi les résultats qui nous ont beaucoup impressionnés est le développement de la digitalisation des transactions, ce qui montre que le numérique commence à prendre de l'ampleur et exerce une grande influence plus que les moyens de communication en papiers. Certes, la majorité des secteurs de l'économie connaît de profondes transformations induites par les technologies digitales, y compris des secteurs dits traditionnels comme l'agriculture. Cependant la transformation numérique est intégrée à des degrés divers en fonction des secteurs. Toutefois, la vente en ligne et à distance change profondément les pratiques traditionnelles des entreprises, d'où le développement du marketing digital.

La problématique qui s'impose, dans ce monde numérique, est comment réussir cette transformation et avoir une e-réputation ? Faut-il compter sur les réseaux sociaux, ou procéder à une bonne stratégie de communication digitale en laissant de côté le marketing traditionnel ?

Mots clés : communication digitale, marketing digitale, digitalisation, réseaux sociaux

Digital communication at the service of the development of digital marketing

Abstract

What really pushed us to work on this subject is the impression left after a study on the digitization of tourism and related professions, following field surveys carried out with travel agencies, hotel establishments and with tourists in the region of eastern Morocco.

Among the results that have impressed us a lot is the development of the digitization of transactions, which shows that digital is beginning to gain momentum and exert a great influence more than the means of communication in paper. Certainly, the majority of sectors of the economy are experiencing profound transformations induced by digital technologies, including so-called traditional sectors such as agriculture. However, digital transformation is integrated to varying degrees depending on the sector. However, online and distance selling is profoundly changing traditional business practices, hence the development of digital marketing.

The problem that arises, in this digital world, is how to succeed in this transformation and have an e-reputation ? Should we rely on social networks, or proceed with a good digital communication strategy leaving aside traditional marketing ?

Key words : digital communication, digital marketing, digitalization, social networks

التواصل الرقمي في خدمة تطوير التسويق الرقمي

ملخص

لعل ما دفعنا حَقًا إلى العمل في هذا الموضوع هو الانطباع الذي تركه بعد دراسة رقمنة السياحة والمهن المرتبطة بها، بعد الاستبيانات الميدانية التي أجريت مع وكالات السفر والمؤسسات الفندقية والسياح في جهة الشرق من المملكة المغربية.

ومن النتائج التي أثارت إعجابنا كثيرًا تطور رقمنة المعاملات، مما يدل على أن الرقمنة بدأت تكتسب زخمًا وتؤثر بشكل كبير أكثر من وسائل التواصل الورقي. بالتأكيد، تشهد غالبية قطاعات الاقتصاد تحولات عميقة ناجمة عن التقنيات الرقمية، بما في ذلك ما يسمى بالقطاعات التقليدية مثل الزراعة. ومع ذلك، يتم دمج التحول الرقمي بدرجات متفاوتة حسب القطاع. ومع ذلك، فإن البيع عبر الإنترنت وعن بعد يغير بشكل كبير ممارسات الأعمال التقليدية، وبالتالي تطور التسويق الرقمي.

إن الإشكالية التي تبرز في هذا العالم الرقمي هي كيفية إنجاح هذا التحول واكتساب السمعة الإلكترونية؟ هل يجب أن نعتمد على شبكات التواصل الاجتماعي، أم اللجوء إلى استراتيجية التواصل الرقمي تاركين جانبًا التسويق التقليدي؟

الكلمات المفتاحية: التواصل الرقمي، التسويق الرقمي، الرقمنة، شبكات التواصل الاجتماعي

Introduction

La communication est une composante de grande importance pour le marketing, car pour vendre des produits et des services, il faut bien les faire connaître aux clients, tout en essayant de les attirer, de les fidéliser. Pour réussir cette tâche, les entreprises sont amenées à utiliser les canaux de communication pour faire passer le message comme l'affichage, les médias traditionnels, mais surtout les médias numériques. Certes, ces derniers sont très sollicités, du fait qu'une part importante des clients est connectés et préfère faire des achats et des prestations à distance et sans une présence physique.

I. Définition de certains concepts numériques en relation avec la thématique

Le développement que le monde a connu ces dernières décennies, surtout dans le domaine de l'économie, a donné naissance à de nouveaux termes techniques, d'où l'enrichissement du lexique de notre vocabulaire économique et technologique (e-commerce, e-réputation, marketing digital ou numérique). La définition de certains termes nous permettra de mettre en évidence leurs subtilités technologiques et terminologiques et de bien déterminer le rôle de chaque terme selon le domaine en question.

1. La communication digitale

Au temps de la concurrence entre les entreprises, pour se démarquer et se positionner sur le marché, l'utilisation des moyens de communication traditionnelle n'est plus un outil de grande efficacité. Certes, dans un monde connecté, l'image et l'identité des établissements se font grâce à la communication digitale qui peut créer l'indifférence et conquérir la clientèle.

Mais qu'est-ce qu'une stratégie de communication digitale ? « La communication digitale est une nouvelle discipline qui consiste en l'utilisation de différents médias numériques pour diffuser une information. Cette science sociale suit ainsi les innovations technologiques et les nouveaux outils digitaux. Elle évolue donc en fonction des usages des clients »¹. Cette

¹ - Élaborer une bonne stratégie de communication digitale. Document consulté le 18 juin 2022. Disponible sur <https://www.locomotiv.com › strategie-communication->

communication permet donc le positionnement de l'entreprise et l'identification de la clientèle cible qui nécessite des supports de communication bien déterminés afin de la convaincre le client et l'attirer pour l'achat de ces produits. Ceci amène à l'élaboration de plans d'intervention plus efficaces pour la définition des canaux de communication et les réseaux sociaux les plus pertinents ainsi que les moments clés auxquels il faut communiquer. Cette démarche consiste donc, à digitaliser tous les supports d'information, d'où le déploiement d'une nouvelle approche au marketing et à la communication pour défier la concurrence très tendue par les entreprises.

2. Le marketing digital

Avant la révolution du marketing digital, les entreprises se servaient du marketing classique qui reposait sur les outils traditionnels de communication, c'est-à-dire les panneaux d'affichage et les médias en papiers. Avec le développement technologique et après l'avènement de l'internet, le marketing digital s'est imposé afin de permettre aux entreprises de capter plus de clients, d'où l'utilisation massive de ce nouveau mode commercial. Ce dernier a réduit les coûts publicitaires, ce qui a permis aux petites et moyennes entreprises d'atteindre un public plus large. Grâce à l'essor des réseaux sociaux et du marketing par email, il est plus facile d'atteindre un public plus large et lui communiquer des messages d'une manière numérique. Il paraît donc, que pour pérenniser sa position et gagner plus de terrain, les entreprises sont tenues renforcer le marketing digital, sinon le risque de disparition est inévitable. Le nombre croissant des entreprises oblige ces dernières à s'armer en outils informatiques, car les consommateurs utilisant les réseaux sociaux et les moteurs de recherche sont les plus nombreux par rapports à ceux qui sont encore fidèles aux types de médias classiques (télévision, radio, journaux, magazines...etc).

Ainsi, nous pouvons dire que les appareils numériques sont omniprésents dans la vie quotidienne d'un large public (les jeunes en particuliers). L'utilisation des smartphones, la navigation sur des applications web comme YouTube et Facebook, est devenu une habitude simple et économique et a bouleversé le rapport à l'informatique, tout en s'affranchissant des prouesses technologiques.

Pour réussir une telle tâche, la maîtrise des nouvelles techniques d'information est nécessaire, d'où la formation du capital humain pour la maîtrise des nouveaux outils de communication, car l'accélération de la digitalisation atteste bien de la nécessité de la fonction marketing digital, qui doit accompagner cet essor de l'analyse de données massives, ce qui peut garantir à l'entreprise un meilleur usage des technologies de l'information, de la communication et de la connaissance. Tout ceci se fait dans l'objectif de rendre les entreprises plus productives et plus concurrentielles « si le marketing Digital revêt un aspect nécessaire et incontournable, la recherche d'une plus grande rentabilité s'impose désormais comme la voie à suivre pour réussir à se démarquer d'une part et à atteindre les objectifs définis d'autre part »¹.

L'intégration du numérique dans la relation client, a pour conséquence une modification du processus d'achat ou de demande d'information. La gestion performante des bases de données conduit l'entreprise à affiner les aspirations individualisées des consommateurs. Ainsi, l'entreprise peut mettre en œuvre une production sur mesure et assure une vente/distribution

¹ - Pourquoi choisir d'étudier le Marketing Digital ? Document consulté le 22 Juin 2022. Disponible sur : <https://www.digitalschool.paris/pourquoi-choisir-d-etu...>

des services et produits, en créant une relation individualisée¹. Aujourd'hui, les entreprises sont obligées de passer par le numérique, car la plupart des consommateurs/clients sont connectés à internet, et par conséquent, il faut aller à la rencontre du consommateur là où il passe le plus clair de son temps : sur internet. Ainsi, les établissements peuvent facilement, rapidement et moins coûteux présenter leurs produits et leurs services sur les médias dites nouvelles générations (plateformes), qui sont extrêmement performants pour attirer des visiteurs, convertir des leads, conclure des ventes et fidéliser des clients en ligne.

La création de richesses dans des situations de changement technologique rapide dépend dans une large mesure de la capacité des entreprises à perfectionner leurs processus internes, organisationnels et de gestion au sein de l'entreprise « le marketing digital utilise les canaux numériques pour vendre un produit ou promouvoir une marque auprès de consommateurs. Il s'appuie sur le développement de l'usage d'Internet et des objets connectés. Sites web, réseaux sociaux, sites mobiles, applications pour smartphones et tablettes, GPS, podcast, vidéos en ligne sont au cœur du marketing digital. Le but du marketing digital est d'augmenter les visites sur le site, de transformer ces visites en actes d'achat et de fidéliser le client en établissant une relation régulière avec lui »².

3. La transformation digitale

Avec le développement des nouvelles techniques de communication et d'information, la digitalisation des entreprises et des établissements a connu un grand succès, d'où la naissance d'un monde connecté, que ce soit dans le domaine professionnel ou personnel. Cette transformation digitale a nécessité un grand remaniement de l'organisation de l'entreprise qui se trouve obligée d'intégrer les nouvelles technologies digitales dans ses activités afin d'optimiser les processus et accroître les performances. « Elle se réfère aux changements induits par le développement des technologies numériques qui se produisent un rythme effréné, qui bouleversent la manière dont est créé la valeur, les interactions sociales, la conduite des affaires et, plus généralement, notre façon de penser »³. Nous pouvons dire donc, que la transformation digitale est une stratégie d'innovation, du fait qu'elle soutient la performance des entreprises en apportant de nouveaux investissements TIC (Techniques de l'Information et de la Communication), ou en renforçant l'usage des TIC existantes.

L'émergence de la transformation digitale, qui a touché tous les secteurs ainsi que la société, a eu un impact majeur sur la manière dont les entreprises produisent des biens et services, dépassant le simple fait de s'équiper en informatiques afin d'automatiser des processus. Elle a bouleversé des structures, des emplois, impactant toutes les parties prenantes : collaborateurs, clients, fournisseurs, actionnaires...etc.

Toutefois, l'essor de la transformation digitale repose sur certaines étapes qu'il faut bien prendre en considération, à savoir :

- L'information qui doit circuler dans toute l'entreprise ;

¹ - Ferhane F., 2019. L'impact du marketing digital sur la performance des entreprises : cas d'un échantillon d'entreprises algériennes. Thèse de Doctorat université sidi Belabbas, p. 54-55.

² - Marketing digital : définition, métiers, salaires... Document consulté le 23 Juin 2022. Disponible sur : <https://www.journaldunet.fr> > ... > Web marketing

³ - Ferhane F., 2019. Op. Cit., p. 34

- La formation qui nécessite la mobilisation et la formation du capital humain pour qu'il soit en mesure d'exploiter tous les outils digitaux ;
- Le développement qui consiste à s'assurer de la bonne intégration des nouveaux outils numériques dans le processus de développement de l'entreprise ;
- L'analyse des résultats pour mesurer l'impact et les conséquences de l'introduction de la transformation digitale au sein de l'entreprise.

II. Stratégie de communication numérique et développement du marketing digital

Aujourd'hui, l'élaboration de stratégies de développement est nécessaire pour la réussite de l'entreprise et pour garantir sa pérennisation dans un monde où la concurrence est très acharnée. Ceci a nécessité un large déploiement des moyens de communication et d'information pour permettre la transition vers le digital, devenu un véritable enjeu pour les entreprises. Certes, l'utilisation des nouveaux supports techniques a un impact non négligeable sur l'image des entreprises tout en améliorant leur visibilité et leur démarquage dans un univers concurrentiel. D'où le développement de la relation des différents canaux de communication et le marketing digital.

1. Stratégie de communication numérique

C'est la mise en place d'un ensemble d'actions de communication permettant de réaliser des objectifs bien déterminés au préalable grâce à des outils digitaux et en ligne. C'est l'inverse de la communication traditionnelle reposant sur le print qui utilise les supports de communication en papier (brochures, flyers, affiches, guides...). La stratégie de communication digitale consiste en un plan d'actions précis composé d'objectifs SMART (Spécifiques, Mesurables, Atteignables, Réalisables et Temporellement définis). Tout ceci, ce fait dans le but d'attirer plus de clients pour vendre plus de produits et grâce à la diversité des supports de communications, surtout digitaux. L'adoption de cette démarche découle certainement d'une stratégie marketing définie au préalable et en amont de l'entreprise, et reposant sur les différents dispositifs de communication (la création d'un site internet, l'utilisation des réseaux sociaux, le référencement, le content marketing, etc...), afin de rationaliser les coûts pour créer une stratégie rentable. En combinant plusieurs canaux, l'entreprise a plus de chance de réussir sa tâche et d'atteindre sa cible, en termes de clients, de produits vendus, de visibilité et en termes des résultats attendus comme le retour positif concernant les efforts fournis.

La stratégie de communication digitale nécessite le passage du marketing traditionnel, qui reste toujours un facteur clé pour les établissements de petite ou moyenne taille, au marketing numérique qui nécessite un capital humain disposant d'outils informatiques et qui peut influencer le consommateur à distance. Effectivement, la communication en papier recule devant l'émergence des supports techniques qui maintiennent les gens connectés, car ils sont souvent en ligne. Cette nouvelle forme de communication a le pouvoir de promouvoir les produits de l'entreprise, grâce à son pouvoir influenceur.

Pour garantir une certaine réussite et pour la recherche de nouveaux prospects, il faut bien s'armer, certes nous ne sommes pas en guerre, toutefois il y'a une concurrence acharnée, d'où le recours à une stratégie de communication digitale construite et pertinente. Cette dernière est en fait, une carte de route qui permettra un cadrage de l'entreprise pour suivre les directives tracées en amont du projet de développement tout en concordant entre les différents éléments de la stratégie marketing et maintenir le déroulement de la direction dans sa bonne conduite.

Ceci évite les risques de dispersion et d'éparpillement ou de mauvaise communication, et par conséquent, il assure l'atteinte des objectifs clairement définis, eux-mêmes intégrés aux objectifs globaux de l'entreprise.

Pour la mise en place d'une stratégie de communication digitale, il est fortement conseillé de suivre les étapes suivantes :

- L'analyse de la situation, c'est-à-dire l'environnement interne et externe de l'établissement. Il convient donc, de faire un diagnostic approfondi pour déterminer les facteurs encourageant qu'il faut maintenir et développer les facteurs handicapants qu'il faut corriger et atténuer leurs poids négatifs ;
- L'étude de la cible qu'il faut bien connaître aux consommateurs des produits de l'entreprise, en termes de caractéristiques sociales et en termes de besoins et d'attentes. En d'autres termes, il faut parvenir à savoir et à identifier les besoins de satisfaction des clients et en déterminant leurs réseaux sociaux appropriés (Facebook, Twitter Instagram, Linkedin, etc...), ce qui facilite l'interaction entre la cible souhaitée, car le but n'est pas de s'adresser à tout le monde ;
- La fixation des objectifs de la stratégie pour ne pas dérailler et ne pas éparpiller les efforts déployés, car l'essentiel c'est être efficace et aller direct vers le but déterminé. Cette démarche permet la mesure des résultats tout au long du déroulement du projet et de faire une mise au point à chaque fois que l'on sent un déraillement ;
- Le Choix de leviers de communication, c'est-à-dire opter pour une multitude de médias, car les clients ne consultent pas seulement un seul outil de communication. Autrement dit, il faut attendre le client partout sur les différents réseaux sociaux, « Grâce à des contenus pertinents, bien référencés et adaptés à votre cible, vous pourrez aisément attirer de nouveaux prospects sans avoir à aller les chercher. Vous améliorerez également votre image tout en vous positionnant comme expert dans votre domaine »¹.
- Le développement d'une stratégie de contenu qui constitue la cinquième étape de l'élaboration d'une stratégie de communication digitale à contenu pertinent, créatif et cohérent, d'où la sélection des canaux de communication qu'il faut opter pour la réussite de cette stratégie. Si le contenu est bien déterminé et bien défini (le contenu texte, le contenu graphique, le contenu audio et le contenu vidéo), il sera partagé, suivi et commenté davantage par les clients.

2. Communication digitale et marketing digitale : quelle relation ?

Des définitions précédentes des deux termes, communication digitale et marketing digital, il convient de signaler qu'il y a souvent des confusions entre les deux termes, alors qu'ils sont bien différents. En effet, le marketing digital permet de développer des solutions commerciales afin d'augmenter le chiffre d'affaires (convertir les visiteurs en clients, générer des ventes etc.). Si le marketing digital se concentre donc sur les besoins des clients, en termes de produits et services, la communication digitale intervient comme élément essentiel pour informer les clients à travers les différents supports numériques notamment sur l'amélioration des offres et de l'expérience utilisateur sur le web.

¹- Stratégie de communication digitale : comment la bâtir ? Document consulté le 18 juin 2022. Disponible sur : <https://www.salesodyssey.fr › blog › strategie-communication>

La digitalisation de la communication a eu pour impact l'adoption des entreprises de nouvelles méthodes et pratiques managériales. Elle a même changé les relations de travail entre le personnel d'une manière horizontale et latérale, suite à la fluidité de la circulation de l'information à l'intérieur de l'établissement. Toutefois, l'utilisation massive et continue des technologies digitales a maintenu la personne à sa place et a diminué la mobilité entre les différents services, puisque l'information circule d'une manière automatique et rapide, d'où l'efficacité de la digitalisation sur les pratiques de travail.

Comme la marketing digital gagne de plus en plus des terrains et devient monnaie courante auprès des entreprises, le développement de la communication digitale était perçu comme un avènement organisationnel de l'économie immatérielle tout en remettant en cause les approches traditionnelles de la création de valeur. Certes la création des richesses et la production massive ne constituent plus les seuls facteurs de conquérir les marchés mondiaux. Il faut donc faire appel aux nouvelles techniques d'information et de communication pour diffuser les particularités des produits, en termes d'information pour pouvoir se positionner et avoir sa part du marché très concurrentiel, comme l'a souligné Fathi Ferhane « une firme développe et défend son avantage concurrentiel que si elle maîtrise une combinaison de ressources « à dominantes immatérielles », moins mobiles, non transférables et non repliables. Cela sous-entend des savoirs faire, un management de la connaissance, de nouveaux processus, et de nouvelles méthodes de travail »¹.

Grace aux différentes relations entre la communication et le marketing, les entreprises ont adopté de nouveaux modes de fonctionnement tout au long de leur cycle de vie de l'établissement. Ainsi, la mécanisation du processus de développement, basé sur les moyens de communication permet aux décideurs de prendre les décisions en temps opportun. La capacité technique, dont dispose l'entreprise, lui permet de porter les produits vers des marchés concurrents. Ceci ne peut se faire et se produire que par l'adoption des nouveaux modèles du marketing digital, qui permet la circulation de la communication entre les clients et les fournisseurs, grâce aux outils numériques. Ainsi, la distribution du produit peut se faire à un large public, du fait du développement des innovations numériques, qui offrent aux clients le choix de produits et services, via ce qu'on appelle le e-commerce ou commerce en ligne.

Cette vente à distance, ou ce qu'on appelait auparavant vente par correspondance, est le résultat de l'intégration du numérique dans le système de vente des entreprises. Elle est le fruit du développement de l'utilisation des moyens de communication qui mettent en relation directe le client et le producteur qui s'engagent tous les deux à faire une transaction de manière dématérialisée, généralement via un moyen de télécommunication comme internet, par téléphone ou via téléachat. Donc, cette transaction se réalise sans la rencontre du vendeur et l'acheteur, alors qu'une vente traditionnelle nécessite la rencontre du vendeur et de l'acheteur dans un lieu physique.

Cette façon de vendre des produits s'est développée grâce à la disponibilité accrue de l'information qui circule rapidement pour être perçue par large public, ce qui peut renforcer les achats à distance et permettre aux clients de faire beaucoup de choix en termes de prix et de qualité. De cette manière, nous pouvons mesurer l'impact du développement des moyens de

¹ - Ferhane F., 2019. Op. Cit., p. 52.

communication sur l'écoulement des produits et sur la flexibilité du marché en comparant, d'une part, les prix en ligne avec les prix hors ligne, d'autre part, leur fréquence d'ajustement.

Ainsi, nous pouvons dire que, la simplicité de l'accès à internet de la part des utilisateurs de ces nouveaux moyens techniques, donne accès à une très grande variété de produits, mis en vente par les différents producteurs. Le développement du marketing digital se traduit par l'augmentation des internautes et par le déploiement des entreprises des moyens de communication et d'information pour faire connaître au grand public leurs produits ainsi que toutes leurs caractéristiques. La dynamique des ventes en ligne est le fruit de la digitalisation des transactions et prestations qui commence à devenir imposante puisque les achats en ligne progressent rapidement par rapport aux clients non connectés sur internet. Ce dernier a aussi un impact sur les prix grâce à la disponibilité accrue de l'information sur les prix et les produits ainsi qu'à l'émergence automatique de comparateurs en ligne. Ceci nous permet d'inférer le type de relation entre le développement des moyens de communication digitale et le développement de la vente à distance.

Nous avons remarqué aussi que l'achat en ligne ou à distance ne dépend plus de la proximité de l'acheteur qui était considérée comme un élément déterminant du choix de recourir à la vente via internet comme à la vente à distance classique. Aujourd'hui, la vente en ligne, et dans tous les coins du monde, tend également sur certains segments à conquérir des consommateurs non proches des points de vente.

Conclusion

Comme nous l'avons évoqué plus haut, le développement de la communication digitale joue un rôle pertinent dans le développement du marketing et principalement le marketing digital, ce qui confirme le lien significatif entre la communication digitale et la performance marketing. La maîtrise des nouveaux outils de communication permet la connaissance de l'état des lieux des autres entreprises, en termes d'équipements et de modèles de gestion, ce qui facilite l'élaboration de stratégies digitales permettant l'épanouissement et l'essor de la firme.

La présence en ligne permet aux entreprises de savoir la capacité concurrentielle de chacune, d'où la nécessité de s'alarmer en outils performants qui aident à l'analyse des résultats et à la réalisation d'un audit de la présence digitale sur le marché de l'informatique. Car pour réussir sa pérennité, il est nécessaire d'avoir un bon référencement, une présence sur les réseaux sociaux. Ils sont tous des moyens idéaux pour l'évaluation du système de fonctionnement de l'entreprise pour savoir ce qui fonctionne le mieux et d'intégrer des canaux supplémentaires dans la stratégie de développement.

Bibliographie

- Élaborer une bonne stratégie de communication digitale. Document consulté le 18 juin 2022. Disponible sur <https://www.locomotiv.com> › strategie-communication
- Ferhane F., 2019. L'impact du marketing digital sur la performance des entreprises : cas d'un échantillon d'entreprises algériennes. Thèse de Doctorat université sidi Belabbas,
- Pourquoi choisir d'étudier le Marketing Digital ? Document consulté le 22 Juin 2022. Disponible sur : <https://www.digitalschool.paris> › pourquoi-choisir-d'étu...
- Marketing digital : définition, métiers, salaires... Document consulté le 23 Juin 2022. Disponible sur : <https://www.journaldunet.fr>

The rise of regional importance Morocco in the American strategy of the new deployment in Africa

Kezzoute Mhammed. PHD candidate - Laboratory of Studies and Legal, Administrative and Political Research - Faculty of Legal, Economic and Social Science - Mohammed I University, Oujda.

Abstract

The article we are writing is part of the illustrative, disjointing and analytical context of the real dimensions and intentions behind the American recognition of Morocco Sahara as an attempt to give a new reading aimed at taking the debate on this important issue out of the box of previous political, legal, media and historical scenarios by adopting a new methodology whereby we want to reach the real backgrounds of recognition of the morocanity of the Sahara. Through our research, we also aim to clarify the United States of America's special interests in the region and the backgrounds of its growing interest in it, its relationship with the vision and far-reaching schemes of the African continent in general and its conflict with the competing schemes of other regional and global powers. Finally, relying on the analysis and reading of internal indicators and their interactions with the foregoing, we will try to confirm our hypothesis that American recognition of Morocco is not a political or electoral position related to a particular elected initiative and may disappear or change its drafting conditions. but it is a strategic position that reflects the United States of America's new vision for the African continent and how it wants its new position to be based on solid material foundations.

Key words : United States of America, Morocco, strategic perceptions, Moroccan Sahara, Russia, China, Iran, security partnership, geopolitical rivalries, cooperation economy.

تنامي الأهمية الإقليمية للمغرب ضمن استراتيجية إعادة التموقع الأمريكي في القارة الإفريقية

الملخص

يندرج المقال الذي نحن بصدد كتابته ضمن السياق التوضيحي والتفكيكي والتحليلي للأبعاد والنوايا الحقيقية من وراء الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء كمحاولة لإعطاء قراءة جديدة تهدف إلى إخراج النقاش حول هاته القضية المهمة من مربع السيناريوهات السياسية، القانونية، الإعلامية والتاريخية السابقة باتباع منهجية جديدة نبتغي من ورائها الوصول إلى الخلفيات الحقيقية من وراء الاعتراف بمغربية الصحراء. كما نهدف من خلال بحثنا هذا عبر اتباع خطة منهجية خاصة إلى توضيح المصالح الخاصة للولايات المتحدة الأمريكية بالمنطقة وخلفيات اهتمامها المتزايد بها، وعلاقتها بالرؤية والمخططات البعيدة المدى للقارة الإفريقية عموما وتضاربها مع المخططات المنافسة للقوى الأخرى الإقليمية والعالمية. وفي الأخير وبالاكتفاء على تحليل وقراءة المؤشرات الداخلية وتفاعلاتها مع ما سبق ذكره سنحاول تأكيد فرضيتنا حول أن الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء ليس موقفا سياسيا أو انتخابيا متعلقا بإدارة منتخبة معينة وقد يزول بزوالها أو بتغير ظروف صياغته، وإنما هو موقف استراتيجي يعكس الرؤية الجديدة للولايات المتحدة الأمريكية للقارة الإفريقية وكيف تريد أن يكون تموقعها الجديد مبني على أسس مادية متينة.

الكلمات المفتاحية: الولايات المتحدة الأمريكية، المغرب، المدركات الاستراتيجية، مغربية الصحراء، روسيا، الصين، إيران، الشراكة الأمنية، الصراعات الجيوسياسية، التعاون الاقتصادي،

Introduction

It is not a secret to any of the scholars and observers of the field of international relations and its current interactions, how the speed of changes that are now marking the face of the world is moving towards bringing about changes that will have a profound impact and reflection on various fields and regions. Since the current many fluctuations, whether of economic, political and strategic origin, or as a result of direct threats to the security and safety of distant regions of the world, they have had a great impact not only on the lives of the main countries and the main actors, but also in a deeper way that affects the lives of every component in the field of international relations And directly affect his behavior and the form and manner of movement.

In the face of the growing volume of quantitative transformations, continuous interactions, and unlimited interconnections at all levels and between many fields, and with the succession of global crises and their multiplicity of forms, many regions across the world have become, which in the past did not occupy an important space in the foreign policies of the great powers in practice - after this amount From transformations - they have become of sudden strategic value and importance, not only because of the growing regional importance of some of them as hotbeds of conflict and a source of escalating security threats, but also in terms of what they pose on the other hand as a basic factor and added value in the general context of making policies and future strategies for these great powers and serving their strategic perceptions New and even its ambitions in other stations.

International life is a course of interactions and not a fixed linear pattern. The law that governs relations between states in general and bilateral relations in particular is a system of successive variables, and for this reason the accumulation of strategic perceptions¹ To a party, regionally or internationally, is what determines the size and type of attention and attention to it and the amount of change in its direction.

This is the basic basis upon which to assess what each case is questioned of support or refusal due to the threat or consistency of these perceptions with the interests of the great powers in general and the US regional interests in particular, such as internal security and economic and commercial activities and the level of diplomacy.

Therefore, when an assessment or study is given about the relationship of the United States of America with a country or a region, or more clearly in our case, it is necessary to know the secret and background to the recognition of the Moroccanness of the Sahara. It becomes necessary to depart from the previous stereotyped frameworks for all and most of the discussions related to the issue of the Sahara.

Therefore, asking the following questions is part of our special approach that we intend to base and resort to to formulate the assumptions through which we hope to reach our own results regarding the issue at the center of analysis and to know how this country, region or geographical area in the process of the study acquired this sudden position within the American perspective and how it was Granted this distinction to American decision makers? Is this position considered the focus of internal American consensus? Is it different in terms of goals from the previous positions of the great powers that have been searching for their individual

سني (م. أ.) « المدركات الاستراتيجية الأمريكية اتجاه الجزائر - إدارة جورج بوش نموذجاً », متوفر على الرابط التالي 17.08.2015, " - ¹ <http://37.187.27.16/v3/etudes/20727.html>

interests only at a time when their real goals were to divide the country, weaken it and control its wealth? And how can it be preserved and invested in light of the changes of interest and the lack of fulfillment of obligations?

Before delving into the path of answering the questions, a plan for the assumptions that would support the confirmation of our suspicions or prove the error of our approach in anticipating the future of recognition and its seriousness in a general context of fluctuations, interactions and global instability, must be developed.

If we see that many build their vision of the new position within a framework of excessive enthusiasm based only on the euphoria of the media victory, this is what forces us to stress that it is also wrong to believe that the American recognition of the Moroccanity of the Sahara is nothing more than a mere political position for a fading administration that contributed some of the minor factors in its formulation, with its demise or correction of its status, we may find ourselves in the place of (Statu Quo) or the previous situation by the force of law and the language of elections¹.

Therefore, we see that the decision is strategically isolated from internal political skirmishes (of a managerial nature) to a large extent and is linked to a set of global transformations, regional conflicts and geopolitical ambitions that precipitated it and contributed to drawing its final picture, which by its continuation of a strategic decision continues to apply. Although the American recognition decision had a significant impact on the general course of the case, which has lived inside the halls of the United Nations for decades².

However, from the political point of view, American diplomacy and the statements and promises of American diplomatic officials alone cannot be considered a basis for building a correct theory through which to predict the future behavior of the United States of America and its actions towards the issue and the recognition of the Moroccanity of the Sahara. On the one hand, the United States of America, as a superpower, aspires to create global and regional balances and to stand at the same distance in its relationship with all parties in order to maintain its position and continuity at the head of the global system and not to deviate or take sides without any other.

On the other hand, without any justifications because we see before us Many historical experiences that reflect the nature of American pragmatic policy and the huge and rapid changes in its attitudes and practices towards many issues that it has been directly preoccupied with according to what its supreme interest dictates and not what its conscience dictates.

Hence, it can be said that the American recognition, despite the number of positive changes it has brought about in the course of the Sahara issue, has raised the pace of challenges and entered the file into a new category of considerations that were recently far from the focus

¹ Molina (FI) & Garcia (RO), « Western Sahara as a Hybrid of a Parastate and a State-in-Exile:2 (Extra)territoriality and the Small Print of Sovereignty in a Context of Frozen Conflict », Édition, Nationalities Papers, 2020, P 6 .

² Martin (C.G.), «Rethinking the Concept of a “Durable Solution”: Sahrawi Refugee Camps Four Decades On », Édition, Carnegie Council for Ethics in International Affairs, 2017, 31, N°3, pp 3-4.

of influences that determined the framework of the issue in legal and diplomatic pleading and traditional military balances¹.

This would put a strain on the traditional institutional tools and means that we are accustomed to seeing in the field of defending the Moroccanity of the Sahara globally, regionally and even internally. This may indicate a weak anticipation of the future of the issue, which has become difficult to keep pace with the same old traditional analytical methods. From here, the emphasis is based on the specificity and importance of our approach to studying the issue, which we do not want to limit to one point of view, but according to a (Pluridisciplinarity) perspective that combines many analytical, historical, political, diplomatic, economic and strategic elements...etc.².

It is hoped that it will contribute to clarifying the vision, clarifying the real backgrounds for recognition, creating an added value in the general context of the national debate on the Sahara issue, and finally opening the many horizons to the new dynamism of Moroccan diplomacy. In order to reach our research goal, we will divide the work into several primary and secondary axes, the first of which is based on the weakening and increasing position of the United States of America in the African continent, while the second axis will occupy an explanation of how the latter became aware and how it works to restore its general position, strengthen its influence and presence within the continent and choose its allies.

1. The weakness of American influence on the continent

In particular, the US-Moroccan relations are based on ancient historical foundations, as they are the subject of diplomatic consensus on both sides, due to their ancient and distinguished character³. In practice, however, it was lost. It is historically framed within the same context that characterized American relations with the African continent and the third world countries in general. 10% of the US population is from African origin, the African continent was for the Americans a pawn they used during the Cold War to combat communism, and now it is another pawn they use to fight terrorism⁴.

But despite the political use made by the United States of America of the peoples of the continent and their causes in the service of its struggle with the eastern camp and the fight against the spread of communism in the African continent, it was unique among the traditional great powers through its position in support of the independence of peoples and the right of the colonies to self-determination⁵.

¹ Theofilopoulou (A.), « The United Nations and Western Sahara A Never-ending Affair », Édition, Special Report 166, United States Institute of Peace, 2006, P 14.

² Cabanis (A.), & Cr.. « Méthodologie de la recherche en droit international, géopolitique et relations internationales », Éd, IDEA Design & Print Éditura, 2010, P 27.

³ U.S. Embassy & Consulates in Morocco « History of The US and Morocco », Disponible on URL Adresse <https://ma.usembassy.gov/ourrelationship/policyhistory/io/#:~:text=Over%20the%20past%20three%20decades,by%20high%2Dlevel%20government%20officials>

⁴ « أمريكا تعود إلى إفريقيا ». 22.02.2012. متوفر على العنوان الإلكتروني التالي . <https://www.france24.com/ar/201000222-unitedstates-economy-to-tackle-china-in-africa-back> ,

⁵ Dee (J.), « The Cold War in Independent Africa », Édition, Central College Press, 1993, Disponible on URL adresse, <https://central.edu/writing-anthology/2019/07/02/the-cold-war-in-independent-africa/>

There are many reasons that have contributed to narrowing the angle through which the image of Africa has diminished in the eyes of American analysts, strategists and decision-makers, and vice versa. Despite its official support for the independence of the new African countries and its creation in 1958 private office In Africa and the Middle East, which was affiliated with the US State Department in order to support and keep pace with emerging countries¹.

However, its involvement in many political and military manipulations and immoral actions within the continent in general during the Cold War period contributed to the formation and formation of an anti-American psychology that made the process of continuing to establish influence farther and more difficult than the fact that Africa was a secondary issue in the programs of American politicians and leaders, but rather closer to the weight of The events that were implicated in the United States of America and had a greater impact in stabilizing the negative image more than any other positive image².

On the one hand, these factors contributed to increasing the gap between the peoples of the continent and the United States of America, and drew and printed the general line of its policy towards the continent for decades, and as it is not hidden from us that the North African region is an integral part of the continent in general, he had great luck from this image, which limited the United States The American intervention in it is part of its comprehensive vision of the continent, which is based in all its manifestations on a pragmatic, utilitarian view that has always been characterized by indifference and arrogance at other times. Even sarcastic at times. In the same context, strategic analyst Richard Parker answers the fact that American diplomacy does not move in the Maghreb region except in cases of crises³.

That is, I do not give great importance to the continent and its developmental economic and social problems at all, in return for its interest in other, more urgent issues, while still maintaining its same security outlook and policy. Pure pragmatism, some modest and ineffective attempts⁴.

As the American interest in North Africa in general remained lukewarm and very weak compared to its preoccupations in other regions of the world, which the United States gives a special priority, its influence was increasing in some regions, especially East Asia and Latin America exclusively, and this backwardness can be monitored in practice in our region and the continent In general, through the negative accumulation of a group of events that harmed the image of these great powers on the continent, which was reflected in their perceptions and practices of gradual gradualism from semi-absence to complete absence of solving African problems, despite some initiatives that, as we mentioned, remained modest and ineffective.

¹ Nidiaye (P.), « L'Amérique est de retour en Afrique », 28.02.2021. Disponible on URL address suivante, <https://www.jeuneafrique.com/1123877/politique/le-reengagement-americain-en-afrique/>

² Lemarchand (R.), « The C.I.A. in Africa: How Central? How Intelligent? », Édition, The Journal of Modern African Studies, 1976, P 5.

³ «الاهتمام الأمريكي بمنطقة المغرب العربي»، متوفر على العنوان الإلكتروني التالي: <https://cte.univ-setif2.z/moodle/mod/bok/view.php?id=3626>

⁴ zunes (s.), « the united states and the western sahara peace process », Edition, middle east policy, vol v, n° 04, january 1998, p 3.

Despite all the limited attempts to win the hearts of Africans made by some successive administrations, the keenness to give priority to unilateral trade and economic interests and to establish the foundations of globalization in favor of the United States of America has always remained the master of the situation¹.

Through the accumulation of neglect and the lack of active participation in the events of the continent, the current calls of some American officials have risen, which say that the neglect of the United States of Africa in general and its preservation of the same outlook towards Africa during the Cold War period is what allowed China to expand inside it without any trouble and increased the influence of some competitors others are unacceptable. That is, among the real motives that formed a new awareness of some American leaders in the African continent is their unreassuringly and increasing feeling from the escalating Chinese expansion within the continent as well as other competitors, and the corresponding decrease in the size of the continuing American influence.

As China, which does not have any negative or immoral history or political conspiracies in its relations with the peoples of the continent, has exploited the difference and exploited the Western predicament in general and benefited positively from its African history. In order to increase its influence and strengthen its partnerships in order to ensure the expansion and prosperity of its trade². In addition to the volume of intensive commercial and industrial investments, successive Chinese presidents have intensified their visits to Africa on a record in the past twenty years, which were in total to support trade exchange and strengthen China's exports to the African continent³.

Only during these years was China able to displace the traditional partners - the Europeans in particular - for African countries, especially the partnerships inherited from colonialism, and it almost completely controlled all markets⁴.

There is another factor that can be added to justify the growing awareness of the United States of America of the necessity of a strong return to the African continent, which is that the facts of the field feed its current absolute belief in the inability of its Western allies, especially the French and British, to preserve their interests and interests within their areas of influence and their traditional points of influence in the face of Chinese commercial hegemony and insistence Russia to take a share of the emerging African markets and share influence and wealth in the region⁵. On the surface, successive US administrations, including Democrats and Republicans, differed over the official vision for the continent, but in essence, they all remained united in the face of the Chinese threat.—And the Russian - escalating globally, especially with

¹ Ibid, « theunited states and the western sahara peace process », P 5.

² Ahrens (J.) & Kalkschmied (K.), « China in Africa: Competitor of the EU? », Édition, Herausgeber, 2021, pp 4—9.

³ Roger (B.), « Carte : les voyages africains des présidents chinois depuis vingt ans », Jeune Afrique, 28.03.2013, Disponible on URL address suivante, <https://www.jeuneafrique.com/171574/politique/carte-lesvoyages-africains-des-pr-sidents-chinois-depuis-vingt-ans/>

⁴ Op. cit., « China in Africa : Competitor of the EU? », P 15.

⁵ Fatoumata (D.) « Tournée africaine de Mike Pompeo : La priorité des États-Unis est de contrer la Chine et la Russie », Jeune Afrique, 02.02.2020 .<https://www.jeuneafrique.com/898606/politique/tournee-africaine-demike-pompeo-la-priorite-des-etats-unis-est-de-contrer-la-chine-et-la-russie/>

regard to their penetration into Africa, and clinging to the need to restructure its strategic vision towards the continent¹.

A - The failure of the philosophy of relying on allies

By tracking many diplomatic indicators, the history of American and French relations, and the historical legacy between the two countries, it becomes clear that we are in front of strong historical alliances, but in practice it becomes clear that this path itself has gone through and is going through many setbacks, especially because of the problems that the traditional Western allies see in some issues of a nature private as well as global².

Hence, it can be said that the general direction taken by the American recognition of the Moroccan Sahara is interspersed with many matters that are not of a subjective nature related only to the unilateral American considerations, but also to another set of conditions related to the difference in some assessments with its European allies for some issues, their weakness and their inability to keep pace with others. It controls the rise of China globally and within the continent in particular at all commercial, economic, diplomatic, security and military levels and its solutions are smooth and easy in place of the traditional Western powers that occupied a historical space and benefited from countless privileges exploiting its colonial and political legacy within the continent³.

It should be noted that the rise of China and its replacement of the main allies within the African continent is not only a worrying indicator for the United States of America and a catalyst for the need to rearrange the cards, but also the unprecedented Russian incursion since the Cold War period, where Russian diplomacy has become present with all its force in many African countries. Its impact has become clear through the field changes brought about by the intelligence and military arms, as well as the Russian media machine in particular, as well as the security developments that have played in their favor in many areas within the African continent⁴.

That is why the following axis will be a detailed axis on this rise, which, although limited in its general form to the two prominent forces globally, in its details combines many other special demands. With other regionally emerging powers such as Turkey, Brazil, India ... etc., each of which wants a share of the emerging markets and part of the development opportunities available within the continent. And how will this situation of multiple rise contribute to creating a climate of economic, diplomatic and political competition - neo-imperialism - Which will inevitably lead to a conflict in the strategic visions between the competitors within the African continent.

B - The rise of China and the return of Russia

¹ Campbell (J), « U.S. Africa Policy Needs a Reset Trump Didn't Tear Up the Playbook, but It Still Needs to Be Rewritten », Foreign Affairs, 10.12.2020, Disponible sur l'adresse URL suivante, <https://www.foreignaffairs.com/articles/africa/2020-10-12/us-africa-policy-needs-reset>

² Campbell (H. G.), « The Quagmire of US Militarism in Africa », Édition, Council for the Development of Social Science Research in Africa, 2020, P 23.

³ Ibid, « The Quagmire of US Militarism in Africa », P 29.

⁴ Ibid, « The Quagmire of US Militarism in Africa », P 9.

As previously mentioned, the short strategic view of the United States of America, the weak focus of the allies, and their inability to keep pace with developments within the continent due to their internal problems are among the reasons that contributed to the penetration of some of the alternatives that African countries used for their development and construction, with China at the fore¹. And considering that China, the African leaders trusted China and gave it high

credibility, because it was not a colonial empire that lived on plundering wealth, selling people, and destroying countries as the Western colonizer did, and on the other hand, it does not interfere - or as it suggests - in the internal affairs of any African country, Grants and aid are offered without preconditions, and in an economic sense, they make commercial deals, where they buy oil and raw materials in exchange for developing dilapidated or non-existent infrastructure².

Since it has also been an economic partner that prevails in the nature of common and mutual interest between the parties over the logic of coercion and inequality since the fifties and the beginning of the Sino-African relations, it has strengthened its cooperative path with many diplomatic institutional frameworks in order to ensure the continuation of this cooperation³. It is the only one that possesses the commercial, industrial and financial potentials globally, which brings it closer to exploiting and acquiring locally emerging opportunities.

Only by doubling all its numbers, which jumped in all fields to record levels⁴. And since it was natural for the unprecedented Chinese economic superiority to turn into a political and diplomatic consensus, as well as an indicator of concern within the circles of American strategic thinking, as one of the features of the future collision between the two powers and a new indication of the rise of a power that might return the Cold War scenarios to the new front⁵. It has become necessary to review the traditional thinking and the angle of knowledge inherited from the Cold War.

However, what has complicated the situation is not only the rise of China and its soft supremacy and winning the favor of Africa and African leaders, but also the sporadic attempts of other powers to win the continent's affection, especially the European powers, especially Russia, which is working hard to strengthen its strategic position and ensure its place in the series Global competition to seize the opportunities of Africa⁶.

¹ Temin (J.), « Africa Is Changing—and U.S. Strategy Is Not Keeping Up Washington Needs to Rethink Its Approach to the Continent », Foreign Affairs, 10.08.2021, Disponible on URL address. <https://www.foreignaffairs.com/articles/africa/2021-10-08/africa-changing-and-us-strategy-not-keeping>

² أبو خريص (أ.), " التنافس الصيني الأمريكي على القارة الإفريقية ", المعهد المصري للدراسات, دراسات سياسية, 22.05.2020, ص 11.

³ " متفر على الرابط التالي " 18.01.2016 <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/organizationsandstructures>

⁴ "La Chine et l'Afrique renforcent leur coopération commerciale malgré la COVID-19"Xinhua, 18.11.2021. Disponible on URL adresse. http://www.focac.org/fra/zfgx5/zzjw/202111/t20211117_10449492.htm

⁵ Townsend (S. J.), « The Chinese are activity seeking a military naval base in Africa on the Atlantic coast, which would threaten U.S. national security », US Department of Defense, 17.05.2022. Disponible on nexte URL <https://www.defense.gov/News/News-Stories/Article/Article/2969935/general-says-china-is-seeking-anaval-base-in-west-africa/>

⁶ منصور (ع.) " التنافس الأوروبي الأمريكي الواقع والأفاق ", مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية, 2018, ص 12.

Unlike China, which relies on soft power in order to consolidate and strengthen its position, and through steps that are hardly audible, but very fruitful¹. Russia's policy, despite all its diplomatic efforts to improve its economic and diplomatic position, remains more suspicious of the United States of America and its allies, due to the different *modus operandi* and aggressiveness of its policy. Although the Russian-African economic and diplomatic initiatives are numerous and varied and take many forms of partnership and cooperation from the collective summit of 2019² to many other bilateral and tripartite agreements³. However, its impact is limited compared to what China earns.

For example, for this we find that Russia differs in terms of some orientations in its vision of Africa and how it adopts a view of its own in order to consolidate its influence, avoid Western sanctions and close European markets to it, by focusing on some regions and countries that are considered reliable partners and inherited at the same time from the Soviet era⁴. This Russian view of the continent, although it has limited impact in terms of gains and is limited in terms of economic activities to the trade in resources and weapons, was not spared the sharp criticism of senior American politicians and strategists by focusing on the work of Russian private military companies on the fact that they have a destabilizing effect in Africa, because they Corrupt regimes support and secure a large Russian military presence worldwide and within the African continent, especially through these activities.

Then, in addition to this, Russia seeks, according to the same vision, to create a naval base in Somalia and a naval logistics center in Eritrea, and by increasing its military influence in some countries of the Sahel, these will develop. Activities in the direction of bringing about major geopolitical changes that would weaken the American presence and all future efforts to reach the continent⁵.

2 – New attention, new return and the necessity of strong focus

There were many reasons behind which the necessity of paying attention and returning to the continent became necessary and urgent to curb the Chinese rise and the increasing Russian presence at all levels. For this reason, American diplomacy began a new dynamic to re-establish it and reposition it within the continent. Hence, it is possible to monitor a new beginning in the new American strategy for Africa or the American interest in some important issues on the continent and the direct diplomatic contribution to resolving some conflicts and providing financial and in-kind assistance in many other matters and issues related to health and education⁶.

¹ Corkin (J. N.), « China's rising Soft Power: the role of rhetoric in constructing China-Africa relations », Édition, Revista BrasileiRa, 2014, P 10.

² Ogunnoiki (O. A.), « Russia-Africa Relations in the 21st Century: Symbiotic or Predatory ? », Édition, Covenant University Journal of Politics & International Affairs. Vol. 9 No. 2, 11, 2021, P 5.

³ صميض (ح.), " روسيا والعودة إلى إفريقيا ", منشورات مؤسسة خالد الحسن مركز الدراسات والأبحاث, العدد 5, العدد 8/7.

⁴ Ibid, " روسيا والعودة إلى إفريقيا ", P 8.

⁵ Birgeron (M.), Kozeiakhen (A.) & Kanet (N.), « La politique russe en Afrique : désengagement ou coopération ? », Édition, Revue d'études Comparatives Est-Ouest, 1996, p 25.

⁶ Bernard (J. M.), Coulibali (B.) & Wintrop (R.), « L'éducation, un outil essentiel dans la riposte de l'Afrique face au COVID-19 », Global PARTne ship, 09.06.2020. Disponible on URL adresse, **Erreur ! Référence de lien hypertexte non valide.**

Only the beginning of the transformation. These are still marred by some contradictions that, if they can be judged, are still different in terms of evaluating the successive administrations from Democrats to Republicans, and since each of them has his own point of view and how to manage the files, we note the number of formal variables in practice and their impact on some management tracks. If the administration of (Barak Obama) has its own distinctive characteristics in dealing with the continent in general, then the administration of President (Donald Trump) took another, more realistic approach, while the current administration adopts a special method¹.

On the surface, it can be said that there are many differences in the process of managing and formulating a unified strategic vision for the African continent, as each administration is distinguished from the previous one in practical terms in many respects, such as the nature of political activities and diplomatic forces devoted to achieving the goals of the United States of America in reaching the continent. However, theoretically and strategically, no future US administration or government can allow the uncalculated Russian expansion of military, security and strategic risks, nor allow the unacceptable incursion of the Chinese giant and unconditionally allow for economic and geopolitical gains.

A - There is no strong return without strong allies

The difference in the management of the continent revolves around the conflicting powers over influence, as each powers have their own way of translating their goals on the ground. For example, China is interested in specific regions and not others, which justifies its increasing focus on the straits, transit areas and important commercial areas, while Russia focuses on some countries With their different locations, which have a common character or denominator, which is that they are all oil and gas producing countries or countries that were allies of the Soviet Union during the Cold War period².

Therefore, the United States of America should do the same by focusing its efforts on points Certain countries and certain countries have some of the ingredients that may be absent from many of the countries of the continent. Hence, the process of selecting partners who will contribute to the process of strengthening the American position on the African continent was precise and strategic.

The US economic presence on the continent is very weak, especially the military presence, compared to some other competing powers such as Iran, China, Russia, and even France and India, which makes the process of basing and new positioning very difficult³ Because the temptations offered by Washington and Europe, despite all the initiatives, remain weak in return for the money and investments that China alone pumps into the African continent⁴.

¹ Lee (M.), « Blinken to Africa to boost US response to regional crises », AP News, 11.16.2021, Disponible on URL adresse, https://apnews.com/article/coronavirus-pandemic-middle-east-asia-china-africa-6e0d380_24c7ab2cbec33530de4ca29

² Ibid., « « Russia-Africa Relations », P 5.

³ Op.cit., « The Quagmire of US Militarism in Africa », P 24.

⁴ Jones (C. D.), Ndofo (H. A.) & Li (M.), « Chinesse economic engagement in Africa : implication for US. Policy », Édition, Foreign Policy Research Institute, 24.01.2022. Disponible on URL address.

The United States of America also attaches greater importance to cooperation in military and security matters in return for paying attention to development and investment issues that Africa in general needs¹. Despite diplomatic statements, tours and promises, the American policy towards the continent is still tainted by many shortcomings, which we believe contributed to focusing the vision more on the way to choose allies whose countries will form a solid ground for launching American diplomacy towards Africa.

Since the indicators of strategic awareness were one of the most important methods of measuring strength in American strategic studies through what they contributed as a special methodology that enabled American strategists to evaluate and resolve their view of many issues, it is the same method adopted in our study in order to reveal the reasons for the American choice of Morocco as an important focal point for the launch of diplomacy New to Africa. This will also help us in understanding the nature and seriousness of the promises made by the United States of America to the continent, as they do not include in their entirety all countries, but are directed only to those who are first and closest to achieving its aspirations.

Before proceeding to determine the foundations on which the United States of America wants to rebuild its diplomacy, it should be noted that the American-Moroccan relations are historically long-established diplomatic relations, but this is not the basic premise adopted by the United States in order to get closer to Morocco and to recognize the Moroccanity of its Sahara². By tracking some analytical indicators, it appears that the size of the economic and political changes that Morocco has introduced and the various partnerships that it has undertaken with many countries and from different continents in the past years are more than just traditional economic partnerships, but are among the foundations adopted by Morocco to bring about changes in the balance of regional policy and consolidation For his vision and a new concept based on laying the foundations of diversity, providing the ground for competition, increasing global opportunities for polarization, and stabilizing the image of a safe crossing towards Africa³.

For this reason, we note the broadening of the base of beneficiaries, the diversity of global partners and the multiplicity of their activities within Morocco⁴, but also transforming itself into a competitive internal space of (BRICS) In order to create an economic dynamism that helps accelerate internal development on the one hand, and on the other hand improve its position within the regional and global economic indicators⁵.

The consolidation of this trend comes from Morocco's belief in what qualifications and economic resources have become in the balance of politics, global power and international relations and their ability to make differences and change positions in international politics, and

<https://www.fpri.org/article/2022/01/chinese-economic-engagement-in-africa/#:~:text=Between%202001%20and%202018%2C%20China,invested%20%2441%20billion%20in%20FDI.>

¹ Steadman (L. M.), « Defending the U.S. Military Presence in Africa for Reasons beyond Counterterrorism », Édition, Centre for Strategic & International Studies, 03.01.2020, Disponible on URL address, <https://www.csis.org/analysis/defending-us-military-presence-africa-reasons-beyond-counterterrorism>

² Op.cit., « the united states and the western sahara », P 3.

³ Abourabi (Y.), « Les relations internationales du Maroc : Le Maroc à la recherche d'une identité stratégique », Édition, Centre Jacques-Berque, 2015, P 5.

⁴ Les pays BRICS sont une association de pays tels que le Brésil, la Russie, l'Inde, la Chine et l'Afrique du Sud.

⁵ Ibid, « Les Relations Internationales du Maroc », P 8.

based on a strong knowledge of the influence that new economic actors have become in the political relations between countries and their ability to The direct impact on the conduct of some issues and outstanding files between the halls of the United Nations for years.

In terms of geography, the geographical location occupied by Morocco gives it great positive possibilities thanks to its proximity to Europe, the vastness of its Atlantic and Mediterranean coasts, its openness to the Arab world, and its historical African depth. It wants to develop its relationship with Morocco and enhance its position in Africa, but rather as a basis for strengthening future partnerships with multiple parties such as Russia, in which Morocco participated strongly in its conference with African countries¹.

Then from the diplomatic, political and religious point of view, Morocco worked through active diplomacy at all levels to accumulate a unique experience through its qualitative presence in international and regional forums and through continuous support for many African issues and through effective field presence or indirect support².

Finally, from the military and security point of view, the military partnerships undertaken by Morocco cannot be limited in any way to the scope of military cooperation specified only in the framework of the deals and acquisitions that Morocco has undertaken in order to develop its military arsenal with many partners, which in terms of its diversity and multiplicity of sources Its supply reflects a specific vision that depends on the diversity that characterizes the defense policy trends of Morocco, despite the limited budget allocated compared to some neighboring countries³. In practice, the maneuvers that he has been carrying out for years with some Western partners, led by the United States of America, reflect the extent of the strategic rapprochement between the two countries and the desire of the United States of America to expand its sphere of influence and enhance the security of its most important allies in the African continent⁴.

3- The geopolitical and strategic importance of Morocco for the U.S.A

The process of listing and analyzing the strategic perceptions that made it possible to crystallize the political perception of the United States of America in relation to Morocco and change its view of it from a traditional partner to a partner of greater importance is many and involves local and global overlap. These new analytical elements, generated from the general weakness of American influence on the continent, as well as the cooling of the influence of traditional allies in their former colonies in the face of the Chinese rise and the urgent desire of the Russians to restore their African position, and the transformation of the continent in general into a space for conflict and geopolitical competition⁵.

¹ Ibid, « Les Relations Internationales du Maroc », P 9.

² Ibid, « Les Relations Internationales du Maroc », P 13.

³ Rainfroy (C.), « Marché de l'armement en Afrique : qui achète quoi et à qui ? », Jeune Afrique, 26.02.2016, Disponible on URL adresse, <https://www.jeuneafrique.com/305138/politique/marche-de-larmementafrique-achete-quoi-a/>

⁴ Afp, « Maroc : manœuvres militaires avec les États-Unis dans le Sud », Jeune Afrique, 22.04.2017, Disponible on URL address suivante, <https://www.jeuneafrique.com/431881/politique/maroc-manoeuvresmilitaires-etats-unis-sud/>

⁵ Op.cit., « The Quagmire of US Militarism in Africa », P 29.

Finally, the manifestations of openness and development that Morocco shows as an expression of excellence in an environment that is not characterized by much movement compared to the sea of multiple changes surrounding the region, from security problems to development problems¹.

These elements have contributed to changing the American strategic vision for Morocco, which is no longer based, as in the past, only on the foundations of fixed geopolitics, but the variables of the political arena within the continent and the recommendations of specialists not only contributed to increasing the American conviction of the need to re-focus in Africa and search for strong allies, but also in Developing the awareness of those in charge of managing Moroccan strategic files of the need to study major global trends and changes, take advantage of these variables and balance them according to what serve the interests of some external and internal issues.

For this reason, the American recognition of the Moroccan Sahara came from a diplomatic point of view as a qualitative shift in the historical American-Moroccan relations, and from a strategic point of view as a new vision formed by a pattern of conflicting variables in Africa in general and in North Africa and Morocco in particular. From an economic point of view, there is an urgent American need to pave the way for American investments towards the continent and to benefit from the important development and reconstruction contracts on the continent, while politically it is an opportunity to level the playing field with strong competitors who do not hide their desire for total control of the continent.

As the American recognition of the Moroccan Sahara will contribute to strengthening military, security, economic and commercial partnerships. And the development of political relations with the countries of the depth of Africa by relying on the same perceptions of Morocco to reach further into the depth of the continent. It is expected, according to the results of the study o these variables and perceptions, that it will be a negotiating path between many long-term balances and not an end point in a long-lived conflict between the halls of the United Nations, but also Because of the unresolved internal American political problems².

A - The Sahara issue, from maneuvering to direct support

Certainly, the American recognition of the Moroccan Sahara, from the point of view of American pragmatism, is not a gift or a diplomatic compliment. Rather, it is a decision that is subject to a lot of scrutiny and study of the changes that the continent has experienced in general. That is, it was found obligatory to satisfy a need and satisfy a new American trend in international strategy and politics before it It is a predilection for an old ally or a recognition of its historical right in a case that the United States of America has historically kept far from the issues of the entire African continent, and even more so, the subject of extortion in some stations³. For this reason, the sudden shift in the position of the American administration from the point of view of strategists and researchers constituted a fertile material for studying the

¹ Arief (A.), « Westen Sahara », Édition, Congressional Research Service, 2014, P 9.

² Bolton (J.), «Biden Must Reverse Course on Western Sahara Trump's recognition of Moroccan sovereignty dangerously undermines decades of carefully crafted U.S. policy», Foreign Policy, 15.12.2020, Disponible on URL address, <https://foreignpolicy.com/2020/12/15/biden-reverse-course-western-sahara/>

³ Zoubir (H. Y.) & Gambier (K.), « The United States and the North African Imbroglia: Balancing Interests in Algeria, Morocco, and the Western Sahara »,Édition, Mediterranean Politics Review, 2006, P 19.

determinants, origins and extensions of this qualitative move by the United States of America towards an issue that remained far from it. Africa¹.

We have sent a lot of ink in an attempt to understand and frame these variables that contributed to changing the position of the United States in general towards the African continent and its attempt to directly influence, in particular, by interfering in some outstanding issues or through other forms of diplomacy and force². But it was not possible to limit this transformation is within the framework of substantive changes, but we have also begun to clarify the elements of self-attraction that Morocco has established over decades in order to ensure rapprochement, which consist of economic cooperation, military cooperation, security coordination...etc.

It is certain that the end of the homogenization (the permanent normalization of positions and the establishment of economic interdependence completely) the elements of attraction will not end with the American recognition of the Sahara issue, but it is clear that it was the beginning of a new series of cooperation and negotiation on many common issues³.

If we consider in terms of partial confirmation of our hypothesis, it can be said that the new path is not only of individual interest to the United States of America and only, but it is also the beginning of a series of long-term cooperation based on a new interactive and realistic understanding and vision for American-Moroccan relations, which will become based on cooperation, partnership and consultation, not on what was circulated before from the exploitation and interest. The continuation of the mutual interest between the parties to the agreement is the only guarantee for the continuation of the situation and the development of cooperation in all directions. It is the only solution that can advance the path of full internal conviction on the part of the internal elites in the United States of America. Also, the desire to obtain positive results in this partnership would become a motivating factor. to the other global powers in order to adopt the American initiative and follow the path of its directions.

b- Economic and security cooperation

Throughout the history of its relations with Morocco, the United States of America desires to strengthen cooperation not only through the angle of military cooperation, but to extend this diplomacy to reach other angles where the economic aspect is the basis in order to strengthen and develop bilateral relations and make them distant and unaffected by the escalating political fluctuations globally and in the region in particular. This is through two main initiatives, through which the United States of America seeks to strengthen its strategy for Africa⁴. That's why I formed American investments directed to Morocco in recent years have made a qualitative leap compared to the years of the war Cold, which at its best did not leave the place of aid and gifts and only⁵.

¹ Op.cit, « « Western Sahara as a Hybrid of a Parastate and a State-in-Exile », P 6.

² Saidy (B.), « American Interests in the Western Sahara Conflict », Édition, Journal of the National Committee on American Foreign Policy, V 33 N° 2, 2011, P 5.

³ Taib (M.), «The Mineral Industries of Morocco and Western Sahara», Édition, Minerals Yearbook, 2016, P 4.

⁴ <https://ustda.gov/initiatives/prosper-africa/> . importante link.

⁵ زهرو (ر.) " المغرب والولايات المتحدة الأمريكية والشراكات الاستراتيجية ", 04.01.2021 متوفر على الرابط التالي

As for the security aspect, it can be said that the intertwining of geopolitical interactions in the region since the collapse of the Libyan regime and the fragility of the political systems surrounding Morocco due to the succession of economic and social crises and their weak ability to control matters internally, in addition to the calculations of the strategic competition between the traditional major powers and other emerging powers on the continent in general. And in the region in particular. It contributed significantly to undermining the general security situation and directly contributed to the increase in the flow of light weapons and military equipment and the flourishing of drug and contraband trade. It also encouraged the rise of international criminal networks in the region, while the Sahara region became a haven and an extension of these criminal organizations and extremist terrorist organizations¹. The foregoing is what reinforces, according to our belief, to the United States of America, the importance of the Moroccan role as the ideal partner in which the conditions for a safe and responsible partnership, close and stable cooperation, and an effective contribution to ensuring the stability of the region, and consequently the stability of the fragile American interests due to the many security risks that threaten the restoration position on the continent².

Conclusion

Our attempt, through this article, is to redefine US-Moroccan relations according to a new perspective based on a study that follows the pattern of geopolitical variables surrounding Morocco in particular. And trying to predict its dimensions and future paths, as well as how it has contributed and its repercussions will contribute to influencing the main trends in US foreign policy towards the issue of the Sahara.

By also explaining the general image of the African continent and what characterizes the climate of changes within it in general, we have clarified the nature of the American recognition of the Moroccanity of the Sahara, as it is a strategic position related in particular to the pivotal transformations in the continent and the aspirations of the United States of America and has nothing to do with the American electoral competition.

We also aim to understand and anticipate the results of these variables, which have become a necessary issue, not only in order to clarify the picture before the specialists and officials in the management of some files, but also to provide a cognitive effort in order to launch a new research dynamism in the field of studies related to the desert and open the horizons for diplomacy based on investing opportunities. And the development of gains, not on chanting slogans and limiting ourselves to the legacy of the Cold War.

An in-depth knowledge of what surrounds the American recognition of the Moroccan Sahara would show and contribute to defining the real vision behind this recognition that it is

<https://alittihad.info/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%A9->

¹ Op.cit., « Westen Sahara », P 10.

² « Pour Washington, le partenariat maroco-américain est enraciné dans des intérêts communs pour la paix, la sécurité et la prospérité », ministère des affaires étrangères de la coopération africaine et des marocains résidant à l'étranger, 22.11.2021. Disponible on URL adresse, <https://www.diplomatie.ma/fr/pourwashington-le-partenariat-maroco-am%C3%A9ricain-est-enracin%C3%A9-dans-desint%C3%A9r%C3%AAts-communs-pour-la-paix-la-s%C3%A9curit%C3%A9-et-laprosp%C3%A9rit%C3%A9>

not from diplomatic altruism or what American politicians and diplomats have been saying, but rather a decision based on a deep strategic vision of American interests within the continent in general and its relationship with Morocco And North Africa and the Sahara in particular, where we believe that despite the different political assessments between Republicans and Democrats, from a geostrategic point of view, recognizing the Moroccanity of the Sahara will remain a matter of general direction in American foreign policy in general and an urgent geopolitical necessity in order to limit the upward growth of competing forces that may put an end to influence America globally, not only within the continent.

The refusal of other powers to follow the path of the United States of America, and its explicit expression on this in international forums and events, should not mean at all to move away from these forces and limit themselves to strengthening ties with the American administration only, but rather as an incentive to focus efforts more in order to convince it of the Moroccan point of view. Limiting the American recognition or relying on the support of traditional allies only is not healthy from a geostrategic point of view, because to the extent that it is possible to consider the American recognition of the Moroccan Sahara as a positive action, the utilitarianism rooted in the American political behavior would weaken the course of cooperation and narrow the chances of balance. That is why it is necessary.

The trend towards ensuring greater conviction on the part of the competing powers in Africa of the feasibility and efficacy of the Moroccan point of view as the path that would enhance the diplomatic balance, especially since in the short term, the American position still needed more openness to it, an understanding of its contradictions, and the assimilation of all its positions.

Awareness that the African continent has become a playground for geopolitical competition between the traditional major powers as well as the emerging or emerging powers is among the keys that will help in the process of managing contradictions in favor of the cooperative and negotiating path that will accompany and enhance the American recognition of the Moroccan Sahara, because it will constitute a strong incentive for diplomatic investment to the differences between The future visions of the future of the continent on the part of these powers will, according to our belief, strengthen the diplomacy of balance and give it a new breath and great negotiating opportunities.

List of references and links in English and French language

- Abourabi (Y.), « Les relations internationales du Maroc : Le Maroc à la recherche d'une identité stratégique », Edition, Centre Jacques-Berque, 2015, 14 p.
- Akinlolu (E. A.) & Olusola (O.), « Russo-African Relations and electoral democracy: Assessing the implications of Russia's renewed interest for Africa », Edition, African Security Review, 2021, 19 p.
- Arief (A.), « Westen Sahara », Edition, Congressional Research Service, 2014, 15 p.
- Babrieni (Ch.), « Western Sahara Case : a fight for resources », Edition, LUISS Guido Carli University, 2017, 5 p.
- Birgersson (M.), Kozeiakhen (A.) & Kanet (N.), « La politique russe en Afrique : désengagement ou coopération ? », Edition, Revue d'études Comparatives Est-Ouest, 1996, 26 p.
- Besenyő (J.), « Another Showdown in Western Sahara ? », Edition, Terrorism and Political Violence, 2021, 9 p.

- Campbell (H. G.), « The Quagmire of US Militarism in Africa », Edition, Council for the Development of Social Science Research in Africa, 2020, 44 p.
- Corkin (J. N.), « China's rising Soft Power : the role of rhetoric in constructing ChinaAfrica relations », Edition, Revista Brasileira, 2014, 24 p.
- Hasnaoui (Y.), « Morocco and the African Union: a New Chapter for Western Sahara Resolution? », Edition, Arab Center for Research and Policy Studies, 2017, 20 p.
- Joffé (G.), « The Western Sahara and the United States », Edition, The Journal of North African Studies, 2019, 7 p.
- Kasha (B. A.), « Resistance and Complacency: Cold War Legacies and the Geopolitics of the Western Sahara », Edition, The Faculty of the College of Arts and Sciences In Candidacy for the Degree of Departmental Honors in International Studies, 2019, 38 p.
- Kirat (B.), « The Colonisation Process of Western Sahara », Edition, Oxford Consultancy International, 2017, 9 p.
- Mei (B. Y.), « Morocco's regionalization Roadmap and the Western Sahara », Edition, International Journal of Sociology and Social Policy, Vol. 31 No. 1/2, 2011, 17 p.
- Molina (F. I.) & Garcia (R. O.), « Western Sahara as a Hybrid of a Parastate and a State-in-Exile: (Extra) territoriality and the Small Print of Sovereignty in a Context of Frozen Conflict », Edition, Nationalities Papers, 2020, 17 p.
- Martin (C.G.), « Rethinking the Concept of a "Durable Solution": Sahrawi Refugee Camps Four Decades On », Edition, Carnegie Council for Ethics in International Affairs, 2017, 31, N°3, pp 31—47.
- Oleifa (T.), « Revisiting Morocco and Sustainable Peace in Western Sahara », Edition, Peace and Conflict Studies, 2012, 13 p.
- Ogunnoiki (O. A.), « Russia-Africa Relations in the 21st Century : Symbiotic or Predatory ? », Edition, Covenant University Journal of Politics & International Affairs. Vol. 9 No. 2, 11, 2021, 15 p.
- Theofilopoulou (A.), « The United Nations and Western Sahara A Never-ending Affair », Edition, Special Report 166, United States Institute of Peace, 2006, 20 p.
- Lemarchand (R.), « The C.I.A. in Africa: How Central? How Intelligent ? », Edition, The Journal of Modern African Studies, 1976, 27 p.
- Profaion (U.), « Western Sahara: Meltdown of a Frozen Conflict », Edition, Centre for Geopolitics and Security in Realism Studies, 2016, 11 p.
- Zunes (S.), « the united states and the western sahara peace process », Edition, Middel East Policy, Vol V, N° 04, January 1998, 16 p.
- Taib (M.), «The Mineral Industries of Morocco and Western Sahara», Edition, Minerals Yearbook, 2016, 13 p.
- Zoubir (H. Y.) & Gambier (K.), « The United States and the North African Imbroglio: Balancing Interests in Algeria, Morocco, and the Western Sahara », Edition, Mediterranean Politics Review, 2006, 23 p.
- Zoubir (H. Y.), « The Western Sahara Conflict: Regional and International Dimensions », Edition, The Journal of Modern African Studies, 1990, 20 p.
- Zoubir (H. Y.) & Karima (B.), « Morocco, Western Sahara and the future of the Maghrib », Edition, The Journal of North African Studies, 2006, 30 p.
- Saidy (B.), « American Interests in the Western Sahara Conflict », Edition, Journal of the National Committee on American Foreign Policy, V 33 N° 2, 2011, 8 p.
- Wilson (A.), « Ambivalences of mobility: Rival state authorities and mobile strategies in a Saharan conflict », Edition, American Ethnologist Volume 44 N°1, 2017, 14 p.
- White (N.), « Conflict Stalemate in Morocco and Western Sahara: Natural Resources, Legitimacy and Political Recognition », Edition, Bitish Journal of Middel Eastern Studies, 2014, 20 p.

- U.S. Embassy & Consulates in Morocco « History of The US and Morocco », Disponible on URL Address <https://ma.usembassy.gov/ourrelationship/policyhistory/io/#:~:text=Over%20the%20past%20three%20decades,by%20high%2Dlevel%20government%20officials>.
- Dee (J.), « The Cold War in Independent Africa », Edition, Central College Press, 1993, Disponible on URL address, <https://central.edu/writing-anthology/2019/07/02/thecold-war-in-independent-africa/>
- Nidiaye (P.), « L'Amérique est de retour en Afrique », 28.02.2021. Disponible sur l'adress URL suivante, <https://www.jeuneafrique.com/171574/politique/carte-les-voyages-africains-des-prsidents-chinois-depuis-vingt-ans/>
- Fatoumata (D.) « Tournée africaine de Mike Pompeo : La priorité des États-Unis est de contrer la Chine et la Russie », Jeune Afrique, 02.02.2020. <https://www.jeuneafrique.com/898606/politique/tournee-africaine-de-mike-pompeo-la-priorite-des-etats-unisest-de-contrer-la-chine-et-la-russie/>
- Campbell (J.), « U.S. Africa Policy Needs a Reset Trump Didn't Tear Up the Playbook, but It Still Needs to Be Rewritten », Foreign Affairs, 10.12.2020, Disponible on URL address, <https://www.foreignaffairs.com/articles/africa/2020-10-12/us-africa-policy-needs-reset>
- Temin (J.), « Africa Is Changing—and U.S. Strategy Is Not Keeping Up Washington Needs to Rethink Its Approach to the Continent », Foreign Affairs, 10.08.2021, Disponible on URL address. <https://www.foreignaffairs.com/articles/africa/2021-10-08/africa-changing-and-us-strategy-notkeeping>
- "La Chine et l'Afrique renforcent leur coopération commerciale malgré la COVID-19" Xinhua, 18.11.2021. Disponible sur l'adress URL suivante. http://www.focac.org/fra/zfgx5/zzjw/202111/t20211117_10449492.htm
- Townsend (S. J.), « The Chinese are activity seeking a military naval base in Africa on the Atlantic coast, which would threaten U.S. national security », US Department of Defense, 17.05.2022. Disponible on nexte URL <https://www.defense.gov/News/NewsStories/Article/Article/2969935/general-says-china-is-seeking-a-naval-base-in-westafrica/>
- Bernard (J. M.), Coulibali (B.) & Wintrop (R.), « L'éducation, un outil essentiel dans la riposte de l'Afrique face au COVID-19 », Global PARTne ship, 09.06.2020 Disponible on nexte URL, <https://www.globalpartnership.org/fr/blog/leducation-unoutil-essentiel-dans-la-riposte-de-lafrique-face-au-covid-19>
- Lee (M.), « Blinken to Africa to boost US response to regional crises », AP News, 11.16.2021, Disponible on nexte URL, <https://apnews.com/article/coronavirus-pandemic-middle-east-asia-china-africa-6e0d380124c7ab2c9bec33530de4ca29>
- Jones (C. D.), Ndofo (H. A.) & Li (M.), « Chinesse economic engagement in Africa : implication for US. Policy », Edition, Foreign Policy Research Institute, 24.01.2022. Disponible on URL address, <https://www.fpri.org/article/2022/01/chineseeconomic-engagement-in-africa/#:~:text=Between%20200120and%202018%2CChina,invested%20%2441%0billion%20in%20FDI>
- Steadman (L. M.), « Defending the U.S. Military Presence in Africa for Reasons beyond Counterterrorism », Edition, Centre for Strategic & International Studies, 03.01.2020, Disponibl on URL adress <https://www.csis.org/analysis/defending-usmilitary-presence-africa-reasons-beyond-counterterrorism>
- Rainfroy (C.), « Marché de l'armement en Afrique : qui achète quoi et à qui ? », Jeune Afrique, 26.02.2016, Disponible on nexte URL, **Erreur ! Référence de lien hypertexte non valide.**

- Afp, « Maroc : manœuvres militaires avec les États-Unis dans le Sud », Jeune Afrique, 22.04.2017, Disponible on URL address, **Erreur ! Référence de lien hypertexte non valide.**
- Bolton (J.), « Biden Must Reverse Course on Western Sahara Trump's recognition of Moroccan sovereignty dangerously undermines decades of carefully crafted U.S. policy», Foreign Policy, 15.12.2020, Disponible on URL adress, <https://foreignpolicy.com/2020/12/15/biden-reverse-course-western-sahara/29/>
- « Pour Washington, le partenariat maroco-américain est enraciné dans des intérêts communs pour la paix, la sécurité et la prospérité », ministère des affaires étrangères de la coopération africaine et des marocains résidant à l'étranger, 22.11.2021. Disponible on URL address, <https://www.diplomatie.ma/fr/pour-washington-lepartenariat-maroco-am%C3%A9ricain-est-enracin%C3%A9-dans-desint%C3%A9r%C3%AAts-communs-pour-la-paix-las%C3%A9curit%C3%A9-et-la-prosp%C3%A9rit%C3%A9> :

قواعد النشر بالمجلة

- § أن يكون البحث أصيلاً معدّاً خصيصاً للمجلة، وألا يكون جزءاً من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.
- § تقبل البحوث والمقالات باللغة العربية مع ضرورة مراعاة الوضوح وسلامة النص واجتناب الأخطاء النحوية والإملائية واللغوية
- § تقبل مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية، البحوث المتعلقة بموضوعات الدراسات الإستراتيجية والعسكرية والأمنية والجيوستراتيجية، وفي مجال العلاقات الدولية، وقضايا التخطيط الاستراتيجي للتنمية، وإعداد وتهيئة المجال والحكمة الترابية، والمواضيع المتعلقة بوضع السياسات والبرامج وتقييمها، إن في المجال الاقتصادي والمالي أو في المجال الاجتماعي، سواء كانت هذه القضايا ذات بعد وطني، إقليمي أو دولي؛ إضافة إلى البحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- § ألا يكون البحث قد نشر جزئياً أو كلياً في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
- § أن يرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث باللغة العربية واللغة الانجليزية أو الفرنسية.
- § تخضع الأبحاث والترجمات إلى تحكيم سري من طرف هيئة علمية واستشارية دولية، والأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- § يبلغ الباحث باستلام البحث ويحوّل بحثه مباشرة للهيئة العلمية الاستشارية.
- § يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر بقرار اللجنة العلمية وبموافقة هيئة التحرير على نشرها.
- § الأبحاث التي ترى اللجنة العلمية أنها قابلة للنشر وعلى الباحثين إجراء تعديلات عليها، تسلم للباحثين قرار المحكم مع مرفق خاص بالملاحظات، على الباحث الالتزام بالملاحظات في مدة تحددها هيئة التحرير.
- § يستلم كل باحث قام بالنشر ضمن أعداد المجلة: شهادة نشر وهي وثيقة رسمية صادرة عن إدارة المركز الديمقراطي العربي وعن إدارة المجلة تشهد بنشر المقال العلمي الخاضع للتحكيم، ويستلم الباحث شهادته بعد أسبوع كأقصى حد من تاريخ إصدار المجلة.
- § للمجلة إصدار إلكتروني حصري صادر عن المركز الديمقراطي العربي كما أنها حاصلة على الترميز الدولي: ISSN 2626-093X

§ لا يراعى أي أسبقية في نشر المواد العلمية ضمن أعداد المجلة، بحيث أن المعيار الأساسي لقبول النشر ضمن أعداد المجلة هو جودة وأصالة المادة العلمية وسلامة اللغة والعناية بكل ما يتعلق بالضوابط المنهجية في البحث العلمي.

§ أي تقرير صادر من اللجنة العلمية بما يتعلق بالسرقة العلمية فسيحمل الباحث تبعات وإجراءات كما هو متعارف عليه في سياسات المجلة العلمية الدولية.

§ تعتبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، كما يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة.

§ تعرض المقالات إلى مدققين ومراجعين لغويين قبل صدورها في أعداد المجلة.

§ لغات المجلة هي: العربية، الانجليزية والفرنسية.

§ في حالة الترجمة يرجى توضيح سيرة ذاتية لصاحب المقال الأصلي وجهة الإصدار باللغة الأصلية.

ترسل المساهمات منسقة على شكل ملف ما يكروست وورد،
إلى البريد الإلكتروني: strategy@democraticac.de

كيفية اعداد البحث للنشر:

§ يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.

§ الملخص التنفيذي باللغة العربية- الإنكليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة ، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث.

§ تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشرات الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

§ كما يجب أن يكون البحث مرفوقاً بقائمة ببليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

§ أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده "المركز الديمقراطي العربي" في أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع.

§ تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمراجع المتعلق به في قائمة المراجع.

§ ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للآتي:

- أ- إذا كان المرجع بحثا في دورية: إسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث وإسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.
- ب- إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.
- ج- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، إسم الجامعة، السنة.
- د- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب إسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

يتراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن تنشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس (A4)، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالآتي:

- نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو Sakkal Majalla
- حجم 16 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.
- حجم 11 عادي للجداول والأشكال، وحجم 12 عادي بالنسبة للملخص و 10 عادي للهوامش.
- نوع الخط في الأبحاث باللغة الانجليزية أو الفرنسية Times New Roman ، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية ، 12 عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال، 10 عادي للملخص والهوامش.

وتعتمد "مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية، والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة. حيث أن "المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية" جهة إصدار "مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية"

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ألمانيا/برلين

Tel: 0049-code Germany

030-54884375

030-91499898

030-86450098



المركز الديمقراطي العربي
لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْتِرَاطِيَّةِ، الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ
Democratic Arab Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية
Journal of Strategic and Military Studies

رئيس المركز الديمقراطي العربي: أ. عمار شرعان

رئيس التحرير: د. عبد القادر التايري

نائب رئيس التحرير: د. خالد شيات

مدير التحرير: دة. ليلى الرطيمات

ضبط وتدقيق: د. محمد الحسني

د. يوسف بليط

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. جمال ابراهيم

المجلد الخامس

يونيو / حزيران 2022 م

البريد الإلكتروني للمجلة:

strategy@democraticac.de

International Standard Serial Number

ISSN (ONLINE) 2626-093X

